الايزيدية والإمتحان الصعب

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربيل- كُردستان العراق

الايزيدية والإمتحان الصعب

الدكتور خليل جندي

الإهداء...

الى أرواح الضحايا المغرورين في بعشيقة وبحزاني، الشيخان وشنگال وبقية المناطق الذين قتلوا على أيدي قوى الظلام وأعداء الإنسانية من ذوي العقول العفنة من الارهابين المحسوبين على الاسلام...

الى روح رمز التآخي الديني والإنساني الشهيد أياز يونس...

اسم الكتاب: الايزيدية والإمتحان الصعب
تأليف: الدكتور خليل جندي
تنقيح: أوميد البناء
من منشورات ئاراس رقم: ٧٩٣
الإخراج الفني: آراس أكرم
الغلاف: مريم متقيّان
الطبعة الأولى ٢٠٠٨
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان بأربيل: ٢٠٠٨/١٧٨٠

مقدمة الكاتب

الكتاب الذي هو بين يد القرّاء الكرام عبارة عن مجموعة من الأبحاث والمقالات الموزعة على فترات زمنية مختلفة تمتد لأكثر من خمسة سنوات، وقد أعد العديد منها كأوراق لتلقي في كونفرانسات علمية أو محاضرات جامعية أو ندوات ومهرجانات ثقافية، والبعض الآخر أعد لأحداث مرّت على الايزيدية ونشرت هي الأخرى على شكل مقالات في صحف ورقية أو الكترونية، ومن هذا الجانب رأيت من المناسب أن ألفت إنتباه القراء الكرام الى أن الكتاب لم يرتكز ككل على نقطة محورية واحدة أو على منهجية بعينها، ولا أدعي أن الكتاب يخضع للمنهج الأكاديمي الصرف والتحليل العلمي الدقيق بمعنى الاعتماد الكامل على المصادر والمراجع لبعض القضايا المطروحة، لكن مع ذلك لم أبتعد عن الإلتزام بأصول المنهج العلمي في الطرح أو اللجوء الى المصادر حيثما استوجب ذلك. يشعر القارئ بهذا الالتزام وأن هنالك مجموعة أفكار أو توجهات تربط المواضيع المطروحة مع بعضها بشكل عام. وإذا تصور البعض أن هنالك تغييراً في موقف ما، بين موضوعة مطروحة هنا وأخرى هناك، فليكن معلوماً أن العلم هو عكس الجمود وأنه لا يقبل به، وأن من مميزات الفكر أنه يتجدد بإستمرار عكس الجمود العقائدي. كما أن تلك المقالات التي كتبت في فترات متباعدة نوعاً ما لن تنحصر في خانة المقالات الصحفية والاعلامية البحتة التي تدور حول حدث آني، لذلك لم تفقد الأفكار الواردة فيها من حيويتها وأهميتها وتتفاعل في جسم المجتمع الإيزيدي وتشغل تفكير الناس، وتبحث بقوة في الوقت الحاضر كما في المستقبل عن حلول لها. بناءً على ذلك إرتأيت جمع تلك الأبحاث والمقالات المنشورة هنا وهنالك في كتاب واحد بغرض الفائدة وخوفاً من الضياع والإهمال في أرشيف الصحف الورقية أو الألكترونية. كما رأيت من الأفضل توزيع الكتاب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول منها/ التأريخي: أسس على فصلين (الأول والثاني) وتضمن مدخلاً لمعرفة تاريخ الديانة الايزيدية والتعرف بها، مع موضوعة صراع الثقافات في المهجر

وإمكانية الديانات الشرقية للصمود والبقاء أمام قوة الثقافة الغربية. أما الفصل الثاني فقد خصص لمسألتين: الكوردولوجيا والايزيدية، الى جانب مادة ميدانية حديثة عن الكورد الايزيديين وهجرتهم الى الغرب وما يترتب على حياتهم العبادية والطقوسية والاجتماعية من تغيير، وجاء الموضوع تحت إسم: (الايزيدية في المهجر: صراع ثقافات...ومستقبل مجهول!). لقد تم طرح المادة ليس من باب التشاؤم وإنما من باب الحرص وأخذ الحالة والمتغيرات المتسارعة عليها بمنتهى الجدية والتعامل معها بتأني وحذر.

أما القسم الثاني/ السياسي الإجتماعي الديني: وهو الأشمل والأوسع، فأنه يجمع قضايا فكرية وإجتماعية وسياسية وإصلاحية تمس حياة الفرد والمجتمع الايزيدي في علاقته الديناميكية مع نفسه ومع محيطه الخارجي في ظل عصر جديد تماماً، وعالم مغاير وظروف مستجدة، ومرحلة جديرة بالتأمل والمراجعة بالنسبة لجميع المعتقدات والأديان، خاصة المجموعات الصغيرة منها. مع الوقوف عند بعض الأفكار التي تثير التساؤلات وتتطلب مناقشات جدية وتبحث عن مخارج مرضية دون إستخدام ردود أفعال عنيفة أو الاحتماء وراء مقولات ومفاهيم لا تتماشى مع روح العصر. وإحتوى هذا الباب على ستة فصول بمواضيع مستجدة وجزء منها تراجيدية في حياة الايزيديين خاصة بعد سقوط النظام البعثي الشمولي في العراق. وهذا هو الأهم في الكتاب من وجهة نظري.

إضافة الى القسم الثالث الذي يحتوي على مجموعة حوارات تبحث أسئلتها عن إجابات وما زال الباب مفتوحاً للإجتهاد بشأنهم. وأعتقد أن إعادة تلك الحوارات في هذا الكتاب جدير بالاهتمام ولا يخلو من فائدة.

المتابع للنشريات المهتمة بالشأن الايزيدي، خاصة الالكترونية منها، وما ينشرمن قبل غالبية الايزيديين الذين يكتبون المقالات أو حتى التعليقات يتلمس وجود نبرتين وباتجاهين متوازيين؛ الأولى: التأكيد باستمرار على قدم الديانة وعراقته وأصالته، والثانية: صدى الألم الداخلي في التأكيد على الغبن التاريخي والظلم وحملات الإبادة عليه...الخ. إن التمسك بهذين الجانبين الى حد بعيد لن تحل المشكلة الأساسية، ولن تنقذ الايزيدية كديانة ومجتمع من المشاكل التي تواجهها بل تتركها أسيرة الحنين الى

الماضي وفي عبادة القبور وأرواح الموتى، وتلذذ معتنقيها بجلد ذواتهم كما تفعله الطائفة الشيعية مثلاً وبالتالي هبوط المعنويات والحذر الدائم من الآخر؛ بمعنى المزيد من الانعزالية، مزيد من التعصب الديني، مزيد من إغلاق منافذ العقل! هذا ما يريدهُ المتنفذون على رأس هرم الديانة الايزيدية، وينضم الى جوقتهم مجموعة صغيرة من رجال الدين المتنفذين أيضاً وبعض الوجهاء و"المثقفين" من أصحاب المصالح.

ان المحور الرئيسي الذي يدور حوله الكتاب والهدف الذي يرمي اليه من خلال المقالات الجامعة هو إنتشال الايزيدية من عبودية الفكر القديم الذي يخدم ثلة من الأشخاص المتنفذين، حاملي رايات الدين والمتجارة بإسمه وهم براء منه. حيث غدت الايزيدية ماركة مسجلة لشخصين وعائلتين فقط، وهما المستفيدان الوحيدان مع نفر آخر من السماسرة الذين يتجارون باسم الايزيدية ويشتغلون في مجال "السياسة". رغم كومة الملاحظات والإعتراضات على ذلك النفر من غالبية الايزيديين، إلاّ أنهم يدعمون بقوة من قبل الأحزاب الكوردستانية الحاكمة.

لذا فأن المشكلة الايزيدية هي مركبة: دينية وإجتماعية وسياسية وأزمة قيادة. ويمكن الاشارة هنا الى أن التفسخ والانحلال دبّ في جسم الإمارة عشية الحرب العالمية الأولى، بالأخص عام ١٩١٣، بعد أن تفسخت وإنهارت حاضنتها (الامبراطورية العثمانية) التي كانت تنصب وتخلع الأمراء والباشوات والبيكات حسب مصلحتها وأهواء السلطان!. لم يتم، بالطبع، معالجة تدهور وضعف رؤساء الإمارة الايزيدية منذ ثمانين سنة خلت بداية الانحدار الحقيقي لوضع الايزيدية باعتقادي لأسباب عديدة فبات الوضع يسير من سيء الى أسوأ، وفقدت بذلك الإمارة أسباب وجودها وإستمراريتها. اليوم يحصد الايزيديون العاصفة كما يقول المثل الشائع.

اليقين والشّك هما على طرفين متعاكسين ومتناقضين؛ الأول هو من المقومات الذي يؤسس عليه الدين بالنسبة للناس المؤمنين (أقصد هنا بالمؤمن المتعصب دينياُ فقط)، أما الثاني فهو من سمات ومقومات العلم. الأول يحمل صفة الجمود والقناعة المطلقة، أما الثاني فيقبل بالحركة والتغيير ونسبية الحقائق، وأن كل شيء في الكون قابل للسؤال والاختبار والمراجعة ولا يؤمن بالحقيقة المطلقة. ومن هذا المنظور فلا يمكن جمع النقيضين (اليقين والشّك) لدى الباحث الفعلي، ولا يمكن تصور المؤمن باحثاً لأنه يضع

السائل بـ (لماذا وكيف) في خانة الكفار!. هذا يعني أن الحيرة والقلق هما أساس الإبداع وتراكم المعرفة والتطور. ليس هنالك " مناطق محرمة" أو محظورة على العلم والباحث الفعلي، كلاهما يطرقان جميع الأبواب ويدخلان " الأراضي المحرمة " من دون أخذ عواقب ذلك بنظر الاعتبار في مجتمع ديني متشنج.

دخلت مجموعة مقالاتي المتواضعة التي يتضمنها هذا الكتاب، وكذلك مناداتي العلنية والصريحة بالاصلاحات، خانة " المناطق المحرمة" بالنسبة لمحتكري الديانة الايزيدية ولجميع الذين يختبئون وراء لباس الدين المزيف من أنصاف المؤمنين وحتى الذين يحملون راية العلم!. أعي تماماً صعوبة ومخاطر هذه المهمة العلمية الاجتماعية الاصلاحية، وأعرف جيداً أنها لن تتحقق بثورة (الثورة بمعنى القلم والعلم وليست بمعنى البندقية) واحدة ناجحة وسلسة. بل أعرف أن الثورات الناجحة لا تحدث إلاّ بعد سلسلة من الحركات أو الأعمال الفاشلة!. عليه كفرد ضمن المجتمع الكوردي الايزيدي، وكباحث عن الحقائق النسبية، رأيت أن واجبي لا ينحصر في النقل وفي جمع النصوص والتراث، إنما المطلوب مني هو التعامل مع أدوات الاستفهام (لماذا و كيف). المطلوب من كل مؤمن بالعلم وبقيمة الانسان وحريته وتطور المجتمع أن يلعب دوره وهو يشعر أن المجتمع الايزيدي يمرّ بأصعب المراحل وبأزمة حقيقة وأنه أمام إمتحان صعب بعد تغيير النظام الشمولي في العراق، وبعد الأحداث المأساوية التي عصفت بفقراء ومعدومي الايزيدية وحصدت أرواح عشرات المئات منهم!.

كانت الدراسات حول الديانة والمجتمع الايزيدي الى أواسط القرن العشرين تصطدم بالكثير من الصعوبات والعراقيل والمعلومات المشّوهة وإختلاف في الآراء لدى غالبية الذين كتبوا عن الايزيدية من المستشرقين ومن كتاب الإثارة في تزوير الكثير من الحقائق. وجاء ذلك بسبب ندرة، أو فقدان النصوص الدينية المدونة وندرة الوثائق، مع عدم توفر المجمع من تراث هذه الديانة الذي يمكن البحاثة والكتاب الاعتماد عليه في دراساتهم. أما في وقتنا الحاضر، تحديداً بعد سبعينات القرن العشرين، فقد تم جمع وتدوين قسم لابأس به من النصوص الدينية والموروث الشعبي الذي يبحث على الارتياح، وعليه يفترض أن تتخطى الدراسات حول الايزيدية، خاصة من قبل الكتاب الايزيديين، مرحلة إثبات الهوية والتغني بالأمجاد والحديث عن " الأصالة " والبكاء على

الأطلال وإجترار كلمات الغبن والظلم والابادات (الفرمانات) الى مرحلة النبش والتدقيق والفرز والابحاث الجدية. يفترض أن يتم ترجيح كفة منطق العقل على النقل، وأن يكون الاجتهاد بدل الاستسلام الأعمى للنص والتفسير الشفاهي السطحي الانتقائي لمعنى العديد من الطقوس والعادات، ويفترض أن يتم تسخير الدين ومفاهيمه لخير وصالح جميع المؤمنين وأن لا تسخره لمصلحة شخص أو مجموعة أشخاص طفيليين! كما يفترض أن لا يسخر الإنسان لمصلحة الدين ويقيد تفكيره وحريته ونشاطه وإبداعه!!.

المعروف لدى المتابع الحقيقي أن كافة الأديان والمعتقدات والرسل ظهرت في مراحل تاريخية محددة، وفي ظل تطور إجتماعي إقتصادي محددين، وفي ظل ظروف فكرية مرتبطة بعوامل مرتبطة بعصرها وزمانها.

ومن الطبيعي جداً أن تؤدي تغييرالعوامل الاجتماعية والاقتصادية ومستوى تفكير الناس وإحتياجاتهم الى إضمحلال الأديان/المعتقدات كاملة، أو في أحسن الأحوال إنتقال بعض من مفاهيمها وعاداتها الى أديان أحدث منها. إذا نظرنا الى خارطة الأديان في العالم عبر التاريخ نشاهد إختفاء المئات من المعتقدات والأديان في آسيا وأفريقيا واوربا وأمريكا اللاتينية. أين الديانات الفرعونية والكنعانية والفينيقية؟ أين ديانة حرّان وسومر وبابل وآشور؟ أين الديانات الهندية والايرانية القديمة؟ أين معتقدات الميتانيين والحثيين؟ أين ديانات روما وجبال الألب؟ أين معتقدات وعبادات شبه جزيرة العرب واليمن والحبشة قبل الاسلام؟...لقد نشأت وتطورت وقدمت تلك المعتقدات والأديان في مرحلة تاريخية، وفقدت أسباب ظهورها في مرحلة تاريخية لاحقة.

رغم أهمية التقاليد والطقوس والعبادات في إستمرارية العقيدة وإضفاء هوية خاصة عليه، إلاّ أن الدين الى جانب ذلك يشبه الوليد وأية ظاهرة إجتماعية تمر بمراحل تؤثر وتتأثر بما يحيط بها. وهو (الدين) بحاجة الى تجديد وقبول الإصلاحات ومواكبة العصر وإلاّ تخلّف وأصبح عائقاً أمام معتنقيه وأمام تطور المجتمع، خاصة ونحن نعيش عصر العولمة الجبارة، عصر الانفوميديا، لا يمكن إقناع أنفسنا وأولادنا وأجيالنا بمفاهيم قديمة.

وإذا كان للدين أن يستمر (وهو يستمر ما دام الموت والفقر باقيان)، يجب أن تتوفر

له عدة مقومات وشروط وأسباب، من بين تلك المقومات:

أولا/ قوة الفكر والفلسفة، رغم أن فلسفة معظم أديان العالم تدور حول نقطة مركزية واحدة حول الخالق والخليقة.

ثانياً/ البشر؛ أي المؤمنين به.

ثالثاً/ المال والسلطة.

رابعاً/ مرونة ذلك الدين لتقبل التغييرات والتجديد. وتعتمد قوام فلسفة وحيوية أي دين- حسب رأيي - على وجود المذاهب والتيارات في داخله. ومن سوء حظ الديانة الايزيدية أنها محرومة حتى من وجود المذاهب. ربما يقول البعض وماذا تمثل (الآدانية -الشمسانية- القاتانية- البيرانية)، مع الأسف أنهم لا يمثلون مذاهب فكرية بقدر كونهم تقسيمات عائلية وزواجية إضافة الى وظائف أخرى اسندت الى كل منهم أثناء مجئ الشيخ آدي بن مسافر الهكاري وإبن أخيه الشيخ حسن إبن أبو البركات الشيخ آدي الثاني.

بدون المقومات المذكورة أعلاه، وفقدان حالة الاجتهاد يكون مصير ذلك الدين مزيد من المشاكل، ومزيد من الضعف وبالتالي الذوبان التدريجي، وينتقل اسمه في نهاية المطاف الى قائمة الأديان والمعتقدات الميته، ويحفظ ذكراه في فهارس بعض الكتب والأرشيفات!.

ما يضيف على كاهل الديانة والمجتمع الايزيديين في كل مكان من متاعب جدّية وأسئلة مصيرية تحتاج الى إجابات وحلول، هي الأوضاع المستجدة على المستوى الأقليمي والعالمي مع بداية التسعينات بإنهيار نظام الاتحاد السوفيتي، وحرب الخليج الثانية (غزو الكويت ١٩٩٠) وتشكيل المنطقة الآمنة في كوردستان (١٩٩١) على أثر نتائج ذلك الغزو، وسقوط نظام البعث في العراق نيسان عام ٢٠٠٣، وتأثير نتائج تلك المستجدات على حياة الايزيديين كديانة ومجتمع مغلق. فإذا كان الايزيديون قبل إنهيار الاتحاد السوفيتي يعيشون بأمان في جمهورتي أرمينيا وجورجيا ويمارسون طقوسهم وعاداتهم وتعليم لغتهم الكوردية من دون عراقيل، فان العصر الذهبي بالنسبة لهم زال بزوال ذلك النظام وفقدوا مكاسبهم وأسباب معيشتهم، وزادت عليهم الضغوط الشوفينية مما إضطرهم الى ترك قراهم وأعمالهم وإنتشروا في بلاد الله الواسعة من

كامجاتتسكي (بيتروناڤلوفسك) و فلاديفوستوك في أقصى الشرق على الحدود الصينية الى سانت بيترسبورغ (لينينغراد) وكالينينغراد في أقصى الشمال الغربي، و كراسندار وآستراخان في أقصى الجنوب الغربي. ولم يبق في أرمينيا التي كان يسكنها أكثر من سبعين ألف إيزيدي غير أربعة عشر ألف حسب بعض الاحصائيات غير الرسمية، وأقل من هذا العدد في جمهورية جورجيا. وحسب الأخبار المؤكدة فأن هنالك أكثر من أربعة آلاف عائلة إعتنقوا الديانة المسيحية وقسم منهم تحول الى شهود يهوه. ولا ننسى أن آلاف العوائل الايزيدية من تلك الجمهوريتين هاجروا الى بلدان اوربا وقسم منهم الى استراليا. أما بالنسبة الى ايزيدية كوردستان تركيا فلم يبق من مجموع أكثر من خمس وثلاثين الفاً سوى بضع مئات إستقر غالبيتهم في المانيا، ويقال نفس الشيء عن إيزيدية كوردستان سوريا بجزءيها؛ ايزيدية منطقة الجزيرة إضافة الى جبل كوردا غ وحلب فهم في هجرة مستمرة وتفرغ مناطق سكناهم وتترك أراضيهم وأملاكهم للآخرين. أم في كوردستان العراق، حيث مركز الديانة الايزيدية وثقلها العددي والمعنوي، فقد بدأت ظاهرة الهجرة منها الى اوربا منذ بداية التسعينات وإستفحلت عام ٢٠٠٧.

لن أتوقف عند أسباب الهجرة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في بلدان الشرق المستبدة لكنني أشير الى سبب من تلك الأسباب التي لها علاقة بمضامين بعض مقالاتي المنشورة هنا وبالتالي على مستقبل المجتمع الايزيدي. إن أحد أسباب هجرة الشباب هو التمرد الداخلي الخفي على قيود الدين وبعض عاداته وتقاليدة المقيدة لحرية الانسان ورغباته؛ بمعنى أنها " مظاهرات سلمية " مفتوحة على مصراعيها ضد بعض القيم والعادات والقيود الدينية، وهروب الى الفضاء الأوسع بحثاً عن الحرية المفقودة في بلدانهم التي يسيطر الدين فيها على المجتمع والدولة.

تبقى نتائج وتداعيات الهجرة على المجموعات الدينية الصغيرة (كالأيزيدية) هي الأخطر على عدة مستويات، مستوى أقليم كوردستان ومستوى المجتمع الايزيدي، على المدى المنظور والبعيد.

وما يتعلق بموضوعي هو التداعيات التي ستترتب عاجلا أم آجلاً على الوضع الداخلي الايزيدي في زيادة المشاكل الاجتماعية، لأن آلاف الشباب الذين يهاجرون

للخارج/ الغرب يتركون وراءَهم أعداد مضاعفة من الشابات، وهن في أحسن الأحوال يبحثن في يوم ما عن شريك عمر لهن، فيصطدمن بساحة فارغة من الشباب وبالمهر الغالي وبعض القيود الاجتماعية– الدينية الأخرى، فلن يبق أمامهن غير الاستسلام للقدر والقبول بالعنوسة في أحسن الأحول، أو الزواج من رجل أعزب يكبرها سناً أو الزواج من رجل متزوج قادم من أوربا لقاء مهر "مغري" يدفع لوالدها!. وإما زيادة إقامة العلاقات السرّية سواء مع الايزيديين أو غيرهم، لأن الجنس أممي لا يعرف له حدود!. حينها لن يكون مصيرهم أفضل من مصير " دعاء" ورفيقاتها الأخريات اللواتي قتلن ويقتلن باستمرار على يد الرجال!. ويعرف الجميع تقريباً ماذا كانت نتائج وتداعيات مقتل الفتيات في الشيخان وبحزاني وغيرها من المناطق وماذا حلّ بالايزيدية؟!.

ومن جانب آخر إذا سلمنا أن بعض الشباب المهاجر للغرب يعود ليخطب من الداخل، فانه يضع عدة إعتبارات أمامه وهو المتطبع بهذه الدرجة أو تلك على ثقافة الغرب، سن الفتاة ودرجة جمالها، المهر المدفوع، مسألة لمّ شمل العائلة ومشاكل الطريق. أما غالبية الشباب الذين يصلون للدول الغربية ويجدون أبواب تكوين العلاقات مع الجنس الآخر سهلة التكوين دون أن يجهد نفسه ويدفع آلاف الدولارات كمهر، يرفض الزواج المبكر ويرفض أن يدفع مهر غالي لفتاة من داخل الوطن!...أليست هذه مشاكل إجتماعية دينية تبحث عن حلول جدية؟. ألم نسأل أنفسنا لماذا كانت حوادث الشيخان وبحزاني وشنكال، من يتحمل مسؤولية تلك الأحداث؟ ألا تستدعي التوقف عندها ودراستها وإيجاد مخارج واقعية ومرضية لها؟

من الطبيعي ان يكون لكل حدث أكثر من علة وأكثر من سبب، إلاّ أن الأسباب نفسها تتوزع الى أساسية وثانوية، فعندما يتم تشخيص السبب الرئيسي ومعالجته يسهل بالتالي معالجة السبب الثانوي.

ففي حالات الظواهر الانسانية والاجتماعية والدينية يلعب العامل الذاتي (كأن يكون القائد، الرئيس، الأمير، رئيس العشيرة، رب البيت..) الدور الرئيسي والفاعل في النجاح أو الفشل. ان الحديث عن هذه الجوانب ومعالجتها، خاصة داخل المجتمع الايزيدي، يدخل ضمن مصطلح الاصلاحات الاجتماعية والدينية. وأن القسم الثاني

والأهم من الكتاب يبحث عن هذه الاصلاحات. وكما أشرت اليه في أكثر من مكان فأن الإمارة فقدت أسباب وجودها منذ زمن بعيد ودبّ التفسخ والانحلال في جسمها بشكل فعلي منذ الحرب العالمية الأولى. يضاف الى ذلك عدم آهلية كيان " المجلس الروحاني الأعلى للايزيدية" منذ تأسيسه عام ١٩٢٨ ولحد اليوم، أنه " كيان ديني" هامد في موت سريري، أنه مجلس أمي لا يفقه بأمور قيادة المجتمع لا من الناحية الدينية ولا من الناحية الدنيوية. وأن ما يسمى بـ" المجلس الاستشاري للمجلس الأعلى الايزيدي" الذي تأسس قبل سنة ونيف من بعض المحسوبين على الجبهة الثقافية، أكثر أمية من المجلس الأعلى نفسه كونهم من المثقفين الذين يتسترون على أخطاء وتجاوزات المجلس الروحاني وقيادته ويبررون له فشله في جل ما حلّ بالايزيدية من تراجعات وإنتكاسات.

الإصلاحات التي أدعو اليها من خلال هذا الكتاب مسألة لا بد منها، وإذا كان بعض المتسلطين على الديانة الايزيدية يفضل مصلحة جيبه ومنزلته على حساب مصلحة بقاء واستمرارية هذه العقيدة بثوب إصلاحي متجدد، فإن حركة التاريخ وقوانين المجتمع لها خطها وللإنسان الواعي في القرن الحادي والعشرين منطقه الذي يقول أن الانسان ليس بمقدوره العيش فقط بقيم الدين الروحية وإنما من أجل أن يعيش فانه بحاجة الى أن يشبع بطنه، وينال حريته، ويصون كرامته الانسانية. الدين وشريعته لا توفر هذه الشروط للإنسان، بل العلم والنظام العلماني يوفر للجميع المطاليب المذكورة ويضمن حقوق المؤمن والملحد معاً!!

لا يسعني في الختام إلاّ أن أعبر عن خالص شكري وإمتناني للأخ الكاتب والصحفي صباح كنجي على الجهد الكبير الذي بذله لمراجعة الكتاب من الناحية اللغوية والأخطاء الإملائية وإبداء الملاحظات التي تم الأخذ بها وخرج الكتاب بالشكل الذي هو بين يدي القراء.

كما أعبر عن تقديري العالي للفنان المبدع كمال هراقي الذي عبّر عن مضمون الكتاب والحالة الايزيدية بلوحته الرائعة على الغلاف الأول للكتاب.

مقدمة

صباح كنجي

الكاتب والناشط عن حقوق الانسان

أنْ تقدمَ مَدخلاً ،لكتابٍ جديد ، يتناولُ الأيزيدية، كدين وبشر، يَجْمعُ بينَ السياسةِ والميثولوجيا والتاريخ، هو أمرٌ شائكٌ وصعبٌ، نابع من صعوبةِ المواد التي تناولها الباحث والمؤرخ الدكتور خليل جندي، في مسعاه لمعرفة المزيد من الحقائق عن الأيزيدية كدين وتراث وعادات وطقوس هذا المشوار الصعب والمعقد، الذي بدأه منذ أكثر من ثلاثةِ عقودٍ مضت، (الفصل الأول مدخل لمعرفة تاريخ الديانة الايزيدية، الكوردولوجيا والايزيدية، مفاتيح لفهم أوسع حول الديانة الايزيدية) .

حينما كانَ طالباً في كلية الآداب/ جامعة بغداد، في أول عمل مشترك مع البير خدر بعنوان ئيزدياتى/ لبەر روشنايا هندەک تيكستيد ئاييني ئيزديان= الايزيدية في ضوء بعض نصوصها الدينية عام ١٩٧٩ إلى اليوم، حيث صَدرَ لهُ، نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية عام ١٩٩٨، وصفحات من الأدب الشفاهي للديانة الأيزيدية بجزأين تجاوزت صفحاته الألف عام ٢٠٠٤، وعمل مشترك مع البروفيسور كراينبروك باللغة الإنكليزية، بالإضافة إلى العديد من المقالات والحوارات في الصحف والمجلات والمواقع الألكترونية.. متبعاً منهجاً علمياً في التدوين والتحليل والنقد من خلال رؤياهُ كمثقف ماركسي مهتم بُشؤون الدين والتراث والتاريخ والسياسة.

تلك المواد التي قرر تجميعها وتصنفيها في فصولٍ وأبوابٍ ، لتشكلَ محتوى كتابه الجديد، الذي يتناول فيه الكثير من شؤون وشجون الأيزيدية، التاريخية والميثولوجية وواقعهم الراهن المليء بالتناقضات والتحديات.

يختارُ فيها الكاتب لنفسه دوراً ، بدأهُ بالعملِ في صفوف حزب علماني يساري أممي شارك في صفوف الثورة الكردية بتكوينه لفصائل الأنصار، كان من بين أول

الملتحقين بصفوفهم، لحين تعرضه لحادثٍ تسبب له بجروحٍ بليغةٍ فخرج إلى أوربا للعلاج وإستكمال الدراسات العليا في جامعة جارلوفي ببراغ.

توجه بعدها إلى ألمانيا ليواصل عمله مع نخبة من المثقفين لتأسيس مركز الإيزيدية خارج الوطن. تبؤأ لسنوات طويلة موقعاً في رئاسته، وأشرف على إصدار مجلته المرموقة (روز) مع كوكبة من المتطوعين في هيئة تحريرها، من العراق وسوريا وأرمينيا وأذربيجان.

بالأضافة إلى جهده المتميز ودوره الفعّال في عقد المؤتمر العلمي العالمي الأول حول الإيزيدية في المانيا عام ٢٠٠٠، أثناء عمله في جامعة كوتنكن، التي دعمت المؤتمر ورعته الى جانب منظمة الشعوب المهددة بالانقراض.

هذه الفعالية التي اعتبرت من أهم الإنجازات الإجتماعية للأيزيديين، خلال السنوات الأخيرة، رغم محاولة البعض لعرقلة عمل المؤتمر وإفشاله، بحكم طبيعة الصراعات التي تحيط بالإيزيديين وتتغلغلُ إلى صفوفهم، نتيجةً لقصورٍ في الرؤيا، أو عدم الوضوح وتشابك المؤثرات التي تحيط بهم، والتاريخ الذي لم يُنصفهم.

حينما صنفهم البعض، بالمرتدين عن الإسلام، وحمّلوهم وزرَ أحداثٍ لا علاقة لهم بها تستوجبُ معاقبتهم، وآخرين جعلوهم عرباً كان لهم برنامجاً وغايةً في عودة الحكم الأموي، وغيرها من المفاهيم العنصرية، التي كانت تغلفُ بها النوايا بغية تبرير القمع والقسوةِ التي حلتِ بهم على يد المجرمين من عتاة السلاطين والتزمت،

الذين سخّروا الدين لخدمة إمبراطورياتهم، وجعلوه وسيلتهم الرئيسية في مسعاهم لفرضِ اللون الواحد من الدين والطقوس على المجموعات والأجناس البشرية في بلدان الأستبداد الشرقي. الذي يستمدُ اصوله ومبرراته الفكرية من الدين والميثولوجيا، على إمتداد التاريخ الفاحش لبلدان الشرق وساكنيه..

من هنا جاءت محتويات، الكتاب الجديد للدكتور خليل جندي، التي تجمع بين الدين والسياسة (إنّ المحور الرئيسي الذي يدور حوله الكتاب والهدف الذي يرمي إليه من خلال المقالات الجامعة هو إنتشال الايزيدية من عبودية الفكر القديم الذي يخدم ثلة من الأشخاص المتنفذين)(*)..

حيث أفرد فيه نصوصاً ومعالجات لنقد الفكر الديني، برؤية علمية تجعله من أبرز

المساهمين في التأسيس لمنهج علمي حقيقي عن الإيزيدية، ثبَّتَ نجاحه في التعامل مع النسق الديني المغلق بذهنٍ مفتوح ينظر للظاهرة الإجتماعية برؤية غير مطلقة تخضع لشروط الزمان والمكان والتحليل العقلي المقارن في ذات السياق مع المعطيات المحلية والعالمية، وعدم مصادرة حق النقد أو التشكيك في إستنتاجاته، في مسعاهُ لتحليل المشاكل العالقة والموروثة عن الماضي، من خلال تثبيت موقف يساعد على توضيح وإضاءة معطيات التاريخ البعيد والمعقد الذي ما زال مجهولاً وغير واضح للعيان.

رافضاً إختزال الحالة التي يتصدى لها، مفضلاً المواجهة مع أصحاب العقول المغلقة، مدركاً إنّ قوة الإنسان الأساسية ومصدر الإبداع عنده هو المعرفة والإدراك العميقين، الذي يتخطى حدود الشكل، موقناً بأهمية تدقيق الماضي برؤية تختلف عن العودة للوراء لأستجداء الجهل.

هي عنده عودة متفحصة من أجل تصويب النظر وإستشراف آفاق المستقبل، عبر فهمٍ أفضل للحالة الراهنة، يكون أساسها تغيير وعي المجتمع واستبدال مفاهيمه حول العلاقة بين الانسان والآخر وما يحيط بها من " تراكم مقدسات" ناجمة عن تقاليد وعادات قديمة، تواصلت ممارستها لم تعد ملائمة للعصر، من خلال إيجاد الطرق والوسائل لتقويم النواقص وتصحيح الزلات بإخضاع طرق ووسائل معرفتنا لقوانين ومقاييس منطق العلم الهاديء بدلاً من اللجوء للأسلوب الأنفعالي العاطفي، لنبذ اللامعقول، من التراث والثقافة الدينية البالية، وأساطيرها التي تتحكم بالبشر، تستلب إرادتهم، تشل حركتهم، تشكل نمطاً من التفكير والسلوك المكون لذاكرة الشعوب المتداخلة في بنية المجتمع بصيغٍ لا يمكن التخلص منها بسهولة، تقاوم وتعارض الذهنية العلمية، وحرية الناس، تعيق التقدم والسير للأمام..

(عليه كفرد ضمن المجتمع الكوردي الايزيدي، وكباحث عن الحقائق لا ينحصر في النقل وفي جمع النصوص والتراث، إنما المطلوب مني هو التعامل مع أدوات الاستفهام لماذا و كيف.... وحينما أطرح أفكاراً للحوار، فهذا يعبر ببساطة عن رغبتي في تبادل الرأي مع الآخرين وعن قناعتي بها، وفي الوقت نفسه عن الرغبة في التيقن من صحة ما أطرحه أو طلب التعاون للمساهمة في تحسين ما يحتاج منها إلى تحسين وتطوير أو حتى تغيير.

وهذا يعني باختصار شديد بأني لا أدّعي لنفسي الصواب كله أو أن ما أطرحه يمثل الحقيقة المطلقة، كما يعني عدم رغبتي في فرض ما أفكر به على الآخرين)[*]، طارحاً مشروعه للأصلاح، الذي يلامس مصالح البعض من المتنفذين، في المجلس الروحاني، ويعتبرهُ جسداً بلا روح، وكذلك ما يعرف بمؤسسة المير التي يصفها بالميتة، وهي دعوة لا تحمل في مضمونها الألغاء والهدم كما يسعى البعض لتفسيرها بسوء فهم بل محاولة لإعادة البناء على أسس جديدة، صلبة وصحيحة تعود لتؤدي منفعة وفائدةً للبشر عبر تفعيل دورها وإعادة نفخ الروح فيها من جديد..

القسم الثاني والأهم من الكتاب، يبحثُ عن هذه الإصلاحات من خلال توجيه نقد لما يمكن إدراجه (بالأزمة في المعرفة الدينية.. إن أزمة المعرفة الدينية تتجلى في أحد وجوهها في تقديم النص على الواقع ومن ثم تقديم الحقائق الدينية المطلقة على المعارف العلمية النسبية والمتغيرة، وفي إجبار الأخيرة على الأستجابة لتلك وتطويعها للتبشير بها والبرهان عليها. فالمعرفة الدينية تمنح الأولوية للنص، للحقائق المطلقة والغيبية على حساب الواقع المتغير وحقائقه العيانية النسبية.)[**].

إذ يؤكد: (كما أشرت إليها في أكثر من مكان فأن الإمارة فقدت أسباب وجودها منذ زمن بعيد ودبّ التفسخ والانحلال في جسمها بشكل فعلي منذ الحرب العالمية الأولى. يضاف إلى ذلك عدم أهلية كيان " المجلس الروحاني الأعلى للايزيدية" منذ تأسيسه عام ١٩٢٨ ولحد اليوم، أنه " كيان ديني" هامد في حالة موت سريري، أنه مجلس أمي لا يفقه بأمور المجتمع لا من الناحية الدينية ولا من الناحية الدنيوية. وأن ما يسمى بـ" المجلس الاستشاري للمجلس الأعلى الأيزيدي" الذي تأسس قبل سنة ونيف من بعض المحسوبين على الجبهة الثقافية، أكثر أمية من المجلس الأعلى نفسه كونهم من المثقفين الذين يغطون على أخطاء وتجاوزات المجلس الروحاني وقيادته ويبررون له فشله في جل ما حلّ بالأيزيدية من تراجعاتٍ وإنتكاساتٍ)[*].

ومروراً بموضوعة الطبقات والمراتب الدينية وإستغلال الدين لتحقيق المنافع الذاتية من قبل البعض، ممن لديهم إستعداد لتغيير معطيات التاريخ و يدعونَ بعروبة الإيزيديين، أو يسعون للحصول على منافع آنية، على حساب أبناء جلدتهم، الذين عانوا

ومازالوا يعانون من آثار القمع والاضطهاد من قبل السلطات المتعاقبة التي مازالت تنظر لهذه المجموعة الدينية كفئة من الدرجة الثانية، لا تساويها في حقوق المواطنة، وهو إذ يقف ضد هذه الممارسات ويعريها، من خلال غوصه في التاريخ، الذي فيه الكثير من المعطيات الدامية، لا يفوته أنْ يشخص طبيعة المشكلة ويصفها: (أن المشكلة الايزيدية مركبة، هي دينية وإجتماعية وسياسية)[*].

ومعوقاتها الداخلية التي تجعل الدين وأتباعه هدفاً سهلاً لتلك الحملات المتواصلة و تواطوء بعض القائمين على شؤون الأيزيدية معَ مَنْ نفذَ تلك الحملات، بمن فيهم الكرد المسلمون، الذين ساهموا في ممارسات قمعية ضد الأيزيديين، فترك ذلك شيئاً من التوجس والخوف في الذاكرة الأيزيدية، وهو أمر يتطلبُ فيه من الكرد وحكومتهم الفيدرالية تقديم الإعتذارمن الأيزيديين وتعويضهم عمّا لحق بهم من دمار وخراب وما أصابهم من قهر وجور.

تكون بدايته الإعتذار الرسمي، ليشكل للجميع بداية عهد جديد، هذا ما يوصي ويطالب به الباحث، القائمين على الحكومة الكردية والمهتمين بشؤون الأيزيدية..

منطلقاً من مفهوم، أنّ الدين هو علاقة بين البشر، وإختلاف رؤياهم للإله، قبل أن يكون مفهوماً يحدد العلاقة بين الناس والآلهة، وهو جملة مسائل مادية، لها علاقة بالسلوك والوعي الإجتماعي، للمجموعات البشرية، تتضمن في محتواها وعمقها مضموناً إحتجاجياً، يُعبرُ عن أنينَ المضطهدين، إنْ لم تكن هي بذاتها هذا الأنين، كما يقول المؤرخ الروسي الشهير سيرغي أ. توكاريف[***] في مقدمة كتابه الأديان في تاريخ شعوب العالم..

صباح كنجي

بداية /٢٠٠٨

(*) النصوص المقتبسة هي مما ورد في كتاب الدكتور خليل جندي

(**) سربست نبي..ازمة المعرفة الدينية http://ssarnabi.maktoobblog.com

(***) سيركي أ. توكاريف / الأديان في تاريخ شعوب العالم/ دار الأهالي/١٩٩٨/ دمشق ترجمة د احمد م. فاضل

مقدمة

الكاتب والقاضي زهير كاظم عبود

تفتقر المكتبة الأيزيدية إلى بحوث رصينة وجادة يساهم بها باحثون وكتاب أيزيدية، فقد عانت الثقافة الأيزيدية من شحة تلك الكتابات وبات الاعتماد على ما تكتبه الأقلام من خارج الأيزيدية، فتأتي غالبا غير منصفة أو بعيدة عن الواقع أحيانا أخرى، وباتت تلك الكتابات تشكل المصدر الوحيد للديانة الأيزيدية، القليل منها من عرف عمق تلك الديانة وأسسها الدينية والروحية، وتعرف كتابها على أهلها وتعايشوا معهم عن قرب، فجاءت كتابتهم قريبة الى الواقع ومنصفة.

غير أن مساهمة بعض الأقلام الأيزيدية خلال الفترة القريبة المنصرمة في إيصال الحقيقة ونشر الثقافة الأيزيدية، من خلال بعض الكتب المهمة والإصدارات والكتابة في الدوريات والمجلات والصحف ومواقع الانترنيت، ساهم بشكل جدي في سدّ ثغرة كبيرة في تلك الثقافة، بل شكل تطورا ملحوظا في دخول المثقف الأيزيدي الى الساحة متسلحا بمعرفته وبقلمه وبمبادئه، ولعل الدكتور خليل جندي من بين تلك الأقلام التي شرعت عن سواعدها لتدافع عن الحقيقة وتساهم في نشر ما تم طمره وإخفاءه عن عقول مساحة كبيرة من البشر عن حقيقة الديانة الأيزيدية.

وإذا كانت الأيزيدية ديانة غير تبشيرية، فأن المهمة الملقاة على عاتق الكتاب والمثقفين الأيزيديين، الدفاع عن أسس ديانتهم وإظهار حقيقتها دون تشويه أو تزويق دون وجل، وبالتالي تخليصها مما علق بها من تخرصات واتهامات طالتها على امتداد زمن ليس بالقصير، ساهمت بها أقلام وبحوث أساءت للديانة الأيزيدية لأسباب مختلفة، ورسخت تلك المعلومات المغلوطة في عقول أجيال من البشر، معلومات لا أساس لها من الواقع أو الحقيقة، حتى باتت الكراهية السمة الأساسية التي سعت اليها تلك الأقلام من وراء تلك المعلومات، وحققت نتائجها، ولهذا تقع على عاتق هذه الشريحة مهمة التنوير والتمسك

بالحقيقة لدفع الباطل والمزور منها، وهي مهمة ليست بالسهلة غير أنها تقع بالضرورة على عاتق تلك الأقلام المجاهدة.

وإذا كان الدكتور خليل جندي قد ساهم من خلال بحوثه الجادة والموضوعية والرصينة الى جانب تلك الأقلام الواعدة في رفد الحقيقة، فأنه ترك آثارا إيجابية في إنجاز مراجع مهمة عن تلك الديانة القديمة، بالإضافة إلى كتاباته المتناثرة في الشأن والهم الأيزيدي في الصحافة ومواقع الانترنيت، وهي هموم يفترض بالحريص على أهله وديانته ومستقبلها أن يتبناها ويكرس جهده ووقته اليها.

وشكلت تلك الكتابات وجهات نظر مختلفة قد نتفق أو نختلف معه عليها، غير إننا بحاجة إلى جمع تلك الأفكار في كتاب يساهم في إغناء الثقافة المطلوبة، ولهذا فأن التفكير الجدي بجمع تلك المساهمات ضمن كتاب يشكل خطوة مساندة لعملية نشر الحقيقة التي يسعى لها الجميع.

وإذا كانت الإصدارات المطبوعة باللغة الكوردية مهمة، فأن الإصدارات باللغة العربية تكون أهم، بالنظر للحاجة الماسة لتلك المعلومات المسندة والموثقة المدعومة بالحقيقة حتى يمكن أن تصل للقارئ العربي، هذا القارئ الذي ساهمت أمور عديدة في تشويه صورة الأيزيدية في عقله، ولذا فأن مساهمة الدكتور خليل جندي كباحث ومشتغل بقضايا التاريخ في تثبيت النصوص الدينية، والسعي لتثبيت حقيقة الديانة الأيزيدية، يعتبر إسهاما موضوعيا في تحقيق ما ينادي به الشارع الأيزيدي من خطوات في حفظ التراث والميثولوجيا والأدعية والسبقات الدينية والعمق الديني الفلسفي لنظام الطبقات.

إن هذه الجهود التي يبذلها المثقف الأيزيدي، مهما كانت وجهة نظره، فأنها تساهم في إيصال حقيقة الديانة الأيزيدية غير مشوهة، مع عرض جميع الأفكار التي تسعى الى صيانة تلك الديانة وتطوير المسارات التي لا تمس جوهر الديانة والعقيدة، ولا تدخل في تفاصيلها الروحية، بما تنسجم مع تطور العصر الحضاري والأنساني، مقترنة بالحلول التي تراها لحل الإشكاليات والمشاكل التي تبرز من خلال معايشتها وحياتها، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف التي طرأت على المجتمع الأيزيدي، ليس في العراق فحسب بل في كل المناطق التي يسكنها الأيزيديون .

التنوع في موضوعات الكتاب، وجمع تلك المحاور في المتن يغني المتابع عن المقارنة، فيطرح خليل جندي رؤيته عن الإصلاحات، وعن مشكلة الهجرة الى الغرب، وصراع الديانات القديمة، فيجمع في الكتاب قضايا فكرية واجتماعية وسياسية وإصلاحية تمس حياة الفرد والمجتمع الايزيدي في علاقته الديناميكية مع نفسه ومع محيطه الخارجي، مع أفكـــار تتسم بالجرأة والدعوة الى التجديد، تحّمل الباحث بعدها العديد من الهجمات والصدود، غير انه كان مستعدا لها كمجدد وباحث يعرف انه يريد إن يكون ضمن قافلة التجديد وإيجاد الحلول الصعبة التي يجدها توفر المستقبل لأهله وديانتهم، بالإضافة الى المدخل لمعرفة تاريخ الديانة الايزيدية والتعرف عليها عن قرب وفق أفكار ورؤى أحد معتنقيها، وهذه الأفكار جميعها تم طرحها من قبل الباحث في مؤتمرات أو تجمعات أو محاضرات أو مقالات، غير أنها تشكل إضافات لتلك الإسهامات الجميلة التي تصدر عن بعض الأقلام الأيزيدية، لتكمل المشوار الثقافي المطلوب.

مساهمة الدكتور خليل جندي تتسم بالحيوية وتتفاعل جديا في الجسم الأيزيدي وتبحث في همومه وشؤونه، بالإضافة الى تأطير الحلول المستقبلية وفقا لوجهة نظره، وهذا الإسهام رافد من روافد الثقافة الأيزيدية التي تبشر بالخير.

أتمنى من الباحث أن يستمر في المساهمة والبحث والتقصي، وان يساهم كل باحث أيزيدي أو غير إيزيدي في إغناء هذه الصفحة، من أجل الحقيقة ومصلحة الإنسان وحقه في الحياة والاعتقاد.

السويد – مالمو ٢٠٠٨

القسم الأول

التاريخي

الفصل الأول

مدخل لمعرفة تاريخ الديانة الأيزيدية

ما من دين جهله الناس واختلفوا في شأنه وظهوره ومعرفة أصله كالدين الأيزيدي، رغم الأبحاث الهائلة التي قامت بها مجموعة كبيرة من الكتاب والباحثين الشرقيين والغربيين، ومع ذلك لم يتبلور رأي موحد في تحديد أصل الأيزيدية، وكل واحد أتبع رأياً ولم يتوصل الى قدر من الحقيقة. وينبع هذا الإختلاف بإعتقادي من المسائل التالية:

١- كون الأيزيدية ديانة غير تبشيرية وقلة إحتكاكها بالعالم الخارجي.

٢- ممارسة طقوسها الدينية بعيداً عن أنظار الغرباء، وهذا ما دفع الآخرين أن ينسجوا حولها الأساطير والألغاز البعيدة عن الواقع.

٣- عدم تسجيل نصوصها الدينية وطقوسها وأصولها وعدم إطلاع الغالبية العظمى من الكتاب على ماهية هذا الدين.

٤- قلة التحريات والتنقيبات الأثرية في مناطق سكنى الأيزيدية لمعرفة بعض جوانب تاريخهم المغيب.

٥- غياب التسامح الديني بشكل عام، واستمرار الاسلام السياسي- باعتباره القوة المسيطرة ودين الدولة- بين رفض وجود الأديان الأخرى أو عدم الاعتراف بحق الأديان المخالفة أو المختلفة معها في ممارسة طقوسها وتشويه سمعتها.

٦- الموقف الديني أو القومي المسبق للعديد من الكتاب حول الأيزيدية، لذا جاءت آراءَهم متباينة حول تشخيص جذورهم الدينية والعرقية من الناحية الدينية والقومية

يوقع أولئك الكتاب والباحثين في إشكاليتين رئيسيتين:

أ- إشكالية التسمية. ب- إشكالية الإنتماء القومي.

وبسبب النقاط الواردة أعلاه والتشويش الكبير في أصل وتاريخ الديانة الأيزيدية،

فانه من الصعب على الباحث الجاد، الجزم برأي واحد. لذا فان هنالك عدة نظريات أو فرضيات تطرح نفسها بشأن أصل هذه الديانة ومبادئها الأساسية:

النظرية الأولى

التي تقول أن الديانة الأيزيدية ماهي إلا فرقة إسلامية منشقة أو ضالة يعود تاريخها الى أواخر القرن السابع الميلادي، وتنسبها الى (يزيد بن معاوية) ثاني خلفاء الدولة الأموية (٦٨٠-٦٨٣ ميلادية) الذي كان تلميذاً لمحمد بن عبدالله. ولدعم نظريتهم هذه فقد ذهب أولئك الكتاب مذاهب شتى، فمن قال أن اعتقاد الأيزيدية بـ (يزيد) ليتخلصوا من إضطهاد السنّة الذين لا يجلون (الحسين بن علي) ولرغبتهم في الانتساب الى شخصية شريفة وممتازة[١]. وإفتكر باحث آخر بأن الأيزيدية إنتخبوا إسم (يزيد - اليزيدية) لمسايرة تعصب الحكام المسلمين[٢]. ويقول باحث غربي آخر، بأن اسم " اليزيدية " اعطي الى هذه القبائل من قبل المسلمين للإستهزاء والسخرية[٣]. ويؤيد الدكتور جوزيف الأمريكي الرأي القائل بانتساب الأيزيدية الى (يزيد بن أنيسة الخارجي) الذين كانوا على مبدأ " بأن الله يبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتب من قبل وسيترك ديانة محمد ويتبع ديانة الصابئين المذكورة في القرآن".[٤]

ويتحمس كاتب عربي مسلم آخر رابطاً الأيزيدية بالاسلام وبـ (يزيد بن معاوية) ويعتقد أن اليزيدية الذين ذكرهم السمعاني المتوفي سنة (٥٦٢هجرية- ١١٦٦ ميلادية) في كتابه " الأنساب " وإبن قتيبة في كتابه " الاختلاف في اللفظ " هم نفس اليزيدية الحالية، ثم هاجر الى نواحيهم الشيخ (عدي بن مسافر) الذي نظمهم وأصلح حالهم. وعلى رأيه أن اليزيدية أقدم عهداً من مجئ الشيخ عدي. وكاتب تركي مسلم، يربط هو الآخر تاريخ ظهور الأيزيدية بظهور الشيخ عدي بن مسافر بينهم.[٦]

---

(١) ر. هـ. إمبسن ، في مؤلفه طاؤوس ملك ،ص ، ٣٠

(٢) بادجر، معتقدات النسطوريين، ١٨٤٢، مقتبس من الدملوجي، صديق، اليزيدية، ١٩٤٩،ص١٧٦

(٣) جى. جى. فريزر، الغصن الذهبي، ١٩١١

(٤) آى. جوزيف، معتقدات الشيكان، ١٩١٩ مقتبس من الدملوجي، ص ١٧٦

العزاوي، عباس؛ تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ١٩٣٥ بغداد. مقتبس من كتاب: اليزيدية/

(٥) أحوالهم ومعتقداتهم ، للدكتور سامي سعيد الأحمد، بغداد ١٩٧١، ص, ١٤

(٦) تيمور، أحمد؛ اليزيدية ومنشأ نحلتهم، القاهرة ١٣٤٧هجرية.

وعلى الرغم من تأكيد نفر من الكتاب العرب والمسلمين على أن الأيزيديين أسلموا في زمن الشيخ عدي بن مسافر، إلاّ أنهم يعترفون بأن أجداد الأيزيديين الحاليين كانوا على دين مخالف "للتوحيد" – حسب رأيهم– أو أنهم كانوا من أصل مجوسي.[٧]

ان هذه النظرية لم تلق التأييد حتى من الكتاب المسلمين حيث لا يوجد دليل تاريخي أن (يزيد بن معاوية) أسس خلال الثلاث سنوات ونصف من حكمه ديانة جديدة أو إتبع ديانة محمد[٨] وإذا كان الأيزيديون يذكرون بعض الأحيان إسم(يزيد– أيزيد) في أدبهم ونصوصهم الدينية فانه إضافة الى كونه يأتي بمعنى الله، فان الأسباب الأخرى تعود في إعتقادي الى:

١– بعد توسع دائرة الفتوحات الاسلامية شرقاً وشمالاً، لاقت الشعوب والأديان الواسعة النفوذ بشكل عام والمجاميع الدينية والاثنية بشكل خاص أنواعاً من الاضطهاد والتنكيل لترك أديانهم والقبول بالاسلام، وإذا كان الكثيرون قد قبلوا بذلك إلاّ أن مجموعات دينية رفضت، وخلال خلافة الدولة الأموية وبخاصة زمن حكم (يزيد بن معاوية) أفسحت في المجال لتلك المجموعات الدينية أن تبقى على معتقداتها شرط أن تحتمي تحت لواء قبيلة عربية قوية أو تحت اسم قائد عربي أو إسلامي قوي وظهرت حينها ظاهرة (الموالي) أي أولئك الناس من غير العرب والمسلمين الذين يحافظون على معتقداتهم واصولهم الاثنية بتبني اسم قبيلة عربية أو اسم قائد عربي. ولا يستبعد هنا تقبل الأيزيديين لإسم (يزيد بن معاوية) وأسماء أخرى لإتقاء شرّ المسلمين. وهنا ربما يتفق المرء مع الشطر الثاني من رأي (إمبسن) في رغبة الأيزيدية في الانتساب الى شخصية قوية ومهمة.

٢– بما أن الأيزيديون يؤمنون بالحلول وتناسخ الأرواح فأنهم اعتقدوا بأن جزءً من القوة الالهية إنتقلت الى (يزيد) لأنه وحسب رأي العديد من الكتاب المسلمين والمصادر الاسلامية لم يتبع ديانة محمد[٩]، وأعتقدت تلك المجموعات الدينية التي

(٧) أنظر مثلاً: الحسني، عبدالرزاق– اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ط٧، ص,١٣ والدملوجي، صديق: اليزيدية ١٩٤٩،ص ,١٦٣ وكذلك الديوه جي، سعيد: منشأ اليزيدية وتطورها– مجلة الرسالة، المجلد ١٢(١٩٤٤) العدد ٥٥٧– ٥٥٨– ٥٥٩– ٥٦٠–ص ٢١٣– ٢١٤– ٢٣١– ,٢٣٢. (مقتبس من د. الأحمد سامي، ص ٢٣)

(٨) انظر مثلا رأي الدملوجي، صديق، مصدر سابق ص,١٧٦

(٩) الدملوجي، صديق، ص١٧٦

لاقت الاضطهاد على أيدي قادة الفتح الاسلامي بعد نشر الدعوة الاسلامية، بأن (يزيد) هو منقذهم بوجه الاسلام وتخليصهم من الظلم والتنكيل.

٣– ويرى بعض الكتاب العرب بأن القريشيون و" العرب المستعربة" ومعهم إبراهيم الخليل القادم من اور حرّان " أورفه – الرها– الكاتب" هم من بقايا البابليين الذين تسنى لهم النجاة من المذبحة التي أقامها داريوس دارا إثر إحتلاله الثاني لبابل إنتقاماً لثورتهم عليه وخلعهم نير سلطانه، هم الذين بنو حضارة الحجاز.[١٠] وفي حديث ينسب الى علي بن أبي طالب يقول: " من كان سائلاً عن نسبنا فإنا من نبط من كوثى". والنبط عند العرب يعني العراق، أو البابليون الأقدمون. وعلى هذا يكون القريشيون بابليو الأصل فلمّا دخلوا بلاد العرب أدخلوا اليها لغتهم معهم.[١١] وإن صح هذا الرأي في كون القريشيون ليسوا عرباً بل من الشعب البابلي، آنذاك يكون لمسألة إلصاق اسم " يزيد بن معاوية" بالأيزيدية معنى آخر تماماً!

أما بخصوص رأي جوزيف، فانه لا يستند الى سند تأريخي، إذ لا علاقة للأيزيديين برسول من العجم– إذا كان بمعنى الفرس أو من الشعوب الإيرانية– ولا وجود لمفهوم النبي بين الأيزيدية بل توجد علاقة روحية مباشرة بينهم وبين خالقهم، هذا أولا، ثانياً، فان مبدأ الخوارج لا ينطبق ومبدأ الأيزيدية الذين يؤمنون بالله وطاؤوس ملك ويقول بالحلول وتقديس الشمس والنار..الخ.

النظرية الثانية/ الأصل والتسمية:

التي تشير الى أن الديانة الأيزيدية واحدة من تلك الديانات القديمة المستقلة عن بقية الديانات، وربما المنحدرة منها والمتداخلة مع العديد منها، وتستمد منها بعض الطقوس والعادات أو حتى الأساطير والحكايات القديمة[١٢]. وتشير بعض المصادر المتوفرة أن

(١٠) مبارك، محمد: محاولة فهم الشخصية، ص ٢١–, ٢٤ (مقتبس من: مطر، سليم: الذات الجريحة؛ إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي" الشرقاني" ص ٣٢٩)

(١١) لجنة باحثين: حصاد الفكر في اللغة العربية، ص٢٨٥– ,٢٨٦ (مقتبس من مطر، سليم، مصدر سابق، ص ٣٣٠)

(١٢)د. حبيب، كاظم: رؤية أولية حول الأقلية الدينية الأيزيدية الكردية، مجلة روز، العدد ٦، كانون الأول ١٩٩٨، ص٢٢

الموطن الأصلي للديانة الأيزيدية يبدأ بمدينة " يزد" القريبة من خراسان شرق إيران القريبة من الحدود الأفغانية، ويمتد عبر كردستان الجنوبية (كردستان العراق حاليا) والغربية (كردستان تركيا) والموصل في شمال العراق حتى حلب في الشام (سوريا)[١٣]. وحسب هذه النظرية فإن اسم " اليزيدية أو الأيزيدية " مشتقٌ من مدينة " يزد Yazd " بايران، وكان الأيزيديون الحاليون في الأصل زرادشتيون يعتقدون بالثنوية Dualism وقد هاجر بعض هؤلاء من يزد الى نواحي الموصل هرباً من الضرائب الباهضة واتخذوا من مناطق حلب، سنجار، الشيخان وبحيرة وان والقفقاس مواطن جديدة واطلق عليهم إسم منطقتهم التي رحلوا منها فسموا يزيديون أو يزديون.[١٤] وقياساً على هذا الرأي ينقل لايارد عن " نوفانيس" المؤرخ اليوناني من القرن السابع الميلادي: " أن الامبراطور هرقليوس خيّم بجنوده قريباً من مدينة – يزدم– من مدن " حدياب" (أي موصل حالياً – الكاتب). ويقول " مارتان" قد تكون هذه المدينة أول مكان إنتشرت منه اليزيدية".[١٥] من الصعب تسمية ديانة باسم مدينة، فهل سميت اليهودية باسم " أورشليم" أو المسيحية باسم " الناصرة" والاسلام باسم " مكة والمدينة" وهلم جرى! بل أن أغلب الأديان تسمى باسم آلهتها أو أنبيائها.

وبناء على هذا الطرح يتفق أغلبية الكتاب والباحثين على أن تسمية الأيزيدية مشتقة من الكلمة ايزد Ized بمعنى (الملك الإله) و يزاتا Yazata في الآفيستا = يستحق العبادة، ويزد Yazd باللغة البهلوية وياجاتا Yajata في السنسكريتية. وبذلك يكون معنى (أزيدي Azidi وإيزيدي Izidi و إزيدي Izedi أو Izdi عباد اللة. ونجد اسم يزيد في اسطورة لملك ايزدا Ezda ويزدان Yazdan جد من أجداد اليزيدية، كما أن يزداني Yazdani قد أطلقت على اليزيديين الأولين.[١٦]

---

(١٣) نفس المصدر السابق، ص ٢٢

(١٤) Empsen; The Cult of Peacok Engel.Pp. ٣٧– ٤٢ نقلا عن د. الأحمد، سامي سعيد، مصدر سابق، ص ٣٠

(١٥) اج. لايارد، نينوى وآثارها ١٨٤٩ وكتابه: نينوى وبابل، ١٨٥٣ (مقتبس من الدملوجي، صديق، مصدر سابق، ص

16- Theodor Menzel; Yazidi, Encylopedia of Islam, London IV, p- 1164 a, Leiden) 1913-1938) مقتبس من د. الأحمد سامي سعيد، مصدر سابق، ص ,٢٩

ويعلل القس سليمان الصائغ تسميتهم بانتسابهم الى إله كانوا يعبدونه إسمه " يزد" أو " يزدان" مستنداً بذلك على ما جاء في تاريخ " كلدو آشور " نقلا عن " توما المرجي" في القرن التاسع للميلاد؛ الذي ذكر في كتابه " الرؤساء" عن أهالي مدينة " مورغان " إنهم كانوا يعبدون صنماً إسمه " يزد"[١٧]

ويحاول بحاثة غربيون معروفين ومعهم بعض البحاثة الشرقيين، أن يأخذوا من الديانة الثنائية منطلقاً لوجود بعض المشابهات بين الديانتين الايرانية والأيزيدية. إلاّ أنهم لم يجيبوا: فيما إذا كانت الديانة الأيزيدية عرفت في بلاد إيران أم كردستان؟ ويقول أحد الباحثين في الأديان الايرانية: أن كثيراً من الوثنيين الايرانيين عبدة النار والشيطان والزرادشتيين إنقادوا ودانوا بالديانة الجديدة كأنها ديانتهم الخاصة. ويدل من كلامه هذا أن الأيزيدية ظهرت بشكلها وتعاليمها في بلاد إيران ومن هناك إنتقلت الى سائر المواقع التي نجدها فيها الآن.[١٨]

ويضيف " امبسن" الى نظرية البروفيسور جاكسن: أن الطرق الدينية اليزيدية والمجوسية القديمة نشأت من الزرادشتية، والتاريخ اليزيدي الحديث متأثر من إحتكاكهم بالمسيحيين وخضوعهم الجزئي للحكم الاسلامي الذي سبب بعض التغييرات في عقائدهم، ويقول: " لا نعلم إذا كانت الأبحاث في المستقبل سوف تعزز هذه النظرية، أو تظهر نظريات أخرى أصح منها، فلندع ذلك للمستقبل" ويقول أيضا: لأجل أن نصل الى نتيجة قطعية في أصل المذهب اليزيدي نحتاج الى دراسة وثيقة في أحوال الشعوب لأن ذلك هو الطريق المؤدي الى معرفتها في آسيا الصغرى أكثر من إتباع لغتها وديانتها(...) وأن اليزيدية الذين لا يعرفون إلا النزر القليل عن أنفسهم لهم تقاليد تنبئ بأنهم وفدوا من البصرة (السومريين) وهاجروا الى سوريا وقطنوا أخيراً في سنجار[١٩]. ويميل البروفيسور كراينبروك في أبحاثه أن يربط هو الآخر بين الزرادشتية واليزيدية وأهل الحق ويقارن بين آهورامزدا وبنيامين وطاؤوس ملك.[٢٠]

---

(١٧) الصائغ، سليمان: تاريخ الموصل، القاهرة ,١٩٢٣

(١٨) البروفيسور آي. في.وجاسون من جامعة كولومبيا والمؤلف الشهير عن الأديان الايرانية.ص١٧٠

(١٩) امبسن، مصدر سابق.

(20) Mithra and Ahreman and Binyamin and Malak Tawus / Traces of an Ancient Myth in Prof. Dr. Philip Kreinbruek. /the Cosmogonies of two Modern Sects

وإذا كان بعض الكتاب الشرقيون يرجعون الأيزيدية الى المانوية[٢١] فان كتاب آخرون يجزمون بأن الأيزيدية خلف للوثنية وأن المانوية هي أساس الدين اليزيدي ومنها ولد وظهر للوجود، وقد بقي زمناً مصبوغاً بصبغة الاسلام ليتخلصوا من الاضطهاد وكانوا يتجنبون دئماً المسلمين الايرانيين والعراقيين، ثم زالت عنه هذه الصبغة نتيجة الأحداث التي لحقت به، إلاّ أن لونها لايزال باقياً.[٢٢]

ويستند هؤلاء الكتاب في رأيهم الى وجود الدين المسيحي والمجوسية في جبل هكار[٢٣] قبل ظهور الشيخ عدي. وكان يدين سكان الجبال بالمجوسية (الزردشتية) على زمن المقتدر بالله (٢٨٢– ٣٢٠ هجرية)، وفي عام (٢٩٩ هجرية) من حكم المقتدر حيث كان المنصور الحلاج (٨٥٨–٩٢٢)، ظهر بعد أكثر من قرن إنسان اسمه الشيخ عدي المتأثر بالحلاج في جبل الهكارية والتف حوله مريدون وأتباع كثيرون، ويتساءل الدملوجي: هل كان الناس الذين التفوا حول الشيخ عدي بن مسافر مانويين أم يزيديين؟! ويجيب على سؤاله: إذا كان اؤلئك مسلمون من العرب والكرد ويدينون بحب يزيد بن معاوية، فلماذا ظهرت عليهم المانوية بكل صورها وأعادوا دور (ماني) بشكله وصوره؟

إضافة الى هذه الآراء، فان هناك من يرجع الأيزيدية من الناحية الدينية الى النصرانية وينفي علاقتها بالاسلام بحجة وجود بعض المظاهر المسيحية كالتعميد والاعتقاد بالمسيح وإحترام البيّع والكنائس. ويؤكد بعض الكتّاب بأن الأيزيدية من أصل صابئي أو كلداني أو آشوري.[٢٤]

أما من الناحية القومية والدينية، فهناك من يقول بأن الأيزيديين يرجعون الى القبيلة (التيراهية– تریاها) وأن والد عدي واسمه (مسفر بن أحمد الكردي) تيرهي، وقد جاء

(٢١) انظر نوري باشا في كتابه: عبدة أبليس

(٢٢) الدملوجي، صديق، مصدر سابق،ص ١٦٩– ١٧٠

(٢٣) منطقة هكار وجبل هكار أو (حكار) كما ينطقها العرب، تطلق على مناطق واسعة من كردستان تمتد من جولمرك في إيران الى مناطق شمدينان في تركيا وينزل جوباً ليضم مناطق العمادية وأتروش والشيخان وبضمنها تقع لالش المقدس.ويوجد لحد الآن عشيرة إيزيدية باسم " العشيرة الهكارية" ينتمي اليها الشيخ آدي وجميع البيرانية.

(٢٤) امبسن ، نفس المصدر السابق

ذكرهم فقط في تاريخ إبن العبري[٢٥] وأخذ عنه هذا الخبر الراهب (راميشوع) في منتصف القرن الخامس عشر.[٢٦]

ويعتبر باحث آخر ان الأيزيدية من الشعب الكردي ويعبر عن أيزيدية الشيخان بـ " الداسنيين" والداسنيون هم من الأكراد الذين كانوا يوجدون في سلسلة جبال "داسن" وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه وتطلق الآن على جبال المزورية.[٢٧]

وإذا صحت نظرية " اولستيد" بأن عشيرة مزوري ترجع بالأصل الى عشيرة " مسوري– موسرى" الآشورية التي كانت في عهد " سنحاريب" فيما بين رافدي " الخازر" يمكننا القول بأن يزيدية الشيخان هم أحفاد تلك العشيرة الآشورية التي كانت تعيش في فجر التاريخ في هذه المنطقة.[٢٨] أما أيزيدية سنجار، طور عابدين، دياربكر، حلب، سعرد، وبدليس وماردين الى ما وراء حدود وان، فبلاد القوقاس لا جدال في أنهم يرجعون الى سلالات كردية وهم بالأصل من شعوب سلسلة جبال " زاغروس" الذين وجدوا في هذه الجبال منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة سنة.[٢٩]

النظرية الثالثة:

كون الديانة الايزيدية من بين الديانات القديمة في منطقة وادي الرافدين والهلال الخصيب، تطرح فرضية وجود قرائن وعلاقات متعددة الجوانب بين الديانات العراقية القديمة كالسومرية والبابلية والآشورية من جهة، وبين الديانة الأيزيدية من جهة أخرى. ويمكن حصر جوانب الصلة بين الأيزيدية والديانات المذكورة أعلاه في:

١– بعض الطقوس والاحتفالات والأعياد وخاصة عيد رأس السنة الذي يصادف يوم الأربعاء الأول من شهر نيسان وكان يسمى بعيد (أكيتو) عند السومريين و (سرصال) عند البابليين والأيزيديين، وكذلك مهرجانات الربيع (إحتفالات آلهه

(٢٥) إبن العبري في تاريخه السرياني: كرونيكون سرياكوم.

(٢٦) راجع الدملوجي، ص ١٦٥ وكذلك أنور مائي في كتابه: الأكراد في بهدينان، الطبعة الثانية دهوك ١٩٩٩، ص٨٦–٨٨

(٢٧) الهاشمي، طه/ مفصل جغرافية العراق، ص ١٠٩. (نقلا عن الدملوجي ص١٧٥).

(٢٨) الدملوجي، مصدر سابق، ص١٧٥

(٢٩) زكي، أمين/ موجز تاريخ الكرد وكردستان، ج١، ص٧٣و ٢٠٥

المدن) ويسمى عند الأيزيديين بـ (الطوافات)، ولكل قرية إيزيدية مهرجانها (يبدأ بعد عيد رأس السنة ويستمر الى أواخر شهر حزيران)، ويوم الأربعاء من كل اسبوع هو اليوم المقدس لدى الأيزيدية مثلما كان الحال عند البابليين.

٢- تحريم الزواج وكذلك العمل وغسل الملابس والجسم وحلاقة الرأس وحرث الأرض يوم الأربعاء وتحريم الزواج في شهر نيسان عند الأيزيديين كما كان الحال لدى البابليين باعتباره شهر زواج الأنبياء والأولياء وشهر زواج الآلهة والملوك عند البابليين وقبلهم عند السومريين حيث كان يحتفل بزواج الإله(ننجرسو) بالالهة(باو) في مدينة جرسو.[٣٠]

٣- التقارب الكبير بين الإله آنو السومري والإله نابو وطاؤوس ملك الأيزيدي في المجالات التالية:

- الإله الواحد، ذو الثنائية في الواحد؛ أي تتجسد في الاله الواحد قوى الخير والشّر، النور والظلام في آن واحد، والرمز المقدس الأعلى لدى الديانات الثلاث.
- ارتباطاً بقضايا التنجيم والفلك فان كوكب (عطارد) هو الرمز الذي يمثل هؤلاء الآلهة الثلاثة.
- يوم الأربعاء هو يوم كوكب عطارد (رمز لطاؤوس ملك، نابو، آنو) وهو يوم مقدس لدى البابليين والأيزيديين.
- الرمز الذي يعبر عنه عطارد "وهو شاب راكب طاؤوسا بيمناه حيّة وبيسراه لوح يقرأه، وصورته الأخرى رجل جالس على كرسي بيده مصحف يقرأه، وعلى رأسه تاج وعليه ثياب خضر وصفر.[٣١]

وتلعب الحيّة دوراً كثيراً في ميثولوجيا الأيزيدية وكذلك في ميثولوجيا الشعوب المختلفة، وتحتوي الأحاديث التي تروي عن الحيّة تناقضات الحياة، فهي التي ترتبط بالحياة والموت وترمز للخير والشّر في آن واحد وتعبر عن الحكمة والدهاء وهي رمز تفاؤل حيناً وشؤم أحياناً أخرى، وحامية لخزائن المال والحكم، ويجري الحديث عنها بنوع من التبجيل والاحترام والخوف معاً.

(٣٠) حبيب، جورج: مصدر سابق، ١٤

(٣١) نفس المصدر السابق، ١٤- ١٦ والدكتور حبيب كاظم، مصدر سابق، ص٢٠

هـ- التراتبية الدينية (الطبقات الدينية) والالتزام بمبدأ الوراثة في المراكز الدينية هي ممثالة بين الأيزيديين والبابليين.

و- وجود شخصية الاله سن وتقديسه عن الأيزيديين والبابليين.[٣٢]

س- إضافة الى وجود مراسيم وطقوس أخرى مع وجود أسماء ومفردات مشتركة بين الأيزيديين الحاليين والسومريين والبابليين.[٣٣]

النظرية الرابعة:

إن جهود الكتّاب والباحثين هي محل تقدير لما بذلوه من جهد فكري كي يكشفوا الستار عن بعض جوانب الديانة الأيزيدية، أو أن يتعرفوا على تاريخها ومنبع عقيدتها، إلاّ أنه بامكان الباحث الفطن، أو من له إلمام بسيط بمعتقدات الأيزيدية والإطلاع على طقوسهم وأدبهم الديني، أن يحاجج – إن لم يفند- فرضيات بعض الكتّاب والباحثين ومسلماتهم، كون الأيزيدية من بقايا المانوية أو الزردشتية. أنا لا أنكر وجود قرائن وعادات وطقوس متشابه بينهما، كما توجد عبادات متشابه بين الأيزيدية والديانة المصرية القديمة أو الأغريقية والسبئية فيما يخص تقديسهم الشمس مثلا، حيث أن البيئات الجغرافية المتشابهة تخلق عبادات وثقافات متقاربة دون أن يكون هنالك إحتكاك بين المجموعات البشرية المختلفة.

وإذا كانت الثنوية هي المرتكز العقيدي للديانة المانوية وأنه مبني على التطرف في الزهد والتنسك وتقديس الموت وإحتقار ماديات الحياة وتحريم الزواج وإعتبار مؤسسة ماني أساس التصوف[٣٤] فان الأيزيديون لم يحفظوا في تراثهم الديني ولا في حكاياتهم الشفهية نبياً باسم (ماني) أو (زرادشت)، ولا يصوم الأيزيديون ٣٠ يوماً في نيسان كما كان يفعله المانويون، كما أن رابطة الزواج مقدسة لدى الأيزيديين عكس المانوية التي حرمها،وأن قتل الطيور والحيوانات مباح لدى الأيزيدية وليس محرماً كما كان الحال عند المانويين...الخ

(٣٢) د. حبيب، كاظم، مصدر سابق، ص ٢٢

(٣٣) كنجي، صباح: مجلة روز العددين ٣ و ١٠ الصفحات ٨٠-٩١

(٣٤) مطر، سليم: الذات الجريحة/ إشكاليات الهوية في العراق والعالم العربي" الشرقاني"، ط١،١٩٩٧، ص٣١١

ولا تلتقي الأيزيدية مع الديانتين (الزرادشتية والمانوية) في العقيدة الثنوية، وبهذا الصدد يمكن أن نشير الى بعض نقاط الاختلاف الجوهرية بين الايزيدية والزرادشتية والتي تتجسد في:

١- لا وجود لإله للخير وآخر للشرّ عند الأيزيدية، بل أن قوة الخير والشرّ تجتمعان في الإله ذو الثنائية في الواحد ويأتي في أحد أدعيتهم: " يا رەبێ خيرا بده، شەراوەركەرین" بمعنى: يا رب امنح الخير وامنع الشرّ. وفي هذا الجانب تلتقي فكرة الأيزيدية مع المذهب الجبري أو القدري في الإسلام، كون مفهوم الخير والشرّ هو من عند الله، وأن الانسان مسيّر لا مخيّر.

٢- دفن الموتى عند الأيزيدية وإعتبار القبر البيت الحقيقي والأبدي للجسد، بينما الزرادشتيون يضعون الجثث على مرتفع عال لتأكله الطيور. وأن للروح عندهم بداية ونهاية، أما عند الأيزيدية فليس للروح بداية ونهاية بل أنها سرمدية خلقها الله قبل كل شيء ووضعها في(القنديل)قبل أن تنتقل إلى جسم الكائن وتخرج منه بعد مماته.

٣- وإذا كان التدخين محرماً لدى الزرادشتيين فأن للتبغ مكانة خاصة عند الأيزيديين وإله يرعاه.

٤- الموقف من الحيوانات المقدسة ومسألة تقديم الحيوانات كقرابين فهي محرمة لدى الزرادشتيين، أم عند الأيزيديين فان القرابين تقدم في جميع الأعياد والمناسبات (ما عدا عيد خدر-الياس المصادف في شهر شباط).

٥- لو كان زرادشت نبياً للأيزيديين، لكانوا على الأقل يذكرونه ولو مرة واحدة في صلواتهم وأدعيتهم وأقوالهم الدينية...، بينما يجري ذكر أنبياء آخرين مثل: نوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ودانيال...الخ.

٦- ولو كانت الأيزيدية إمتداداً للزرادشتية، لأحتفظوا في بيوتهم على الأقل كتابي "زند آفيستا" و"كاتها" ووفروا على أنفسهم عناء البحث عن كتابي "جلوة ومصحف رش"!

وهنا كان " امبسن" مصيباً عندما قال: " لأجل أن نصل الى نتيجة قطعية في أصل المذهب الأيزيدي نحتاج دراسة وثيقة في أحوال الشعوب- خاصة في آسيا الصغرى- أكثر من اتباع لغتها وديانتها..."

ربما بإمكان المرء أن يؤسس نظرية – أو فرضية- على رأي " امبسن". وهنا يمكن

القول بأن على الباحث الذي يبغي التعرف بشكل واقعي على تاريخ وأصول الديانة الأيزيدية عليه أن يصغي جيداً لما يقوله الأيزيديون عن أنفسهم من خلال قصصهم وما يحتويه أدبهم الديني من مفاهيم ومصطلحات، وما تعنيه طقوسهم وعاداتهم وأعيادهم، ولا ينسى الباحث أن يتوقف عند أركانهم الدينية والتراتبية الطبقية ودراسة أسمائهم وأسماء عشائرهم وملابسهم والأهم من كل ذلك أن يجد الرابط بين كل تلك الشخصيات والأفكار التي تبدو وكأنها متناثرة على مساحات واسعة من الأرض وزمن من الصعب تحديد بداية ونهاية له.

أحاول أن أعطي هنا اشارات على بعض أفكار المعتقد الأيزيدي وما يرد في أدبهم الديني الشفاهي أو في نصوصهم الدينية: الايمان بطاؤوس ملك والأربعاء المقدس- تقديس الظواهر الطبيعية- ايزيدا في بابل وعلاقته باسم الأيزيدية- قصة خلق آدم بلالش وطوفان نوح على أرض الأيزيدية (عين سفني= الشيخان)- إبراهيم الخليل- فرعون- تقديس القمر والشمس- الملائكة السبعة- الأجرام والنجوم- الحيوانات المقدسة- الشيخ آدي- حسين الحلاج- موسى وعيسى- مكة – القدس- لالش- البحر- هكار- هوري كأول أم للأيزيدية- هوري أو حوري- خالتي- دوملي-...الخ)

لقد كتبت موضوعاً باسم" ألغاز وأسئلة مخفية: نحو كيفية فهم ودراسة فلسفة الديانة الأيزيدية."[٣٥] أطرح فيها منهجية جديدة لفك رموز تلك الألغاز وإيجاد أجوبة لها وللعديد من الأسئلة التي لم تتم الاجابة عليها لحد الآن، وبدون ذلك فمن الصعب معرفة أصول الديانة الأيزيدية وفلسفتها تجاه الكون والخليقة.

ففكرة طاؤوس ملك قديمة قدم ظهور الأفكار الدينية، والأيزيديون يربطونها قبل خلق الكون. السؤال الآخر: ماهي علاقة الأيزيديين بابراهيم الخليل الذي خرج من حرّان (أورفه- الرها) أو (أور كلدان) كما يسميه البعض الآخر. هل أن ابراهيم الخليل هو نفسه موسى (أخناتون) الذي دخل مصر وخرج منها الى سيناء وبعدها سكن أرض كنعان؟!..وهل من خيوط تربط بين عشيرة الهكارية (الكارية) وشعب الهكسوس الهندو -أوربي الذي انحدر من مناطق (وان وآرارات) وحكم مصر زمن الفراعنة وإنسحب منها مع العبريين الى أرض كنعان؟! وإذا كانت حرّان هو محرف لكلمة (هق) بمعنى

(٣٥) د. خليل ج. رشو: مجلة روز، العدد ١٠

الإله، أو الإله الراعي، كما تذكر بعض المصادر، فهل أن العشيرة الهكارية هي نسبة الى إله تلك المدينة الإبراهيمية؟! الى إله مدينة إبراهيم؟!

ولماذا يقول الأيزيديون: أن نبوخذنصر (بخت نصر كما يسمونه) كان إيزيدياً وذهب لمحاربة أورشليم ليأخذ منها مقدساتهم الأيزيدية المسروقة (السنجق أو رمز الطاؤوس القديم- كبش إبراهيم الخليل" الصنم"- كتاب مصحف رش- والمصباح ذات الرؤس التسعة)؟!

لماذا يقدس الأيزيديون الشمس والقمر سوية؟ إذا علمنا أن عبادة الشمس خاصة بالمجموعات الحضرية الزراعية، وعبادة القمر خاصة بالمجموعات البدوية الرعوية؟...هل أن عبادة الظاهرتين(الشمس والقمر) متأصلة لدى الأيزيدية أم أنها شمس- آتون الفراعنة- أم شمس سبأ أم شمس بلاد الرافدين وميثرا والأغريق؟!

هل أن اسم الأيزيدية هو نسبة الى (إيزيد) معبد الاله نابو في بابل أم نسبة الى (يزدان – الخالق) أم نسبة الى (يزيد بن معاوية) أو (يزيد بن أنس الخارجي)؟!.هل العشيرة الهكارية والخالتية التي ينتمي اليها قسم من الأيزيدية والتي أعطت إسمها الى منطقة واسعة من كردستان تمتد من شرقي إيران الى وان والى شمال الموصل، هل هذه العشائر الأيزيدية كانت تسكن هذه المنطقة منذ فجر التاريخ وإن بأسماء أخرى، أم قدمت اليها من مناطق الجنوب؟!

إذا كان الأيزيديون " عرباً مسلمين" حقاً ومن أتباع يزيد بن معاوية، فلماذا يأتي أدبهم الديني من أقوال وأبيات وأدعية باللغة الكردية؟.

وإذا كانوا من بقايا الديانة الزرادشتية والمانوية، فلماذا يفتش الأيزيديون عن كتاب مقدس لهم ولم يحفظوا " زه ند آفيستا و كاتها " في بيوتهم؟! ولماذا لم يمجدوا زرادشت وماني في صلواتهم؟

بين أكوام هذه الأسئلة وغيرها يتم البحث عن اسم وتاريخ ومعتقد الأيزيدية. وهم بحق مرآة تعكس من خلالها عبق التاريخ وعراقة التقاليد والطقوس بحيث أصبح موزاييك رائع للتراث الديني والقومي يربط أكثر من قارة مع بعضها.

جامعة كوتنكن

* محاضرة الى مركز الدراسات الآسيوية الأفريقية /جامعة كيل في ٢٧ /٢٠٠١/٦

Zentrum fuer Asiatische und Afrikanische Studien (ZAAS) der Universitaet Kiel

المعتقد الأيزيدي كدين شرقي قديم، والصراع الثقافي في المهجر

Yezidentum, als eine alte Orientaliche Religion, im Kulturelen spannungsfeld im Exil

رغم الأبحاث الهائلة التي قامت بها مجموعة كبيرة من الكتّاب والباحثين الشرقيين والغربيين، لكن مع ذلك لم يتبلور رأي موحد في تحديد أصل الايزيدية. إلاّ ان المتفق عليه هو انهم من بين إحدى المجموعات الدينية القديمة في منطقة الشرق التي تنتمي الى الشعب الكوردي.

ومن يتوقف بتأني عند عقائدهم، يجدها مرآة تعكس من خلالها عادات وطقوس ورموز وعبادات متنوعة للديانات الشرقية، على سبيل المثال: قصة التكوين والخليقة لدى الأيزيدية ومن خلال نصوصها الدينية تذكرنا بقصة الخليقة السومرية والبابلية وقصة الخليقة لدى اليهود. وأسماء الملائكة السبعة (عزرائيل، جبرائيل، ميكائيل،..الخ) لدى الديانات اليهودية، المسيحية، الإسلامية والأيزيدية هي واحدة، إلاّ انه إلى جانب ذلك فان عالم الملائكة ورؤسائهم، وملائكة الخير والشّر تعود بنا الى بلاد فارس وإيران. أما رمز الثور في النصوص الدينية الأيزيدية، يذكرنا بثيران آشور وميثرا. كما ان رمز السمكة عند الأيزيدية يذكرنا هو الآخر بقصة النبي يونان. أرباب (خودان) الأيزيدية المتمثل في ٤٠ سلالة من الشيوخ و٤٠ سلالة من الأبيار، يذكرنا بأرباب المدن السومرية والبابلية والآشورية وكذلك عبادة الأجداد عند الشامانيين. تقديس واحترام الأيزيدية للشمس والقمر والنار والنور ليست بعيدة عن تقديس تلك العناصر عند الديانة الزرادشتية والميثرائية والهندوسية وعند الكثير من الشعوب الشرقية. ومعلوم ان أسماء: (زمزم، عرفات، مكة، القدس والخليل، إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل، فرعون، النبي زكريا، والأنبياء موسى، عيسى ومحمد..الخ) ترد في النصوص الدينية الأيزيدية. إضافة إلى ذلك فان هنالك طقوس مشتركة بين الأيزيدية وبين اليهودية والمسيحية والإسلام: كالتعميد والختان وتحريم بعض الأكلات، إلاّ أن الذي يميز الأيزيدية عن غيرها، بل يعتبر من خصوصياتها، هو أكثر بكثير مما تجمعها مع المعتقدات الأخرى. ولضيق الوقت سأحاول حصرها في العناوين التالية:

١- الأيزيدية ديانة توحيدية وليست ثنائية كما يشاع عنها، وتعتقد أن قوة الخير والشّر مصدرهما واحد، أي أن الأيزيديون يؤمنون بالإله الواحد الأحد حسبما يؤكده

أدبهم الديني، إلاّ أنهم إلى جـانب ذلك يؤمنون أشـد الإيمان بـ "طاؤوس ملك" ويعتبرونه رئيساً للملائكة ونور الله ورمزاً للخير ومسؤولاً عن الكون.

٢- الأيزيدية ديانة غير تبشيرية، بمعنى يولد الإنسان الأيزيدي من أبوين أيزيديين، ولا تقبل في صفوفها من كان على دين آخر، ويصبح مطروداً- رجلاً كان أم امرأة- من تزوج من أتباع دين غير الأيزيدية، حتى أن الأيزيديون أنفسهم لا يتزاوجون جميعهم فيما بينهم، بل توجد ست مجموعات زواج متباينة.

٣- تعتقد الأيزيدية بوحدة الوجود وأن المادة والروح متلازمان منذ الأزل، ولا يثار لديهم سؤال: أيهما الأولى، الروح أم المادة؟! لأن كلمة (خودى- خودايى) تعني الذي خلق نفسه بنفسه. وكلمة (أيزيدي- أزدايى) تعني عباد الله.

٤- الديانة الأيزيدية ديانة غنوصية، حيث يتم التعّرف إلى الله والتقرب منه عن طريق القلب" المشاعر" والعقل، بمعنى أن العرفانية والصوفية تلعبان دوراً مهماً ولذلك لا تحتاج الأيزيدية إلى نبي أو رسول يدلهم على خالقهم.

٥- تقول الأيزيدية أن لله (١٠٠١) ألف اسم واسم، وأحياناً (٣٠٠٣) إسم، أي أنه يتجلى بأشكال وصفات عديدة.

٦- تعتقد الأيزيدية بتناسخ الأرواح، وأن الروح خالدة لا تموت. وبسبب اعتقادها هذا فأنها إلى جانب احترامها لرموزها وشخصياتها الدينية، تحترم بعض رموز وشخصيات الأديان الأخرى.

٧- تعتقد الأيزيدية بوجود عالمين: عالم مرئي وهو الفاني، وآخر غير مرئي وهو طاهر وباقي.

٨- تنظر الأيزيدية لحد اليوم بعين التقديس والاحترام إلى الشمس والقمر وبعض مظاهر الطبيعة الأخرى.

٩- تعتبر الأيزيدية (الماء- الهواء- التراب والنار) العناصر الأربعة المكونة للكون والخليقة.

١٠- بعض أركان الديانة الأيزيدية: التعميد- الصوم- الختان- الزواج المغلق.

١١- فرائض الديانة الايزيدية هي خمس: أن يكون لكل ايزيدي: شيخ- بير- مربي- أستاذ- الخلان وأخ أو (أخت) الآخرة.

١٢- تمتاز الأيزيدية بوجود نظام تراتبي وهرمي ديني.

١٣- تلخص أهم محرمات الديانة الأيزيدية بثلاث:

أ- "شرعت": أي عدم الزواج من المسلمين

ب- "طريقت": عدم زواج الأيزيدي من عائلة شيخه أو بيره أو مربيه.

ج- "دربا خه رقه ى": عدم المساس بقدسية "الخرقة"، وعدم ضرب وإهانة من يلبسها.

١٤-المنوعات: يشمل عدم أكل بعض اللحوم أو النباتات أو ممارسة بعض العادات مثل حلق الشوارب أو التبول واقفاً أو البصاق على الأرض أو لبس اللون الأزرق..الخ.

بعد هذا العرض المكثف لبعض معتقدات الأيزيدية وخلفية فكرتهم الدينية والثقافية، أحاول التوقف بشيء من الإيجاز عند وضعهم في المهجر وأهم التحديات التي يواجهونها والتغييرات التي تطرأ على حياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية، وهل سيصمد الأيزيديون كأقلية دينية أمام التطور التكنولوجي الجبار والثورة المعلوماتية الهائلة ويحافظون على تراثهم الديني والقومي في أوربا وبلدان المهجر الأخرى؟!

وبهذا الصدد ينبغي أن نأخذ المسائل التالية بنظر الاعتبار:

الموقف من الانتماء القومي:

يتحدث جميع الأيزيديون في العراق، تركيا، سوريا، أرمينيا وجورجيا اللغة الكردية- اللهجة الكرمانجية، فقط هنالك قريتان هما (بعشيقة وبحزاني) في كردستان العراق يتحدثون بلهجة مختلطة من اللغة العربية والكردية. وتروى ٩٨٪ من النصوص الدينية الأيزيدية بما فيها أساطيرها وقصصها باللغة الكردية. وموطن الأيزيدية هو كردستان بين الشعب الكردي ذو الغالبية الإسلامية.

المفارقة أن المذاهب الدينية الأخرى وخاصة الإسلامية ترى في الدين الأيزيدي نداً لها. وكان، وما زال، ينظر إليهم كديانة غير كتابية، وقد اضطهدوا وجرى التنكيل بهم وإبادتهم من قبل الإسلام على مرّ العصور، خاصة خلال فترة الحكم العثماني، حيث اضطهدوا كقومية وكدين في آن واحد. وطالب الأيزيديون من السلطات العثمانية حينها أن يعاملوا معاملة اليهود والمسيحية، وأن يكونوا أسوة بهم لكن دون جدوى.

بدأت هجرة الأيزيديين من تركيا منذ بداية السبعينات بموجب الاتفاقيات الموقعة بين الحكومتين الألمانية والتركية وحاجة الأولى إلى الأيدي العاملة، حيث بدأ حينها قدوم وجبات العمال الأيزيديين واستقروا في ألمانيا. وزادت هذه الهجرة بعد عام ١٩٨٤م عندما بدأ الكفاح المسلح الكردي في كردستان تركيا ضد النظام، حيث أصبح الأيزيديون بين سندان الحركة المسلحة الكردية ومطرقة النظام التركي، وخرجت الهجرة الأيزيدية من نطاق البحث عن العمل والمعيشة لتتحول إلى هجرة شبه منظمة تحت ظروف ازدياد الاضطهاد الديني- القومي والسياسي، وتتوجه تلك الأعداد الغفيرة طلبا ً للجوء السياسي والإنساني. وبناءً على الزيارة الأولى التي قام بها كل من البروفيسور فيزنر والدكتور شنودر، وزير داخلية نورتهايم فيسفاليكا وتبعها زيارة الوفد الثاني المكون كل من: كيزلا بريس وفيرنر بريس واليكساندر شتيرنبيرك إلى كردستان تركيا وتقريرهم المقدم في شهر سيبتمبر ١٩٨٩ حول وضع أيزيدية تركيا الى المحاكم الالمانية، تم قبولهم في ألمانيا كأقلية دينية مضطهدة في تركيا. وما زال مفعول ذلك القرار ساريا ً بالنسبة إلى أيزيدية تركيا. واليوم لا يتعدى عدد الباقين في تركيا أكثر من ٩٠ شخصا ً، أما الأغلبية التي تناهز عددها على (٣٠) ثلاثون ألف نسمة تعيش في ألمانيا.

أما هجرة إيزيدية العراق، سوريا، أرمينيا وجورجيا بدأت مع بداية التسعينات. ففي العراق شكلت حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١) نقطة التحول. أما من أرمينيا وجورجيا فقد بدأ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والتغييرات الجارية في الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي. أما من سوريا، إضافة إلى سوء الوضع الاقتصادي، فلم يعترف بهم رسمياً كدين ولا كقومية واعتبارهم أجانب.

بالرغم من عدم وجود إحصاء رسمي ودقيق، إلا ان التقديرات تشير إلى وجود ما بين ٥٠-٥٥ ألف أيزيدي من كل البلدان المذكورة في ألمانيا. ان هذا التواجد المستمر لمدة ثلاثين عاماً في ألمانيا ترك تغييرات اجتماعية وثقافية ونفسية ودينية على " الجالية" الأيزيدية.

ومن المفارقات التي تجلب الانتباه حقاً وتعكس التناقض لدى الفرد الأيزيدي، هو أن أغلب الأيزيدية هنا من جهة يعّرفون أنفسهم كأقلية دينية مضطهدة من الإسلام والدولة

(أقصد الأنظمة في تركيا، العراق، سوريا)، ومن الجهة الأخرى يشاركون بفعالية داخل الأحزاب الكردية. ورغم أن بعض القوميين والوطنيين الكورد المسلمين يعتبرون الأيزيدية أصل الكورد، وهذا موقف جيد يخفف الغبن والاضطهاد عن الأيزيدية، إلاّ ان هؤلاء أقلية محدودة وجزء يسير وغير مؤثر في بحر المجتمع الإسلامي المتعصب. ومن الناحية الأخرى فان الأيزيديون المسيسون يستغلون دعوى كون الأيزيدية أصل الكورد ويتفاخرون بها، بحيث يتراجع مصلحة الدين وتراثه وعاداته لصالح القومية، ويضعف هذا بالطبع الشعور الديني لدى الأيزيدية. وبهذا الصدد يمكننا تحديد اتجاهات ثلاث رئيسية بين الأيزيدية:

الاتجاه الأول:

الذي يضع القومية قبل الدين، وغالبيتهم أعضاء وكوادر في أحزاب كردية، ينظرون إلى الأمور بمنظار انترناسيونال ويتراجع الدين عندهم إلى الوراء. ويقوم هؤلاء بتربية أولادهم وجماهيرهم بتلك الروحية، مما يؤدي حتماً إلى إضعاف الروابط الدينية بين الأيزيدية. والأخطر من كل ذلك يحاول هذا الاتجاه جاهداً تذويب الأيزيدية في الديانة الزرادشتية وجعل الأول امتدادا ً للثاني، مع تقوية الروابط مع العلويين واليسار الكردي وعدم ممانعة الزواج فيما بينهم. ان هذا الاتجاه مدعوم من قبل أحزابهم ماديا ً وإعلاميا ً.

الاتجاه الثاني:

الذي ينظر إلى الدين كتراث وهوية وليس كنظرة أصولية وسلفية، وباعتبار الأيزيدية أقلية مهددة فانه يضع الدين قبل القومية، ويدعو إلى استقلالية التفكير الأيزيدي وبناء شخصيته والحفاظ على خصوصياته وإلاّ ذابوا في بحر الإسلام الهائج. كما يدعو هذا التيار إلى التعاون واللقاء مع الأديان الآخرى والى الانفتاح وإجراء الإصلاحات، والى تشكيل لجنة معتمدة من وجهاء الأيزيدية في المهجر. ان هذا التيار يحارب من قبل المحافظين الأيزيديين ومن قبل الاتجاه الأول والبعض من أعضاء أحزابهم. الاتجاه الأول حرفي قبل أن يكون توجهه عن قناعة. وإذا كان أصحاب الاتجاه الأول يبدو قوياً بدعمه الحزبي والسياسي، فان أصحاب التيار الثاني قوي بفكره ونظريته واحترامه ومكانته على مستوى الجمهور الأيزيدي وغير الأيزيدي.

الاتجاه الثالث:

النظر إلى الأيزيدية كدين وكشعب مستقل، ويقولون نحن لسنا كرداً ولا عرباً، بل أيزيديين فقط. رغم ان هذا التوجه يسود بين أوساط بسطاء الأيزيدية، إلا أنني أعتقد ان هذا الاتجاه ضعيف وأن طرحهم غير واقعي يعرقل تطور الأيزيدية ويجعله يراوح في مكانه.

الشيخ، البير والمريد، هي ألقاب دينية وصوفية في نفس الوقت. اللقبان الأولان(الشيخ والبير) لهما مكانة خاصة في الترتيب الديني والسلم الاجتماعي، وعلى ذلك السلم يبنى النظام الطبقي الديني (نظام الزواج)، وهو نظام هرمي معقد يتألف من مجموعات زواج داخلية، تتزاوج فقط فيما بينها وهم: (الآدانية– الشمسانية– القاتانية– مجموعة البير حسن ممان– مجموعة البيرة الآخرين– والمريدون). وهناك مجلس روحاني يضم:(الأمير– البيشيمام– البابا شيخ– شيخ الوزير– رئيس القوالين– النقيب– بابا جاويش– الكواجك) مركزه لالش/ كردستان العراق.

وحسب العرف، فان لكل أيزيدي شيخ وبير ومربي واستاذ وأخ أو (أخت) الآخرة، ولا يجوز للرجل الأيزيدي أن يتزوج من شيخته أو بيرته أو مربيته أو أخت الآخرة، وكذا الحال بالنسبة للمرأة يحرم عليها الزواج من شيخها أو بيرها أو مربيها أو أخ الآخرة. وإذا كان نظام الزواج الصارم هذا داخل الوطن يلاقي العديد من الصعوبات، فانه في المهجر يترك بظلاله على تعاليم الزواج سواء بين الأيزيدية أنفسهم أو بين الأيزيدية وغيرها من الأديان، فان هنالك العديد من الشبيبة لا يلتزمون بها.

يحاول الأيزيديون حتى في المهجر المحافظة على النسيج الاجتماعي المبني على روابط العشيرة والأفخاذ وتقويته أكثر مما كان عليه داخل الوطن؛ فترى الأقارب يجتمعون هنا في ألمانيا في قرى ومدن ومناطق معينة، ويحاولون حصر زواج الأقارب داخل العائلة أو العشيرة مع ارتفاع جنوني في قبض المهر وإجبار الفتيان على الزواج ممن لا يرغبونه، وهذا ما يولد ردّة فعل قوية وتمرد على العادات وحدوث مشاكل عائلية لا تحصى. كما ان قضية الثأر ما زالت سارية المفعول في ألمانيا وخاصة عند أيزيدية تركيا.

الأيزيديون في المهجر بين ثقافتين مختلفتين، ثقافة شرقية محافظة متدينة أبوية بما

تحملها من إيجابيات وسلبيات، وبين ثقافة أوربية بكل ما تحملها هي الأخرى من إيجابيات وسلبيات. ومن الطبيعي أن لا تصمد ثقافة الأيزيدي الشرقية أمام الثقافة الأوربية في عصر التطور العلمي والتكنولوجي العاصف. وليس بإمكان الثقافة الشرقية أن تصمد أمام دخول البث التلفزيوني والمبتكرات الأخرى من كومبيوتر ووسائل الدعاية الكبيرة التي تؤثر على الأجيال الجديدة.

من جانب آخر لا يملك الايزيديون كتاباً دينياً يلجأون اليه، بل يعتمدون على الأدب الديني الشفهي الذي يحمله رجال الدين في صدورهم، وهذا بطبيعته معرض للضياع، كما أن الأدب الشفاهي والنص الديني يفسر بأشكال متعددة وحسب إجتهاد رجل الدين وهذا ما يخلق إرباك فكري وعدم التزام جدي بالتعاليم الدينية ويصبح الجيل الجديد فريسة سهلة لتقبل التغيرات.

يضاف إلى ذلك فان المسؤولون الأيزيديون في المركز (العراق) لا يعيرون أهمية إلى دراسة وضع الأيزيدية لا في الداخل ولا في المهجر ولا يقومون بزيارات تفقدية بينهم ومعالجة مشاكلهم، وعليه لم يبق موقفهم كمركز ديني مؤثراً على أيزيدية الخارج، وعلى سبيل المثال تم زواج عدد لا بأس به من أيزيدية تركيا وسوريا من العلويين والألمان ولم يصبحوا منبوذين من قبل أيزيدية المهجر.

وكذا الحال بالنسبة لغالبية الشيوخ والبيرة ورجال الدين في المهجر، فان همهم هو الآخر جمع المال من عامة الأيزيدية دون أن يقدموا خدمة أو برنامجاً لتحصين الأطفال والشبيبة من كلا الجنسين كي يحافظوا على هويتهم الدينية ويتفاعلوا مع الثقافة الاوربية الايجابية، لا بل ان المذكورين أعلاه يعادون علناً أو في الخفاء التجمعات والمراكز الأيزيدية في المهجر لأنهم يعتبرونها بالضد من مصالحهم وعثرة في طريقهم لاستغلال عامة الأيزيدية.

المسؤولون الأيزيديون و " رجال الدين" وأولياء الأولاد هنا في المهجر بحاجة إلى تثقيف جدي يتلائم مع البيئة الجديدة. وبدل أن يشجع الأولياء أولادهم على تلقي العلم والدخول إلى المدارس وممارسة الأعمال القانونية، يتركونهم وشأنهم مما يؤدي بالفعل إلى تمرد الأولاد ولجوء البعض إلى الجريمة وتعاطي المخدرات وتفكيك العائلة.

وبهذا الصدد يمكن الإشارة إلى حدوث تغييرات على وضع العائلة الأيزيدية

والعلاقات بين المرأة والرجل في المهجر، حيث توجد فرص عمل للمرأة وحقوقها مصانة حسب القانون الألماني، فنرى أن مكانتها قد تعززت ولم يبقى الرجل السلطان الأكبر وصاحب القرار الأوحد والمرأة ماكنة لتفريخ الأطفال فقط!

وبسبب صراع الأحزاب الكردية فيما بينها، فان تحزّب الأيزيدية الأعمى وانتمائهم إلى هذا الحزب الكردي أو ذاك، أو انتماء آخرين إلى أحزاب عربية، يؤثر باعتقادي سلباً على العلاقات الأيزيدية فيما بينهم. كما أن بعض الأحزاب الكردية وتحت شعارات غير واقعية شجعت المرأة الأيزيدية والشبيبة التمرد على التقاليد الدينية والاجتماعية وبالتالي إضعاف الروابط العائلية وزيادة المشاكل فيما بينها، والى جانب ذلك تشجيعهم إلى التحرك ضد قوانين الدولة، وكل ذلك أثر سلباً على سمعة الأيزيدية وأعطى لبعض الجهات الألمانية إنطباعاً سلبياً عن الأيزيديين.

بما أنه لا توجد هنالك دولة أو جهة قوية تحمي الأيزيديين، فان مهمة الحفاظ عليهم كديانة غير كتابية صغيرة مهددة في زمن المد الأصولي الديني في الشرق تقع على عاتق منظمات ودول أوربا والعالم المتحضر التي تراعي مبدأ الديمقراطية وتدافع عن حقوق الإنسان وتساند الايزيديين في الخارج والداخل وتقيم معهم علاقات التعاون والعمل المشترك، وينبغي على تلك الدول والمنظمات والكنائس والشخصيات العلمية والإنسانية النظر إلى الأيزيدية كأقلية دينية مهددة قبل أن ينظروا إليها كقومية.

محاضرة في Rendesburg بتاريخ ١٣-١٤/ نيسان/٢٠٠٢

الفصل الثاني

الكوردولوجيا والإيزيدية

الكوردولوجيا والايزيدية موضوع واسع جداً وميدان علمي من الصعب على المرء تناوله في محاضرة واحدة، لذا احاول أن أقف عند نقاط ومفاصل رئيسية وبعد ذلك أبين كيف تم معالجة ذكر الايزيدية والايزيديين ضمن الكوردولوجيا. أبرز النقاط هي:

١- ماذا تعني الكوردولوجيا؟

٢- أسباب ظهور الكوردولوجيا؟

٣- مراحل تطورالكوردولوجيا.

٤- فوائد ومضارالكوردولوجيا؟

٥-كيف ننظر نحن الكوردو الى ميدان الكوردولوجيا وكيف نستفيد منها لمستقبل شعبنا؟

أولاً: (لوجي) لاحقة تأتي بمعنى مفهوم، علم - من الطبيعي أن تدخل أية مادة كتابة: بحث أو كتاب صدر بشكل علمي على الكورد، ضمن حقل الكوردولوجيا.

وهذا يعني ان الكوردولوجيا تضم جميع جوانب حياة الكورد من لغة وتاريخ ومعتقد وعادات وملابس وحياة إقتصادية وإجتماعية....الخ

وهنا تلعب اللّغة دوراً كبيراً وتعتبر عموداً من أعمدة الكودولوجيا، لأن لغة شعب او مجموعة عرقية ما تميّز شعب عن اخر.ومن الطبيعي أن هنالك فرق بين اللغة التي يتحدث بها المرء كظاهرة صوتية وبين لغة الكتابة.لغة الكتابة هي وسيلة للتعبير عن الظواهر الصوتية.ويجب ان نعلم ان التعبير عنه يتم على شكل صور، مقاطع، (رموز) وبعد ذلك تطور الى شكل الحروف، امثلة: الحروف الهيروغلوفية والسومرية المسمارية والأغاريتة والآرامية والسنسكريتية...الخ.).

إرتباطاً بهذا الموضوع يقول العلماء بان الدافع والسبب الرئيسي والاساسي من وراء اكتشاف الكتابة كان ظهور الدين والدولة. ترتبط اللغة دائماً بتطور و تقدم المجتمع، ووقفت اللغة الكوردية عبر العصور التاريخية في وجه الكثير من المخططات لكنها تمكنت من المحافظة على استقلاليتها.

بداية اللغة الكوردية المكتوبة

– يعد بعض العلماء الكتابة المقدسة (افيستا) في القرن السادس قبل الميلاد و المكتوبة باللغة الميدية –الكوردية كأول بداية ظهور لغة الكتابة الكوردية.

– اعوام الستينات، وحسب مقال للاستاذ (كيوي موكرياني) نشر أبجدية كوردية قديمة يقول: ان تاريخ تلك الابجدية تعود الى ماقبل ٢٨٠٠ عام قبل الميلاد وحسب قوله، انه اكتشف ذلك الالف باء على جدران كهف في منطقة رواندوزز. ولم يؤكد هذا الخبر مصدر آخر.

– في السنوات الاخيرة، قام الاستاذ (محمد ملا كريم) بنشر أبجدية كوردية، حيث كتب: أنه اخذها من كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام) لابن وحشية النبطي الكلداني عام ٢٤١ هجرية.

إجمالا، يجمّع الكتاب الكورد على ان بداية الكتابة باللغة الكوردية تنطلق من نتاجات بابا طاهر الهمداني (٩٣٥–١٠١٠م) وبعد ذلك من أشعار (علي الحريري) وغيرهم من الشعراء الكورد الكلاسيكيين.

اذا كان من الصعوبة بمكان اعتبار الكتابين المقدسين (مصحف ره ش والجلوة) كأحد بدايات الابجدية الكوردية في القرن ال ١١الميلادي، وذلك بسبب عدم اطّلاعنا على مضمونهما الحقيقي وبدون شكّ، فان العالم الجليل والمتصوف الكبير الشيخ آدي وكذلك الشيخ حسن والشيخ فخرالدين والشعراء وعلماء الدين أمثال (بير رشي حيران و درويش قاتاني و درويش قتك وبابكر اومر و كوجك جم و درويش تاج الدين وبابكر جزيري و مسكينو ژارو)[٣٦] الذين عاشوا في القرن الـ١١–١٢،رغم أن اشعارهم لن تصلنا بصفة مخطوطات او كتب،الاّ أنه مما لاشك فيه أنهم تركوا وراءهم إرثاً أدبيا

(٣٦) د. خەليل جندى، پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئیزدیان، بەرگێ ئیکێ ، سپیریز/دک ٢٠٠٤، پەر_٢٦.

مكتوباً ،هذا اضافة الى وجود (مشورات–الايزيدية) على سبيل المثال مشور (خطي بسي) المدون بمزيج من العربية العامية و الكوردية[٣٧] كما هو معروف، فان الشعراء والكتاب الكورد على امتداد قرون طويلة كتبوا اشعارهم واعمالهم بالحروف الابجدية العربية وبالخط الفارسي الى حين اصدار جريدة كردستان لأول مرة عام ١٨٩٨ في القاهرة. يعرف العلامة توفيق وهبي (١٨٩١–١٩٨٤) كمبادر ومؤسس الابجدية الكردية، وقام الاستاذ المذكور سوية مع آل بدرخان والبرفسور ماك كينزي و البروفيسورة جويس بلاو بوضع الابجدية الكردية.

منذ منتصف القرن التاسع عشر جرت محاولة بروسيا القيصرية وضع ابجدية باللغة الكردية بالحروف الارمنية، نتيجة تواجد عدد غيرقليل من الكرد فيها، لكنها لم تنجح بسبب عدم ملاءمة (فونتيكا) حروف اللغة الارمنية مع الكردية.

رأي البروفيسور ب. ليرخ الذي يعد من الكردولوجيين الاوائل بروسيا، انه من الأهمية بمكان وضع ابجدية لاتينية للغة الكردية، إلاّ ان محاولته لم تنجح ايضا لأن النظام القيصري لم يعر تلك الاهمية للكرد القاطنين داخل حدودها، عكس اهتمامها بالكرد خارج حدودها.

اسباب ظهور الكردولوجي:

ان الموقع الجيو– بولوتيكي لكردستان ووقوعها بين الامبراطوريتين العثمانية و الصفوية جلب انتباه البلدان الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا وايطاليا و المانيا من جهة وروسيا القيصرية من جهة اخرى، حيث أرادت تلك الدول اقامة علاقات مع الكرد للتعرف على طبيعة حياتهم و تاريخهم وعاداتهم واسلوب معيشتهم عن قرب، وفيما يلي نشير الى تلك الاسباب:

أولاً: السبب الاقتصادي: بعد قيام الثورة الصناعية في القرنين الـ ١٧ – ١٨ وما تلاهما في أوربا، سعت تلك البلدان الى ايجاد اسواق لتصريف بضائعها وضمان الحصول على المواد الخام الرخيصة لمعاملها.

ثانياً: الحملات التبشيرية: لنشر الديانة المسيحية في أراضي هاتين الامبراطوريتين.

(٣٧) خدرێ سلیمان و سەعدوللا شیخان_، شیخان و شیخان بەگ_، بەغدا ١٩٨٨، پەر_ ٢٢–٢٤

ثالثاً: الاسباب العسكرية و السياسية: قامت الدولتان البريطانية والالمانية بالدرجة الاولى، وكذلك فرنسا بمساعدة الدولة العثمانية عسكريا وماليا للوقوف بوجه مطامع روسيا القيصرية، حيث استطاعت تلك الدول عبر هذه الوسيلة الوصول الى بلاد الكرد.

رابعاً: ارادت روسيا القيصرية من جانبها التي كانت تحارب الامبراطوريتين العثمانية والصفوية،ان تصل الى الكرد و ضمن حدود الامبراطورتين المذكورتين وتتعرف عليهم.

لقد مرّ الاهتمام بالكورد وببلادهم في ذلك الوقت بمرحلتين، لكننا الان نضيف مرحلة اخرى لتصبح الثالثة وهي:

١-المرحلة الاولى: بعد الثورة الصناعية و صراع الدول الاوربية للاستيلاء على الاسواق. استمرت تلك المرحلة الى نهاية القرن التاسع عشر، او يمكننا القول استمرت الى بداية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨).

٢- المرحلة الثانية: الاستعمارية و من اجل الاستيلاء على النفط و المعادن الاخرى، وبدات تلك المرحلة اثناء الحرب العالية الاولى وبعده ومازالت مستمرة الى يومنا هذا.

٣- استطيع القول أن عصر التكنولوجيا والعولمة وخاصة بعد تأريخ ٢٠٠١/٩/١١ في ضرب ابراج نيويورك/ امريكا من قبل الارهابيين، قد فتحت مرحلة جديدة، علما انها لا تشمل الكرد فقط و انما العالم باسره.

وقبل تقييم العمل الاستشراقي بفوائده و اضراره، أود الاشارة باختصار الى كيفية بدء اولئك المستشرقون بين الكورد.

– لقد تم كتابة تلك الابحاث والكتب والتقارير و الموضوعات حول الشعب الكوردي خلال المرحلتين الاولى والثانية من قبل الرحالة والدبلوماسين و المبشرين و العسكريين والجواسيس الذين ارسلوا خصيصا للمنطقة. وفيما يلي اسماء بعضهم: (ريج – روجر– بوَتساندريسكي– غولدنشتان– كلابروث – مستر بيل – ميجرسون – ستيفن لونغريك– زابا.. الخ).

–عند الحديث عن الكوردولوجي والاستشراق، يجب ان لاننسى كتاب (شرفنامه) لمؤلفه شرفخان البدليسي، كأحد المراجع المهمة والنادرة، وبسبب اهميته، فقد تم

ترجمته الى العديد من اللغات العالمية من قبل المستشرقين وغيرهم، على سبيل المثال: ترجم الى اللغة العربية من قبل (محمد علي عوني)، والى التركية (موجود كمخطوطة منذ عام ١٦٦٧)، الى الكردية من قبل (ملا محمود البايزيدي)(١٨٥٦ – ١٨٥٩) مخطوط، الى الالمانية (ك.أ. بار مخطوط في فيننا)، الى الفرنسية (ف.ب.شارموا ١٨٦٨ – ١٨٧٥)، والى الروسية (بيفكاينا فاسيليفا و فلياميتوف زيرنوف).[٣٨]

الكوردولوجيا والكنائس الاوربية:

تحت غطاء الاهتمام بالمسيحيين القاطنين في الامبراطورية العثمانية، قامت الكنائس الاوربية بإرسال العديد من المبشرين القساوسة الى كوردستان على سبيل المثال:

الايطالي (ماوريزيو كارزوني)، مكث لمدة سنتين في موصل و رحل بعد ذلك الى العمادية و كانت حينها عاصمة امارة بهدينان –وظل في العمادية اكثر من عشرين عاماً، وصدر كتابه المعروف حول قواعد اللغة الكوردية و اللهجة الكورمانجية الشمالية (قواعد وكلمات اللغة الكوردية ١٧٨٦).

– وفي عام ١٨٣٦ م قام مبشر سويسري باسم (هورنلي) بالاشتراك مع (شنايده ر) باصدار بحث حول اثنوغرافيا وعلم اللغة الكوردية. حاولا للمرة الاولى ان يترجما الانجيل الى اللغة الكوردية –اللهجة الموكرية.

– وفي عام ١٨١٥ قام (صاموئيل ريبا) بتاليف كتاب حول قواعد اللغة الكوردية في منطقة اورمية،

– وقام مبشر امريكي يدعى(ل. و. موسوم) بتأليف كتاب في مهاباد حول اللغة الكوردية اللهجة الموكرية.

– وعاش مبشر فرنسي اخر باسم (توماس بويس) أكثر من أربعين عاماً في كوردستان وبلاد الشرق، وكتب حول تاريخ وأدب وأديان الكورد وعاداتهم الاجتماعية[٣٩].

---

(٣٨) كوردۆلوی دناڤبەرا رۆژهەلاتناسی و سیاسەتیدا ل ئەوروپا، سالمی جاسم، گوڤارا هاڤیبوون، هژمارا ١، سالا ١٩٩٧، زانكویا ازاد بەرلی، ص٥٣–٥٦

(٣٩) كوردۆلوی دناڤبەرا رۆژهەلاتناسی و سیاسە تیدا ل وروپا، سالمی جاسم، ژیدەرێ پیشیێ، ص٥٣–٥٦

(الكوردولوج و المستشرقين القدماء والجدد هم من الكثرة بحيث من الصعوبة ذكر أسماء جميعهم دفعة واحدة،على سبيل المثال: (ب.جويس بلاو والبروفيسور فيليب كراينيروك- بروفيسور ماك كينزي- ب.فانبرونستن- د. كريستينا اليسون-...الخ) ومن بين أحد الشروط الرئيسية لمختص الكوردولوجيا هو المامه ومعرفته(ها) باللغة الكوردية بشكل جيد.

الكوردولوجيا في روسيا القيصرية و الاتحاد السوفيتي السابق:

تحتوي الاكاديمية الروسية للعلوم وكذلك معهد الاستشراق، أكثر من مثيلاتها على المخطوطات والدراسات والابحاث و التقارير عن جميع مجالات حياة الكورد.

توجد طبعا أشياء قيّمة ومهمة عن الديانة الايزدية و حياتهم الاجتماعية. في الاتحاد السوفياتي السابق وفي عام ١٩٦٣ وصل عدد (البيبلوغرافيا الموسع حول الكورد) الى (٢٦٩٠) انتاج، حيث كان نصيب المواد المكتوبة في روسيا القيصرية، والاتحاد السوفياتي لاحقا الى (١٦٣٤) انتاجا، بمعنى ان ٣\٤ يعود لروسيا، اما القسم المتبقي فكان يتوزع على دول: بريطانيا، فرنسا، المانيا، ايطاليا وسويسرا.

منذ القرن التاسع عشر طلبت الاكاديمية الروسية للعلوم من قناصلها ومسؤوليها الاداريين الذين لهم علاقات و اتصالات مع الكورد، ان يزودها بالموضوعات والكتابات عن الكورد، بمعنى ان حقل الدراسات الكوردية بدأت هنالك منذ القرن (١٩) التاسع عشر، وقام القناصل والمسؤولين الروس بكتابة الكثير من الابحاث عن الكورد.

وقبل اندلاع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، كانت توجد عدد من المدارس باللغة الروسية في القرى الكوردية بأرمينيا، وعندما انتصرت الثورة البلشفية في روسيا وبالاخص في بداية عام ١٩٢٠، تم ولأول مرة فتح الكثير من المدارس الكوردية واستخدمت فيها الابجدية الارمنية. اللغوي الارمني (اكوب غازريان) هو الذي وضع اسس تلك الابجدية، وانتشرت تلك المدارس فيما بعد في مناطق جورجيا واذربيجان، وأطلق اسم (رؤذ) على اول كتاب تعليمي بالابجدية الارمنية للمدارس الكوردية.

وبعد أن أنهى عرب شمو دراسته في معهد الاستشراق في موسكو عام ١٩٢٤، لعب دورا كبيرا بين الكورد، وبدعم و تشجيع من الوزير الارمني وضع عام ١٩٢٥-١٩٢٧ الابجدية الكوردية وزار الاكاديمي والكوردولوجي السوفياتي المعروف (يوسف

اوربيللي) في مدينة لينينغراد(سانبترسبورغ)، حيث قيّم تلك الابجدية وصار فيما بعد اساسا لطباعة اول جريدة معروفة بـ (ريبا تازة).

أصبح عرب شمو أول عميد لمعهد التربية في أرمينيا وأصدر روايته (الراعي الكوردي- شفانى كوردى) بتلك الابجدية. في عام ١٩٣١ قيّم كاميران بدرخان وجهات استشراقية أخرى في اوربا عالياً الابجدية الكوردية التي وضعها عرب شمو وتم قبولها من قبلهم.

وفيما يلي أسماء عدد من المستشرقين الروس وبعض أعمالهم المنجزة:

١- بيوتر ليرخ:

يعد مؤسس الكوردولوجيا في روسيا. تمكن جمع الكثير من المعلومات من اولئك الكورد الذين تم أسرهم في حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦) وأجرى دراسات وبحوث عن اللغة الكوردية.

٢- الكساندر زابا:

القنصل الروسي في أرضروم (١٨٤٩) تمكن عن طريق ومساعدة (ملا محمود البايزيدي) من الحصول على الكثير من المخطوطات وارسالهم الى بيترسبورغ من كتبه - جامع رساليان وحكايتان- باللغة الكوردية عام ١٨٦٠ و-القاموس الكوردي الفرنسي- عام ١٨٧٨ الذي تناول فيه حول الأدب الكوردي.

٣- الكسندر خوديسكو:

القنصل الروسي في باريس بدعم ومساعدة (أحمد خان) من عائلة أمراء بابان تمكن أعوام (١٨٥٣ - ١٨٥٤) من اجراء بحث حول اللهجة السليمانية (الكورمانجية الجنوبية).

٤- م. رودينكو:

الكوردولوجي المعروف من لينينكراد تمكن بشكل علمي من اجراء تحقيقات على -مم وزين - شيخ صنعان- يوسف و زليخا - ليلى ومجنون - وكذلك مخطوطة ملا محمود البايزيدي (عادات وروسوماتنامى اكرادية) وطبعهم جميعاً.

عام ١٩٧٠ قام أكثر من مائة خبير من إجراء أبحاث حول الدراسات الكردية وكان من بينهم اكراد الاتحاد السوفيتي وبقية أجزاء كوردستان وكان الكثير منهم قد أنهوا دراساتهم العليا في الاتحاد السوفيتي، مثل د. معروف خزندار، د. عز الدين مصطفى رسول... الخ.

تبرز أهمية الكوردولوجيا الروسية في النقاط التالية:

أ- من الناحية اللغوية يعمل فيها من الخبراء الكورد.

ب- يتم ترجمة الكثير من الكتب الروسية الى اللغة الكوردية وغيرها.

ج- اتباع اسلوب المنهج العلمي الماركسي في التحليل. ومازال العديد من المستشرقين والكوردولوجي يعملون في موسكو وسانتبيترسبورغ ,مثل لازاريف , حسريتان , وغيرهم.

سنحاول الآن الوقوف بشكل مختصر عند ما كتبه بعض المستشرقين عن الكورد الإيزيديين، علماً أن جلهم يعتبرون الايزيديين كورد أصلاء وقدماء.

فاسيلي نيكيتين:

في كتابه (الكورد: دراسة سوسيولوجية وتأريخية)[٤٠] يناقش نظرية العالم الفرنسي (روجيه ليسكوت) حول الايزيدية والمنشور في كتابه المعنون (جولة بين يزيدية سوريا وشنكال ١٩٣٨)، الذي يقول فيها: كون الشيخ آدي هو مؤسس الديانة الايزيدية وكذا الحال بالنسبة الى المستشرق (ميخائيل آنكلو) والخبير في الدراسات حول الاسلام، يقول هو الآخر " ان الديانة الايزيدية خارجة من الاسلام، وفيما بعد تم اضافة بعض المعتقدات والاساطير الايرانية اليه، بحيث احتلت تلك المعتقدات والاساطير بشكل تدريجي مكانها وبرزت الى الواجهة". أما بخصوص نظرية المستشرق الروسي الكبير (مار) التي تقول: من أجل دراسة وبحث الديانة الايزيدية، من الضروري جداً دراسة وتحليل جميع الاشياء المتعلقة بهم. يأتي فاسيلي نيكيتين ليقيم نظرية (مار) ويجعلها أساساً لبحثه حول الايزيدية يكتب " لا أعتقد أن الايزيديون كانوا في يوم من الايام

(٤٠) الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم لويس ماسينيون ، نقله من الفرنسية د. نوري طالباني، دار الساقي، ط٢، ,٢٠٠١

يدينون بالاسلام وبهذا الصدد فأن نظرية مار – حسب أعتقادي – يضع الايزيديين في مكانهم الطبيعي".

يبدوا أن (روجيه ليسكو) لم يكن واثقا من رأيه حيث يقول في مكان من كتابه " تلك الآراء التي قيلت لحد الآن حول الايزيدية سوف تنقلب رأساً على عقب عندما تتوفر أمام أيدينا معلومات عن عادات وتقاليد وتراث الشعب الكوردي" ويعطي فاسيلي نيكيتين اشارة مهمة جداً عندما يقول " إن العقيدة الدينية لدى الكورد تنسجم حسب العقلية القبلية، تكمل وتفسر أحداهما الأخرى بعمق". مثال ذلك على وجود شيوخ الطريقة بين الكورد والعلاقة الحميمة بين شيوخ الايزيدية ومريديهم اضافة الى ذلك فإن أهالي القرى يؤمنون بما يقوله ملا القرية وان خالف ذلك النص الحرفي للقرآن.

يأخذ البروفيسور (مار) من تحليل كلمة (جلبي). أعتقد يقصد كلمة (جلكو) التي يطلقها المسيحيون في تركيا على الايزيدية، منطلقاً لنظريته الجديدة وعراقة الدين الايزيدي وكونه جزء من الشعب الكوردي الأكثر عراقة عندما يقول:

ظهر استخدام كلمة (جلبي) بداية القرن ١٤ عند الاتراك السلجوقيين، وهم أخذوا بدورهم من الكورد. وأخذ الكورد من جانبهم من اللغة الآرامية (تسليم – تسلما) الذي يأتي بمفهوم (الصورة أو التمثال).

جلب جلبى– جه لكو = الله، أصل وجذر الكلمة من اللغة الجافيتية (يافثي) الجنوبية. ومن بعض معاني ومفاهيم كلمة (الجلبى) الإله – الرب – صاحب الجاه – الكريم – صاحب العائلة – النبيل السيد – قوال – شاعر – مثقف – مربي – شريف – مؤدب – أنيق – السيد الصغير.

ويقول مار: دون أن نلجأ الى أي دليل، يظهر لنا من خلال كلمة (جلبي) آثار وبقايا قسم خطير من تاريخ شعب أنتج مثل هذه الكلمة.

ويضيف مار: تتكون الجافيتية من (الخالتية – المانية – العيلامية – الأرمن والكورج) وترتبط كل هذه العشائر بآسيا الصغرى ولا نستطيع القول أنهم من الهندو–اوربيين أو الساميين.

بعد دراسة وبحث (مار) على أصل (جلبي) كشعب كوردي يأتي ويقول " إن التراث الديني الكوردي من الناحية التاريخية أقدم من الإسلام ". ويضيف "بعد الانتصارات التي حققها المسيحية والاسلام، رغم إنها لم تكن انتصارات مطلقة وكاملة على

المعتقدات القديمة في آسيا يبدو أن مقابل تلك الانتصارات لم تتنازل وتركع الديانة الخاصة بالشعب الكوردي، ولم تعترف بالهزيمة، وبدأ دين الكورد بضرب الأديان الجديدة المسيطرة عليهم (المسيحية والاسلام) من الداخل وذلك من خلال إثارة الحركات الاجتماعية والالحادية، مثلاً (حركة أبناء الشمس) والحركة الصوفية التي لا تتبع السنة كحسين الحلاج وشيخ عبد القادر الكيلاني وشمس الدين التبريزي...الخ".

بالنسبة لـ (مار) وحسب أبحاثه فإن الايزيدية كان دين الكورد الخاص قبل الاسلام حيث كانوا يؤمنون بها حيث يقول: "مما لا شكّ فيه أن ايزيدية اليوم هم احدى المعتقدات الشعبية لبعض الناس ذات خصوصية، فهم قريبون من المانوية والصابئة المندائيين من ناحية ويقتربون من المعتقدات المتنوعة التي ظهرت في أرمينيا وجورجيا فيما بعد من ناحية اخرى."[٤١] ويجمل مار نظريته في عدة أسطر حيث يقول: " تحتضن كلمة جلبى = ايزيدي بين طياته تأريخ الشعب الكوردي، إلا أنه بسبب عدم وجود مصادر مكتوبة في متناول أيدينا، نضطر أن نلجأ لتحليل هذا التأريخ الى اعادة اكتشاف أحجار منقوشة، أو الى اسلوب التحري والتنقيب عن الآثار القديمة كون تلك الاشياء تعكس بقايا العصور الغابرة على الظواهر الشعبية المرتبطة باللغة والدين القديم وهو انعكاس للظواهر التي نراها خالدة اليوم."[٤٢]

الى جانب هذه الاكتشافات بامكان المرء ان يقارب بين تلك الأشياء الموجودة في الحياة الشعبية للشعوب المجاورة، مثلاً (جلبي وبوليسياليزم) عند البيزنطينيين، أو مسألة التصوف والصوفية عند (قوينا) وبين الحياة الداخلية للعصور الماضية مع جميع المواد والمواضيع التي لها علاقة بعلم خصوصية وديناميكيك الشعوب، حتى إذا كانت تلك الأشياء لم تتطابق مع ما هو موجود في التاريخ المكتوب."[٤٣]

التطرق الى كلمة أو مفهوم (الداسني) كأحد معالم قدم الديانة الايزيدية وكيف ألصقها زرادشت بالمجموعات الدينية التي خالفت دعوته الدينية إضافة إلى كلمة (الشمسية) كأحد أسماء الايزيدية عبر التاريخ.

(٤١) باسيل_ نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم لويس ماسينيون ، ترجمة الدكتور نوري طالباني، دار الساقي، 2_، ٢٠٠١، و٣٦٢-٣٦٣

(٤٢) المصدر السابق، ص ٣١٨

(٤٣) المصدر السابق، ص ٣٧١

إذن ثلاث كلمات: الجلبي (جه لكو) + داسنى (دسنايى) + شه مى / شه مسانى تعطي الهوية وتبرز خصوصية هذا المعتقد الكوردي القديم وبواسطة هذه الكلمات الثلاث فقط بأمكان هذا الدين اجتياز امتحان التهم والافتراءات والتزوير الموجهة اليه.

ويقول مينزل: لا يجوز بأي شكل من الأشكال القول أنه لا يوجد عرق أرمني بين الايزيديين وحسب هذا الرأي يقول بعض المستشرقين: تنقسم القبائل الايزيدية الى قسمين قسم يشبه الآشوريين من حيث كثافة شعر الرأس والوجه، أما القسم الآخر فهو قريب الى العرق الهندو- جرماني ويوجد بين هؤلاء بقايا تلك الشعوب الأصلية من بلدان آسيا الصغرى. وهنا يعتقد باسيل نيكيتين ان بعض طبائع وسمات الايزيديين قد انتقل الى الارمن الساميين عن طريق العشيرة الخالتية الايزيدية , ويجب أن لا ننسى هذا الشيء.[٤٤]

ف. ف. مينورسكي:

يعتقد هو الآخر ان الدين الايزيدي قديم جداً وأن كتبهم المقدسة (مصحف رش والجلوة) تم التعرف عليهما، وتمكن البروفيسور (مار) أن يصور النسخة التي كانت في شنكال، وقام بعد ذلك (م. بيتنر) النمساوى عام ١٩١٣ بطبع ذلك النص بشكل علمي في فيينا.

كما قام المستشرق والقنصل الروسي (يو. س. كارتسوف) عام ١٨٨٤ بكتابة موضوع حول الكتب الايزيدية. أما المستشرق (ف. ف. مينورسكي) يأتي بعد ذلك ويكتب عن عقيدة الايزيديين ويقول " لايعبد اليزيديون قوى الشّر لأنه في السابق كان قوى الخير والشّر مرتبطة مع بعضمها وجميع الملائكة من منبع واحد، وتشبه كمن يشعل نار سراج من سراج آخر." أي ينتقل النور من واحد الى آخر. ويتحدث بعد ذلك بشكل مفصل عن فكرة الايزيديين عن الله وعن طاووس ملك، ويكتب عن علاقة الربط بين طاووس ملك وتموز والعديد من معتقدات ميزوبوتاميا ويتوقف بعدئذ عند مدينة (حرّان) والإله (سين) وكيف يقدسه الايزيديون الى يومنا هذا.[٤٥]

(٤٤) نفس المصدر السابق، ص ٣٦٦

(٤٥) ڤ.ف. مينورسكي: كورد، نقله د. معروف خزندار الى اللغة العربية ، وقام حمه سعيد بترجمته الى اللغة الكردية، ١٩٨٤، ص١١٢-١١٩

ايفريانوف:

في تقريره الذي كتبه بأسم (رحلة ماكو) عام ١٩٠٥ يقول: " كان هنالك قرية ايزيدية في إمارة ماكو ويدعى قرية (جبارلو) يعيش فيها خمسة و عشرون عائلة ايزدية".

الكوردولوجيا في فرنسا:

انطلق علم معرفة الكورد في فرنسا خلال القرن ١٧ أثناء الحملات التبشيرية. حيث قام المجمع التبشيري الكاثولوكي الفرنسي بتسليم هذه المهمة في الشرق الاوسط والأدنى الى (الكبوشيين واليسوعيين والكرمليين) والقناصلة الفرنسيين في الامبراطورية العثمانية الموجودين في حلب والمدن الاخرى. وكان المبشرون يحمون اولئك الناس الذين يدخلون الدين المسيحي. المبشر (بير جان بابتست دي سانت ايكال) قدم الى مدينة حلب عام ١٦٦١م، يقال انه كان صاحب كرامات وقام بشفاء الكثير من المرضى.[٤٦] وكان معه في نفس الوقت المبشر(بيرجستنين دى نوفى سورلوار) الذي كان يتكلم اللغة العربية والكوردية وعندما زار الأرمن عام ١٦٦٨. تعرف على الايزيديين وتمكن هو وأصدقائه من كسب ١٣ إيزيدياً لإعتناق المسيحية وقام مبشر من الطائفة الكرملية يدعى (بيرجان ماري دى جيسس) عام ١٦٧٢ بزيارة العشائر الرحالة الايزيدية في منطقة نصيبين وكتب ملاحظاته عنهم.[٤٧]

يعود تأريخ أول من كتب عن عادات وتقاليد الإيزيديين كان من قبل مبشر كاثوليكي

(٤٦) جون س. گيست، الحياة بين الكرد..تاريخ الايزديين، ترجمة عماد جميل مزوري، مطبعة سپيريز، ٢٠٠٥، ص ١١٩

(٤٧) أعتقد الى حدّ كبير أن هنالك علاقة قوية بين قصة المبشر المسيحي (بير جان بابتست دي سانت ايكال) وكراماته وبين وجود طقس ومراسيم عيد ال (باتزميه) لدى العشيرة الجيلكية الايزيدية التي كانت تسكن بالأصل مناطق ماردين وبعض مناطق سوريا الحالية. فأن تلك المجموعة الايزيدية قد اعتنقت الديانة المسيحية بعد منتصف القرن السابع عشر ، وتراجعت عنه في وقت لاحق وانظموا الى ديانتهم الاولى، إلاّ أنها إحتفظت بإسم ذلك المبشر على شكل طقس ديني وما زالوا يمارسونه ليومنا هذا.
لقد كتبت موضوعاً تحليلياً عن عيد أل (باتزمية) في كتابي الأخير (صفحات من الأدب الديني الايزيدي، المجلد الثاني، ص٨٧٨ وربما في المستقبل أتوسع في هذا الموضوع وأضيف اليه آراء وقناعات جديدة.

فرنسي يدعى (ميشيل فيبفر) يسكن حلب، وكما يكتب هذا المبشر أنه صدر عام ١٦٧٤ كتاب في روما دون ذكر اسم مؤلفه لكن يعتقد ان الكتاب هو من تأليف (بيرجان بابتست دى سانت ايكنان) , أو أن هنالك رأي يقول أنه يعود الى (بيرجنستين دي نوفي) يحتوي ذلك الكتاب على معلومات دقيقة وواسعة على المجاميع غير المسلمة منهم الايزيديون في جبل سمعان وحلب[٤٨]. يأتي بعد ذلك (نيكولاس سيوفي) نائب القنصل الفرنسي في الموصل (١٨٧٨) بكتابة ملاحظاته عن الايزيديين ونشرها.[٤٩]

من الجدير بالذكر ان اتصالات (جوزيف روبن) القنصل الفرنسي في حلب مع الايزيديين في جبل سمعان كان بواسطة الارسالية التبشيرية وكذلك زيارة السفير الفرنسي (ماركوس دي نونتل) عام ١٦٧٤ للإيزيديين وكيف سأل عن رأيهم بملك فرنسا (لويس الرابع عشر) واراد أن يعرف مطالبهم، وعبر رئيس الإيزيديين للسفير الفرنسي عن استعداده لتهيئة خمسة آلاف مسلح إيزيدي لمساعدة الملك لإحتلال فلسطين وسوريا.[٥٠]

وكتب أيضاً ان محاولات المبشر (جوزيف بيسن ١٦٧٩) والمبشر (بير ميتشل ١٦٨١) لإقناع الايزيديين ان يتركوا دينهم ويعتنقوا المسيحية باتا بالفشل وذلك في مناطق ماردين وجومي وكان الايزيديون حينذاك يعرفون بـ (الشمسية)[٥١]. ويجب أن لا ننسى كذلك اسم أول قنصل فرنسي (بول اميل) في مدينة الموصل حيث كان طبيباً لإبراهيم باشا المللّي عام ١٨٣٢ في سوريا، زار مع بادجر ولايارو وايليا نيكولايفيج

(٤٨) المصدر السابق، ص ٧٩ إنظر كذلك: ميشيل فيبفر descriyione delle Tur- Specchio o vero chia:Teatro della Turchia،ص١١٥–١٢٩ و ٣١٨–٣٣٦

(٤٩) ن. سيوفي/ ملاحطات عن الطائفة اليزدية، المجلة الاسيوية (باريس)، العدد ٧، مجلد ٢٠(١٨٨٢) ،ص٢٥٢–٢٦٨ (ژ ژيدبر_ پيشيى _اتينه ستاندنه، پهر_ ٢٨٢–٢٨٣)

(٥٠) كورنيلليو ماكني، secondo biennio de Quanto di curioso e vago Ha potuto raccorre Nel esso consumato in viaggi e dimore per la Turchia، ج٢ ،ص ٣٩٤–٣٩٧ و ٤١١(مقتبس من كتاب جون گيست، ص ١٣٢)

(٥١) فيبفر، مصدر سابق، ص ١٦٨–, ١٧٠ إنظر كذلك: رفائيلو: م. كوسپ_ كامبانيل: Storia della religioni ivi esistenti regione del Kurdistan e della sette de، ص ١٩٤–٢٠٠. و إنظر الى: _وراتيو ساوثكيت/ حكاية رحلة عبر ارمينيا و كردستان وبلاد فارس وميسوبوتاميا، ج٢، ص ٢٨٧–٢٨٨ (مقتبس من كتاب جون گيست، ص١٣٤)

(من جامعة كازان) لالش، وقام بنشر ملاحظاته في نشرية موسكوفيه عام ١٨٥٤ تزامناً مع صدور كتاب بادجر حول الايزيديين.

وفي أواسط الثلاثينات من القرن العشرين يعد روجيه ليسكوت مؤسس الكوردولوجيا في فرنسا وبعد أن اختير لوزارة الخارجية نصب مكانه صديقه المعروف كاميران بدرخان لإدامة ذلك العمل وبعد أن تقدم كاميران في العمر حلّت البروفيسورة جويس بلاو مكانه لتتقاعد قبل أقل من خمس سنوات وتحل محلها الدكتورة كريستينا آليسورن. والى جانب هؤلاء وفي أواسط ستينات القرن العشرين أيضاً كان هنالك فرنسي آخر بأسم (ب. روندو) عرف كمستشرق وكوردولوجي مشهور.

يوجد الى جانب هذا المعهد الاستشراقي معهد آخر هو (المعهد الكوردي في باريس) الذي يعمل في حقل الكوردولوجي ولديه بعض الطلبة الذين يكتبون الماجستير والدكتوراه حول الكورد بشكل عام والايزيديين بشكل خاص.

الكوردولوجيا في ألمانيا:

إعتباراً من القرن التاسع عشر الى حين ابرام اتفاقية لوزان ١٩٢٣، كانت المانيا تهتم كغيرها من الدول: فرنسا وايطاليا وبريطانيا وأمريكا بالكورد وحقل الكوردولوجي وبرز هذا الاهتمام بشكل خاص عند إنشاء خط سكك حديد عام ١٩٠٠بين برلين وبغداد ومرور جزء منه عبر أراضي كوردستان. أما علم دراسة الايزيديين فقد بدأ بشكل حقيقي عام ١٨٥٠ وذلك ضمن تقرير الدكتور(اوغسطت نيندر) استاذ الاديان في جامعة برلين، عندما قدم محاضرته الى الاكاديمية البروسية وذلك قبل وفاته بوقت قصير.(٥٢)

وفيما يلي اسماء بعض العلماء والمستشرقين الذين كتبوا عن وضع الكورد والايزيديين: أدوارد زاخاو ١٨٨٠– أ. ليدز بارسكى ١٨٩٧ بحثه عن طاووس ملك وكيف تم تحويره من اسم تموز– هوكو ما كاش: ابحاث حول الكورد + أدعية الايزيدية – مارتين هارتمان – آلبيرت تون لجوك / برلين ١٩٠٣ – اوسكارمان ١٩٠٦ – كارل هادانك – اندرى آس / برلين ١٩٢٤ – فوكلاني ك. كتبت حول النصوص الدينية

(52) August Niender: ueber die Elemente aus denen die Lehren die Yeziden hervorgangen zu sein scheinen.

الايزيدية – ماك كينزي / كوتنكى ١٩٦١ – ١٩٩٦ بروفيسور مينش / جامعة بريمن – الجامعة الحرة في برلين تأسس بعد عام ١٩٩٣ – بروفيسور كراينبروك فيليب / جامعة كوتنكى ١٩٩٦ ولحد الآن.

الا انه بعد اتفاقية لوزارة وتشكيل الدولة التركية الفتية وتقوية العلاقات بين المانيا وتركيا تراجع اهتمام المانيا بالكورد والدراسات الكوردية.(٥٣)

أنا من جانبي أعمل منذ عام ١٩٩٧ في جامعة كوتنكن/ القسم الايراني مع البروفيسور كراينبروك فيليب حيث قمت بتدريس اللغة الكوردية للطلبة كما قدمت محاضرات عن الديانة الايزيدية وخلال ست سنوات عملت كباحث في الدين الايزيدي مع الاسف كان عملنا ضمن القسم الايراني وليس كقسم خاص كوردي ومهتم بالكوردولوجيا علماً خلال هذه السنوات قدم ثلاث من طلبة الدكتوراه من خارج المانيا (أمريكا–هنكاريا–روسيا) الى قسمنا في كوتنكن وقمنا بتدريسهم وهم (دوريس/ أمريكا – آشتر شبيتر/ هنكاريا – خانى اومرخالي / سانبيترسبورك – مصطفى دهقان / ايران). هنالك محاولات من قبل د. اندرياس آكرمان لفتح القسم الكردولوجي وعلم الايزيدية في جامعة فرانكفورت ماين. أعتقد بسبب تحسن الوضع في كوردستان العراق وحصول الكورد على حقوقهم الفيدرالية، سوف تتسارع الدول الاوروبية ومن ضمنها المانيا وأمريكا بالاهتمام بالكورد وتنشيط حقل الكوردولوجي في الجامعات والمعاهد.

بريطانيا والكوردولوجي:

حسب الدلائل المتوفرة يعتبر الرحالة الانكليزي (جان كارترايت) أول من التقى مع أشخاص من قبيلة خالتيا عام ١٦٠٠ بالقرب من بتليس وباطمان وكتب ملاحظاته عنهم كما أن هنالك شخص أخر يدعى (سير رايكوت) وكان يسكن اسطنبول وأزمير١٦٨٠م تمكن هو وصديق له باسم (فريدريك فوربس) جمع العديد من القصص عن الايزيدية وبحثوا عن كتاب الجلوة ومصحف رش ويذكرون ان اسمها (فوركال).(٥٤)

(٥٣) إنظر مجلة "هاڤيبوون" المصدر السابق

(٥٤) السير پول رايكوت، تاريخ الامبراطورية العثمانية التركية من العام ١٦٣٣الى ١٦٧٧ وكذلك : فريدريك فوربس، زيارة الى تلال سنجار في ١٨٣٨،

برز دور بريطانيا في الشرق بعد استخدام طريق حلب- بصرة- الهند. ورأت الامبراطورية البريطانية في انتصارات روسيا القيصرية على الجيش العثماني بداية القرن التاسع عشر تهديداً على طريق اتصالها مع الهند، لذلك حاولت بواسطة ممثلي شركة الهند الشرقية (كلوديوس جيمس ريج) عام ١٨١٣ وبعدها مع الكولونيل (روبرت تايلر) مساعدة الدولة العثمانية بالسلاح كي تتمكن الوقوف بوجه روسيا.

نتيجة هبوب رياح قوية خلال شهري حزيران الى ايلول في البحر الاحمر، كادت حركة النقل البحرية تتوقف فيه ولهذا كانت بريطانيا تبحث عن طريق آخر ووضعت نهر الفرات أمام عينها بدءً من عام ١٨٣١- ١٨٣٢ قام الضابط البريطاني (فرنسيس جسني) مع خمسون من الضباط والجيولوجيين والأطباء من ضمنهم (ويليام اينسوورث) بحملتهم للكشف في منطقة نهر فرات، والتحق بتلك المجموعة فيما بعد (رسام عيسى انطون) وعندما زار كل من (اينسوورث ورسام) مناطق الايزيدية في شنكال وديار بكر، وعثروا على أشياء مهمة بشكل مباشر وكتبوا مشاهداتهم وتحدثوا عن معركة (المهركان) ضد حافظ باشا لمدة ثلاث أشهر ويذكر كيف قام (رسام) لمساعدة رئيس القوالين (قوال يوسف) مع أربعة من زعماء الايزيدية في دياربكر وإرسالهم الى اسطنبول كي يتم إعفائهم من الخدمة العسكرية. وهنالك في اسطنبول التقى قوال يوسف وزملائه هنري لايارد في السفارة البريطانية.

لعب كل من (آ. هـ. لايارد) و (ك. ب. بادجر) دوراً كبيراً في حقل الكوردولوجي وعلم معرفة الايزيدية لايارد في كتابه (نينوى وآثارها ١٨٤٩) و (النسطوريين وعقيدتهم ١٨٥٢) أما بادجر فقد سكن عام ١٨٥٠ قرية بعشيقة وتمكن عن طريق شيخ إيزيدي من الحصول على مخطوطة من مخطوطات الايزيدية وقام بتطويرها ويجوز ان تكون هي نفس المخطوطة التي رآها هنري لايارد عام ١٨٤٩.

تمثلت سياسة بريطانيا بين أعوام (١٨٤١ – ١٨٥٨م) بشكل مباشر على دعم الحكومة العثمانية وتشجيعها على تطبيق سياسة التسامح مع الديانات غير المسلمة وحينها وفي عام ١٨٤٩ تحسن الوضع القانوني للايزيديين وأرسل الامير (حسين بك) في تلك السنة رسالة شكر الى ديوان السطان قال فيها: أنه معلن ولاءَهُ للسلطان مراد الرابع.[٥٥]

(٥٥) جون گيست، مصدر سابق، ص ٢٤٣-٢٤٤

من المعروف هنالك العشرات من المستشرقين والرحالة والدبلوماسيين الذين كتبوا عن الكورد بشكل عام والايزيديين بشكل خاص، من الصعب ذكر أسمائهم جميعاً إلاّ أن للبعض منهم دور بارز مثل (كابرئيل جرميا) رغم ولادته في قرية كرميس ١٨٢١ حيث أنه ترك أثراً كبيراً حول جوانب عديدة من تاريخ الايزيديين وعمل مع الكثير من الاشخاص الاجانب أمثال: – دوايت مارش – فريدريك ويليامز – د. هنري لوبدل – رسام عيسى – هـ. لايارد – ادوارد زاخاو.

فوائد وأضرار العمل الاستشراقي للكورد؟

هل نسلك نحن الكورد مثل المثقفين العرب، أمثال (أدوارد سعيد) في معاداة المستشرقين ونشك في جهودهم؟ ونقول بأنهم ينفذون المخططات الاستعمارية ويشوهون صورة العرب والمسلمين أمام الغرب؟ هل نقول نحن الكورد أيضاً ان المستشرقين عملوا وكتبوا ضد الكورد والديانة الاسلامية والايزيدية والكاكائية وغيرهم، أم يكون لنا موقف آخر؟

ليس كل ما كتبه المستشرقون عن الشعب الكوردي يعتبر صحيحاً حيث توجد بعض الكتابات الخاطئة ولا تعبر عن حقيقة الكورد، إلاّ أنه من وجهة نظري الغالبية العظمى من عمل المستشرقين وكتاباتهم جيدة وتخدم الكورد. لقد عاش بعض المستشرقين حوالي أربعون سنة بين الكورد وتعلموا لغته وعاداته وجمعوا أشياء مهمة جداً عن حياتهم وتأريخهم وأدبهم , ولو ترك تلك المهمة للكورد لضاع الكثير من جوانب حياة هذا الشعب.

١- بناءً على تقارير ودراسات وأبحاث المستشرقين والمبشرين وجواسيس الدول الغربية تم وضع سياسة تلك الدول تجاه الامبراطورية العثمانية والصفوية وصياغة خارطة الشرق الاوسط خلال الحرب العالمية الاولى وبعده.

٢- لو كان تقرير (ميجرسون و بيل) على سبيل المثال منصفاً حول الشعب الكوردي حينذاك ويذكر أن الشعب الكوردي يستحق انشاء دولته القومية، وأن تلك الدولة ستخدم مصالح فرنسا وبريطانيا، أعتقد أن معاهدتي سيفر ولوزان كانتا ستكتبان بصيغة مختلفة ويتم تشكيل الدولة الكوردية الى جانب دول الشعوب الاخرى داخل الامبراطورية العثمانية!..أعتقد أن العامل الديني لدى الكورد اضافة للعامل

الاقتصادي(النفط) لعب دوراً سلبياً وربما مسيئاً في عدم انشاء الدولة الكوردية. صحيح ان العرب مسلمون ويدينون بالاسلام لكن ذكرى صلاح الدين الايوبي كقائد كوردي مسلم أثناء الحروب الصليبية كانت ماثلة في اذهان الغرب وأعتقد أنه كان هنالك نوع من الحقد على الكورد بسبب ذلك.

٣- صحيح أنه ليس من المنطق تقييم حوادث ذلك العصر بأدوات وعقلية اليوم، لكن بالامكان الاستفادة من تلك النظرة الخاطئة بمفهوم الغربيين آنذاك. أما اليوم فأن هؤلاء أنفسهم يخشون الراديكالية والتطرف الديني. ومن أجل مستقبل مشرق للشعب الكوردي وإزالة الحيف عنه وفتح جسور أكثر مع الغرب نجعل من العلمانية والليبرالية منهجاً لحياتنا وفي دستور حكومتنا.

٤- تعتمد الدول الغربية (أوربا وأمريكا) بشكل خاص وبدرجة كبيرة في رسم سياستها على مراكز الابحاث والجامعات والمعاهد والمؤسسات البحثية والأمثلة كثيرة.

٥- ندعو حكومة كوردستان ايلاء اهتمام خاص بـ (روزئافاناسى- علم معرفة الغرب) وان يتم انشاء جامعات ومعاهد ومراكز ابحاث ومؤسسات خاصة لجمع ومراجعة كل ما كتب عن الكورد من قبل المستشرقين والبحاثة والمبشرين والسياسيين الاجانب ومحاولة تجاوز السلبيات والاستفادة من الايجابيات ومعرفة كيف يفكر الغرب وكيف يستطيع الكورد إنشاء لوبي فكري وعلمي وسياسي واقتصادي في اوربا والغرب قاطبة وفي أمريكا، وكيف تنشأ هذه المؤسسات الكوردية علاقات مع المؤسسات الغربية والشرقية وتقدم خدمة لحكومة كوردستان الفتية وتساعد على بناء البنية التحتية للكيان الكوردستاني وتطوير الفيدرالية الى نظام أرقى مستقبلاً، وبهذا الصدد هنالك العشرات بل المئات من الكوادر العلمية التي تخرجت من تلك الدول وحصلت على شهادات الماجستير والدكتوراه وشهادات جامعية متنوعة أخرى وتعيش مئات الالاف من الكورد كلاجئين او مهاجرين وحاملين جنسيات تلك البلدان بإمكانهم لعب هذا الدور الوطني الكبير.

٦- يطلب من حكومة كوردستان ان تخصص مبالغ مالية كبيرة لإنشاء معاهد ومراكز أبحاث وجامعات ان امكن مستقبلاً في البلدان الاوربية وأمريكا وغيرها. بحيث

تربط تلك المؤسسات بمجلس حكومة اقليم كوردستان أو بالقنصليات الكوردستانية التي ستفتح لها فروع في السفارات العراقية. وتقع هذه المهمة أيضاً ضمن صلاحية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في حكومة كوردستان. لماذا صرفت وتصرف المؤسسات العلمية الغربية مئات الاف الدولارات على موضوع لا يجلب انتباهنا مثل (عادات عشائر الكورد الرحل) , لماذا لم تقم المؤسسات الكوردستانية بهذه الأعمال؟!

٧- عقد كونفرانس بهدف دراسة وتنشيط حقل الدراسات الكوردولوجي في أربيل للأيام من ٦ - ٩ / أيلول / ٢٠٠٦ قام به معهد باريس للدراسات الكوردية بالاشتراك مع جامعة أربيل وشارك فيه اساتذة اجانب وكورد، وشارك فيه من جامعة غوتنغن / القسم الايراني رئيس القسم البروفيسور فيليب كراينبروك وأنا وبعض من طلبتنا.

تعتبر أكاديمية بارزاني في أمريكا وكذلك المعهد الكوردي في باريس خطوات مهمة وكبيرة في حقل الدراسات الكوردولوجية.

* رغم محاولة البعض التشكيك بأنتماء اتباع الديانة الايزيدية الى القومية الكوردية ووضع العراقيل أمام مسيرة الفيدرالية وأن ينعم الشعب الكوردي بحق تقرير المصير، تكشف هذه المحاضرة بأن الكوردولوجيا وعلم معرفة الايزيدية وجهان لعملة واحدة وبأعتراف العلماء وكبار المستشرقين أن الكلمات الثلاث فقط: - جلبى أو جَلبي أو جَلكو وداسن وشمسي/ الشمسانية- تعكس قدم وعراقة هذه الديانة والى انتمائها الى سلالات الشعب الكوردي القادمة من أعماق التأريخ ويعكس أمانة هذه المجموعة التي يطلق عليها اليوم الديانة الايزيدية في المحافظة على إرث آبائهم وأجدادهم.

* محاضرة الى المهرجان الثقافي لمركز لالش / دهوك الذي انعقد للفترة من ١٣-٢٠٠٦/٧/١٥

مفاتيح لفهم أوسع حول الديانة الايزيدية

محاضرة في كونفرانس الدراسات الكوردولوجية في جامعة أربيل للفترة من ٦-٩/٩/٢٠٠٦

أولاً:

لم تعد الديانة الايزيدية، كما كان في السابق، لغزاً أمام الكتاب والباحثين لا يمكن فكُه. فإذا كان المجتمع الايزيدي مغلقاً أمام الغرباء قبل عشرات السنين، اليوم لم يعد كذلك، توجه الايزيديون لدخول المدارس في العراق منذ خمسينات القرن الماضي، وزاد العدد بشكل واضح أعوام الستينات والسبعينات حيث بدأ ثلاثة أو أربعة ايزيديين[٥٦] من طلاب جامعة بغداد بداية السبعينات بكسر حواجز التحريم والخوف وباشروا بالكتابة عن الديانة الايزيدية ونشر بعض أسرارها في صحف كوردية وعربية ببغداد، وتوج ذلك النشاط الثقافي بصدور أول كتاب بإسم (ئيزدياتى/ لبەر روشنايا هندە ك تيكستيد ئاينى ئيزديان- الايزيدية في ضوء بعض نصوصها الدينية).[٥٧]

لقد شكل صدور الكتاب (الايزيدياتى) حينها تحدياً سياسياً ودينياً. التحدي السياسي كان لنظام البعث الذي سجّل الايزيدية عام ١٩٧٧ عرباً. وجاء صدور الكتاب بما تضمنه من نصوص دينية باللغة الكوردية تحدياً واضحاً لنهج النظام. أما التحدي الديني فكان ضد بعض الايزيديين المتزمتين من رجال الدين الذين كانوا يرفضون تدوين ونشر النصوص الدينية وإطلاع الأجانب على أسرار الايزيدية.

لقد شجع صدور الكتاب (الايزيدياتي) عدد آخر من الشباب الايزيدي أعوام الثمانينات على جمع النصوص الدينية والشروع بالكتابة عن الطقوس والعادات ونشره في الصحف والمجلات الكوردية مثل (جريدة هاوكاري ومجلات كاروان، روژى

(٥٦) الطلبة الجامعيين الأوائل الذين كتبوا عن النصوص الدينية الايزيدية في بغداد هم: المرحوم حيدر نزام و خدر سليمان و خليل جندي و ممو فرمان.

(٥٧) ئيزدياتى: لبه ر روشنايا هندە ك تيكستيت ئاينى ئيزديان، خدرى سليمان و خه ليلى جندى، جابخانا كورى زانيارى كورد، به غدا ,١٩٧٩

كوردستان، بيان، روزى نوى، مع نشر عدد من الكتب لاحقاً من بعض الكتاب الايزيديين الجدد.[٥٨]

جاءت إنتفاضة آذار عام ١٩٩١لشعب كوردستان ضد نظام البعث في العراق وتشكيل المنطقة الآمنة من قبل الأمم المتحدة، وتشكيل حكومة وبرلمان كوردستان عام ١٩٩٢، ليفتح صفحة جديدة لحقوق الديانات غير الاسلامية والقوميات غير الكوردية. فقد شجعت حكومة كوردستان على فتح مركز لالش الثقافي والاجتماعي في دهوك (١٩٩٣/٥/١٢) وكان هذا انجازاً ثقافياً وعلمياً متقدماً للايزيدية، فقد تمكن هذا المركز منذ تأسيسه ولحد اليوم من إصدار ٢٦ ستة وعشرون عدداً من مجلة لالش التي حملت في ثناياها النصوص الدينية الايزيدية، الى جانب مقالات وبحوث قيّمة عن تاريخ وطقوس وعادات الايزيدية. وأنشأ المركز أرشيفاً غنياً من المصادر والوثائق المصورة عن حياة الايزيدية. ولا ننسى أنه بعد تحرير العراق واسقاط نظام البعث يوم ٩/نيسان/٢٠٠٣، قام المثقفون الايزيديون في بقية مناطق الايزيدية المحررة (الشيخان، بعشيقة وبحزاني، شنكال، ختاره التابعة لقضاء تلكيف) بتشكيل مراكز ثقافية واصدار نشريات تخص جميع جوانب حياة الايزيدية.

إذا كان ما قيل عن نشاط ايزيدية العراق، فانه مقابل ذلك قام ايزيدية المهجر بالاخص في ألمانيا منذ بداية التسعينات، بتأسيس مراكز وجمعيات خاصة بهم، وأصدرالبعض من تلك المراكز مجلات وجرائد تخص شؤون الايزيدية الى جانب مقالات وأبحاث تتعلق بتاريخ وفلسفة هذه الديانة. الى جانب كل ما قيل يجب أن لا ننسى جهود وأعمال ايزيدية الاتحاد السوفيتي السابق في حفظ وتدوين العديد من نصوص وتراث الدين الايزيدي منذ نهاية أواخر عشرينات القرن العشرين على يد عرب شمو وقنات كوردو وحاجي جندي واورديخان وجليلي جليل وكثيرون غيرهم.

أثناء زيارته العلمية الى كوردستان العراق عام ١٩٩١-١٩٩٢ لدراسة الديانة الايزيدية، إنتبه البروفيسور فيليب كراينبروك الى أهمية كتاب (الايزيدياتي) لخدر سليمان و خليل جندي، الذي يحتوي على نصوص دينية ومواضيع أخرى، فألف فيما

(٥٨) من هؤلاء: عيدو بابا شيخ، عزالدين سليم، بدل فقير حجي. علماً أنه صدر كتاب (كونداياتى) للسيد خدر سليمان عام ,١٩٨٥

بعد عام ١٩٩٥ كتاباً تحت عنوان: YEZIDISM- IST BACKGROUND, OBSER-VANCES AND TEXTUAL TRADITIONضمّن كتابه ثمانية عشرة نصاً دينياً من كتاب (الايزيدياتي) مترجماً الى اللغة الانكليزية مع كتابة التعليقات عليهم.[٥٩]

إرتباطاً بالجانب العلمي وفي مجال حقل الايزيدياتي، أنه أثناء عملي المشترك مع البروفيسور كراينبروك/ رئيس القسم الايراني في جامعة كوتنكن (١٩٩٩– ٢٠٠٥) تم إنجاز عمل علمي كبير حول الديانة الايزيدية من خلال صدور كتابين، الأول كتاب لي باللغة الكوردية وبمجلدين تحت عنوان: (بەرن ز ئەدە بێ دینێ ئیزدیان= صفحات من الأدب الديني الايزيدي)[٦٠] تضمن حوالي مائة وخمسة وسبعون نصاً دينياً (قول– بيت– قصيدة– خزيموك– بايزوك– روبارين– دوعاء) إضافة الى مجموعة من القصص والاساطير. كما صدر بعد ذلك كتاب مشترك لكلانا (بروفيسور كراينبروك وأنا) باللغة الانكليزية عنوانه: God and Sheikh Adi are Perfect

Sacred Poems and Religious Narratives from the Yezidi Tradition[61]

تضمن هو الآخر (٥٤) أربعة وخمسين نصاً من نصوص الديانة. من الضروري أن نذكر أنه صدر في هذه الفترة كتابين من قبل كاتبين ايزيديين.[٦٢]

إذن بهذا العرض السريع يمكن القول أن المستشرقين والبحاثة الذين كانوا يقطعون في السابق آلاف الكيلومترات الى الايزيدية للحصول على نص ديني أو دعاء أو الإطلاع عن قرب على طقس ديني أو معلومة صغيرة ليبنوا عليه دراساتهم، لم تعد الأبواب موصدة في وجوههم، ولم تبق أسرار الديانة مخزونة أو خافية في صدور رجال

(59) Prof. .Philip G. Kreyenbroek, YEZIDISM- IST BACKGROUND, OBSERVANCES AND TEXTUAL TRADITION, The Edwin Mellen Press Lewiston/ Queenston/ Lampeter 1995.

(٦٠) د. خليل جندي، به رن ز ئه ده بی دینی ئیزدیان، به ركی یه ك و دوو، جابخانا سبیریز\ دهوك ٢٠٠٤,

(61) Philip G. Kreyenbroek- Khalil Jindy Rashow, God and Sheikh Adi are Perfect Sacred Poems and Religious Narratives from the Yezidi Tradition, Harraussowitz Verlag 2005.

(٦٢) بدل فقير حجي كتاب (باوری و میثولوجیا ئیزدیان= اعتقاد وميثولوجيا الايزيدية)، مطبعة هاوار– دهوك، ٢٠٠٢، وعزالدين سليم كتاب بإسم (مه ركه) باللغة العربية، مطبعة خبات– كوردستان, ٢٠٠٣

الدين فقط، وانما أصبح حوالي ٧٠٪ من الأدب الشفاهي الديني الايزيدي مدوناً وفي متناول اليد. ويعتبر هذا مفتاحاً هاماً يفتح آفاقاً في حقل الدراسات الكوردولوجية ويسهل مهمة الباحثين في ميدان الايزيدياتي. يحتضن هذا الأدب الديني بين ثناياه العديد من الرموز والإشارات والمصطلحات والأفكار، بحيث يمكن من خلال تحليله التعرف على جوانب مهمة من تاريخ وفلسفة وماهية هذه الديانة الكوردية العريقة، هذا إذا علمنا أن تأريخ الأديان والشعوب ليس ماهو مدون في بطون الكتب فقط، وإنما يمكن التعرف عليه من خلال ما يملكه ذلك الدين، أو تلك المجموعة البشرية من تراث وعادات وطقوس وفلكلور لم يجر دراسته وتحليله بعد.

ثانياً: الايزيدية ديانة قديمة لم تخرج من رحم دين آخر!

يكتب التاريخ في أغلبه لصالح الأطراف القوية، سواء كان ذلك الطرف ديناً أم قومية أم طبقة مستغلة (بكسر الغاء). من هذا المنظور فقد تم الحاق غبن وتشويه كبيرين بالديانة الايزيدية حينما اعتبرها معظم الكتاب العرب وبعض الكورد المسلمين وعدد من المستشرقين خارجة من رحم الدين الاسلامي، وما الايزيديون إلاّ فرقة اسلامية ضلّت الطريق[٦٣]. كما اعتبرها البعض متأثرة بالمسيحية واليهودية أو الزرادشتية.[٦٤] لا ينكر وجود تأثيرات إسلامية أو مشابهات بين الايزيدية وبين الديانات المذكورة أعلاه ومع معتقدات أقدم منها، وهذا شئ طبيعي ينتج من خلال علاقات الجيرة والاحتكاك والهجرات وحركة الشعوب والغزوات، لكن كل هذه التأثيرات والمقاربات بين الأديان بحاجة الى دراسة وتحليل علميين قبل ان تطلق أحكاماً مسبقة لتبعية هذا الدين الى دين آخر.

من أجل التأكيد على قدم الديانة الايزيدية أود أن اذكر ثلاث دلالات، أو من خلال ثلاث مصطلحات كانت الأديان الأخرى تطلقها– وما زالوا– على الايزيديين، وهي:

(٦٣) انظر على سبيل المثال كل من عبدالرزاق الحسني، صديق الدملوجي، سعيد الديوه جي، هاشم البنا، أحمد تيمور، محمد عبدالحميد حمد، عباس العزاوي، ومن الكورد آزاد سعيد سمو، حمدي عبدالمجيد السلفي وتحسين ابراهيم الدوسكي، ومن المستشرقين روجيه ليسكوت على سبيل المثال.

(64) R. H. Empson, The Cult of Peacock Angel, London 1928, p.30

{داسني – جلكو – شمسي أو شمساني}. فما زال المسيحيون في العراق يطلقون على الايزيديين دسنايا– دسنايي Disnaya- Disnaye بلغتهم القومية الكلدانية والسريانية. أما مسيحيو تركيا فيطلقون عليهم جلكو Chalko، حتى أن الكورد المسلمون في العراق كانوا يطلقون كلمة (داسني) على الايزيديين. السؤال: ماهو منبع هذه المصطلحات ومدلولاتها ولماذا تطلق على الايزيدية؟

هنا من الضروري الرجوع وبشكل مختصر الى آراء بعض العلماء والمستشرقين ونبدأ بآراء البروفيسور مار حول تحليل كلمة (جلب– جلبي– جه لكو) التي يأخذها منطلقاً لنظريته الجديدة ويؤكد على عراقة الدين الايزيدي وكونه جزء من الشعب الكوردي الأكثر عراقة، عندما يقول: " ظهر استخدام كلمة (جلبى) بداية القرن ١٤ عند الاتراك السلجوقيين ,وهم أخذوا بدورهم من الكورد. وأخذ الكورد من جانبهم من اللغة الآرامية (تسليم – تسلما) الذي يأتي بمفهوم (الصورة أو التمثال).

جلب جلبى – جه لكو = الله، أصل وجذر الكلمة من اللغة الجافيتية(يافثي) الجنوبية. ومن بعض معاني ومفاهيم كلمة (الجلبى) الإله – الرب – صاحب الجاه – الكريم – صاحب العائلة – النبيل السيد – قوال – شاعر – مثقف – مربي – شريف – مؤدب – أنيق – السيد الصغير.

ويقول مار: دون أن نلجأ الى أي دليل، يظهر لنا من خلال كلمة (جلبي) آثار وبقايا قسم خطير من تاريخ شعب أنتج مثل هذه الكلمة.

ويضيف: تتكون الجافيتية من (الخالتية – المانية – العيلامية – الأرمن والكورج) وترتبط كل هذه العشائر بآسيا الصغرى ولا نستطيع القول أنهم من الهندو – أوربيين أو الساميين.

بعد دراسة وبحث (مار) على أصل (جلبي) كشعب كوردي يأتي ويقول: " إن التراث الديني الكوردي من الناحية التأريخية أقدم من الأسلام. ويضيف " بعد الانتصارات التي حققها المسيحية والاسلام، رغم إنها لم تكن انتصارات مطلقة وكاملة على المعتقدات القديمة في آسيا يبدو أن مقابل تلك الانتصارات لم تتنازل وتركع الديانة الخاصة بالشعب الكوردي، ولم تعترف بالهزيمة، وبدأ دين الكورد بضرب الأديان الجديدة المسيطرة عليهم (المسيحية والاسلام) من الداخل وذلك من خلال إثارة الحركات الاجتماعية والالحادية، مثلاً (حركة أبناء الشمس) والحركة الصوفية التي لا

تتبع السنة كحسين الحلاج وشيخ عبد القادر الكيلاني وشمس الدين التبريزي... الخ."

حسب أبحاث (مار) فإن الايزيدية كانت دين الكورد الخاص قبل الاسلام إذ كانوا يؤمنون بها، فيقول: "مما لا شكّ فيه أن ايزيدية اليوم هم احدى المعتقدات الشعبية لبعض الناس ذات خصوصية، فهم قريبون من المانوية والصابئة المندائيين من ناحية ويقتربون من المعتقدات المتنوعة التي ظهرت في أرمينيا وجورجيا فيما بعد من ناحية اخرى."[٦٥] ويجمل مار نظريته في عدة أسطر حيث يقول (تحتضن كلمة جلبى = ايزيدي بين طياتها تاريخ الشعب الكوردي، إلا أنه بسبب عدم وجود مصادر مكتوبة في متناول أيدينا، نضطر أن نلجأ لتحليل هذا التأريخ الى اعادة اكتشاف أحجار منقوشة، أو الى اسلوب التحري والتنقيب عن الآثار القديمة كون تلك الاشياء تعكس بقايا العصور الغابرة على الظواهر الشعبية المرتبطة باللغة والدين القديم وهو انعكاس للظواهر التي نراها خالدة اليوم.[٦٦]

داسن– داسني:

لعل أفضل ما قرأته حول هذه الكلمة وهذا المصطلح هو ما كتبه العلامة توفيق وهبي باللغة الكوردية تحت عنوان (دينى كونى كورد = دين الكورد القديم) نشر في مجلة (كلاويز = الشعرى) عام (١٩٤١–١٩٤٢)[٦٧] ونشر نفس المقال عن الايزيدية باللغة الانكليزية تحت عنوان: Yazidees are the remmants of Mithrism, London 1965 لذا أرتأيت أن أنقل بعض الفقرات منه: لقد اعتبر زردشت (دئيفه Deva) في كتابه المقدس (آفيستا) شيطاناً وصدّ الناس عن عبادته، وفي البهلوية اتخذت " دئيفه" شكل (ديف Dev) وهي التي تلفظ اليوم (ديو) ويعني بها الجن. وللعلم كان مقدم معبودي الهندو–اوربيين (الديفات) يسمى (دي يوس السماء)، فكان إله السماء هذا فاعل خير.

(٦٥) باسيلي نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم لويس ماسينيون ، ترجمة الدكتور نوري طالباني، دار الساقي، ي2، ٢٠٠١، و٣٦٢–٣٦٣

(٦٦) نفس المصدر السابق، ص ٣١٨

(٦٧) انظر كراس: أثران تاريخيان عن الكرد، قام بتحقيق الأول وتعريب الثاني محمد جميل الروژبياني، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ١٩٩٥، ص٦٥ وما بعده ، وكذلك كتاب: الآثار الكاملة لتوفيق وهبي بك، إعداد: رفيق صالح، الجزء الأول، مطبعة شفان/ السليمانية ٢٠٠٦، ص ٣٩ وما بعده.

ولفظة (دي يوس) هذه ناشئة من لفظة (ديف) المصدرية، وبهذا فان (دياوس بيتر Diy-vuh pitar) المعبود الهندي الحالي و (زيوس باتير Zeus piter) اليوناني و (جوبيتر Ju-piter) الروماني و (تاووس) الايزيدي، كلها (الاب ديوس) أي الأب السماء بعينه.

وكانت الالهة في الديانة الهندوايرانية القديمة ينقسمون على النسق التالي:

١- الاله الاكبر الفاعل للخير هو (دياووس بيتر- ربّ السماء = إله السماء؛

٢- الديفات (أي قوى الطبيعة المصورة في صور مادية محسوسة) هي نوعين: قوى خيّرة وقوى شريرة، علماً بأن المعيار لمعرفة القوتين وتمييزهما عن بعضهما البعض هي الظواهرالطبيعية المنسوبة اليهما.." . وكان للاله عند الهندوايرانيين اسم آخر يطلق عليه (آهورا -آسورا) وهو الكائن العظيم، دياووس، ميثرا، إله الشمس. وكان إله النار من جملة الآهورات أي الآلهة العظام. كما كان هؤلاء القوم يعبدون أرواح آبائهم وأجدادهم ويقدسون أرواح موتاهم، إلاّ أنه بمجئ زردشت ونشر فلسفته تمسك ب (الاله اهورامزدا) وألغى الالهة الاخرى من الـ(ديفات)، كما ألغى عبادة أرواح الموتى. و (ديئفه) الذي كان فيما سبق إلاهاً أصبح في نظر أتباع الديانة الزرادشتية (شيطاناً). الى جانب كل ذلك حرمت الديانة الزرادشتية الرسوم والتصوير لاي تمثال سواء مثل ذلك الروح الخير او الشرير. وحرمت التضحة بالحيوان قرباناً مع تحريم شرب الخمور والصيام. ولقد أطلق زرداشت على اولئك الذين لم يتبعوا تعاليم دينه اسم (دئيفه يسنه) أي عبدة الجن، علماً ان هذا الاسم لم يكن له مفهوم قبيح لدى عبدة (ديو) أنفسهم.[٦٨] حيث بقيت جماعات كبيرة محتفظة بعقائدها القديمة في تقديس ظواهر الطبيعة. بناءً على ما تقدم وحسب العلامة توفيق وهبي، والعالم مسعود محمد من بعده، فان كلمة (داسني) الذي يطلق على الايزيدية ماهي الا تحوير لكلمة (دیئفه يسنه) الذي أطلقه زرادشت على الذين لم يتبعوا ديانته. إذا صحت هذه الاستنتاجات سيكون بالإمكان القول ببساطة أن الديانة الايزيدية ليست فرقة اسلامية ضالة، بل ديانة هندوايرانية أو (هندواوربية) قديمة تسبق الزرادشتية.

٣- بقايا آثار عبادات الديانات الهندوايرانية القديمة في الديانة الايزيدية

(٦٨) راجع نفس المصدر السابق: الآثار الكاملة، ص ٤٠-٤٣

الى جانب عبادة الايزيديين للإله الأوحد الذي يسمى في لهجتهم الكوردية (خودا-خودى أو ايزي ويزدانى باك) فانهم يقدسون الملائكة ورئيسهم (تاؤوس ملك = تحوير دياووس اله السماء أو الأب السماء وربما تموز)، وكذلك الشمس والقمر (إلاهي الشمس والقمر) والعديد من ظواهر الطبيعة الأخرى كالمطر والهواء والنار...الخ. كما أنهم ينظرون بعين الاحترام والتقديس الى أرواح الأجداد الأوائل (ظاهرة الخودان والاوجاغ). أما أعياد الايزيدية والطقوس المرتبطة بها وبدورة الحياة وحركة فصول السنة، وحركة الشمس والقمر والتغييرات المناخية وتأثيراتها على العملية الزراعية.[٦٩] فهي إحدى أبرز خصوصيات هذه الديانة. كما يفترض أن تؤخذ ظاهرة وجود التراتبية والوظائف الدينية في الايزيدية بنظر الاعتبار عند دراسة خصوصية هذه الديانة.

٤- ميدانياً وعلى أرض الواقع:

هل هي صدفة أن يعيش الايزيديون والكوران Goran والشبك والسارلية وقبائل(شيخا ن به كى) والكاكائية والعلويين (الزازاكيين/ الدوملية) على حدود واحدة، أو في خط متصل مع البعض؟ حيث يمتد هذا الخط من قضاء الشيخان وعقرة ويمرّ بناحية بعشيقة وبحزاني وقرى السارلية قبل آسكي كلك الى ان يصل الى الكاكائيين في أربيل وكركوك ومن هنالك يصل الى منطقة كارمانشاه حيث الغالبية العلي اللهية. علماً يسكن مجموعة من قرى الكوران الذين يدينون بمذهب أهل الحق شرق مناطق الايزيدية شمال جبل مقلوب/ قضاء الشيخان وناحية بردرش التابعة لقضاء عقرة والى جنوب جبل مقلوب، شمال مدينة الموصل يشارك الايزيديون والشبك والسارلية الأرض والجيرة وبعض الطقوس والعادات المشتركة. وفي كوردستان تركيا يعيش الايزيديون والزازائيون في أكثر من منطقة وخاصة في ولاية ديار بكر ومناطق ديرسيم ومرعش الى أن تصل مناطق اورميه والشكاك الذين كانوا على الدين الايزيدي زمن الشيخ آدي ولعقود بعده حسب مخطوطة قديمة.[٧٠]

(٦٩) للمزيد حول هذا الموضوع بالامكان مراجعة كتابي: نحو معرفة حقيقة الديانة الايزيدية ، مطبعة رابوون، السويد ١٩٩٨، ص ٧٩-١١٥

(٧٠) انظر كتاب: خدرى سليمان و سعدالله شيخانى، شيخان و شيخا به كى، مطبعة الفنون، بغداد ١٩٨٨، منشور خطيب بسي.

هذا التواجد والتواصل بين الأديان والمذاهب والعقائد الكوردية غير المسلمة في كوردستان، يضع مهمة جدية وكبيرة أمام الكوردولوجيين أن يتوقفوا عند هذه الظاهرة ليتوصلوا في دراساتهم الى نقطة إلتقاء هذه الاديان والمذاهب، وماهو الدين الأولي الذي كانوا ينهلون منه أفكارهم، ومتى تم الابتعاد عن المركز الأم؟

* كوتنكن/ المانيا في ٢٢/ آب/٢٠٠٦

الايزيديون في المهجر

صراع ثقافات ومستقبل مجهول!

محاضرة القي في الكونفرانس العلمي:

Yezidism in Transition Communities at Home and in the Diaspora

12-15/April/2007

هجرة الأيزيديين إلى أوروبا:

بدأت هجرة الأيزيديين من تركيا منذ منتصف الستينات طبقاً للاتفاقيات الموقعة بين الحكومتين الألمانية والتركية وحاجة الأولى إلى الأيدي العاملة، حيث بدأ حينها قدوم وجبات من العمال الأيزيديين واستقروا في ألمانيا.[٧١] وزادت هذه الهجرة بعد عام ١٩٨٤م عندما بدأ الكفاح المسلح الكردي في كردستان ضد النظام التركي، خرجت الهجرة الأيزيدية من نطاق البحث عن العمل والمعيشة لتتحول إلى هجرة شبه منظمة تحت ظروف ازدياد الاضطهاد الديني- القومي السياسي، وتوجهت تلك الأعداد الغفيرة طلباً للجوء السياسي والإنساني. وبناءً على الزيارة الأولى التي قام بها كل من البروفيسور فيزنر والدكتور شنور، وزير داخلية نورتهايم فيسفاليكا وتبعها زيارة وفد ثاني إلى كردستان تركيا وقدموا بعد ذلك تقريراً حول وضع الأيزيدية هنالك، تم بموجبه قبولهم في ألمانيا كأقلية دينية مضطهدة في تركيا.[٧٢] وما زال مفعول ذلك القرار سارياً بالنسبة إليهم (الأيزيدية). ولم يبق اليوم من مجموع ثلاثون ألف ايزيدي كانوا يسكنون تركيا غير خمسمائة شخص[٧٣] حيث يتواجد غالبية المهاجرين اليوم في ألمانيا وبقية دول أوربا.

---

(٧١) كانت عائلة قرتال (أمين وأخوه عبدالله) من قرية شمزي بولاية ديار بكر أول ايزيديين يأتون كعمال الى ألمانيا.

(٧٢) تألف الوفد الثاني من: السيدة كيزلا بريس والسيدان فيرنر بريس وأليكساندر شتاينبيرك قدموا تقريراً مؤرخاً في شهر أيلول ,١٩٨٩

(٧٣) انظر لقاء الصحفي خدر الدوملي مع الباحث التركي (أحمد تاشقين) أثناء زيارته الى كوردستان العراق، جريدة أصداء الألكترونية ليوم ٢٠٠٦/١١/٢٨

أما هجرة أيزيدية العراق، سوريا، أرمينيا وجورجيا فقد بدأت مع بداية التسعينات. ففي العراق شكلت حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١) نقطة التحول. أما من أرمينيا وجورجيا فبدأ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والتغييرات الجارية في الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ومن سوريا، إضافة إلى سوء الوضع الاقتصادي، لم يعترف بهم كدين ولا كقومية وينظر إلى غالبيتهم كأجانب.

بالرغم من عدم وجود إحصاء رسمي ودقيق، إلا إن التقديرات تشير إلى وجود ما يناهز ال (٥٥) خمس وخمسون ألف أيزيدي من جميع البلدان المذكورة في ألمانيا. كما يتواجدون في دول أوربية عدة ولكن بأعداد أقل إلى ألمانيا، ومن بين هذه الدول: بلجيكا، هولندا، الدانمارك، السويد، النرويج، النمسا، بريطانيا، إضافة إلى أمريكا وكندا وأستراليا.

الخلفية الاجتماعية والثقافية للايزيديين:

تقوم البنية الاجتماعية للايزيديين على أسس قبلية- عشائرية- دينية (شيخ- بير- مريد)، وترجع الغالبية الساحقة من الجالية المتواجدة في أوربا، سواء الذين قدموا كأيدي عاملة من كوردستان تركيا الى المانيا أو الذين هاجروا بعد ذلك بسبب الظروف السياسية والاقتصادية من كوردستان تركيا والعراق وسوريا وأرمينيا وجورجيا، ترجع الى اصول قروية فلاحية ورعوية، مع مجموعة لا بأس بها من أصحاب الشهادات خريجي الجامعات والمعاهد والثانويات، ومجاميع أخرى من أصحاب المهن الحرة والخدمية، بمعنى غلبة ظاهرة الأمية والجهل والفقر وسيطرة الأفكار الأبوية (البطرياركية) وعبادة روح الأجداد ال (خودان)، الى جانب سيطرة الأفكارالدينية الغيبية وتعلق الايزيديين بالماضي وتمجيد روح الأولياء (خودان- الأشخاص) أكثر من ايمانهم بالمجردات وبالكتب والنصوص المقدسة أي وقوع الأحياء تحت تأثير الأموات والحنين الى الماضي وعبادة القبور وتآليه البشر والتأسيس على الأطلال المندثرة (أعتقد كان ذلك أحد أسباب تماسك واستمرارية الديانة الايزيدية داخل الوطن)

بعض الحواجز السايكولوجية:

بعد بدء الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لنشر الدعوة الاسلامية، خاصة ضمن حدود الدولة الساسانية والأخمينة وفي

ميزوبوتاميا وبلاد الشام، تم التعامل مع أتباع الديانات الكتابية (اليهود-المسيحيين- الزردشتيين والصابئة المندائيين) كأهل ذمة بامكانهم البقاء على معتقدهم مقابل دفع الجزية، أما أتباع الديانات غير الكتابية من عبدة الظواهر الطبيعة والشمس- منها الايزيدية وان كان باسماء أخرى- فقد اعتبرها الاسلام (كافرة) ليست أمامها إلاّ الاستسلام وقبول الاسلام أو إبادتها! وحينها قبل الكثير من الكورد الدين الاسلامي عنوة أم طوعاً ، أما الذين رفضوا الدين الجديد ولم يعتنقوه، اختفوا في الجبال والمناطق العاصية وتحولوا الى ديانات مغلقة. وتبنى الكوردي الذي اعتنق الاسلام هو الآخر فكرة الفاتح ضد أخيه وأخته في الدم والقومية وصار يشارك جيش الغازي في إضطهاد بني جلدته المختلف معه في الدين، وقد دعمت وشجعت الانظمة اللاحقة في كل من تركيا وسوريا والعراق الخلافات الدينية والمذهبية بين مختلف الاقوام، وشجعت هذه الانظمة في نفس الوقت الأغوات الكورد والاسلاميين المتعصبين ضد الايزيديين ومارسوا بحقهم مختلف الاساليب اللاانسانية، والاستيلاء على ممتلكاتهم وأراضيهم وسبي نسائهم...الخ، خلق هذا الوضع حاجزاً نفسياً بين الايزيديين والاسلام بشكل عام، وبين الكورد الايزيديين والكورد المسلمين بشكل خاص، وتراكمت لدى الأجيال القديمة من الايزيديين شعور اللامبالاة تجاه قوميتها الكوردية، وصار كلمة (الكورد) تعادل كلمة (مسلم) لدى هؤلاء الايزيديين.

أزمات الايزيديين في المهجر:

يلاقي الايزيدي كغيره من الشرقيين العديد من الأزمات، إلاّ أننا نركّز على أزمتين رئيسيتين، أولهما: أزمة الانتماء القومي،

وثانيهما: الأزمة الدينية.

وفيما تخص الأزمة القومية، حينما انتقل الجيل القديم الى ألمانيا وبقية الدول الاوربية، نقل معه آثار الاضطهادات والمآسي والانطباعات السيئة عن الكورد المسلمين المتعصبين (أبناء القومية الواحدة) داخل الوطن الى أطفالهم من الجيل الجديد، مما خلق أزمة هوية لمجاميع من الجيل الجديد في المانيا متمثلة في أزمة (الضياع القومية) والموقف اللامبالي من الانتماء القومي ومن القضية الكوردية وحركته التحررية بشكل عام.

تعتبر الأثنية (الانتماء القومي) الى المجاميع الصغيرة المهاجرة حافظة للتراث الروحي الديني والقيم الانسانية والطموحات الوطنية، وفيما تخص الايزيدية توجد أماكن عباداتهم المقدسة على أرض كوردستان، ويرتبط تاريخهم الروحي والانساني بتلك الأرض. بدون هذا الانتماء يشعر الفرد كأنه تائه وغصن مقطوع من شجرة لا يعرف أصله!.

وكما يقول كوردي ايزيدي في مقال منشور له، أن الحكومة الالمانية مقصرة من الجانب التربوي تجاه الجالية الكوردية، وان سياستها الداخلية تجاه الكورد وبضمنهم الايزيديون هي انعكاس لمصالحها الاقتصادية والاستراتيجية مع الدول المحتلة لكوردستان. فاسوة بباقي الجاليات الاجنبية مثلا، لا تسمح الحكومة الالمانية ببث برامج إذاعية أو تلفزيونية باللغة الكوردية، مع عدم وجود معهد أو قسم خاص بالدراسات الكوردية في الجامعات والمعاهد الالمانية...ومن النادر وجود روضة اطفال خاصة بالأطفال الكورد...ولا يتم تعليم التلاميذ الكورد بلغتهم.إضافة الى عدم وجود مترجمين رسميين في اغلب الدوائرالرسمية ذات العلاقة بشؤون الأجانب...الخ.(٧٤) يضاف الى ذلك أن الدوائر الالمانية المختصة تتبنى نفس مواقف الدولة التركية ولا تقوم بتسجيل المواليد الكورد المولودين في ألمانيا بأسماء كوردية!

بما أن اللغة هي ناقلة مهمة جداً لتراث وتاريخ وآداب أمة من جيل الى جيل، فان ضياع الطفل والشاب الايزيدي للغة الأم الكوردية، إضافة الى الأساليب التي أشرنا اليها أعلاه، تؤثر بشكل سلبي حتماً على نشر الثقافة والتراث الكورديين ويؤديان بدورهما الى اغتراب الجيل الجديد من الايزيديين من تاريخ وتراث أجداده بشكل خاص والشعب الكوردستاني بشكل عام، وبالتالي تعميق أزمة التعارف الشخصي للجيل الجديد للايزيديين فيما بينهم ومع المحيط الخارجي من أبناء قوميته الكوردية.

أما الأزمة الثانية التي يواجهه الجيل الجديد من الايزيديين في المهجر (المانيا على سبيل المثال) هي ما يمكن أن نطلق عليها (الأزمة الدينية)، إلاّ أننا يجب أن نعترف ان الدساتير الاوربية والدستور الالماني لا يميز بين الاديان والمذاهب، بل يصون ويحترم

(٧٤) د. درويش شرو؛ أزمة الهوية الشخصية للجيل الناشيئ للايزيديين القاطنين في المانيا الغربية، مجلة لالش، العدد ٢-٣ لسنة ١٩٩٤ دهوك، ص١٧٥

حرية الاديان والمعتقدات. وأن أسباب الأزمة قسم منها مزمنة ترجع بجذورها الى المجتمع الديني الايزيدي وأنظمة الحكم داخل الوطن، والقسم منها حديثة برزت بموازاة الثقافة الغربية، وأحاول حصر أسباب هذه الأزمة في النقاط الاساسية التالية:

- الفرق الكبير بين مناهج التعليم في موطن الايزيديين الأصلي (تركيا، العراق وسوريا) حيث التوجه الاسلامي والقومي، وبين مناهج التعليم الغربية العلمانية، وهذا ما يؤدي الى اغتراب الطالب/الطالبة من ثقافته ودينه وذوبانه في ثقافة المجتمع الغربي الذي يعيش فيه.

- كان الطالب الايزيدي، وما زال يحضرفي كل من سوريا وتركيا دروس مادة الدين الاسلامي، أما في المدارس العراقية القسم العربي، فأن الطلبة الايزيديون كانوا في زمن النظام السابق وما قبله يخرجون من الصف. وفي ألمانيا يخيّر الطالب الايزيدي وغيره في حضور مادة الدين أو عدم حضورها. في جميع الحالات يشعر الطالب بالنقص ووجود نوع من الخلل، لا بل وجود نوع من الاهانة وهذا ما يؤثر على سلوكه العام واللاشعوري.

- يطبق على الايزيدي في الوطن (تركيا، العراق وسوريا) أصول المحاكم الشرعية الاسلامية في قضايا الاحوال الشخصية من عقد الزواج والطلاق والميراث، ولا يعترف بشهاداته أمام المحاكم كونه من اتباع ديانة غير كتابية وبالتالي فهو (كافر). أما في الغرب (المانيا مثلاً) يخضع الايزيدي الى قوانين تلك الدول، وبإمكانه تمشية معاملات عقد الزواج في الكنائس حسب اصول الدين المسيحي.

- ضعف القيادة الدينية والدنيوية للايزيديين وانشغالهم بأمورهم الخاصة أكثر من اهتمامهم بمتابعة شؤون الايزيديين وحل مشاكلهم. لذا فأن حقوق الايزيديين مهضومة في الداخل والخارج.

- عدم وجود كتاب ديني مقدس مطبوع ومعتمد لجميع الايزيديين، مما يخلق بلبلة وتشويش في المعارف والاصول الدينية. وهذا يقود بالنتيجة الى عدم وجود خطاب ديني موحد، لا في الوطن ولا في المهجر.

- الفهم الخاطئ للهوية الدينية نفسها وكأنها تعتبر فقط التعلق بالماضي والايمان بالغيبيات..الخ.

– تكمن مشكلة الجيل الجديد في المهجر، كونه إما أنه لا يعرف شيئاً عن دينه، أو إن عرف بعض الشئ عنه، فأنه ليس متأكداً من معلوماته. ان هذا يخلق لديه (الشّك) ونوع من الصراع النفسي الداخلي، ويجعله قلقاً ومضطرباً.

– اذا كانت تجمعات الايزيديين في القرى عاملا من عوامل بقائهم ومحافظتهم على تراثهم وطقوسهم وعاداتهم، فان انتشارهم في مدن وقصبات وقرى دول المهجر، هو اضعاف لأسس الكيان الديني والاجتماعي والقومي.

– انشغال الوالدين بالعمل وترك الاطفال ساعات لوحدهم، يبعد الأطفال والوالدين على حد سواء عن الكثير من العادات والطقوس والتعاليم الدينية.

– بما أن الايزيديون ليست لديهم شروط، كما هو حال الاسلام في لبس الحجاب مثلاً، وليست لديهم خلفية دينية وكتاب مقدس يعتمدون عليه، فان الطلاب والطالبات الايزيديات عند مشاركتهم دروس الديانة المسيحية في المدارس، يتطبعون حسب التربية الجديدة (المسيحية) ويغتربون عن أصلهم.

صراع الثقافات

حمل الايزيدي معه الى المهجر القيم الشرقية التي لا تنسجم مع القيم والقوانين الغربية الوضعية التي تفصل الدين عن الدولة. نذكر على سبيل المثال قضية القتل والثأر، والموقف من مفهوم الشرف والجنس، وزواج البنات والبنين دون رغبتهم، وأخذ مهر (مبالغ نقدية) عالي مقابل زواج البنات، التمايز بين الجنسين وتعدد الزوجات، تقييد الحريات على الأطفال والشباب من قبل الوالدين والمجتمع، ومحاولة فرض سلوكيات النظام الأبوي/البطرياركي في دولة الحريات والقوانين، سيطرة نزعة التسلط وظاهرة الحقد والكراهية والشكّ من الآخر والنفاق...الخ. ويمكن القول أن الانسان الشرقي (والايزيدي بشكل خاص) الذي ينتقل من الوطن الى الدول الغربية، كمن ينتقل من ظلام دامس الى نور البلاجكتورات! إلاّ أن هذا النور (قاتل) في نهاية المطاف لكبرياء وكرامة الانسان الشرقي شاء أم أبى!!.

ان وضع الايزيدية كديانة مغلقة وغير تبشيرية تعتمد على الزواج الداخلي فيما بينها، تعتبر أكثر صعوبة، ولا يتم محاسبة الايزيدي التقليدي في المهجر الذي كان يرفض مثلاً أكل الخس ولحم الخنزير، ولا يلبس اللون الأزرق، ولا يحلق شواربه، ولا

يلبس الطوق (توك– الزيق)، ويتبول واقفاً...الخ. على خروقاته تلك ويجري التغاضي عن جميعها، إلاّ أنه أصبحنا أمام اتخاذ مواقف تجاه قضايا تمس أركان الديانة الايزيدية، وهل يجري التعامل معها كما كان الآباء والأجداد (الجيل القديم) متلزمين بها، أم ينبغي ايجاد مخرج لتلك العقد؟...مثلاً ماهو الموقف مما يحدث من زواج الايزيديين (كلا الجنسين) من خارج معتنقي ديانتهم؟

أريد أن أذكر فقط بعض الحالات المؤكدة الجارية للايزيديين– دون ذكر أسمائهم– في ألمانيا:

١– رأيت بأم عيني في احدى الأعراس بالقرب من مدينة بيلفيلد ايزيدياً من كوردستان تركيا مع زوجته الالمانية وطفلهم (طفلتهم) تحملها أم الولد الايزيدية وبقية أقاربهم، دون اثارة شئ يثير الانتباه أو الرفض والاستنكار.

٢– زواج بنت ايزيدية من تركيا سرّاً من غير ايزيدي وانجاب طفل منه. لا أعتقد أن أهلها لا علم لديهم بذلك!. وزواج بنت ايزيدية أخرى من تركيا (سكنة نورتهايم) مع ألماني، وفتاة ايزيدية تالية من سوريا مع عربي مسلم من الجزائر، وبقاء أيزيدية من سكنة هانوفر لعدة أشهر مع أجنبي والرجوع بعد ذلك الى أهلها!!

٣– زواج شابين ايزيديين من نيدرساكسن العام الماضي وبشكل رسمي مع بعضهما (زواج مثلي)، وكلاهما يعيشان في المانيا!!

٤– فتاة ايزيدية من تركيا تركت أهلها وهي تعيش مع فتاة أخرى (زواج مثلى)!!.

٥– شابان أيزيديان من كوردستان العراق متزوجان بشكل علني من المانية وروسية، أحدهم لديه طفلة، ولدى كلاهما وزوجاتهم اتصالات مع ذويهم، الشابين واقرباؤهم يتباهون بهذه العلاقة!!

٦– قتل رجل ايزيدي من العراق قبل سنوات وآخر من سوريا العام الماضي في مدينة بيلفيلد زوجتيهما، كونهن لا يرضخن لهما كما كان في الوطن!!.

٧– تقديم إمرأة ايزيدية شكوى ضد زوجها في المانيا، بدعوى أنه اغتصبها، وحكمت المحكمة عليه بالحبس لمدة ثلاث سنوات مع غرمة مالية كبيرة!!. كما حكمت محكمة ألمانية بالسجن لمدة أربع سنوات ونصف على ايزيدي من سوريا يحمل الجنسية الالمانية بشكوى من زوجته عن اغتصابها !

٨- انتحار أم ايزيدية من قرية قرب مدينة سللى بسبب عدم اصغاء ولدها لها، واعتقادها أن مشاكله سوف تشوه من سمعة العائلة!!. وحالة انتحار رجل ايزيدي من سللى نهاية عام ٢٠٠٦ بسبب تصرفات ابنه المخالفة للتقاليد العشائرية والدينية!.

٩- سمعت من شباب كثيرين أنه تم فتح (غرفة تعارف الكترونية Chat) للشبيبة الايزيديين من كلا الجنسين باسم ((Studienten Forumللتعارف، ويدخل شاب مسلم ويدعي أنه ايزيدي ويحدد موعداً مع البنت الايزيدية، ويصبحون أصدقاء وربما يتزوجون مع بعضهما، ويكتشف أمرهما فيما بعد!. كما أن هنالك مجموعة من الشبيبة الايزيدية أطلقت على نفسها (Govand Party) أو ,,الديسكو الايزيدي،، تقوم بتنظيم حفلات للشباب والشابات الايزيديين!!.

ان من أكبر الأزمات التي تظهر في المهجر هو التفاوت الكبير بين تربية الجيل القديم الشرقية العشائرية الدينية المتزمتة، وبين ما يواجهه ويتعلمه الجيل الجديد في دول المهجر. فالجيل القديم يريد أن ينقل، بل أن يفرض على الجيل الجديد قيم البداوة والعشائرية والدين، ويضع أمامه مجموعة كبيرة من المحرمات دون تقديم اسباب مقنعة لتحريمها، بحيث تصبح سفرة الولد او البنت مع صديقاتها لسفرة مدرسية، أو الذهاب للسباحة أو كازينو...الخ من المحظورات!. إن هذه الممارسات تترك تأثيراً سلبياً على سايكولوجية الجيل الجديد وتخلق لديه مشاكل اجتماعية وحتى أمراض نفسية، لأن الشبيبة لا يستطيعون التوفيق لرغبات والديهما، وبين رغباتهم ضمن ظروف المجتمع الغربي المنفتح، فلن يبق أمام الجيل الجديد إلاّ التمرّد على جميع قيم آبائه وأجداده!. وبالمقابل تظهر وتنتشر أمراض نفسية وجلطات قلبية ودماغية للكثير من الوالدين عندما يفقدون سيطرتهم الابوية ويشعرون أنهم أصبحوا أناس غير مرغوبين وغير منتجين على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي!.

طموحات الجيل الجديد ومشاكلهم

هنالك ثلاث عقد رئيسية تؤدي الى نخرالمجتمع الايزيدي وتهديمه في المهجر بالكامل إذا لم يجري التعامل معها بعقلانية وايجاد حلول لها، ومن هذه العقد هي:

أولاً: مفهوم الشرف والكرامة والجنس: حيث أن هنالك بون شاسع بين نظرة الانسان

الشرقي وبين نظرة الغرب الى هذه المفاهيم. هذه القضايا حساسة لا يمكن مناقشتها مع الجيل القديم، والجيل الجديد ينظر اليه بالمنظار الغربي، وهذا يعني خلل وزعزعة كيان العائلة الايزيدية الشرقية.

ثانياً: البحث عن الحرية: وهذا يعني بأبسط معانيها الخروج من طوق العائلة الأبوية البطرياركية ومن شرنقة العادات العشائرية. أعتقد أن لجوء الكثير من النساء والبنات الايزيديات وكذلك الشباب الى صفوف حركة حزب (ب. ك. ك.) هو اعتقادهم بوجود " الحرية " الكاملة لديهم هنالك، لكنهم بمجرد الدخول الى ذلك العالم المجهول يصطدمون بواقع آخر!.

ثالثاً: المادة والركض وراء الغنى: ان الركض وراء المادة (الجشع) تفسد الاخلاق بشكل عام. ولا يستطيع الايزيدي في المهجر أن يوفق بين عمله المرهق لساعات عديدة، وبين تربية أطفاله على "القيم والأخلاق" الشرقية أو التعاليم الدينية، خاصة وإذا علمنا أن ذلك الطفل وتلك الشبيبة يقعون تحت تأثير الروضة، المدرسة، الشارع، التلفزيون، وجميع وسائل الاعلام والدعايات الجنسية المغرية، بمعنى أن تأثير المحيط الخارجي تكون الأقوى من سيطرة وتأثير الوالدين.

رابعا: القانون الداعم: يضاف الى العقد الثلاث نقطة أساسية تعجل في تفكيك العائلة الشرقية (الايزيدية من ضمنها)، ألا وهو القانون الوضعي العلماني في البلدان الغربية الداعمة لحقوق الانسان من الجنين وهو في بطن أمه الى كبار السن. ان تلك القوانين والاخلاق الغربية هي في طرفي نقيض مع القوانين والاخلاق الشرقية، لذا فان الجيل الجديد يخضع ويلتزم بقوانين دولة المهجر، لا بما يمليه عليه والديه وأقاربه أو دين آجداده. وأي ضغط على الأولاد من قبل الوالدين، أو المرأة من قبل الزوج يدفعهم أن يلجأوا الى القانون لحمايتهم.

آفاق المستقبل

الملفت للنظر أن الايزيديين حافظوا في ظل الظلم والإبادات داخل الوطن ورغم عدم وجود كتاب مقدس مكتوب لهم، حافظوا على استمرارية ديانتهم، أما هنا في المهجر أرى أن الأمن والاستقرار يؤدي الى انحلالهم والموت البطئ لذلك المجتمع المتماسك في الداخل!!

أمام هذه الخارطة المبسطة من الأزمات والعقد المشار اليها، من الصعب الاعتقاد أن الايزيديين في المهجر/ ألمانيا يتمكنون الاحتفاظ بنفس ماهية تعاليم وطقوس دين أجدادهم من الجيل القديم حتى بحدود ٣٠٪، وأتوقع أنه بمرور ٧٠–٨٠ عام من الآن سوف تطرأ تغييرات جدية على الديانة الايزيدية في المهجر، وعليه أرى أن مسألة تقبل الاصلاحات هي في غاية الاهمية، بل السبيل الى استمرارية هذه العقيدة لمدة أطول، وذلك عبر إيجاد قصص مشوقة للأطفال بلغة الأم، وسبل تربوية وتعليمية تناسب الجيل الجديد في المهجر. كما أنه من الأهمية بمكان الاتفاق على تشكيل قيادة ايزيدية منتخبة في اوربا لقيادة الايزيديين في المهجر بالتوافق مع المراكز والاتحادات والبيوت الثقافية التي تم تأسيسها في أوربا والتي تقدم كل من موقعها خدمات جديرة بالتقدير والاحترام، ولولا نشاطاتهم وعملهم التربوي التثقيفي لانحدرت الايزيدية بسرعة الى الضياع.

* ألقيت هذه الورقة باللغة الانكليزية في الكونفرانس العلمي المنوه اليه أدناه بجامعة يوهان–فولفغانغ – غوته فرانكفورت.

القسم الثاني

الدين والسياسة

الفصل الثالث

قراءة أولية لواقع الكرد الأيزيديين في العراق

هل نحن بحاجة إلى تشكيل أحزاب دينية؟

هذه المادة التي أطرحها للحوار ليست سوى محاولة لفتح حوار واسع ومسؤول يشارك فيه جميع الأيزيديين المقيمين في الداخل أو الخارج، وكذلك كل المهتمين بقضايا الأيزيديين من مختلف القوميات والأديان والمذاهب وجميع المناضلين في سبيل إقامة عراق حر، ديمقراطي، فيدرالي، مستقل وتعددي تسود فيه حقوق الإنسان والعدالة والرأي الآخر والتداول السلمي الديمقراطي للسلطة. فالعراق بحاجة إلى الجهود الخيرة لإزالة الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية المدمرة التي خلفها النظام الشمولي البعثفاشي طيلة العقود المنصرمة.

كان الحوار وما يزال لغة حضارية يعتمد المنطق العلمي والموضوعية ويستند إلى تقديم البراهين والأدلة، ويبتعد عن لغة القوة والعنف والمزايدات وإثارة التعصب القومي والنعرات الدينية والمذهبية. ويستمد الحوار الموضوعي منطقه من استيعاب المتحاورين لواقع الحياة وفهمهم للقوانين الموضوعية الفاعلة في المجتمع وإدراكهم لفن الممكنات، والابتعاد عن الأحلام والرغبات الذاتية التي لا تمت إلى الواقع بصلة وتتحول إلى عوامل إحباط وخيبات أمل غير مبررة.

والحوار بمفهومه الحقيقي لا يهدف الى فرض رأي بعينه على الآخرين، بل يهدف إلى فتح باب واسع لتبادل الرأي والخبرة والمعرفة مع الآخرين، كما يتضمن احتمال خوض صراع حيوي حُر ومتفتح بين الآراء المتباينة بعيداً عن التوتر والانفعال وفقدان الموضوعية ومن دون الأساءة للآخرين.

وحينما أطرح أفكاراً للحوار، فهذا يعبر ببساطة عن رغبتي في تبادل الرأي مع

الآخرين وعن قناعتي بها، وفي الوقت نفسه عن الرغبة في التيقن من صحة ما أطرحه أو طلب التعاون للمساهمة في تحسين ما يحتاج منها إلى تحسين وتطوير أو حتى تغيير. هذا يعني باختصار شديد بأني لا أدعي لنفسي الصواب كله أو أن ما أطرحه يمثل الحقيقة المطلقة، كما يعني عدم رغبتي في فرض ما أفكر به على الآخرين، فالأفكار الصائبة تفرض نفسها في مجرى الحياة، أما الزبد فيذهب جفاءً. والمطلوب في مثل هذه الحالة أن يبادر المهتمون بمناقشة هذه الأفكار بالردّ عليها، ويبقى الحق الثابت لكل إنسان أن يقبل او يرفض تلك الأفكارأو جزءً منها.

الأفكار التي أطرحها للحوار لا تعبر عن قناعتي الذاتية فحسب، بل يشاركني بها جمع غفير من الناس، ربما ليس بالتفاصيل والحدود التي أراها ومقتنع بها, كما يمكن أن يختلف معي آخرون, وهو أمر طبيعي. وهي في كل الأحوال تعبّر عن وجهة نظري وقراءتي لواقع الأيزيدية في عراق ما بعد صدام، فإن أصبت أكون قد ساهمت في عملية التوعية المنشودة في صفوف الأيزيديين والعمل معهم للخلاص من المشكلات المحيطة بهم، وأن أخطأت في الاجتهاد، فحسبي أن الإنسان عرضة للخطأ، إلاّ أن عذره في ذلك أنه حاول المساهمة بحل المعضلات القائمة ولكن جانبه الصواب.

تدور في الأوساط الأيزيدية مناقشات غير قليلة حول جملة من المسائل التي تمسهم، كما طرحت الكثير من الموضوعات والبيانات عبرت عن اتجاهات فكرية وسياسية متباينة تدعو إلى قيام حركات وأحزاب سياسية أيزيدية على أساس ديني أو من منطلقات دينية. وإزاء هذا الواقع وجدت نفسي ملزماً بطرح أفكاري أيضاً ومناقشة أفكار الآخرين بهذا الصدد بكل حرية واحترام للرأي الآخر. ولهذا أؤكد ابتداءاً بأن هذا الحوار لا ينوي أو يستهدف الإساءة إلى أي إنسان شارك أو سيشارك في هذا الحوار أو الحط من أفكاره، إلاّ أن الصراحة والجرأة والعلمية في طرح الآراء ضرورية، إذ أن الهدف الأول والأخير يتركز في تشخيص الحلول العملية للمشكلات القائمة التي ترتبط مباشرة بالمصالح الحيوية للأيزيديين.

وقبل الولوج في صلب الموضوع أرى من المفيد طرح رؤيتي بصورة مكثفة عن سيكولوجية الفرد وملامح وخصائص المجتمع الأيزيدي.

أولاً: العوامل التي ساهمت في تكوين الفرد وخصائص المجتمع الأيزيدي:

ساهمت الكثير من العوامل الذاتية والموضوعية في المجتمع العراقي وعلى مدى قرون طويلة في تشكيل شخصية الفرد والمجتمع الأيزيديين, نشير إلى أهمها:

* علاقات الإنتاج (الاستغلالية) التي سادت المجتمع كله.
* سيادة النظم الاستبدادية في المنطقة.
* التخلف والفقر العام الذي شمل المجتمع وانتشار الجهل والأمية, ومنها الأمية السياسية.
* ممارسة القمع والإرهاب ومصادرة الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع الأيزيدي.
* ممارسة التمييز الديني إزاء أتباع هذه الديانة القديمة الذين أصروا على التمسك بها وهو حق ثابت لهم.
* أما على المستوى الأيزيدي، فيمكن الإشارة إلى دور الأمراء والمسؤولين الأيزيديين في إقامة العلاقات مع النظم الاستبدادية.
* عدم تصدي الأمير والمسؤولين الايزيديين لممارسات الأنظمة الحاكمة في قمع وإستغلال الايزيديين، لا بل أنهم ساهموا مع اجهزة الحكومة في اذلال بني جلدتهم؛
* سيادة نظام التراتبية الاجتماعية الذي ساعد على بروز واستمرار تلك المظاهر السلبية.
* يضاف إلى كل ذلك طبيعة الانغلاق الديني والحرمان من التعليم في المدارس إستمرّ لقرون طويلة.
* واجه الأيزيديون بشكل مضاعف سياسات التعريب والتبعيث ومسخ الهوية والادعاء بأنهم جزء من الأمة العربية.
* كما يمكن اعتبار الموقف السلبي لبعض الأحزاب الكردستانية في تهويل الجانب القومي والاستخفاف بالعادات العائلية والتعرض للرموز الدينية الأيزيدية، من ضمن العوامل التي أثرت على المجتمع وشخصية الفرد الأيزيدي وشوهته وعرقلت تقدمه.

ثانياً: الخصائص المميزة للفرد والمجتمع الأيزيدي:

١- لا تختلف خصائص الكردي الأيزيدي من حيث المبدأ عن الخصائص التي تميز الكردي المسلم في العراق، أو حتى عن الفلاح الريفي بشكل عام. فالفرد والمجتمع الأيزيديين يشكلان جزء من ثقافة الفرد والمجتمع الشرقي. الإيجابيات كثيرة يشهد لها، والسلبيات موجودة لا أحد يستطيع نكرانها.

من الطبيعي ان تصنع العلاقات الإنتاجية والبيئة والجغرافية والتاريخ شخصية الفرد والمجتمع وتصنع شخصية الأمة أيضاً، بغض النظر عن العرق واللغة. والكرد الأيزيديون ليسوا استثناءاً من هذه القاعدة. ويفترض الإشارة هنا إلى بعض الخصائص التي تتميز بها نسبة كبيرة من الأيزيديين، ومنها: الفردية والاستسلام للقدر، إضافة الى الأنانية والركض وراء المصلحة الشخصية والانتهازية والازدواجية، الشّك والحذر والانغلاق الطويل على الذات، والعناد الفلاحي الذي لازمهم خلال تاريخهم، وهذا في جزئه الكبير نابع عن عدة عوامل، أشير إلى أهمها وفق قناعتي:

أ- الميكانيزم الديني الأخلاقي(ان صح التعبير) الذي يجعل من الفرد الأيزيدي مقيداً الى أبعد الحدود ويعيق من فرص الحركة والمناقشة والابداع، ويجبره للخضوع لرؤسائه الدينيين.

ب- التأثيرات العشائرية القوية في بعض مناطق سكنى الأيزيدية وانتشار الأمية الواسع زاد من خضوع الفرد الى رئيس العشيرة وساعد في تحجيم عملية التفكير والمبادرة والإبداع.

ج- وقوف السلطات والأنظمة ومراكز القرار منذ العهد العثماني ومروراً بالعهدين الملكي والجمهوري وإلى حين سقوط نظام البعث في ٩/ نيسان/٢٠٠٣، الى جانب رؤساء الأيزيدية لضرب أي نفس ديمقراطي، أو صوت معارض يدعو للإصلاح وبناء الشخصية المستقلة.

٣ – الاستبداد البعثي ومحاولة تعريب وتبعيث الأيزيدية:

طبيعة حزب البعث ونظامه في العراق:

استولى حزب البعث على السلطة في العراق منذ ١٧/تموز/١٩٦٨ (٨شباط١٩٦٣)

ولغاية ٩/نيسان/ ٢٠٠٣, ثلاثة عقود ونصف ساد في العراق نظام شمولي إرهابي حكم البلاد بالحديد والنار وخلّف ورائه آثاراً مدمرة على الشعوب العراقية بشكل عام وعلى الأقليات القومية والأثنية والدينية بشكل خاص. وتم كل ذلك تحت شعاره:

" أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة "

ولم يكن هذا الشعار سوى ممارسة سياسة شوفينية هوجاء مدمرة.

نعرف تماماً أن الشعار بشقيه القومي والديني، أضرّ بالعرب والمسلمين وأساء الى سمعتهما. وسعى نظام صدام إلى تطبيق هذا الشعار أسوأ وأشرس تطبيق بهدف تعريب وتبعيث القوميات غير العربية والأقليات الدينية غير المسلمة. وكان نصيب الكرد الأيزيديين حصة الأسد، فقد مارس ضدهم سياسة التبعيث منذ انتزاعه السلطة، ناهيك عن سياسة التعريب القسرية منذ عام ١٩٧٥, فتم تهجيرهم من قراهم واغتصاب أراضيهم وأملاكهم من قبل أفراد ينتمون إلى بعض العشائر العربية. وتوج الحكم تلك السياسة العنصرية المقيتة في الإحصاء الذي أجراه عام ١٩٧٧ وفرض تسجيل جميع الأيزيديين عرباً رغماً عنهم.

وتحول نظام حكم حزب البعث في العراق إلى نظام شمولي بالكامل منذ المؤتمر الثامن لحزب البعث في عام ١٩٧٤ واكتملت فصول هذه العملية منذ عام ١٩٧٩ عندما قضى صدام حسين على مناوئيه في الحزب والدولة وتربع على عرش العراق دون منازع.

ب–النجاح والفشل الذي تحقق له عبر هذه السياسات:

عمد نظام صدام حسين الدكتاتوري طيلة ٣٥ عاماً الى استخدام اسلوب الارهاب والقمع وخنق الحريات, ومارس سياسة التمييز العنصري وتشجيع التعصب الديني والطائفي وبناء السجون في كل مكان وأقام دولة الأمن والاستخبارات والأجهزة الخاصة، بحيث أصبح الوطن كله معتقلاً كبيراً. وخلال تلك الفترة الطويلة جرت عملية غسل الدماغ وبشكل منظم لأكثر من ثلاثة أجيال عراقية، تربوا خلالها على عبادة الفرد والحزب الواحد والتعالي والتمييز العنصري تجاه الإنسان الآخر غير العربي، وأخيراً شن حملته "الإيمانية" لإحياء وتكريس النعرات الدينية والطائفية. واقترن كل ذلك بإشاعة الفساد الاجتماعي والاخلاقي في نسيج المجتمع عبر شبكات أجهزة الأمن

والاستخبارات والمخبرين والمرتزقة.

وأقرت جموع من الأيزيديين المنتسبين لحزب البعث والعاملين في أجهزة السلطة والمنظمات المهنية التابعة للنظام – شئنا أم أبينا ـــ شعار:

" أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة "

واستسلمت لتلك الدعاية الديماغوغية البعثية. وكان حظ الانتهازيين كبيراً في هذه الحملة المناهضة لمصالح الكرد الأيزيديين في كردستان العراق.

صحيح أن نظام البعث تمكن من تأطير المجتمع ومن تمرير سياسته الشوفينية، إلاّ أن تلك السياسة لم تحقق كامل أهدافها خاصة بعد عام ١٩٩٠– ١٩٩١ بسبب عوامل عديدة سنأتي الى ذكرها فيما بعد.

ج–العواقب الوخيمة التي ترتبت على الفرد والمجتمع الأيزيدي:

في إطار سياسة الترغيب والترهيب، الجزرة والعصى التي مارسها نظام البعث تم شراء ذمم مجاميع كبيرة من الأيزيديين "وأسر" عقولهم. وعلى حد قول الدكتور علي الوردي: " إذا سرقت ضمير إنسان آخر وعقله آل اليك كل ما يملكه!"، باستثناء تلك المجموعات التي كانت منتسبة أو مؤيدة بشكل سرّي للأحزاب الكردستانية والأحزاب الوطنية اليسارية العراقية، ومجموعات من المستقلين الشرفاء، فان مجموعات كبيرة أخرى إنضوت تحت لواء حزب البعث وانخرطت في تنظيماته "المهنية والنقابية". وكان لكل واحد من هؤلاء هدفه ودوافعه؛ بين مؤمن بتلك الأهداف المعلنة او تزلفاً للحصول على مركز إجتماعي او وظيفة حكومية، وآخر لضمان لقمة العيش، وثالث ورابع للتستر والحفاظ على نفسه وعائلته من الانتقام خاصة من المحسوبين على الأحزاب الكردية والعراقية المعارضة لنهج النظام وسياساته، وشباب طائش من حثالات المجتمع إنضم الى حزب البعث لأسباب ودوافع عبثية. وفريق تطوع للعمل في أجهزة السلطة القمعية كالمخابرات وقوات المرتزقة التي سميت ب "الفرسان" أو "سرايا أبو فراس الحمداني" للوقوف ضد الحركة الكردية المسلحة، والتي أطلق عليها الشعب بـ "الجحوش".

عمل النظام خلال ثلاثة عقود ونصف جاهداً، على فصل الأيزيديين عن الشعب الكردي، وركز على مجالات التثقيف والتوعية الحزبية وزرع الحقد بينهم وبين قوى الأحزاب الكردستانية وعموم الشعب الكردي. فخلق حالة نفسية معقدة ومعادية لدى

مجموعة من الأيزيديين المنتسبين إلى حزب البعث تجاه الكرد بشكل عام. وما رسخ باعتقادي هذه الفكرة تلك الخلفية من تراث الماضي.. من التاريخ والتراث القمعي الماضوي بحملات التنكيل والقتل الجماعي التي طالت الأيزيديين باسم الإسلام، في قسم كبير منه، على يد بني جلدتهم من الكرد المسلمين, وبشكل خاص في فترة الحكم العثماني التي دامت طوال أربعة قرون عجاف ومريرة وفي فترات أخرى سابقة ولاحقة أيضاً.

٤- حرب الخليج الثانية وإنتفاضة الشعب وإعلان الفيدرالية الكردستانية:

خرج النظام العراقي من حرب الخليج الأولى (١٩٨٠-١٩٨٨) بخسائر بشرية ومادية خيالية وديون عالمية تعد بمئات المليارات وأزمات اقتصادية واجتماعية، وجيش ضخم مجهز بأحدث الأسلحة وأفضل تدريب (رابع جيش في العالم من حيث العدة والتدريب). خرج يبحث عن فريسة ينقض عليها ويفرغ فيها شحناته العدوانية وأزماته، فوجه صدام حسين مئات الآلاف من قواته العسكرية صوب كردستان للإنتقام عام ١٩٨٨ وضرب فصائل البيشمركة وحركة الأنصار العراقية المسلحة، واقترف بدم بارد جريمته النكراء في ضرب مدينة حلبجة يوم ١٦/آذار/١٩٨٨ بالسلاح الكيمياوي تحت سمع وبصر وصمت العالم. وإستكمالاً لجريمته تلك، استمر نظام صدام حسين في تدمير كردستان وأضاف الى سجله الدموي حملات مجازر الأنفال السيئة الصيت والتي راح ضحيتها (١٨٢) ألف إنسان جلهم من الشيوخ والنساء والأطفال.

أصبح ذلك الجيش المليوني وحروبه الداخلية والخارجية والآثار المترتبة عنها عبئاً ثقيلاً على صدام ورهطه، ففتش عن منفذ لتصدير أزمته والبحث عن فريسة سهلة، فما كان منه إلاّ الالتفاف على جاره الجنوبي الذي أحسن اليه وأغدق عليه ملايين الدولارات في حربه ضد إيران. فقامت القوات العراقية بغزو دولة الكويت شهر آب من عام ١٩٩٠، لكن حسابات الدكتاتور هذه المرّة كانت خاطئة، فكانت الولايات المتحدة الأمريكية ودول التحالف واقفة له بالمرصاد، بعد أن فشلت كل الجهود الدبلوماسية لأجبار صدام على سحب قواته من الكويت فقامت الولايات المتحدة ودول التحالف بتوجيه ضربة عسكرية قاصمة إليه وأخرجته بالقوة، وأجبرت صدام حسين عبر وزير دفاعه على التوقيع على وثيقة الاستسلام في خيمة صفوان أواسط آذار ١٩٩١.

الى جانب ذلك قالت الشعوب العراقية هي الأخرى كلمتها، ففي شهر آذار من نفس العام قامت بانتفاضتها المجيدة في جنوب العراق وفي كردستان، وتحررت ١٤ محافظة من أصل ١٨ ولم يبق بيد صدام غير بغداد والموصل وتكريت والرمادي. بيد أن تراجع جورج بوش الأب عن إسقاط صدام واعطائه الضوء الأخضرلاستخدام مروحياته العسكرية ضد المنتفضين الأبطال، قام زبانية النظام وعلى رأسهم علي حسن المجيد, ابن عم صدام، بقمع تلك الانتفاضة بشكل وحشي لا يعرف له مثيل في تاريخ العراق فقتلوا الآلاف وقصفوا الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء. أمّا في كردستان فكان الهجوم أشرس بكثير مما اضطر أكثر من مليون كردي ترك كردستان الى تركيا وإيران خوفاً من إستخدام السلاح الكيمياوي ضدهم مرة أخرى كما حدث في حلبجه. وأمام هذه المأساة الإنسانية التي نقلتها فضائيات العالم، تحرك ضمير العالم، وصدر بعد ذلك قرار عن هيئة الأمم المتحدة بحماية الأكراد وخلق منطقة آمنة لهم بين خطي عرض ٣٢-٣٦ من كردستان العراق.

في حزيران وآب من عام ١٩٩١، بدأ النظام العراقي بسحب قواته العسكرية ودوائره الحكومية من المنطقة الآمنة, وبذلك خلق النظام فراغاً إدارياً سرعان ما قامت الأحزاب الكردستانية, ممثلة بجبهتها الوطنية الكردستانية, بملء ذلك الفراغ وإنشاء حكومة وبرلمان كردستانيين. وقرر البرلمان فيما بعد رسمياً صيغة الاتحاد الفيدرالي الطوعي في إطار الجمهورية العراقية.

وضع الأيزيديين في كردستان المحررة منذ عام ١٩٩١/١٩٩٢:

رغم كل المصاعب السياسية والاقتصادية والأمنية وظروف الحصار التي مرّت على كردستان ومعاداة دول الجوار لها، وبغض النظر عن جميع النواقص الموجودة، بدأت الأحزاب الكردستانية مرحلة جديدة من تاريخها النضالي في حكم وإدارة المناطق المحررة الآمنة بشكل حضاري وديمقراطي وتصفية جميع آثار نظام البعث من التفرقة العنصرية والقومية والدينية، والاقرار بحرية الرأي والتعبير وإنشاء الأحزاب المرخّصة والمنظمات المهنية والنقابات العمالية والفلاحية والاتحادات والمراكز الثقافية...الخ. ما يهمنا هنا، هو أن الكرد الأيزيديين في المنطقة الآمنة رفع عنهم لأول مرّة الغبن التاريخي في ظل حكومة كردستان وبدأوا يمارسون حقوقهم الدينية والثقافية

والاجتماعية. ولأول مرّة يسمح بفتح مركز ثقافي إيزيدي باسم: (مركز لالش الثقافي الاجتماعي في دهوك) عام ١٩٩٣، حيث أدى هذا المركز ومازال يؤدي دوراً مهماً في مجال الثقافة. ويعتبر هذا المركز ومراكز أخرى في الخارج (مركز الأيزيدية خارج الوطن ١٩٩٥) نقطة تحول في تاريخ الأيزيدية. كما سمح للمرّة الثانية – المرّة الأولى كان زمن ثورة ١٤تموز١٩٥٨ – تدريس مادة التربية الدينية الأيزيدية لطلبة مدارس الأيزيدية في مناطق كردستان المحررة. ولأول مرة تم تعيين عضوين أيزيديين في المجلس التشريعي الكردستاني مع وزير في كل من حكومة أربيل والسليمانية. هذا إضافة الى تقديم خدمات عديدة للأماكن المقدسة ولرجال الدين.

لم ترق تلك الأنجازات والمكاسب المهمة للأيزيدية في كردستان للنظام الدكتاتوري في بغداد وواصل نهجه ومساعيه في فصل الأيزيديين عن الكرد وفرض الهوية العربية عليهم. وحاولوا عبر أعوانهم الأيزيديين تشكيل مركز بديل للالش في مدينة الموصل أواسط التسعينات، لكنهم لم يفلحوا، فحاولوا أن يمسكوا العصى من الوسط ولجأوا الى أساليب التضليل: "أيها الأيزيديون، إذا لم تقرون كونكم عرباً، لكن بالمقابل لا تقولوا نحن أكراد بل قولوا نحن يزيدية فقط! " ئه م نه كوردن، نه عه ره بن، ئه م ئيزدينه!= لسنا أكراداً ولسنا عرباً، بل نحن أيزيديون فقط". وحشدت أجهزة النظام لهذه الغاية العديد من عملائها وأزلامها الأيزيديين وتم نشر وتعميم تقارير من الجهات الأمنية بهذا الشأن على الدوائر ذات الصلة بالأيزيدية. "لسنا أكراداً ولسنا عرباً، بل نحن أيزيديين فقط!" كان آخر شعار تضليلي روج له النظام الحاكم في العراق سنوات حكمه الأخيرة.

٥- حرب الخليج الثالثة والآفاق الجديدة للعراق وكردستان" الشعب الكردستاني":

أ- إنهيار النظام ودخول قوات التحالف للعراق

كان المتتبع لأعلام النظام الصفراء أو تصريحات صدام وأعوانه في اعلامه الكاذب قبل بدء حرب التحرير، يلاحظ بأن الدكتاتور كان مقتنعاً ليس بالصمود في وجه الآلة العسكرية الأمريكية والبريطانية فحسب، بل ودحرهم!...إلاّ أن هذا الصمود/ الوهم لم يستمر أكثر من ثلاثة أسابيع، فبدأت الضربة صباح يوم ٢٠ آذار ٢٠٠٣ وهوى تمثال الطاغية في التاسع من نيسان وسط العاصمة بغداد. وإختفت " الملايين الستة المسلحة"

التي كان يتبجح بها صدام حسين وأبواق دعايته. وبين ليلة وضحاها خلعت " الملايين الستة" الزيّ الحربي وارتدت الزيّ المدني والشعبي، وفرّت الى جحورها لتبدأ من جديد في مواصلة لإشاعة الفوضى والدمار في البلاد.

بالرغم من جبروت وضخامة الآلة العسكرية الأمريكية والبريطانية التي استخدمت في هذه الحرب، فأن سقوط سلطة البعث الصدامية بهذه السرعة القياسية، لا يعني باعتقادي أن النظام لم يكن سوى نمرٍ من ورق. وما استمراره في الحكم طول تلك المدة الطويلة إلا بسبب سياسة البطش والقمع والاعدامات وزج الناس في السجون والمقابر الجماعية وابتكار أساليب إفساد المجتمع وشراء الذمم في الخارج والداخل. وأكبر دليل على جرائمه تلك المقابر الجماعية التي ظهرت وسوف تظهر في المستقبل، وأطنان من الوثائق التي تدينه.

الإنهيار الدراماتيكي-الزلزال، أو سميها ما شئت، الذي جرى لنظام الحكم في العراق، خلق حالة من الفراغ السياسي وتدهور الوضع الأمني، لكنه في المقابل كسر حاجز الخوف وحلّ عقدة اللسان عند فئات الشعب كي تعبر عن رأيها دون رقيب أو حسيب. ومن سياسة الحزب الواحد وعبادة الشخصية، والثقافة الأحادية والتغني الكاذب والمشوه بالعروبة والإسلام،...طرحت في العراق بعد تحرره مفاهيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، والتعددية الحزبية، والفيدرالية وتعايش القوميات والأديان، وحرية التعبير والمعتقد، وبناء مؤسسات المجتمع المدني، وتعايش الثقافات المختلفة...الخ. وهو جلّ ما يطمح إليه الشعب العراقي بكل قومياته وأديانه ومذاهبه واتجاهاته الفكرية والسياسية.

ب- الفوضى التي عمّت البلاد بسبب همجية بقايا النظام وعصاباته:

ومن الطبيعي أن يخلق سقوط نظام بتلك البشاعة جثم على صدور الشعوب العراقية طيلة ٣٥ عاماً حالة من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني، علماً بأن الذين يلجأون الى خلق حالات عدم الاستقرار مثل نهب دوائر الدولة وإشعال الحرائق في أنابيب نقل النفط والغاز ومحطات الكهرباء وتخريب محطات إسالة الماء وتنفيذ العمليات الإرهابية، هم من بقايا النظام المقبور وأعوان صدام المجرمين الذين فقدوا سلطتهم ومراكزهم السياسية والاجتماعية وإمتيازاتهم، ومن جماعة القاعدة وعشرات

الآلاف من المجرمين المحترفين الذين أطلق صدام حسين سراحهم قبل تحريرالعراق باشهر قليلة، وعناصر من الإسلام السياسي الأصولي المتطرف من العراقيين وغيرهم والحزب الاسلامي الوهابي العراقي الذي كان ومازال يترأسه عزت إبراهيم، إضافة الى الإعلام العربي المتخلف من فضائيات وصحف صفراء تشجع الناس باسم الدين والقومية على " المقاومة والجهاد". ولا ننسى الإشارة إلى تدخل أنظمة دول أقليمة في الشأن العراقي ودعم العمليات الإرهابية لخلق حالة اللاإستقرار الأمني والسياسي في البلاد وعرقلة عملية التحول الديمقراطي، مخافة أن تنتقل تلك العدوى الى بلدانها وتهوى عروشها كما هوى عرش صدام! ولا ننسى الإشارة إلى أن توسيع وإدامة هذه العمليات الإرهابية يعود في جزء كبير منها الى أخطاء الإدارة الأمريكية وعدم إعطاء صلاحيات أكبر إلى مجلس الحكم الانتقالي وعدم معرفة نفسية الشعب العراقي بشكل عام وأزلام صدام بشكل خاص.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا يتباكى هؤلاء العرب على مصير العراق وشعوبه، ويعطون لأنفسهم الحق في الدعوة المنفردة إلى خروج قوات التحالف من العراق، وإلى تشجيع العمليات الإرهابية وإعتبارها "مقاومة" وتلميع صورة النظام رغم جرائمه التي أصبحت معروفة للجميع؟

اليوم وبعد سقوط ذلك النظام وحلّ حزب البعث وحظر نشاطه بقرار من حاكم العراق المدني "بول بريمر" واعتقال الدكتاتور الخبيث في جحر في باطن الأرض، أين ستولي جموع " الست ملايين" البعثية أدبارها؟! إبتداءً نقول بأن المنتمين إلى حزب البعث لم يصل عددهم إلى ستة ملايين بأي حال، كما أن قسماً كبيراً منهم لم يكن بعثياً أصلاً بل أجبر على الانضمام إلى هذا الحزب المشؤوم, كما أن كثرة منهم اعتبرت سقوط النظام نهاية لكابوس عاشوا فيه طويلاً مع بقية الجماهير الشعبية, ولكن أعداداً كبيرة منهم ستقوم بتشكيل أحزاب ومنظمات تحت واجهات "قومية، دينية، وطنية" وسيحاول البعض الآخر الدخول في صفوف الأحزاب العراقية والكردستانية، كما سوف تطيل مجاميع منها لحاها وشاربها وترتدي الجبّة وتضع العمامة فوق رؤوسها، وما أسهل ذلك بهدف تبني ذات المواقف التي كان الدكتاتور المخلوع يتبناها وأدت إلى خراب العراق!

ج–الفرص المتاحة أمام الكرد الأيزيدية:

والأسئلة الجدية التي تفرض نفسها علينا كثيرة جداً: هل يمكن تطبيق المفاهيم والقيم الجديدة التي أشرنا إليها بالسهولة التي يتصورها البعض؟.وهل أن الأرضية الاجتماعية الشرقية ذات الأرث الثقافي/الديني المتزمت والأصولي قادرة على استيعاب هذه الأفكار والقيم الإنسانية الحديثة؟.وهل سيترك البعثيون، أو لنقل تلك الشريحة الطفيلية التي ما تزال في مواقع المسؤولية والامتيازات التي تتمتع بها لصالح استقرار العراق وبناء مجتمع مدني ودولة علمانية؟.وأين ستذهب تلك الجماعات البعثية بعدتها وأسلحتها وامتيازاتها؟. ماذا عن الجهاز القمعي من عناصر المخابرات والأمن وفدائيي صدام وحرسه الجمهوري وقواته الخاصة وجيش القدس، وكبار قادة الجيش ورؤساء "الفرسان" وأمراء سرايا "أبو فراس الحمداني" و "الرفاق" والآلاف من المجرمين المحترفين وحثالات المجتمع؟!.كيف يكون التعامل مع موقف الدول العربية الشوفينية ومع الاسلام الأصولي؟.وهل أن أمريكا جادة في خلق السلام والوئام الاجتماعي بين الشعوب والأديان في العراق؟.الأخطر من كل ذلك: متى ستزول آثار غسل الدماغ لملايين الناس الذين تخرجوا من مدرسة صدام وتشبعوا بالأفكار الفاشية والعنصرية والحقد وصناعة الجريمة؟ متى سيمكن تحقيق استقلال العراق بالطرق السلمية والديمقراطية وإخراج القوات التي لعبت دورها المركزي في خلاصنا من النظام الاستبدادي المقيت؟

أرى لزاماً علينا دراسة الواقع الجديد وما خلفه نظام صدام من كوارث، دراسة متأنية. إذ أن عدم دراسة الوضع بشكل موضوعي، يدفع بالانسان إلى تأسيس أطروحاته ومفاهيمه وفق منهجية غير علمية وبالتالي غير سليمة، ثم يخرج بإستنتاجات غير واقعية تكون لها آثارها السلبية الحادة والقاتلة.

٦– المهمات التي تواجه الكرد الأيزيديين في الفترة القادمة:

أ– ما هو مصير الأيزيديين الذين تعاونوا مع النظام الاستبدادي؟

ما يهمني في هذا المقال، مناقشة ومعرفة المكان الذي سيحتمي فيه الأيزيدي البعثي؟. هل أضنته مسيرة "الحزب والثورة" خلال الخمس والثلاثين عاماً الماضية

ويريد أن يعتكف عن العمل السياسي والتنظيمي ويقبع في بيته؟. هل يؤنبه ضميره بعد أن رأى بعينه وسمع بآذانه ما ارتكبه النظام من جرائم بحق الشعب العراقي؟ أم أنه سيحاول، حماية لنفسه وعائلته وحفاظاً على أمواله وممتلكاته التي جمعها من " بركات" صدام حسين، الانضمام إلى أحزاب عراقية وكردستانية كانت موجودة سابقاً؟. أم أنه تعود على حياة البذخ والتسلط وتسليم المناصب فيقدم مع " رفاق" على تشكيل أحزاب أو تجمعات إيزيدية؟...

أعتقد بأن الناس الشرقيين عموماً، والأقليات الإثنية والدينية خصوصاً، بسبب المعاناة الطويلة والاضطهاد والقهر المريرين على أيدي قوى كثيرة من قوميات وأديان ومذاهب سائدة في العراق ولقرون طويلة، يميلون إلى أن يكونوا مع مراكز القوة، ولا يستسيغون الحزب الضعيف والقائد الضعيف، بالتالي سيتحرون عن الحزب القوى والقائد القوي أيضاً. وبسبب عملية غسل الدماغ الذي جرى لمنتسبي البعث من الأيزيديين في مختبرات نظام صدام لثلاثة عقود ونصف من الزمن ضد الأكراد، ربما سيجدون صعوبة في انضمامهم إلى الأحزاب الكردية، وإن إنضموا فلن يكون بأعدادٍ كبيرة. ومن الطبيعي أيضاً أن لا ينضموا إلى حزب إسلامي، اللهم إذا كان ذلك الحزب واجهة للعناصر البعثية، فحينها ستكون مسألة الانضمام اليه بشكل سرّي واردة! تبقى مسألة الانضمام الى أحزاب على أساس قومي عربي بحت يتحاشونها في الوقت الحاضر. إضافة الى كل ذلك فأن بعض أمراء الأيزيدية ومعهم نفر من رؤساء العشائر، لا يجدون حرجاً في التعامل مع رؤساء العشائر العربية وفي تشكيل أحزاب وتكتلات معهم، أو في أقل تقدير تكوين علاقات سرّية معهم. إجمالاً يمكن القول أن هؤلاء الذين تربوا على الانتهازية وسياسة المصالح، فأنهم في نهاية المطاف سوف يلجأون إلى الحزب أو التجمع الذي يقدم لهم اللقمة الدسمة.

وبسبب الفراغ السياسي الذي نشهده في بقية أجزاء كردستان العراق المحررة (أقضية: الشيخان، شنگال والقرى التابعة لتلكيف، إضافة الى قصبتي بعشيقة وبحزاني) فأن مجموعات لا بأس بها من الشريحة المتعلمة الأيزيدية من خريجي الجامعات والمعاهد، بتشجيع من بعض العناصر في الخارج يطرحون فكرة استقلالية الأيزيديين (لسنا أكراداً ولسنا عرباً، بل نحن أيزيديين فقط!) بنوع من التجريد أو

السعي إلى تكوين أحزاب وتجمعات أيزيدية والتشكيك بموقف الأطراف الكردية. رغم اللغة المنمقة والتظاهر بطرح المطاليب الأيزيدية، إلاّ أن التثقيف والمنحى يتجه باتجاه عكسي ويعزز النزعة الانعزالية. وأن هذا الاتجاه هو الأخطر باعتقادي بين الاتجاهات المذكورة أعلاه. ويمكن تصنيفهم بالشكل التالي:

– تلك العناصر التي كانت ضمن حلقة نظام البعث ونالت ما يكفيها من عملية غسل الدماغ وتأثرت بتثقيف أعلامه وصارت تستنفر من كلمة كردي.

–بعض الكوادر والعناصر المحسوبة على أحزاب كردستانية،

– وعناصر أحزاب كردستانية من خارج العراق كانت حتى الأمس القريب تحت حماية النظام الصدامي، تعمل من أجل إفشال تجربة كردستان الفتية. وكان كادرها الأيزيدي يدخل ويخرج من العراق لينسق مع أسماء أيزيدية معروفة خدمت النظام المقبور. واليوم وبعد فشل شعاراتهم البراقة، راح نفس الكادر يترك ساحته الشمالية ويركض ليضرب على وتر العاطفة الدينية، ويستغل الوضع الاقتصادي المزري والوضع الأمني المتدهور ويرقص على جراح البسطاء بواسطة زبونهم القديم– الجديد، ليؤسسوا" بيوتاً ثقافية واتحادات" للأيزيديين المساكين في الموصل، ويلتقون فيما بينهم ويقدمون المذكرات إلى السفارة الأمريكية والبريطانية و..! والغريب في الأمر أن هذه المجموعة كانت حتى الأمس القريب تعمل تحت اسم "الدين الزرادشتي" وليس الدين الأيزيدي. وبعد أن حُلَّ حزب البعث, أليس من الأجدر بأعضاء هذا الحزب أن يتركوا الناس الأيزيديين العراقيين وشأنهم بدلاً من مواصلة الإساءة لهم بطرق وأساليب مختلفة!

– بعض المستقلين (إن كان هناك من مستقلٍ) الذين يغمرهم الفرح حينما تتصدر أسماءَهم أي بيان أو نشرة بغض النظر عن العواقب السلبية التي ستترتب على هذا التوقيع مستقبلاً بالنسبة لمعتنقي الديانة الأيزيدية.

– نفر يعلن جهاراً وقوفه ضد الشعب الكردي ويعتز بعروبته وإنتمائه لآل البيت. انظر جريدة الزمان، العدد١٥٥٤ بتأريخ ٢٠٠٣/٧/١٢ على الانترنيت"

– هناك من هو مصاب بداء العظمة ويريد بروز اسمه ويرفض الآخر.

– ربما تغازل الولايات المتحدة بعض هذه الأحزاب والتجمعات الإثنية والعرقية، لا

حباً في سواد عيونهم وإنما لإضعاف نفوذ الأحزاب الكردستانية والعراقية نفسها.

الأفكار الدينية السياسية تنمو في فترات المحن و الأزمات وفي ظل وجود فراغ سياسي، أو وجود أنظمة شاذة غير ديمقراطية. وستكون حتماً برامج تلك الأحزاب الدينية مشدودة الى الوراء ولا تساعد على السلام الاجتماعي في مجتمع متعدد الأعراق والمعتقدات مثل العراق.

ما عدا قلة قليلة، فأن الأيزيديون ليسوا مستعدين ان يضحوا بمالهم وراحتهم لإدامة ودعم أي حزب كان، وأن النفر "المتحمس" الذي نراه اليوم، ليس باستطاعته أن يكمل المشوار أو يتسم بنكران الذات من أجل المصلحة العامة. وان كان هنالك من نفر يعوّل على الولايات المتحدة (يبدو أن هنالك لقاءات قد تمت بين مسؤولين من الولايات المتحدة وبين بعض الأشخاص الأيزيدية), فأنا أشكّ في نجاح مثل هذه الصفقات، لأن الولايات المتحدة قبل أن تقدم على دعم جهة ما، تقوم بدراسة وضع تلك الجماعة النفسي ومدى القوة التي تتمتع بها وإمكانيتها على تنفيذ مخططاتها واستراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط.

ولو كانت الولايات المتحدة جادة في دعم الأقلية الدينية الأيزيدية، فأنها كانت حاضرة في مؤتمر المعارضة العراقية في لندن ١٤-١٥/ديسمبر/٢٠٠٢ وكان من ضمن المشاركين أيزيديان سلموا مذكرة بمطاليب الأيزيديين الى زالماي خليل زاد، ممثل الرئيس جورج دبليو بوش, ولم تجر أية عناية بذلك. وكانت الولايات المتحدة حاضرة في مؤتمر صلاح الدين والناصرية وفي تشكيل مجلس الحكم الانتقالي، نقول إذا كانت جادة بدعم الأيزيديين لرشحت ممثلاً عنهم ليكون عضواً في مجلس الحكم الانتقالي. يبدو لي أن الموقف الأمريكي يمكن قراءته من خلال انتخابات مدينة الموصل حيث خصصوا صندوق انتخابي خاص للمجموعة الأيزيدية، هذا إضافة إلى تجاهلهم إيصال الخدمات اليومية الملحّة الى أهالي شنگال من الحكومة الكردية، ونيتها الابقاء على قضاء الشيخان وبعشيعة وبحزاني وتلكيف تابعة إدارياً الى محافظة الموصل. وهنا باعتقادي تكمن خطورة الموقف الأمريكي تجاه وضع الأيزيديين! فلماذا نصوب سهامنا عن عمد للجهات الكردية!!.

أ- هل المطلوب تشكيل حزب ديني أيزيدي؟

هل نحن الأيزيدية بحاجة الى تشكيل أحزاب دينية؟ بصياغة أدق: هل أن تشكيل أحزاب دينية أيزيدية هو في صالحهم وفق المنظورين القريب والبعيد؟ والسؤال المهم الآخر: ما هو الدافع وراء الحماس المتزايد لنفر من الأيزيديين كانوا بالأمس القريب ولحين سقوط نظام بغداد لا أباليين، شعارهم: (ما من چی ژێیه = ما شأني بها!) واليوم يتحسرون ألماً على مصير هذه الديانة المسكينة؟!

في ضوء مستجدات الوضع العراقي ورحيل نظام صدام الى الأبد وإزالة حاجز الخوف والارهاب والحزب القائد والثقافة العنصرية الواحدة، من الطبيعي ان تحاول كل فئة وشريحة وقومية ودين، وحتى المذاهب أن تشكل لها أحزاباً أو تجمعات تدافع عن مصالحها وتجد لها موطئ قدم في نظام الحكم القادم. بالفعل وحسبما أعلن عنه وصل عدد الأحزاب والتجمعات المشكلة في العراق أكثر من سبعين حزبا وتجمعاً.

يبدو من منظور حرية الرأي والتعبير ومبادئ الديمقراطية، أنه يحق لكل فئة أو جماعة أن تشكل حزباً أو تنظيماً خاصاً بها. هذا صحيح من الناحية المبدئية لا جدال عليه، إلا أنه في وضع العراق بعد إنهيار نظام صدام البعثي، ومن أجل التطبيق الفعلي لتلك المبادئ الديمقراطية وحرية التعبير والمعتقد يجب على النظام الديمقراطي العراقي القادم، ومعه جميع القوى العراقية الخيّرة والنزيهة، أن تكون حذرة ومتأنية في إعطاء تراخيص للأحزاب والمنظمات التي سوف تتشكل والحيلولة دون تمكين عناصر البعث من أعوان صدام أن يعملوا تحت غطاء هذا الحزب أو ذاك، وتحت واجهة هذا التجمع أو تلك، لأن أيتام صدام من جميع قوميات وأديان ومذاهب العراق لهم خبرة كبيرة وباع طويل في التضليل والمراوغة والخداع، تساعدهم في ذلك بعض الدول العربية والأعلام العربي الشوفيني وغير الإنساني، خاصة بعض الفضائيات العربية. فان أي إهمال أو تسامح أو ركض وراء العاطفة، سيكون إنتحاراً للقوى العراقية المخلصة ضحايا النظام المقبور أضافة الى عرقلة مسيرة بناء عراق ديمقراطي علماني فيدرالي وتعددي.

وإذا كان بعض الأيزيديين يتصورون أنهم متخلفون عن الركب وأنهم جادون في تقديم خدمة لأبناء جلدتهم ويصرّون على تشكيل حزب أو تجمع ما، يفترض بإعتقادي

أن يكون:

١- برنامجهم واضحاً وكذا الأهداف التي يتضمنها والاصلاحات المنشودة على المستوى الداخلي الأيزيدي، وهو الأهم بنظري. تلك الإصلاحات التي يتحاشونها لأسباب عديدة.

ويعلنوا صراحة موقفهم القومي، وفي أية خانة يقفون؛ هل ينتمون الى القومية الكردية، أم يقفون ضدها!.

٣- وهل يطالب ذلك الحزب، أو تلك المجموعة بالحكم الذاتي للأيزيديين كما طرحه أحد الأخوان في بيان منشور على صفحات جريدة الزمان، العدد ١٥٥٤ بتأريخ ٢٠٠٣/٧/١٢؟ أم يريدون الاسهام في السلطة المركزية ويكتفون ببعض الحقوق الادارية والثقافية في مناطق الأيزيدية؟

* العواقب السلبية من تشكيل حزب ديني:

أعتقد أن عدم دراسة الواقع من قبل البعض بشكل دقيق والانجرار وراء العواطف أو المصالح الأنانية، وعدم معرفة الإمكانيات الذاتية والنفسية للأيزيديين، سيدخلهم ويدخلنا في مطبّات لا نعرف عقباها.

الأيزيديون الذين لا يربو عددهم على نصف مليون إنسان في العراق، يعيشون داخل بحر الاسلام، ليس بامكانهم تغيير الجغرافيا والتعايش لوحدهم دون الاحتكاك مع المسلمين والمسيحيين والشبك والصابئة المندائيين.

ولم تحسم لحد الآن الملابسات التاريخية المزعومة وغير المسنودة تجاه الأيزيدية من الأخوة الشيعة ومحاولة إزالة التهم الباطلة الملصقة بهم لتشويه موقفهم، هذا ناهيك عن الموقف الإسلامي العام الذي يدعي كون الأيزيدية عبدة الشّر تارة، وفرقة إسلامية ضالة تارة أخرى, يجب إعادتهم إلى حظيرة الإسلام!. هذا إضافة الى ما أقدمت عليه سلطة بغداد عن عمد على تشويه موقفهم أثناء إنتفاضة آذار المجيدة وإنطلاء تلك الدعاية-مع الأسف- على طيف أساسي من أطياف الشعب العراقي، ومحاولة النظام العراقي تأليب أولئك عليهم بغية تعميق مآساتهم وتلغيم مستقبلهم.

وإذا أصرّ البعض على الانجرار وراء الموجة الجديدة، وتحت أية ذريعة كانت، حول (استقلالية الأيزيديين والشكّ في إنتمائهم القومي الكردي) نكون قد فقدنا صداقة ودعم

جميع الأحزاب الكردستانية، بل والشعب الكردي عموماً. وتعلوا نسبة غير المعاطفين مع الأيزيديين لتصل الى ٨٦٪ (٦٦٪ شيعة + ٢٠٪ أكراد). هنا لا أشير الى الحزب الوهابي الاسلامي السنّي القوي والمعروف بحقده الشديد الموجه ضد الأيزيديين! وأتوقع ظهور أحزاب وتيارات دينية إسلامية وقومية عربية كثيرة إضافة إلى الموجود منها في عراق مابعد صدام حسين. وسوف تبرز الحساسيات الدينية خلال السنين القادمة الى أن تتكرس الديمقراطية ومؤسسات المجتمع المدني ودولة القانون.

وحسب قناعاتي الشخصية، فإن تشكيل أحزاب دينية عراقية بشكل عام وأحزاب دينية أيزيدية بشكل خاص يقود الى:

١- نشر الأفكار والاتجاهات السلفية والتعلق بالماضي، وإحياء التعصب الديني، وخلق حساسيات وشروخ في نسيج المجتمع العراقي ذات الأعراق والمعتقدات المتعددة، وبالتالي عدم طرح بدائل (برامج) تساعد على تجاوز الأزمة الحالية والتركة الثقيلة التي خلفها نظام الحكم السابق.

٢- ويتعارض مع مبدأ العلمانية التي ننادي بها وننشدها. فالعلمانية في أحد أوجها فصل الدين عن الدولة وحيادية الدولة إزاء جميع الأديان مع منح الاحترام الكامل والحرية التامة والتمتع بالطقوس والشعائر الدينية لكل الأديان والمذاهب دون أي تدخل من جانب الدولية بشؤونها الخاصة والعامة.

٣- وتكون تربة خصبة في عموم العراق لعناصر البعث المجرمين من بقايا النظام المقبور للإندساس وممارسة نشاطهم التخريبي والعمل على خلق بؤر التوتر وعدم الاستقرار في العراق

٤- وتقود هذه الوجهة الحزبية لدى الأيزيدية إلى مزيد من الانعزالية وتقلل أمامها فرص كسب الأصدقاء والانفتاح على العراق والعالم الخارجي.

٥- وتكون في المحصلة النهائية لصالح الذين يجمعون في ايديهم السلطة الدينية والدنيوية، وأولئك الناس من رجال الدين الذين يريدون أن تبقى الأيزيدية ديانة مغلقة وبقرة حلوب لهم.

٦- وتفرز أفكار رجعية ستقف عائقاً أمام عملية التطور والاصلاحات داخل المجتمع الأيزيدي.

ربّ قائل، لماذا توجد أحزاب إسلامية ومسيحية على الساحة العراقية ولا يوجد حزب أيزيدي؟..أنا لا أناقش إمكانية أو عدم إمكانية تشكيل هذا الحزب أو ذاك، فكل مجموعة دينية أو مذهبية تستطيع أن تشكل حزباً أو حركة ولها كامل الحرية، أنا أناقش الآثار والنتائج التي ستترتب عن تشكيل مثل هذه الأحزاب في هذه المرحلة الحساسة التي يمر بها العراق بعد سقوط النظام الشمولي, إضافة على المسالة المبدئية في هذا الصدد, وهي أن الدين قضية خاصة بالإنسان ذاته وليست عامة. ومن وجهة نظري أرى أن عمق الأيزيديين يمتد في عمق الشعب الكردي, وينتسب إلى القومية الكردية وإلى المجتمع الكردستاني. كما يمكن للأيزيديين التعبير عن مصالحهم من خلال إنشاء مراكز ثقافية ومنظمات المجتمع المدني وحركات إجتماعية إصلاحية داخلية، في عراق ديمقراطي فيدرالي تعددي علماني يفصل الدين عن الدولة.

ما أسهل أن نجلس أمام الكومبيوترأو على الطاولة لنحرر بياناً جميلاً مطرزاً بأحلى العبارات، لكن ما أصعب معالجة نتائجه إذا كان ذلك البيان غير مدروسٍ بدقة لازمة وصادر في غير حينه. يمكن أن نكتب بياناً خلال دقائق، أما معالجة نتائجه الضارة – إذا حدثت– فتستغرق فترات طويلة.

أهمية مشاركة الكرد الأيزيدية في الحياة السياسية مع الأحزاب الديمقراطية في كردستان العراق وأهمية بناء عراق ديمقراطي فيدرالي علماني وتعددي:

يشكل الأيزيديون جزء مهماً من الشعب الكردي، ورغم أن المصطلحين، القومي الكردي والديني الأيزيدي مترابطين لا يمكن فصلهما، إلاّ أن مسألة إبراز الانتماء القومي الكردي تأتي في المرتبة الأولى من مسألة التأكيد على الانتماء الديني في الظروف الراهنة، فتثبيت مطلب الفيدرالية كحق من حقوق الشعب الكردي في تقرير مصيره في دستورالعراق الدائم، وتحديد حدود كردستان هي من القضايا المصيرية وتمس مسألة الأمن القومي الكردي، وهو ضمان بالتالي لجميع حقوق الأقليات الدينية في كردستان.

الأكراد، شعباً وحكومة وأحزاباً وطنية هم حلفاء الايزيدية وسندهم. ويمكن تحقيق مطالب الأيزيدية، وكذلك مطالب بقية الأقليات القومية والدينية في كردستان العراق والعراق كله عبر ترميم البيت الأيزيدي الداخلي بالجرأة والصراحة والمجاهرة وبتكاتف

المراكز الأيزيدية الفاعلة في الداخل والخارج وجمهرة المثقفين والوجهاء والمخلصين من الكرد الأيزيديين وبإنشاء فيدراسيون أو هيئة أو سميها ما شئت، توحد الخطاب الكوردي الأيزيدي أولاً وقبل كل شيء. ثم تمرير تلك المطالب المشروعة بشكل أساسي عن طريق ممثلي الشعب الكردستاني حكومة وبرلمانا وأحزاباً وطنية مناضلة وجمعيات ومنظمات مهنية، علماً أنه خلال العشرة اعوام الماضية تحققت إنجازات جيدة لهذه الأقلية الدينية في ظل حكومة كردستان. وأثناء الزيارات الرسمية لوفود أيزيدية واللقاءات التي تمت مع الأخ مسعود البارزاني، رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني ورئيس فيدرالية إقليم كردستان في يوم ٩/حزيران/٢٠٠٣ وكذلك مع الأخ نيجيرفان البارزاني رئيس حكومة أقليم كردستان يوم ٢/حزيران، وكذلك اللقاءات اللاحقة في شهر تموز من العام نفسه، ولقاءات مع السادة الوزراء وشخصيات كبيرة في الحزب والحكومة في كل من أربيل والسليمانية، وتقديم مذكرات بمطالب الأيزيدية إليهم، أكدوا جميعاً دعمهم الكامل لتلك المطالب المشروعة والعمل مع الجهات ذات العلاقة على تحقيقها.

إضافة إلى الشعب الكردي، حكومة وأحزاباً وقوى سياسية وإجتماعية، على الايزيدية كخصوصية دينية تراثية، أن تكسب أصدقاء لها من القوميات الأخرى في العراق من عرب وكلدو–آشوريين وتركمان, وفتح باب الحوار مع جميع القوى والأحزاب الإسلامية المعتدلة من شيعة وسنّة وتعزيز العلاقات معهم ومع الأخوة المسيحيين والصابئة والكاكائيين (أهل الحق) واليهود إن كانوا موجودين في العراق من أجل نشر سياسة التسامح الديني والمحبة وإعلاء كلمة الحق وتقبل الرأي الآخر، ومن أجل بناء عراق هادئ مسالم يستوعب هذا الموزائيك الرائع من القوميات والأثنيات والأديان والمذاهب والاتجاهات الفكرية المختلفة، ويكون بالفعل الدين لله والوطن للجميع.

ينادي الكرد الأيزيديون مع أبناء الشعوب العراقية بتطبيع الحياة اليومية بعد قبر النظام الشمولي، وبناء دولة القانون والمؤسسات الديمقراطية باعتبارهما المفتاح لحل القضايا السياسية–الاجتماعية–الاقتصادية، الى جانب المشاكل القومية والدينية والمذهبية. ويطالب الكرد الأيزيديون بدولة علمانية وأن يتمكن العراقيون من فصل الدين عن الدولة، وهذا يعني عدم ارتباط الدولة بدين رسمي محدد في الدستور الجديد كي لا

تشعر الأقليات الدينية بالغبن وتحس أن حقوقها ستهضم في العراق.

أعتقد بأن الضمان الأساسي لجميع الشعوب العراقية ولجميع أديانه ومذاهبة هو سقوط النظام الديكتاتوري الفاشي ورحيله الى الأبد، أما التفاصيل الأخرى عن شكل الحكم ونسب المشاركة وبرامجه السياسية والاقتصادية وعلاقاته الخارجية، فأنها تحل بالحوار والصبر ووفق آليات ديمقراطية سلمية ونكران الذات بين الفصائل العراقية وبمساندة أصدقائهم وحلفائهم. يجب أن يكون الجميع حذرين ويقظين من تحركات رموز النظام الصدامي ولا يدعهم أن يمرروا مشاريعهم ونواياهم الخبيثة تحت اسم هذا الحزب أو ذاك التجمع والاتحاد.

وأعتقد أن على كل عراقي شريف يحب وطنه وشعبه ومستقبل أجياله، أن يدعم مجلس الحكم الانتقالي بغض النظر عن نواقصه.

فنحن اليوم نرى بوضوح كيف يحارب هذا المجلس من بعض الدول العربية وبعض القوى القومية الشوفينية والإسلامية المتطرفة, كما لم يكن موقف الجامعة العربية كما ينبغي له أن يكون حتى الآن, رغم أن الخطوة الأخيرة كانت إيجابية بإرسال وفدٍ لتقصي الحقائق ومعرفة الواقع الجاري في العراق. وما تزال بعض الفضائيات العربية تشن حملة من خلال نشر أخبار من جانب واحد أو عن جزء معين لما يجري في العراق وبصورة مغرضة, إذ يراد منها دعم عمليات العنف والتخريب ونشر الكراهية، والتي تشكل دعوة صريحة للفتنة والقتل وعمليات الانتحار الجماعية!

نحن اليوم أحوج ما نكون الى نشر ثقافة التسامح والمحبة وحقوق الانسان وحقوق المرأة والطفل والسلام الاجتماعي ونبذ سياسة العنف وتقبل الرأي الآخر، عبر إنشاء منظمات المجتمع المدني في كل مدينة وقصبة وقرية، والعمل بكل الطاقات من أجل دولة علمانية تفصل الدين عن الدولة. كما يفترض جعل بيوت الله (الجوامع، الأديرة، المزارات) مفتوحة لجميع المؤمنين ولمن يريد أن يصلي ويبتهل الى خالقه ويؤدي طقوسه وشعائره بكل حرية وأمن وسلام.

* كتب المقال في تموز/٢٠٠٣ ونشر في العديد من المواقع الالكترونية.

ما العمل؟

أوضاع الايزيدية في المرحلة الراهنة

" كوردستان العراق نموذجاً "

" ليس من أغراك بالعسل حبيباً، بل من نصحك بالصدق عزيزاً"

ونحن أتابع ما ينشر عن الايزيدية في الصحافة، وأقرأ المقالات والردود التي تكتب هنا وهنالك، والمناقشات التي تدور في المجالس وغرف paltalk، قررنا التعبيرعن رؤيتنا للواقع الذي يمر به المجتمع الايزيدي ومن أجل رصد التغيرات الجارية في العراق والعملية الديمقراطية ومحاولة كل قومية ودين ومذهب وشريحة إجتماعية تثبيت حقوقها في الدستور الدائم المزمع طرحه للاستفتاء أواسط شهر اوغسطس/آب من هذا العام.

بعد تحرير العراق من النظام الشمولي وإلغاء جميع المؤسسات الارهابية– القمعية، من الطبيعي أن يتنفس الناس الصعداء ويعبّروا عن آرائهم ويكتبوا دون رقيب وو...ومن حق الايزيدية كديانة قائمة بذاتها ومغبونة أن تلّم شملها وتكافح بالوسائل السلمية والديمقراطية من أجل الاعتراف بها إسوة بأديان العراق في تثبيت حقوقها في الدستور الدائم.

ان العمل من أجل الإعتراف بالديانة الايزيدية وتثبيت حقوقها في الدستور القادم حق مشروع ومسألة بديهية لا يختلف عليه إثنان، إلاّ أن السؤال: ماهي الآليات التي نستخدمها لنيل تلك الحقوق؟ هنا نصطدم بالواقع حيث تتعدد الرؤى. إذن ما العمل ومن أين نبدأ؟

يقال إن الحرية بنت الديمقراطية. والانسان حرّ ما لم يؤذ غيره. والمثقف الايزيدي حرّ فيما يكتب ما لم يؤذ الاخرين. والانسان الايزيدي حرّ في إبداء رأيه فيما لم يضر بهذه الحدود...وان الكتابة – خاصة في حقل الانسانيات– رسالة معرفية لها شروطها ومقوماتها؛ فانها إضافة الى تزويد المتلقي بالمعلومات، تحرك الوعي وبالتالي تساعد على تغيير وتطوير المجتمع نحو الأفضل، لذا ينبغي أن تعبّر الكتابة بوضوح ودقة عن

رأي وفكر الكاتب وإلاّ فقدت مصداقيتها وتأثيرها، ولن تساهم في معالجة تلك المسائل العقدية والأحداث المستجدة.

لسنا اليوم بحاجة الى كتابة مقالات المجاملة وترضية هذا الطرف أو ذاك، بل تشخيص الداء والدواء، لأن مجتمعنا الايزيدي مريض ومشلول، لا قيادة دينية ولا دنيوية بالمعنى العملي والفعلي. ومثقفونا مشتتون لم يتحرروا بعد من تركة الماضي الثقيل. وأن منظمات المجتمع المدني في بداياتها لا تحمل استقلاليتها الكاملة...عندما نكتب ننطلق من الواقع، ندرسه ونعكسه للعالم كما نفهمه؛ لا نكتب ونتحدث حتى يرضى عنا الجميع خاصة أصحاب السلطة والمتنفذين، بل نكتب بما نؤمن به وبما يملي علينا ضميرنا. وأن نخاطب عقول الناس قبل قلوبهم، وأن نثير المسائل الواقعية بدل العاطفية، وأن نبحث عن " مفاتيح" مواطن الخلل في حياة المجتمع، وبالتالي تكوين جبهة فكرية- ثقافية غير مترددة تقود عملية الاصلاح والتغيير داخل المجتمع.

ضمن هذا السياق، نرى من الضروري والواجب أن نلبي في كتاباتنا ومحاضراتنا ومخاطبتنا للناس، ما يحتاجه أولئك الناس وليس ما يريدوه؛ أي أن نكتب وندافع عن العملي والممكن من حاجات الناس لا أن نخاطب عواطفهم. على الكاتب الواقعي أن لا يتحرك حسب أهواء ومزاج الآخرين ويكتب كما يشتهون كي يكونوا راضين عنه ويقولون: " أنه شخص طيب ولم يزعج أحداً يوماً ما!" فان وجد إنسان أو كاتب بهذه المواصفات فانه باعتقادي: إما إنسان ضعيف لا موقف له، أو متقلب همه إرضاء الآخرين فقط، أو مريض نفسياً يدعو للشفقة.

وهنا نريد الاشارة الى مسألة في غاية الأهمية ألا وهي: هل العقل يؤدي دوره في كل الأحيان؟. إذا قلنا نعم في مجال العلم البحت، فأنه في المجالات الأخرى لا يؤدي هذا العقل دوره بل يعتبر وسيلة يستعملها الانسان للدفاع عن نفسه ومصالحه. وكما يقول الدكتور علي الوردي في كتابه (مهزلة العقل البشري) " أن العقل الانساني لا يعمل وفق قوانين المنطق والحكمة والمثاليات، بل هو عضو مثل ناب الأفعى، وساق النعامة، ودرع السلحفاة." ويرى الوردي:" أن طبيعة البشر واحدة والاختلاف يرجع في الغالب الى إختلاف في تكوين المجتمع، والذي جعل من أهل العراق أهل فطنة ونظر

وأهل شقاق ونفاق هو واحد لا يتجزأ." (نقلاً عن د. عبد الخالق حسين: هل للعقل دور في اختيار الحلول الصائبة؟، جريدة ايلاف الالكترونية، الاثنين ٢٠/يونيو ٢٠٠٥)

اذن كل واحد ينظر ويعمل ويكتب حسب مصلحته، ويقول الوردي: " عندما يتوصل الناس بعد انتكاسات وخسارات الى الحل الصحيح، فانهم لم يتوصلوا اليها بالعقل والحكمة، بل أنهم إستسلموا للحل الصحيح، وتوصلوا اليه بعد أن إنسدت في وجوههم كل الطرق الخاطئة فلم يبقى أمامهم سوى الحل العملي الممكن."

سقنا هذه المقدمة كي لا يفاجأ الأخوة القراء والأخوات القارئات من الإيزيديين بأفكارنا. وندعو الذين يختلفون مع أفكارنا أو مع بعضها الى مناقشتها بشكل منطقي وحضاري. والذين يتفقون معنا ولا يتمكنون من التعبير عن آرائهم لأي سبب كان، فنحن نحترمهم. والذين يتفقون مع أفكارنا ويعلنونها كتابة، فمرحباً بهم الى البحث عن حل عملي وممكن لتثبيت الديانة الايزيدية في الدستور الدائم في بغداد وأربيل قبل أن نسلك الطرق الخاطئة، ونعود بعد الارهاق واليأس الى الاستسلام للحل الصحيح!!

من بين أحد العوامل الذي دفعنا للكتابة هي "مذكرة التضامن مع المطاليب الايزيدية" التي حررها بعض الاخوة- بعد فقدان الوزارة التي كان يشغلها ايزيدي على ما يبدو- لجمع التواقيع، وما رافقه من تباين في المواقف وأحاديث وتعليقات وإزدياد الشرخ بين صفوف الايزيديين خاصة المثقفين منهم.

لإزالة أي إلتباس نود أن نوضح ونوكد بأننا لسنا ضد المذكرة ولا نعتقد أن يكون غيرنا ضد المطالب التي تضمنتها، بغض النظر عن سقف تلك المطالب. ولم تصبح المذكرة من قبل البعض " جريمة لا تغتفر أو لم يحن الوقت للحديث عنها" كما ذكرها أحد الأخوة في مقالة له نشرت على صفحة بحزاني يوم ٢٠٠٥/٦/١٨، لكن لدينا ملاحظات على توقيتها (بعد فقدان الوزارة) وعلى بعض الأسماء والشخصيات التي وقعت عليها، والتعليقات، أي الحملة الاعلامية التي رافقتها، بحيث بدى وكأن كل من لم يوقع عليها من الايزيديين هو "خائن" لا ينتمي الى الكيان الايزيدي وغير مخلص لقضيته، و "غير شريف"!! حيث قرأت في تعليقات عديدة بأن "الذين وقعوا على المذكرة كلهم ناس شرفاء". أيا ترى: هل الذين لم يوقعوا عليها " ناس غير شرفاء"؟! فإذا

اعتبرنا نفوس الايزيدية في العراق يبلغ حوالي نصف مليون، وطرحنا منهم الأطفال والأحداث، فهل النسبة الباقية والتي تقدر بربع مليون ناس " غير شرفاء"؟! إذا كان المنطق بهذا الشكل التبسيطي في هذا الزمان، فأنا وغيري لن نخجل أن نكون ضمن الربع مليون الذين لم يوقعوا على المذكرة!! ونشدّ على أيادي الشرفاء الذين وقعوا عليها ان حققوا مطالبنا بتلك الطريقة التي يرونه مناسباً.

نقاط ضعف المذكرة:

لم نعرف بالضبط عدد الاخوة الذين قاموا بإعداد المذكرة، هل كانوا ثلاثة، أربعة، عشرة، أم أكثر، وان كانت تقف وراءَهم جهة ما أم لا، ربما كانت نيتهم صافية. نحن لا نناقش كل ذلك، إلاّ أن المأخذ هو أنه في حال المنعطفات والقضايا المصيرية التي تهم الايزيدية جميعاً، من الأولى أن تكون الخطوة التي يقدم عليه أي شخص، أو القرار الذي تتخذه أية مجموعة، يجب أن يدرس من جميع جوانبه ويأخذ بنظر الاعتبار النتائج المترتبة عليه. في مثل هذه المنعطفات لا تتخذ القرارات في غرف مغلقة بين خمسة أو سبعة أشخاص، بل يقوم الشخص أو المنظمة والمركز المبادرين بالاتصال مع كل من له صلة بالموضوع من أصحاب الرأي من الأعضاء الايزيديين في الأحزاب الكردستانية والعراقية الديمقراطية، ومع مسؤولي المراكز والتجمعات والكتاب، ليس من ايزيديي العراق وحسب، بل دعوة الايزيديين من مختلف الدول وبقية مناطق كردستان الى اجتماع موسع لتدارس الموقف واتخاذ قرار جماعي كي لا نحصد نتائج معاكسة.

نعتقد أن المذكرة ساهمت في خلق حساسية بين الايزيديين، خاصة بين الأعضاء الايزيديين للحزبين الكرديين الحاكمين في كردستان العراق، وبدأ وكأن طرف يقف ضد مطاليب الايزيدية وآخر يدافع عنها وبذلك يسجل هذا الطرف نقطة على الآخر.

ثانياً/ نقطة الضعف الثانية هي توقيع حضرة سمو أمير الايزيدية وسماحة البابا شيخ ورئيس القوالين على المذكرة، علماً أن معدي تلك المذكرة والموقعين عليها والمؤيدين لها، اعتبروه مكسباً عظيماً! إلاّ أنه من وجهة نظري مأساة ومسألة تدعو للأسى، وبالتالي للتأمل والتفكير لإنتشال الايزيدية من هذا الوضع المتردي.

نحترم كل من قام بإعداد المذكرة، ومن وقع عليها ونقدر مشاعرهم تجاه ديانتهم

وبني جلدتهم، لكن توقيع كل من سمو الأمير وسماحة البابا شيخ لا نراه في محله، فلو كان كلاهما متابعان للتحولات السياسية في العراق وكردستان بشكل جيد، لتداركا الموقف قبل استفحاله ولقام الاثنان بإعداد مذكرة بإسميهما أو باسم المجلس الروحاني وطلبوا من الآخرين التوقيع عليها. وأننا على يقين بأن معظم الايزيديين والكثير من أصدقائهم من غير الايزيديين كانوا سيلبون دعوتهم في التوقيع عليها. ومن جانب آخر وقبل أن يوصل الأمر بنا الى كتابة المذكرات، أعتقد أنه كان بامكان سمو الأمير وسماحة البابا شيخ ودون أن ينتظروا هذا أو ذاك، أن يلتقوا مع سيادة رئيس جمهورية العراق الفيدرالي جلال الطالباني وسيادة رئيس أقليم كردستان مسعود البارزاني، ومع أي مسؤول من قيادة الأحزاب الكوردستانية والعراقية. وكان بإمكانهما أن يلتقوا مع سماحة المرجع الشيعي علي السيستاني والسيد الجعفري رئيس الوزراء وبقية المسؤولين العراقيين. اننا بهذا التوقيع كمن وضع العربة أمام الحصان كما يقول المثل. اذن أين يكمن الخلل أيها الأخوة والأخوات؟!

ثالثاً/ الحلقة الضعيفة الأخرى في المذكرة هي توقيع مجموعة من المسؤولين الحزبيين والحكوميين الايزيديين داخل أحد الأحزاب الكوردستانية الحاكمة، والذي اعتبره الأخوة معدي المذكرة نصراً كبيراً، إلاّ أننا رأيناها موقف ضعف يسجل في غير صالحهم. فهو إما ضعف موقفهم لدى أحزابهم، أو يبدو عدم إطلاعهم على جميع ما يخطط ويقرر داخل تلك الأحزاب، وإلاّ كيف يمكن تفسير أن يكون إنسان في منصب وزير وعضو برلمان وممثل حزب ومستشار الأمين العام للحزب...الخ، لا يعلموا لماذا ضاع منصب الوزير الايزيدي في حكومة المركز، ولماذا لم تحقق ولو ٢٪ من المطالب المذكورة في المذكرة؟!. نعتقد لو كان حزبهم ضد مطالب الايزيدية، وجاء اولئك الأخوة للتوقيع على المذكرة، لسجل لهم التاريخ موقفاً شجاعاً لا ينسى.

المسألة الأخرى التي تجدر الاشارة إليها، هو الموقف من الأخوة والأخوات البرلمانيين الايزيديين، وهنا ينتابنا الحيرة ونحن نسمع ونقرأ للكثيرين بأن البرلمانيين الأيزيديين الموجودين في المجلس الوطني العراقي والبرلمان الكوردستاني والوزير الايزيدي السابق، لا يمثلون الايزيدية!. لنتفق مع القائلين بأن هؤلاء الأخوة والأخوات (بغض النظر عن الموقف الشخصي من هذا أو ذاك) لم ينتخبوا مباشرة من قبل الايزيديين، لكن هل هنالك شكّ في ايزيديتهم، أو عدم دفاعهم عن حقوق بني جلدتهم؟. ومن يقول

لو تم إنتخاب مجموعة أخرى من قبل الايزيديين، لكانوا أكفأ وأكثر جدارة من الموجودين، أو لنقل محل ثقة الجميع؟! ألم تعطي الأكثرية الايزيدية صوتها الى قائمة التحالف الكوردستاني؟ أي اعطاء الشرعية، ليس للأعضاء الايزيديين فحسب، بل للأعضاء المسلمين والمسيحيين والتركمان الموجودين ضمن قائمة التحالف الكوردستانية. ألا يوجد اثنان من الأخوة (أحدهم ابن أخ الأمير) في لجنة صياغة الدستور نفسها، ألا يدعو هذا للتفاؤل؟ ومن يقول انه كان بإمكان الايزيدية في الوقت الحاضر دفع عدد أكبر من نوابهم الى المجلس الوطني في المركز والأقليم؟ وهل يعتقد الأخوة أن العدد ولوكان عشرة أعضاء أو أكثر سيؤثر على قرار التصويت أمام الكتل البرلمانية الكبيرة؟!

يبدو لنا أن من بين أحد الأسباب الرئيسية للنقاش الدائر في كون البرلمانيين الستة لا يمثلون الايزيدية، بل يمثلون أحزابهم والشكوك تجاه تلك الأحزاب، ينعكس من مجموعة ليست بالقليلة من الايزيديين لم يحسموا موقفهم فيما إذا كانوا ينتمون الى القومية الكوردية أم لا!. فان قالت واعترفت الغالبية العظمى من الايزيديين أنهم كورد وجزء من الشعب الكوردستاني، نعتقد أنه ليس من الصحيح حينها الالحاح على تمثيلهم حسب نسبتهم السكانية، وانما لهم كل الحق أن يطالبوا ويؤكدوا على مطالبهم ضمن خصوصيتهم الدينية. ونعتقد بأن القائمة الكوردستانية ستبقى سند الدفاع عن مطالب الايزيدية وبقية الأديان في كوردستان والعراق وتثبيتها في الدستور. وبدونها سوف لن يحقق الايزيديون ما يصبون اليه.

وفي حال اعتبر البعض وأصر على عدم انتمائه للشعب الكوردي، واعتبروا أنفسهم من قومية أخرى أو قومية خاصة، حينها لا أحد يمنعهم من تشكيل أحزاب وحركات ومنظمات خاصة بهم وأن يدخلوا العلمية الانتخابية كأي شريحة أخرى حسب القوانين المرعية، حينذاك يتحمل جميع الايزيديون النتائج السلبية!. بغض النظر عن موقفنا من هذه الشريحة فيما إذا تبلورت في المستقبل، فاننا نعتبرها من إفرازات العملية الديمقراطية.

القضايا الملحة التي تنتظر غالبية الكورد الايزيديين:

يمكن حصر أهم القضايا الملحة في الوقت الحاضر بالتالي:

* النضال والعمل بكل السبل من أجل وحدة مناطق الايزيدية من شنكال غرباً الى بعشيقة وبحزاني وقضاء الشيخان شرقاً، والقرى الايزيدية التابعة الى قضاء تلكيف في الوسط الى أن نصل الى مجمعاتهم في دهوك وزاخو في الشمال والشمال الشرقي وعدم تجزئة هذه المناطق عن بعضها.
* العمل وبالحاح من أجل ضمّها الى فيدرالية أقليم كوردستان. ربما يتم تشكيل فيدرالية لمحافظات السنّة من (الموصل، تكريت والرمادي)، فان لم يتم فصل مناطق الايزيدية في قضاء شنكال والشيخان وتلكيف إضافة الى بعشيقة وبحزاني التابعة لقضاء الحمدانية، عن محافظة الموصل، لأصبح الايزيديون وحقوقهم سوية في مهب الريح!!
* نرى أن مصيرنا مرتبط بمصير شعبنا في كوردستان، وحقوقنا مضمونة ضمن فيدرالية أقليم كوردستان، بغض النظر عن إختلاف المعتقد الديني (الخصوصية الدينية). ولا نرى من الضروري أن يرمي الايزيديون بثقلهم ويضيعوا وقتهم مع المركز بغداد!

(ونحن نطرح هذا الاحتمال، فيما إذا تم – لا سامح الله– تجزئة المناطق الايزيدية بين أقليم كوردستان و "فيدرالية السنّة"، ماذا يكون مصير المجلس الروحاني الأعلى للأيزيدية؛ هل سيكون مجلساً للطرفين، أم سيشكل مجلس آخر في الطرف الثاني؟)

ماهي عوامل تفرقة وتباعد الايزيدية؟

لا تختلف خصائص الكوردي الأيزيدي من حيث المبدأ عن الخصائص التي يتميز بها الكوردي المسلم في العراق،أو حتى عن الفلاح الريفي بشكل عام. فالفرد والمجتمع الايزيديين يشكلان جزء من ثقافة الفرد والمجتمع الشرقي.

من الطبيعي أن تصنع العلاقات الانتاجية والبيئية والجغرافية والتاريخ شخصية الفرد والمجتمع وشخصية الأمة، بغض النظر عن العرق واللغة. والكورد الايزيديون ليسوا استثناء من تلك القاعدة. نقول وبمرارة أن نسبة كبيرة من الايزيديين يتميزون

بالفردية والاستسلام للقدر والازدواجية والشكّ والحذر الزائدين عن اللزوم، إضافة الى ذلك الانغلاق الطويل على الذات والعناد الفلاحي الذي لازمهم خلال تاريخهم المنصرم، وهذا في جزئه الكبير ينبع من عوامل عدة لا مجال لذكرها هنا.

الى جانب هذه الخصائص المذكورة التي وقفت وتقف عائقاً بوجه وحدة نسيج المجتمع الايزيدي، فان ما وصل اليه الايزيديون في الوقت الحاضر من تباعد وتفرقة يعود الى الصراع بين الحزبين الكورديين الحاكمين في كوردستان العراق على كسب الايزيديين والاستحواذ عليهم. وما ضياع الوزارة التي كان يشغلها الوزير الايزيدي إلاّ جزءً من ذلك الصراع على ما يبدو.

من الطبيعي أن تعمل الأحزاب في كردستان والعراق على كسب الأيزيديين. وربما تقوم تلك الأحزاب بوضع آليات بناء على الخصوصية اعتقادا منها بتقديم أفضل الخدمات لهم. أن هنالك شكوى وموقف شبه متفق عليه يقول أن سبب تباعد وخلافات الايزيديين، خاصة في مراحله الأخيرة، يعود الى سوء إدارة اللجان الاستشارية الايزيدية لدى كلا الحزبين الكورديين الحاكمين بسبب الصراع " غير الودي" بينهما وتغليب النظرة الضيّقة والمصالح الذاتية على العامة. هذا ما يتحدث به الناس.

بالرغم من صحة أو خطأ تلك الأحاديث والكتابات، والمنطلق الذي ينطلق منه الشخص أو المجموعة في تقييمهم لعمل تلك اللجان الاستشارية، نأمل من الحزبين الكرديين المناضلين (الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني) الذي نكنّ لهما وللجميع الاحترام والتقدير، أن ينظروا الى الايزيدية ويُقيِّموه من خلال عيون ومصادر عديدة وليس فقط من خلال عيون اللجان الاستشارية(مع إحترامنا لجميع العاملين فيهما) خدمة لمصلحة الحزبين ولسمعة الأخوان في اللجان الاستشارية أنفسهم وليس انتقاص من قيمتهم.

العامل الثاني الشبه مزمن لتباعد الايزيدية، يكمن باعتقادي في ضعف القيادة المتمثلة بوجود منصب الأمير كوظيفة أولاً، ووجود المجلس الروحاني الاسمي ثانياً. حيث أن منصب الأمير لدى الايزيدية ولدى غيرهم كان منصباً إدارياً بحتاً لا علاقة له بالشؤون الدينية.

إذا كان الأمير(نتحدث هنا عن المنصب والوظيفة وليس عن الاشخاص بحد ذاتهم)

يعتبر نفسه معصوماً من الخطأ، أي (مقدساً) يفترض به أن يختار واحد من اثنين: الدين أم السياسة، أما إذا أصرّ أن يحتفظ بالاثنين، عليه أن يتوقع توجيه النقد اليه عن سوء إدارته للمجتمع.

وفي مقابلة معنا في شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٤ تم نشرها في مجلة (نور لالش) الصادرة من فرع مركز لالش الثقافي الاجتماعي في بعشيقة وبحزاني، عبّرنا عن موقفنا بشكل علمي وواقعي على منصب الأمير بين الايزيدية، كون هذا الاسم أو المفهوم بنت حقبة من الزمن تخطاه التاريخ، وأن هذا الاسم/الوظيفة يرتبط بوجود إمارة، أي كيان له شبه استقلالية على الأرض، وله قوة عسكرية تدافع عنه، وحتى علم ونقود وصكوك خاصة به. وكم من أسماء إمارات لامعة في تاريخ الشعب الكردي تلاشت واندثرت ولم يبق منها غير الاسم في بطون الكتب وبعض بقايا القلاع والقصور على الأرض! هذا كان مصير الامارات الايزيدية نفسها التي اندثرت هي الأخرى مع شقيقاتها. أين إمارة حلب، شنكال، زوزان، العمادية، حرير، الشيخان، أربيل وروانduz؟!

تدخل هذه النقطة ضمن دائرة الاصلاحات التي يجب أن ينادي بها الايزيديون من أجل إيجاد قيادة عصرية فعّالة لهم تواكب مستجدات المرحلة الى جانب استخدام الأساليب العصرية الأخرى من مراكز وتجمعات ومنظمات المجتمع المدني. وان أصرّ كل من لم يعِ التاريخ ولن يستوعب التغيرات، على بقاء منصب الأمير بدون وجود كيان الامارة نفسها، على أن يقبلوا باحياء منصب أمراء من نسل الأمراء الذين انقرضت إماراتهم، ويكون لنا من سلالة الأمير شيخ مند، الشيخ شرف الدين، الشيخ سجادين، الشيخ آمادين، الشيخ ناصردين، الأمير حسن ممان، والأمير بير محمد رشان، ومحمد الكردي القاتاني (أمير أربيل وروانduz) الذي ينتسب إليها، حسب بعض المصادر، عائلة أمراء الايزيديين الحاليين؟! ليكون من هؤلاء جميعاً مجلساً إدارياً لشؤون الايزيدية.

هل يصّر الايزيديون القبول بالمفهوم السّلفي، كون الحاكم هو ظل الله على الأرض، وأن "الأمير هو وكيل الشيخ عدي"؟!

يبدو أن غالبية الايزيديين يشبهون السنّة في وقوفهم غير المشروط الى جانب الأمراء

والمرجعية الدينية "الحاكم بأمر الله"، نرى أن هذا الموقف الموالي لن يبق في حيز السكوت لدى المثقفين، وإنما بدأ الافصاح عنه تحريراً في مقال تحت عنوان: "المرجعية الدينية، والجيل الثاني من الحركة الثقافية الايزيدية، بداية وآفاق مفتوحة" يريد الأخ الكاتب أن يحمّل رواد الجيل الأول المتشبعين بالأيديولوجية اليسارية سبب إخفاقات الوضع الايزيدي المتردي والموقف المتشنج مع الأمير. يقول بالضبط: "ثم أن مهمة المثقف كانت أصعب، لأن الجيل الأول من الحركة الثقافية الايزيدية، كان متأثراً بحركات التحرر اليسارية الموجودة في العالم، ولهذا فان نظرته وحلوله لمآساة الايزيدية كانت معظمها لايجاد بدائل وفق تلك الايديولوجية بما فيها التعاطي مع الشأن الداخلي وإعادة بناء البيت الايزيدي، بعقيدة ثورية وكأنهم أمام حرب بين (طبقة العامة والأقطاع) ومن هنا بدأ الخلاف مع المرجعية الدينية، وبشكل خاص مع بيت الأمير، الأمر الذي مهد لنوع من الفتور وأزمة الثقة بين الطرفين. فرواد الجيل الأول كانوا يعتبرون حلولهم في الشأن الايزيدي الداخلي هي بداية للواقع، والأمير كان ينظر الى ذلك تهديداً لوجوده على الهرم الروحاني- الدنيوي."

وبعد أن يرمي تبعات تناقضات المجتمع الايزيدي وتأزيمها على رواد الجيل الأول المتأثر "بحركات التحرر اليسارية الموجودة في العالم" (أي الماركسيون والشيوعيون ذوي الأفكار المستوردة) يأتي الأخ الكاتب بعدها ليعطي تفسيراً لبعض جوانب تطور المجتمع الايزيدي لتكون رسالة ترضية وتعهد الى " المرجعية الدينية/ الأمير" لتصفية الأجواء وإزالة " الفتور وأزمة الثقة ونظرة التوجس والشّك" الذي كان يحمله الأمير نحو المثقفين من الجيل الأول. ولم يقف كاتبنا العزيز عند هذا الحد وحسب، بل أعطى الصلاحية لنفسه أن يتكلم باسم الجيل الأول ويرسل بإشارة ثانية للطرف المتوجس من الجيل الأول ويطمئنه أن اولئك تم ترويضهم و "حاولوا بدورهم التأقلم وفق أيديولوجية الجيل الثاني."!. إذا كانت (العقيدة الثورية/ الايديولوجية اليسارية) أثبت فشلها في ترتيب "البيت الايزيدي" فما هي (ايديولوجية الجيل الثاني) التي تساعد على ترميم ذلك البيت؟ علماً أن الأيديولوجية ينظر اليها في كل الأحوال عقيدة شبه جامدة ومتطرفة! (المقال الاسبوعي لرئيس تحرير جريدة قنديل، بقلم الكاتب ميرزا حسن الدنايي). يولد عنوان المقال أكثر من علامة إستفهام، وهو محبط لتوجهات الجيل الثاني من المثقفين المستقبلية، أو حركة النهضة الايزيدية كما يسميها الأخ الكاتب.

ما زال مجتمعنا، مجتمعاً عشائرياً- فلاحياً بمعناه الاقتصادي الاجتماعي، لم يتحرر بعد من تركة الأفكار العشائرية الأبوية، ورغم إزدياد درجة التعليم داخل المجتمع، إلاّ أنه لم يتبلور بعد إتجاه فكري- ثقافي، بل ما زالت المجموعة المثقفة تترنح يميناً وشمالاً وربما تستسلم لهذا الطرف أو ذلك حسب موازين القوى على الأرض.

مشروع إصلاحي وبعض الحلول المقترحة:

نعتقد أن معالجة مشاكل المجتمع الايزيدي وتحقيق مطالبهم الآنية لن يكتب لها ذلك النجاح المتوقع، ما لم تقترن ببعض الاصلاحات الداخلية وإجراء " عمليات جراحية لأمراض مزمنة" في سلم التقسيم الهرمي المصطنع والحديث العهد وفصل الشؤون الدينية عن الشؤون الادارية السياسية، وحينها يعمل المساران بشكل متوازي ويقودان دفة سفية الايزيدية الى برّ الأمان. فيما يلي بعض الخطوط العامة لمشروع الاصلاح دون الدخول في تفاصيلها:

١- بما أن منصب الأمير على رأس الهرم الديني مفروض، فقد زال بزوال أسبابه منذ أواسط القرن الثاني عشر بزوال الامارات الايزيدية. وفي كل الأحوال كان منصب الأمير إدارياً وليس دينياً ولا يحتسب الأمير ضمن قائمة الروحانيين أصلاً، فكيف به يكون على رأس المجلس الروحاني؟!.

وإذا كان الايزيديون، بمن فيهم المثقفين، لن يتمكنوا من استيعاب مشروعي ويعتبر مفاجئة لهم، *أدعو فصل منصب الأمير عن المجلس الروحاني، على أن يبقى الأمير كرمز مثل ملكة بريطانيا، وملك هولندا والدانيمارك والسويد...الخ، ينظر اليه وكل من يأتي بعده بعين التقدير والاحترام، ويحافظ على مكانته ويخصص له راتباً مناسباً يليق بمنزلته ويستشار في جميع الشؤون المصيرية ويضع توقيعه على القرارات المهمة التي تتخذ.*

وفي حال الاصرار على الاحتفاظ بالنظام الجديد دون تقبل التغييرات، نكرر مقترحنا السابق بإحياء من يمثلون الامارات الايزيدية المنقرضة وتشكيل مجلس خاص بهم يكون الأمير الحالي واحد من ضمن ذلك المجلس.

٢- إعادة تشكيل المجلس الروحاني ونفخ الروح فيه، بعد أن يتم فصل الدين عن السياسة ويتخذ الأمير كرمز. يقوم المجلس الروحاني أعلاه بإنتخاب او تشخيص

من يمثله ليكون مسؤولاً عن جميع الشؤون الدينية.

٣- تشكيل هيئة جديدة غير دينية من الوجهاء والمثقفين(المراكز الثقافية ومؤسسات المجتمع المدني)- يتفق على عددها- في كردستان العراق، تكون مسؤولة عن جميع خيرات الإيزيدية وشؤون إدارتها وصرفها.

٤- تشكيل هيئة ذات صلاحيات إدارية واعلامية من المراكز والتجمعات والجمعيات وبعض وجهاء الايزيدية في الخارج، تقوم بإدارة شؤون الجالية الايزيدية وبالتنسيق مع المجلس الروحاني والهيئات الأخرى خارج الوطن.

بعض الحلول الآنية الملحة:

في هذا المنعطف التاريخي، لا نرى للايزيدية مخرجاً لتحقيق طموحاتهم سوى التقاء التيارات، أو المجموعات التالية:

١- ممثلي الايزيديين داخل الاحزاب الكوردستانية، وخاصة الحزبين الحاكمين (الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني) والديمقراطية العراقية وبدعم كامل من أحزابهم.

٢- رواد الجيل الأول من خارج الأحزاب الكوردستانية الحاكمة.

٣- ممثلين المراكز الثقافية والاجتماعية والتجمعات الديمقراطية ومنظمات المجتمع المدني.

٤- الأمير / الرمز.

٥- ممثلين عن المجلس الروحاني.

٦- ممثلين عن هيئة الوجهاء والمثقفين

٧- ولا ضير من إضافة ممثل أو أكثر من الهيئة التي تشكل في الخارج.

يشكل من هؤلاء (مجلس إداري)، أو سميه ما شئت، يمثل الايزيدية أمام الحكومتين المركزية في بغداد والأقليمية في أربيل، وكذلك أمام الأحزاب والقوى الكوردستانية والعربية في العراق.

لا ندعي أن مشروعنا متكامل من جميع الجوانب، بل هي أفكار وخطوط عامة. ونعلم أن البعض ولأسباب خاصة، ربما يعتبرونه من باب الفنطازيا . ولن تنتابنا الدهشة ان

سكت البعض عن مناقشته، أو ردّ علينا البعض بعنف. نقدر مسبقاً آراءَهم وردودهم، لكننا نعتقد أن ما نطرحته سيكون مخرجاً وحلاً للأزمة التي نعاني منها، ومع ذلك فهو مطروح للنقاش والإغناء وإجراء التعديلات عليه. نعرف أن ولادة الأفكار الجديدة تكون عسيرة وشاقة، وربما يقدم صاحبها حياته من أجلها!

كوتنكن في ٢٠٠٥/٦/٢٦

* نشر بالتزامن في الصحف والجرائد التالية: (جريدة الأهالي/ بغداد، مجلة لالش وده نكى لالش/ دهوك، صفحة عامودا/ ألمانيا، صفحة بحزاني/ ألمانيا، جريدة قنديل/الماني، صفحة كانيا سبى/ ألمانيا، صفحة لالش/المانيا)

دعوة مخلصة لسمو الأمير تحسين بك مع نهاية عام ٢٠٠٥

تعلمون يا سمو الأمير أن العراق قد تحرر، وأن نظام البعث سقط، وأن ديكتاتورية الطاغية صدام انتهت الى غير رجعة يوم ٩/نيسان/ ٢٠٠٣، ودخل العراق عهداً جديداً بدأ ملامح النظام فيه تتشكل، على مبدأ الديمقراطية والفيدرالية والتعددية والتنوع القومي والديني والمذهبي والفكري. وخلال السنتين والنصف الماضيتين مرّ العراق بمراحل عدة وجرى عليه تغيرات هامة، بِدأً من تشكيل مجلس الحكم والحكومة المؤقتة والانتخابات والاستفتاء على الدستور الى الاستعداد لاجراء الانتخابات الحالية في ١٥/ ديسمبر من هذا العام. وطالبت جميع القوميات والأديان والمذاهب وشرائح المجتمع عبر كياناتها السياسية ومرجعياتها بحقوقها واستحقاقاتها في السلطات السابقة والحكومة الجديدة،... فقط كان الايزيديون في مقدمة أولئك الذين يشكون بمرارة فيما بينهم اثناء تجمعاتهم ولقاءاتهم وفي بعض الفضائيات وعلى صفحات الاعلام والانترنيت وغرف " البالتاك" وكذلك خلال لقاءاتهم مع القيادات الكوردستانية والعراقية.وغيرها. فهم يشعرون أن صوتهم مغيب، ومناطقهم محرومة من الخدمات، ومشاكلهم لا تلقي آذاناً صاغية...الخ. هل أن ما يطرحونة ويعبّرون عنه نابع من فراغ، أم فيه الكثير من الصحة؟... نريد أن نعرف: هل الايزيديون– ضمن خصوصيتهم الدينية– لم يحصلوا على استحقاقاتهم؟ وإذا كان الأمر كذلك، فمن هو المسؤول عن ذلك وأين يكمن الخلل؟!.... أعتقد هذا هو السؤال الرئيسي الذي ينبغي أن نبحث عن حلول له، هل الخلل فينا نحن الايزيديون، أم أن الطرف الآخر يتحمل كل هذا التقصير والاهمال؟!

نقولها بكل إطمئنان، أن ما تحقق للايزيديين على مرحلتين، الأولى من فترة (١٩٩١– ٢٠٠٣) بعد تشكيل المنطقة الآمنة في كوردستان العراق وانتخاب البرلمان وتشكيل الحكومة فيما بعد، والمرحلة الثانية من بعد ٩/ نيسان/٢٠٠٣ ولحد اليوم، كان بدعم من الأحزاب الكوردستانية وقياداتها وبجهود ومساندة اصدقائهم، وأنه يبعث على التفاؤل، إلاّ أن ذلك بالطبع لا يجسد طموح ومطالب الايزيديين نتيجة غبنهم التاريخي.

إن الخلل والتقصير ينبع من المجتمع الايزيدي نفسه، كما ينبع من ميكانيزم الديانة

الايزيدية ونظامها الهرمي الذي يحصر ويختزل جميع المسؤوليات في شخص واحد ويعتبره بمثابة " ظل الله على الأرض!" لا يجوز لكائن من كان مسّه، أو نقده،...أن هذه الظاهرة وتلك النظرة تقيد من حركة معتنقيه وتقتل فيهم روح الابداع، وتزرع في نفوسهم شعور اللامبالاة والانطواء وعدم الثقة بالنفس، الى أن تصل الى أخطر ظاهرة تسمى بـ" التفرقة وعدم الاتفاق".

وفيما تخص الديانة الايزيدية، فأن المير/ الأمير (نتحدث عن الظاهرة وليس عن شخص بعينه) باعتباره يقف على رأس الهرم الديني والدنيوي، يتحمل المسؤولية المباشرة والأخلاقية أمام معتنقي الديانة؛ يفترض به أن يعيش بينهم ليتعرف على مشاكلهم ويتحسس آلامهم وأفراحهم، يصغي الى آرائهم ومطاليبهم، يكون حكيماً وعادلاً في نظرته للجميع. يخضع مصلحته الشخصية للمصلحة العامة، ويقود أبناء دينه الى برّ الأمان باستمرار؛ بمعنى آخر أن تكون شخصيته متميزة كشخصية الدالايلاما في الصين، وبابا الروم، وغيرهم من الشخصيات العالمية المتفانية التي غيّرت وتغيّر تاريخ بلدانها والمنطقة من أجل القيم الانسانية، تذكرهم التاريخ بكل تقدير.

الخلل الثاني الذي يلفّ حاضرنا يدور حول إداء الشريحة الايزيدية المثقفة ومعهم كل ايزيدي ينادي بالحق، أسباب هذا الخلل كثيرة ومتباينة لا مجال للخوض فيها. خلال السنتين الماضيتين، كُتب وقِيل الكثير، ولم تخلو تلك الكتابات والتعليقات والأحاديث من نقاط وأفكار مهمة– إلاّ أنها باعتقادنا– لم تشخص أصل الداء،(مثلهم كمثل أولئك المظلومين الذين يذهبون لمقارعة أغصان وأوراق الشجرة بدل التقرب من جذعها!)

أن الغالبية العظمى من مثقفينا تنقصهم الجرأة والصراحة، الصراحة مع أنفسهم أولاً ومع الآخرين ثانياً، وكذلك الجرأة في إتخاذ المواقف، خاصة أزاء المسائل المصيرية. نحن بحاجة الى مواقف وليس مواقع! وإذا اجتمعت المواقف والمواقع، فهي خير على خير ونعمة ما بعدها نعمة!. هنالك فرق بين متعلم يقرأ ويكتب، وبين مثقف يبدع ويغيّر ويضحي ليشعل شموعاً في ليل المجتمع الدامس.

إن وقفت أمام الايزيديين وطرحت عليهم السؤال التالي: أليس التوحد والاتفاق في المواقف يعلو على كل الصغائر والمكاسب الذاتية والآنية؟...أجابوك: نعم وألف نعم.

ولو قلت لهم: ألا تنسحب المواقف الذاتية والانانية على المصلحة العليا والخصوصية

الدينية الايزيدية؟...لهتفوا: صح وألف صح.

إذن دون معالجة هذين السؤالين، ودون " إعادة التوازن الى ميزان مختل" (هذه العبارة مقتبسة من عنوان كتاب للأستاذ مسعود محمد) لا يمكن للايزيدية أن تخطو خطوات الى الأمام، وتبقى الأصوات التي تنطلق من هنا وهنالك بالتالي لا تعدو فقاعات هوائية تنفجر في الهواء دون أن تغيّر شئ!

من دون إعادة النظر في هرم القيادة الأيزيدية، ونفخ الروح في الجسد الهامد للمجلس الروحاني كي يلائم التغييرات الجارية على الساحة، تبقى الايزيدية تراوح في مكانها، وتتشرذم أكثر فأكثر، وهذا ما لا يتمناه أي مخلص من الايزيدية ولا من أصدقائهم.

نقدم دعوة مخلصة لسمو الأمير تحسين بك مع نهاية عام ٢٠٠٥،أن يدعو بنفسه الى مؤتمر عالمي للايزيدية يعقد بأسرع وقت ممكن في كوردستان العراق، على غرار المؤتمر المؤتمر العالمي الايزيدي الأول، الذي نظمه(مركز الايزيدية خارج الوطن) عام ٢٠٠٠ بمدينة هانوفر/ ألمانيا، ويهيئ له بشكل جيد، يعلن فيه سمو الأمير الذي حكم الامارة منذ أكثر من ٦٢ عاماً (آب ١٩٤٤– ولحد اليوم) تنحيه عن منصب الامارة، كي يسجل سابقة لا مثيل لها، ويدخل تاريخ الايزيدية بل والشعب الكوردي معززاً مكرماً فيما تبقى له من العمر، ويبقى رمزاً تذكره الأجيال بعد مماته. وأخشى ما نخشاه في حالة عدم الأخذ بالنصيحة اليوم، أن يفقد الخيط والعصفور غدا!

وأمام هذا الحدث التاريخي– فيما لو تم – سيختار الايزيديون من داخل المؤتمر نفسه أميراً عند حسن ظنكم وظن الايزيدية خلفاً لسموكم، ويكون المثقفون أول من يدعمون الأمير الجديد. وسينتخب من داخل المؤتمر عدداً، يتفق عليه، من مثقفي الايزيدية ووجهائهم وحسب الكفاءات يشكلون هيئة أو مجلس، أو سمها ما شئت، تكون بمثابة سلطة إدارية، الى جانب الابقاء على المجلس الروحاني كمرجعية دينية لا تتدخل بالشؤون السياسية. تختار من بين تلك الهيئة المنتخبة مستشارين من جميع الاختصاصات للأمير الجديد كي يؤدي مهامه أمام الايزيدية وتكون تلك السلطة المنتخبة سلطة شرعية تمثل الايزيديين أمام رئاسة أقليم كوردستان وحكومتها، وتقيم علاقات عامة مع الأديان والطوائف والشرائح الاجتماعية العراقية بما يخدم نشر روح

المحبة والتآخي والتسامح الديني والقومي والانساني وتقوية لحمة المجتمع. كما تكون تلك الهيئة مسؤولة أمام أيزيدية بقية البلدان وفي المهجر.

عوامل نجاح المؤتمر:

يتوقف نجاح المؤتمر على أخذ هذه المحاور والنقاط الرئيسية بنظر الاعتبار:

المحور التاريخيً: الموقف من الانتماء القومي الكردي وكون الايزيدية جزء أصيل لا يتجزأ من شعب كوردستان، بحيث تكون هذه هي كلمة السرّ بين الايزيدية كخصوصية دينية وبين أخوانهم من الكورد المسلمين والكاكائيين (أهل الحق) والشبك.

المحور الاجراءاتي: أن تكون بموافقة ودعم رئاسة وحكومة أقليم كوردستان، بمعنى موافقة الحزبين الحاكمين؛ الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني وبقية الأحزاب الكوردستانية المناضلة.

المحور التنظيمي:

أ– تشكيل لجنة تحضيرية كفوءة بالتشاور مع سمو الأمير وتكون الدعوات بتوقيعه.

ب– أن يضم المؤتمر والهيئة المنتخبة منه الأعضاء الايزيديين المنتسبين للحزبين الكوردستانيين الحاكمين في كوردستان المذكورين أعلاه، إضافة الى منتسبي الأحزاب الكوردستانية من الايزيديين كالحزب الشيوعي الكوردستاني وغيرهم.

ج– يضم المؤتمر ويشارك فيه الكتاب والباحثين الايزيديين بشكل خاص تقديراً لجهودهم وخدماتهم التي قدموها في هذا الجانب.

د– مشاركة اللجان الاستشارية الايزيدية وممثلي جميع المراكز والجمعيات والتيارات السياسية والمهنية الايزيدية من داخل كوردستان وفي المهجر.

ه – مشاركة المجلس الروحاني الأعلى ورجال الدين الموقرين.

و– مشاركة وجهاء من الايزيدية.

س– مشاركة الضيوف من الشخصيات السياسية والعلمية والاجتماعية وممثلي الأحزاب والمنظمات المهنية من غير الايزيديين وحضور الأعلام.

المحور الفكري والعلمي: الاتفاق على الكلمات والمحاضرات التي تلقى والأوراق (الوثائق) التي ستناقش.

من الصعب أن نتكلم عن مؤتمر ناجح يتطلع اليه الايزيديون دون الموقف الواضح والصريح من المحورالذي أطلقنا عليه (المحور التاريخي) ودون أخذ الضوء الأخضر من أصحاب القرار في كوردستان. أقولها بملئ فمي، أن هؤلاء المحترمين، هم سند الايزيدية وصمّام الأمان لرفع الغبن عن الايزيدية، وتحقيق مطالبهم المشروعة. ومن الطبيعي أن تعجل وتسهل وحدة الايزيديين من نيل المزيد من المكاسب، وما نعمل من أجله ضمن سقف وقوانين أقليم كوردستان. ومن لا يتفقُ معنا بهذا الرأي، ولديهم توجهات آخرى، نحترم رأيهم ولا نفرض عليهم رأينا، ونطلب منهم بالمقابل سعة الصدر وسماع الصوت الآخر.ان ميدان العمل والنضال مفتوح في العراق الديمقراطي للجميع لنشر أفكارهم وإقناع الأخرين بها.

في الختام، رُبّ سائل يسأل: لقد جاءت دعوتكم لعقد المؤتمر حول دراسة هموم الايزيديين متأخرة. وربما هنالك من يصدق هذا السؤال/ الاستفسار. إلاّ أن الذي لم يتابع نشاطات مركزنا (مركز الايزيدية خارج الوطن) بشكل عام، وكتاباتنا ونشاطاتنا المعلنة على أقل تقدير، لن يعاتب على استفساره، فقط نريد أن نذكر الأخوات الكريمات والأخوة الكرام، أن العديد من المحترمات والمحترمين الذين أطلقوا خلال الشهر الماضي وبداية هذا الشهر دعوات لعقد مؤتمر حول هموم الديانة الايزيدية كان آخره بيان صادر عن " المؤتمر العام للايزيدية" في مدينة اولدنبورك بتأريخ ٢٠٠٥/١٢/٣ نشر على صفحة بحزاني الالكترونية يوم ١٢/٧ (للحق أقول اتصل بنا أحد الأخوان قبل ثلاثة أو أربعة أيام من عقد ذلك اللقاء وطلب منّا المشاركة، فأعتذرنا لأسباب ذكرتها للأخ المتصل، وتبين فيما بعد أن الحاضرين لا يتجاوزعددهم ١٢ شخصاً والقسم منهم من ايزيدية تركيا!. نقولها أن تلك الدعوات كانت إرتجالية وتدخل من باب المزايدات والتسابق لتسجيل أهداف وكأننا في ملاعب لكرة القدم! والشاطر والمخلص فينا مَنْ يندب أكثر على الهوية الايزيدية المسكينة!

يعرف المتابعون- للتذكير فقط- أن (مركز الايزيدية خارج الوطن) كان المركز المبادر والمقتدر لعقد أول مؤتمر عالمي علمي للايزيدية شهر كانون الثاني/٢٠٠٠ في مدينة

هانوفر. وحاول أواخر عام ٢٠٠٢ مع معهد الاستشراق في مدينة هامبورك عقد المؤتمر العالمي الثاني للأيزيدية، وعقدنا اجتماعات وتحضيرات عديدة حول الموضوع وبذلنا جهود كبيرة لتنفيذه، لكن بعض المنسقين معنا من المراكز والشخصيات غيرت الوجهة وحولته الى لقاء موسع للمحاضرات في مدينة سلي ٢٠٠٣، مما اضطررت شخصياً الى عدم الاستمرار معهم. و(كمركز الايزيدية خارج الوطن) كنا المبادرين الى توجيه رسالة بتاريخ ٢٠٠٢/٩/١٥ الى اللجنة التحضرية لمؤتمر المعارضة العراقية في لندن، لكن طلبنا قد أهمل، من أين لا ندري؟!

ونحتفظ في أرشيف المركز الموجود تحت تصرفنا- باعتبارنا رئيساً للمركز- بجميع الرسائل والمذكرات المقدمة الى الرئيس الأمريكي جورج دبيو بوش، ووزارة الخارجية الامريكية، والسيد توني بلير، رئيس وزراء بريطانيا، والى السيد مسعود البارزاني، رئيس أقليم كوردستان، والسيد جلال الطالباني، رئيس جمورية العراق، والسيد نيجيرفان البارزاني، رئيس حكومة أقليم كوردستان.وعدة رسائل من حضرة الفاتيكان، آخرها رسالة مؤرخة بتأريخ ١٤/نيسان/٢٠٠٠ فيها موافقة لقاء أربعة أشخاص مع البابا يوم ٢٠٠٠/٥/٣ (كنا قد اتفقنا عليه في المركز أن يكونوا كل من الأمير تحسين بك وسماحة البابا شيخ، د. ممو وخليل جندي)، وعندما تم عرض الأمر على الأمير، تحجج سموه برفض الزيارة خوفاً من نظام صدام في حال رجوعة الى العراق!

وفوق كل هذا وذلك، ساهم بعض الاخوة الصقور والمتباكين الذين يحملون اليوم راية الايزيدياتي عالياً، الوقوف بوجه المركز ومحاربة تلك الانجازات عن وعي أم دون وعي؟!

وعلى الجانب الشخصي وقبل سقوط نظام البعث بفترة، كتبنا مقالاً تحت عنوان " كيف ينظر الايزيديون للمستقبل: هل يتكرر التمييز ضدهم بعد اسقاط سلطة البعث الحاكم في العراق؟!" طرحنا فيه رؤيتنا لمستقبل الايزيدية وكيفية حصولهم على حقوقهم الدينية والاجتماعية. ولاحقاً كتبنا مقالاً آخراً تحت عنوان: " قراءة أولية لواقع الكورد الايزيديين في العراق؛ هل نحن بحاجة الى تشكيل أحزاب دينية؟) وألحقنا بهما مقالة آخرى تحت عنوان: "ما العمل؟...نظرة سريعة للمرحلة التي تمرّ بها الايزيدية" بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٦، كل تلك المقالات كانت تدور حول الرؤية الموضوعية للأحداث وأسباب الضعف والخلل، وطريقة المعالجة، لا فقط الكتابة عن العموميات، وإثارة العواطف

وتشويه أفكار الناس وصرف نظرهم عن الحلقة المركزية.

قد يقول البعض إن مقالتنا جاءت متأخرة، هم أحرار في تصورهم، ومثلما لا نصادر إرادة أحد، نطلب بالمقابل أن نعبر عن إرادتنا ونقول أن " مبادرتنا لن تأتي من أجل عقد مؤتمر بحد ذاته، ولا من أجل عقد مؤتمر شكلي، وإنما هي مبادرة ودعوة قد يراه البعض حلاً فنطازياً للخروج من المأزق الذي يمرُّ به الأيزيديون. ربما يقول البعض الوقت متآخر وفاتنا القطار، لكننا لا ننظر اليها من منظور الوقت فقط، حيث أنه ليس الوقت في كل الأحيان مهماً، وما أكثر ما هدرنا ونهدره من الوقت الثمين سدىً. المسألة الأكثر أهمية، باعتقادنا، هي فكرة التغيير وخطوات الاصلاح التي تدعو الى كسب الزمن والمستقبل لأجيالنا، وتمدّنا بالقناعة أننا نسير على النهج الصحيح.

كما ننتهز كتابة هذا المقال ونحن نمرّ في أدق مراحل تاريخ أمتنا، أن نلفت إنتباه بعض شبابنا وشاباتنا وشيوخنا أن ضمان مستقبلنا ومستقبل أجيالنا وحقوقنا مرتبط بنجاح شعبنا الكوردي في احراز قائمته، قائمة التحالف الكوردستاني ٧٣٠ نصراً كبيراً، و ندعوهم أن ينظروا الى الكل المتكامل بدل الجزء، وأن يقتنعوا أن المعركة هي بين الخير والشّر، بين الديمقراطية والعلمانية والليبرالية من جهة، وبين الظلام والارهاب والعنصرية من جهة أخرى، بين الاعتراف بحقوق الأقليات القومية والدينية وحقوق الانسان في البلدان العربية، وبين القضاء على تلك الحقوق. وأمام كل ذلك وغيره، يعتبر العنصر الكوردي (الشعب الكوردستاني) العامل الأهم في معادلة التوازن والاستقرار، ليس في العراق وحسب، بل في منطقة الشرق الأوسط. ويعتبر هذا العامل ضمان نجاح العملية الديمقراطية والتوجه العلماني.

گوتنگن، في ٢٠٠٥/١٢/٨

الأيزيدية في الوثائق السرّية للحكومة العراقية[١]

١٩٢٨ – ١٩٣٠

المجلس الروحاني: متى ولماذا تم تشكيله، وماهو المطلوب منه الآن؟

لم تكن مادة الديانة الأيزيدية ملهمة للمستشرقين والباحثين والمؤرخين لمعرفة أسرار ديانة الأيزيدية فحسب، وإنما كان للحكومة العراقية– ومن قبلها السلطات العثمانية– حقلاً لمتابعة نشاطاتهم الدينية والدنيوية ولتقصي التفاصيل اليومية لأفراد الديانة الأيزيدية ومحاولة التدخل في شؤونهم الداخلية بشكل مباشر أحياناً أو مراقبتهم من قبل المسؤولين الإداريين أحياناً أخرى، وهذا ما نقرأه في عشرات الوثائق السرّية المتبادلة بين الأجهزة الإدارية الحكومية من أعلى القمة (مجلس الوزراء في العاصمة بغداد الى المحافظات والأقضية والنواحي خاصة لواء الموصل، وقضائي الشيخان وشنگال.

وكان الفضل يعود الى إنتفاضة آذار المجيدة عام ١٩٩١ التي عمت العراق وكوردستان عموماً ضد النظام العراقي بعد حرب الخليج الثانية في "كشف" هذه الوثائق السرّية من الملفات الحكومية في قضاء الشيخان وتوابعه. وقد زودنا المرحوم أحمد ملا خليل مشكوراً بما يزيد على الثمانين كتاباً سرّياً يشمل مراسلات حكومية تتعلق بوضع الأيزيدية وتغطي تلك الوثائق بشكل خاص عام ١٩٣٠ .

ومن بين أبرز المسائل التي تكشفها الوثائق الصراع الدائر آنذاك على الإمارة بين جناحين من بيت الإمارة حينها جناح "البلشفيك" يمثله حسين بك وجناح " المنشفيك" يمثله سعيد بك. وتشير تلك الوثائق إلى الصراع الدائر بين رؤساء عشائر منطقة شنگال وبيت الإمارة.إضافة الى وثائق تبدي فيها الحكومة تخوفها من أيزيدية شنگال وحول إمكانية إستمالتهم الى جانب الحكومة الفرنسية عن طريق قطع الوعود لهم

(١) نشر هذا المقال لأول مرة في مجلة روز الصادرة من قبل مركز الايزيدية خارج الوطن في عددها ٨ & ٧ لسنة ٢٠٠٠ ولتلازم مضمون المقال وتوجهاته الاصلاحية مع مضمون الكتاب العام، رأينا من الضروري أن يأخذ مكانه في متن الكتاب الجديد.

وإنشاء كيان خاص بهم، ولهذا يدعو مجلس الوزراء العراقي في أحد وثائقه السرّية الاهتمام بالأيزيديين وقطع الطريق على الدول الأجنبية.

ومن بين الكتب السرّية وثيقة حول ملابسات إغتيال الرجل الروحاني بابا جاويش (بير جروت بير ألياس) عام ١٩٣٠. ووثيقة أخرى حول أسماء القوالين الذين ذهبوا الى روسيا، من عاد منهم ومن توفي هناك.

ان الوثائق المتيسرة تحت أيدينا تلقي الضوء على فترة وصلت اليها إمارة الشيخان الى درجة من الضعف والتفسخ والاستغلال بحيث إنفجر الغضب الشعبي الكامن عند الأيزيدية ونادوا ضد تجاوزات الأمير في مناطق الشيخان وشنگال.

نرى من الضروري نشر هذه الوثائق في المستقبل في دراسة خاصة بعنوان (الأيزيدية في الوثائق السرّية للحكومة العراقية ١٩٢٨ – ١٩٣٠) مع شروحات وتعليقات تغطي تلك الفترة التاريخية من عمر الأيزيدية مقارنة بوضع العراق آنذاك.

البحث عن التاريخ الأيزيدي وعن كيفية تأسيس بعض المؤسسات الدينية والاجتماعية التي انحرفت عن نهجها ورسالتها الروحية – الإنسانية الى واجهات للاستغلال والاستعلاء والقهر وأحد العوامل المعرقلة لتقدم المجتمع، لهي مسألة في غاية الأهمية، ونبدأ في البحث حول ظروف وأسباب تشكيل المجلس الروحاني الأيزيدي الأعلى.

يلاحظ بأن " المجلس الروحاني " الأيزيدي هيئة اجتماعية حديثة العهد لا تصل عمرها السبعين عاماً. وترجع فكرة تأسيسها – حسب العريضة المقدمة من الروحانيين الأيزيديين– الى بداية شهر تموز من عام ١٩٢٨، (أنظر الوثيقة رقم ١ والمؤرخة في ١٩٢٨/٧/١) وتنحصر الدوافع من وراء التشكيل باعتقادنا في النقاط التالية:

١– حاولت السلطات العراقية التي ولدت من رحم الانتداب البريطاني بعد نيل العراق استقلاله الاسمي وتشكيل الدولة عام ١٩٢٣ أن تظهر للملأ بسن القوانين وتشكيل مجلس النواب والبرلمان والسماح للاقليات الدينية بتشكيل مجالسها الروحانية للنظر في أمورها الدينية البحتة بحدود معينة مع إبقاء تلك الأقليات ضمن نظام وقوانين دعاوى العشائر. أي أنه من الجانب الحكومي كان تأطير سياسي– إعلامي ولمركزة سلطة الدولة على جميع المكونات.

٢– أما من جانب الأمير فقد كان الهدف هو التالي:

٢–أ: حسم الصراع المحتدم على السلطة الأميرية بين جناح حسين بك المدعوم بشكل أكبر من عامة الأيزيدية، استناداً إلى وثائق محفوظة لدينا، وبين جناح سعيد بك المدعوم من أقلية أيزيدية ومن الحكومة. وقد لعبت الأميرة ميان خاتون دوراً بارزاً لحسم ذلك الصراع لصالح إبنها سعيد بك.

٢– ب: أراد الأمير أن يشكل هيكلاً يصبغ عليه صبغة دينية ودنيوية يقف هو على قمة هرمه ويطلق العنان لحكمه المطلق. أما الأعضاء الآخرين في المجلس فلن يكونوا غير واجهات وأسماء لا حول لهم ولا قوة.

لن نكون مخطئينَ لو قلنا أن الكثيرين من الأعضاء الثلاثة عشر الذين وقعوا على عريضة ١٩٢٨/٧/١ لتشكيل المجلس الروحاني كانوا ذوي نيات حسنة ينوون من ورائها الحصول على شرعية ودعم حكومي وأيزيدي لتمشية وتنظيم بعض الأمورالتشريعية للأيزيدية، وهذا ما نستشفه من مضمون العريضة التي تقول: " نطلب من الحكومة المحترمة أن تعيرنا قليل من الأهمية والعناية التي أعارتها الى كثير من الملل العراقية وذلك للطفها علينا بتشكيل مجلس روحاني ... لينظر في القضايا الشرعية التي تحدث بين أفراد الملّة... ونحافظ على حقوق ديانتنا والشريعة التي سنّها لنا رؤساؤنا وأجدادنا من قديم الأجيال..."

ونعتقد أن هذه المطالب البسيطة كانت خطوة بالاتجاه الصحيح من قبل أكثرية الموقعين، ولربما كانت هذه المطالب البسيطة تتحول إلى مطالب أكثر جذرية في المستقبل. إلاّ أن الأمير كان له حساباته الخاصة، كما نوهنا إلى ذلك في النقطة الثانية من تحليلنا لأهداف تشكيل المجلس. وكان من جملة الفوائد التي يكافح من أجلها – حسبما جاء في الكتاب السرّي المؤرخ في ٣ تموز ١٩٢٨، المرسل من وكيل قائممقام الشيخان الى متصرف لواء الموصل هي:

١– أخذ الإتاوة وفرض ضرائب على كل أيزيدي يخطف بنتاً باكرة أو امرأة متزوجة بغرض التزوج بها يصل الى عشر النقدية إضافة الى ثور أو بغل.

٢– الاستيلاء على ممتلكات من يتوفى من الأيزيدية، ويستورث الأمير باسم الوقف كل يزيدي متوفي من غير ذرية.

٣– هذا إضافة الى الاستحواذ على خيرات المزارات المقدسة وخاصة في كلي لالش و واردات الطاووس (السنجق).

بغض النظر عن توجهات وكيل القائممقام وتفكيره ضمن مصلحة حكومته، إلاّ أن آراءَهُ وإستنتاجاته كانت صائبة من وراء تحليله لأهداف ومرامي الأمير لتشكيل المجلس الروحاني – الذي يسميه المزعوم– ونلخص فيما يلي أهم تلك الاستنتاجات من رجل مسلم حول تشكيل المجلس، يقول:

" بأن تقديم عريضة من قبل اليزيديين لتشكيل مجلس روحاني هو بإيعاز من سعيد بك– وكلمة إيعاز تعني هنا الضغط والإكراه–.

– الغاية هو نهب الملّة وسلب أموالها من قبل أميرهم بإسم الوقف وباسم الشيخ عادي.

– يصبح المجلس منبع ثروة وآلة لتوسيع دائرة نفوذه.

– يوصف سلطة الأمير على اليزيدية بـ، السلطة القاهرة،،.

– ويوصي وكيل القائممقام بأخذ رأي الملّة ؛ أي تطبيق المبدأ الديمقراطي بشأن اتخاذ القرارات الهامة، لكن الأمير يرفض هذا المبدأ ويقول بأنه لا يحق لأفراد الملّة الاعتراض على قراراته...."

ومن الجدير بالملاحظة عدم وجود أسماء رؤساء عشائر شنگال وروحانييهم على عريضة الأيزيدية في (١ تموز ١٩٢٨) لتشكيل المجلس الروحاني. وإن دلّ هذا على شئ فإنما يدل على ضعف سيطرة الأمير على منطقة شنگال، أو بمعنى آخر عدم اعتراف هؤلاء بتلك السلطة، وهذا ما تعكسه العديد من الوثائق الموجودة لدينا.

إذن، ماذا قدم " المجلس الروحاني " خلال السبعين السنة الماضية؟... ما المطلوب أن يقوم به كي يحمل بالفعل اسم المجلس الروحاني الأعلى للأيزيدية، وليس مجلساً شكلياً ومزعوماً – كما سماه وكيل القائممقام– قبل سبعة عقود من الزمن؟

لإزالة الالتباس وسوء الفهم نقول أنه كان يوجد بين الأيزيديين رجال دين روحانيين (على سبيل المثال: البابا شيخ، البيشيمام، شيخ الوزير، مير حج، بابا جاويش، القوالون، المجيورون، الكواجك،...) إضافة الى الوجهاء ورؤساء العشائر، ويقوم كل بوظيفته الدينية سواء كان شيخاً أو بيراً أو مريداً. كما حافظ الأيزيديون في تركيا، سوريا، أرمينيا، وجورجيا على تقاليدهم وطقوسهم الدينية وعباداتهم بعيداً عن المجلس الروحاني وبدونه.

إن حداثة تشكيل المجلس عام ١٩٢٨ يعني أنه لم ولن يكون شيئاً مقدساً ولا ركناً

أساسياً من أركان الديانة الأيزيدية، بل كان إفرازا لمرحلة تاريخية ووسيلة من جانب الأمير لتركيز سلطته للاستغلال والاستعلاء ولطمس وتحجيم دور الروحانيين من خلال المجلس.

المجلس لم يعد مقدساً وركناً أساسياً من أركان الدين، فمن حق كل أيزيدي أن يسأل عن " إنجازات" المجلس خلال السبعين عاماً الماضية! ومن واجب أعضاء المجلس أن يراجعوا أنفسهم ويعيدوا النظر في مواقفهم ودورهم فيه.

نحن لسنا ضد وجود آلية لتنظيم شؤون الأيزيدية وليكن اسم تلك الآلية " المجلس الروحاني الأعلى " أو أي اسم ملائم آخر شرط أن يكون منبثقاً من خيار ايزيدي ويخدم مصلحته ويحافظ على هويته ويكون مرجعاً لاصدار التشريعات الدينية وحل المشاكل الاجتماعية والتقليل من مآسي الفقراء والمحتاجين من الأيزيديين. نريده مجلساً يتحلى أعضاءه بالوعي الديني والثقافي والإجتماعي، قادراً على فهم متطلبات المجتمع وقادراً على مواجهة تحديات العصر التي تبدو كأنها تتعارض مع الفكر الديني. نريده مجلساً منفتحاً يجود ويتقن لغة العصر ومبدأ الحوار ولو بحدود دنيا مع الأديان والثقافات الأخرى. نريده أن يبني علاقاته مع الأنظمة والأحزاب والأديان الأخرى من منطلق المصلحة الأيزيدية وليس من منطلق شخصي بحت.

وبسبب عدم تمكن المجلس من تقديم خدمة للأيزيدية خلال السبعين سنة الماضية وبقاءه اسما بدون نشاط، نقترح ما يلي:

١– الأخذ بمبدأ الانتخابات لكافة أعضائه بما فيهم الأمير من قبل الأيزيدية.

٢– زيادة عدد أعضاء المجلس المنشود بحيث يشمل أيزيدية ولات شيخ وشنگال وسوريا و تركيا و جورجيا و أرمينيا.

٣– أن يضم مجلس "المستقبل" هذا، الى جانب رجال الدين الروحانيين، أعضاءا من وجهاء الأيزيدية والمثقفين من كلا الجنسين.

٤– بناءً على النقطة الثالثة فلم يعد المجلس روحانياً، أي أنه يضم فقط رجال الدين، وإنما مجلساً عاماً وشاملاً وعليه يجب تبديل اسمه من " المجلس الروحاني الأعلى للأيزيدية" الى " المجلس الأعلى للأيزيدية" أو " المجلس الأيزيدي الأعلى" يقوم بالنظر في كافة المسائل الدينية والاجتماعية الأيزيدية.

٥- يكون من بين أهم مهام المجلس محاربة تأجير لالش المقدس ومزار الشيخ شمس وكانيا سبي والسناجق ومنصب البابا شيخ...الخ.

٦- يحق للمجلس أعلاه فقط صلاحية التصرف بعائدات لالش المقدس والتاووس(السنجق) والمزارات الأخرى في وادي لالش لصالح الأيزيدية.

٧- وكذا الحال بالنسبة لتنصيب البابا شيخ، يجب أن يتم من خلال المجلس الأعلى ومن دون مقابل آخذين بنظر الاعتبار شخصية وشعبية المنتخب ومكانته وعلمه وعدله و استحقاقه لهذا المنصب المقدس.

٨- كما يجب أن يشترط المجلس الأعلى السمعة الحسنة والمعرفة و الإلمام كحد أدنى لمواصفات الروحانيين الآخرين مثل البيشيمام، رئيس القوالين، شيخ الوزير، مير حج...الخ.

٩- تنبثق من المجلس الأعلى هيئات ومؤسسات إدارية وتنفيذية يختار أو ينتخب أعضاءها ويشترط أن تتوفر فيهم الأمانة والنزاهة والاستقلال في الرأي.

وكون اللجنة المالية أو(الصندوق) المشرف على واردات وخيرات الأيزيدية من بين اللجان الأكثر حساسية وخطورة، فانه إضافة الى المواصفات المذكورة في النقطة (٩) يجب أن توضع ضوابط وأسس للعلاقة بين تلك اللجنة والمجلس والأمير.

وبهذا الصدد نؤكد على جميع مقترحات مركز الأيزيدية خارج الوطن التي جاءت في بيانه المعنون (برنامج جديد للحفاظ على ارث عريق، والمؤرخ في ٢ تموز ١٩٩٧) والذي يمكن اختصار مضمونه بالشكل التالي:

" تخصيص مبالغ عائدات مزار لالش وبقية المزارات والسناجق التي توضع في حساب خاص وتشرف عليها لجنة مالية في الأوجه التالية:

أ-نسبة (راتب) الى الأمير المنتخب وكذلك الى بقية أعضاء المجلس الأعلى، البيشيمام، شيخ الوزير، باباكافان، مير حج، الكواجك...الخ، كي يؤدوا واجباتهم الدينية بشكل جيد.

- نسبة الى القائمين على إدارة مزار لالش المقدس (المجبور) وكذلك مجبور كانيا سبي ومزار الشيخ شمس...الخ، أو أن يخصص لهم رواتب سنوية يكفل لهم ولعائلاتهم عيشاً كريماً.

- صرف رواتب شهرية أو سنوية لجميع القوالين ومن معهم الذين يرافقون السنجق مع تخصيص رواتب تقاعدية للقوالين كبار السن.

- تخصص نسبة لفتح مدارس دينية إحداها لاعداد القوالين في بحزاني وبعشيقة والبقية في مناطق الأيزيدية الأخرى لاعداد كوادر دينية تلائم تطور العصر والاهتمام بمسألة البحث والتدوين.(لمزيد من المقترحات يمكن مراجعة النقاط ٢، ٦، ٧، ٨ من بيان المركز المذكور أعلاه)

وإذا تمكن الأيزيديون التغلب على عملية تأجير المزارات المقدسة وكذلك تنصيب البابا شيخ دون طرحهما في المزاد، فيقوم حينها البابا شيخ المنتخب التبرع سنوياً بنسبة يتفق عليها من قبل المجلس الى صندوق الأيزيدية (اللجنة المالية).

ترتفع أصوات الأيزيديين هنا وهناك منادين بالإصلاحات وبنفخ الروح في المجلس الروحاني وتفعيل دوره، وأن يكون الأمير الذي يرأس المجلس ويمثل الأيزيدية رمزاً لنكران الذات، يضع مصلحة الأيزيدية فوق كل اعتبار يوحد كلمتهم ويدافع عنهم في السراء والضراء، وأن لا يتعاطى السياسة وينظر هو وبقية أعضاء المجلس الى كافة الأيزيديين بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية والفكرية ومستواهم الاجتماعي كأبناء وبنات له، ولا يستغل سلطته الدينية والدنيوية من أجل استغلال أبناء جلدته، ولا يستغل النوايا الطيبة لدى الأيزيديين في عمل الخير من أجل المصالح الخاصة أو من أجل الإثراء. ويفترض أن لا يقف الأمير وبقية أعضاء المجلس بوجه أي نفس إصلاحي يخدم هذه الأقلية الدينية...

إن الحديث عن مستقبل الديانة الأيزيدية في عصر الثورة العلمية الجبارة و في عالم غدا قرية صغيرة أمام شبكات الاتصالات الهائلة، يضعنا أمام امتحان التاريخ العسير كي نجيب على الكثير من الأسئلة والاستفسارات ونجد الحلول اللائقة التي تساعد الأيزيدية على الديمومة والاستمرار. إنها ليست مهمة المثقفين بقدر ما أنها مهمة كل أيزيدي تعز في نفسه مصلحة الحفاظ على هويته والحيلولة دون اضمحلال هذه الديانة، وبهذا الخصوص فان التعويل على الأمنيات والعواطف لا يفي بالغرض، بل نحتاج الى الجرأة وقليل من التضحية وعدم الخوف من المناداة بإجراء بعض الإصلاحات. نؤكد على كلمة التحلي بالجرأة، لأن كل جديد يولد من خلال عملية مخاض وصعوبات جمه

ليحل محل القديم الذي لم يعد يقوي على الصمود والإستمرار.

و أدناه نص الوثائق الثلاث، و زيادة في التوثيق ننشر الى جانبها الوثائق الأصلية المصورة:

الوثيقة رقم ١

نص العريضة المؤرخة في ١ تموز ١٩٢٨ والمقدمة من سعيد بك وثلاثة عشر شخصاً من رؤساء الأيزيديين الى الحكومة الملكية العراقية لتشكيل مجلس روحاني يزيدي.

" إننا رؤساء الروحانيين لملّة يزيدية العالم في قضاء الشيخان حسب ثقة الملّة وتقليدها إيانا مناصبنا الحالية والتي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا لقد أتينا بهذا نيابة عن الملةّ وأصالة عن أنفسنا طالبين الحكومة المحترمة أن تعيرنا قليل من الأهمية التي قد أعارتها إلى كثير من الملّل العراقية وذلك بلطفها علينا بتشكيل مجلس روحاني من خمسة رؤساء روحانيين يعينهم جميع رؤسائنا الروحانيين باتفاق الآراء لينظر في القضايا الشرعية التي تحدث بين أفراد الملّة من قبيل الخطف والإرث وغير ذلك من الأمور التي تمس شريعتنا وذلك لكي يسعنا أن نحافظ على حقوق ديانتنا والشريعة التي سنّها لنا رؤسائنا وأجدادنا من قديم الأجيال وإننا قد سرنا على هذه الشريعة في زمن الحكومة السالفة العثمانية حيث أنها لم تتعرض لنا في كذا أمور شرعية أما الآن وقد اتسع نطاق القانون واخذ يسري مفعوله على جميع شؤون الملة الجزائية والحقوقية والشرعية فإننا لا شك أول من يتمسك بالقانون وان السلطة التي نطلبها إلى هذا المجلس الشرعي نستمده من القانون نفسه ولا مانع لنا من تطبيق المسائل الحقوقية والجزائية على القانون سوى نطلب من الحكومة المحترمة أن توافق على تشكيل مجلس شرعي لنا وتحيل له الدعاوى الشرعية التي لها مساس بشرعنا لا غيره وعلى كل حال الأمر منوط إلى الحكومة المبجلة."

شيخ الوزير	شيخ ملّة اليزيدية	إمام ملّة اليزيدية
شيخ ابراهيم شيخ رمضان	شيخ حاجي	شيخ نذير بن شيخ بركات

رئيس روحاني ملّة اليزيدية
أمير الشيخان

الطابع
١ تموز ١٩٢٨

إمام شيخ الملّة	رئيس القوالين	النقيب
اسماعيل شيخ اودي	سفو قوال سليمان	بير مراد بن بير الياس
متولي الشيخ عادي	امام الفقراء	رئيس الكوجكية
جندي بن فقير حسن	برهيم فقير جندي	شيخ حسو
رئيس الكوجكية	رئيس الكوجكية	جاويش الشيخ عادي
شيخ خدر شيخ برو	كوجك خدر	جروت بير الياس

مجيور
امام قرية عين سفني
درويش مجيور

الوثيقة رقم ٢

دائرة قائممقام الشيخان (نسخة زائدة)
التحريرات

عدد ٢١
تاريخ ٣ تموز ١٩٢٨
الى متصرف لواء الموصل

الموضوع – الشرع اليزيدي
سرّي

بطيه نرفع صورة المضبطة المقدمة إلينا من قبل سعيد بك أمير الشيخان مختومة من قبل كافة الرؤساء الروحانيين للملّة اليزيدية الذين يمثلون التقاليد والشعائر اليزيدية الدينية وقد اجتمعوا وختموا هذه المضبطة بناء على إيعاز من سعيد بك. والغاية المقصودة من تشكيل المجلس الشرعي المزعوم هي نهب الملّة وسلب أموالها من قبل أميرهم بإسم الوقف والشيخ عادي ليس إلاّ. حيث يصبح– حسبما علمنا وحقق لدينا

أن سعيد بك بذلك يقصد وضع قواعد ورسوم وضرائب مختلفة النوع والجنس للجرائم المخالفة لديانتهم التي ترتكبها أفراد الملّة ويصبح هذا المجلس منبع ثروة وآلة لتوسيع دائرة نفوذه، كما ويطلب أن يسري نفوذ هذا المجلس على عموم يزيدية العراق. ومن جملة الفوائد التي يتوخاها سعيد بك من هذا المجلس هي:-

١- على كل يزيدي الذي يخطف بنتاً باكرة بقصد التزوج بها أن يعطي الى سعيد بك ثور أو عشر النقدية التي يستحقها وارثها.

٢- على كل يزيدي الذي يخطف إمرأة متزوجة بقصد التزوج بها أن يعطي الى سعيد بك بغلاً وعشر النقدية التي يستحقها زوجها السابق.

٣- كل يزيدي يتوفى من غير ذرية فلسعيد بك أن يستورثه باسم الوقف والى غير ذلك من الرسوم والغرامات التي يستحقها ملك البلاد باسم القانون.

وقد دلت التجارب إلى أن الأهالي بعضهم يعملون بهذه أسسهم وقواعدهم لأنهم راعوها في القديم إذا كانت لهم والبعض الآخر لا يعبأن ولا يحتفلون بها إذا كانت عليهم ومست المسألة جيوبهم الخاصة، وإني قبل هذا قد أخبرت سعيد بك بأن الحكومة لا تمانع إذا قدموا أفراد الديانة اليزيدية جميع أموالهم إليه باسم الوقف اليزيدي على أن يقع ذلك بحسن رضائهم وبطيبة خاطرهم ولا بصورة جبرية وبأن عقاب من يرتكب جريمة مخالفة للآداب وتخل الرابطة الزوجية يعود للقانون وحده والحكومة قد أسست المحاكم المقتضية لذلك تنزل التعويض للمجني عليه والعقاب الجسماني للقانون باسم ملك البلاد والقانون وذلك حسبما نص عليه الدستور العراقي فليس من الممكن والحالة هذه أن تعطي الحكومة بهذه حقاً يسن بواسطته دستوراً خاصاً باسم الشرع اليزيدي يعبث بواسطته ويخل بجميع القوانين المرعية بينما شكل الحكومة الحاضرة يأبى ذلك بالمرة. وأفهمته بأن بالفض لو وافقت الحكومة على تشكيل المجلس المزعوم فان أعمال هذا المجلس تكون خاضعة للقانون ومحصورة في الفتاوى وغير ذلك التي يعود أمر إجرائها إلى المحاكم ذات الاختصاص كما وأن هذه الفتاوى والقرارات التي يصدرها المجلس ستكون عرضة للتمييز والتدقيق من قبل المحاكم ولا كما يعتقدون أن يكون حاكماً مطلقاً يعمل كما يشاء أن يمليه على المجلس بدون قيد وشرط. هذا ولما سألته بان إذا الحكومة عرضت هذا المشروع على أفراد الملّة ولم يوافقوا على تخويلكم هذه

السلطة القاهرة عليهم فما الذي على الحكومة أن تعمله. أجاب: بأن لا يحق لأفراد الملّة الاعتراض على ذلك حسب شرعه وأن هذا أمر يعود إليه والى الرؤساء الروحانيين وكأنه عاتق رقابهم. مع كل ذلك فإني أرى تخويل سعيد بك ورؤسائه الروحانيين هذه السلطة غير مناسب مع مبادئ الحكومة ولا يلائم مصالحها في البلاد. ولا شك أن الحكومة تراعي العوائد المألوفة بين العشائر لدي حسم دعاواهم وذلك بواسطة مجلس المحكمين الذي ينتخب لكل قضية على حدى. وعلى كل الأمر منوط برأيكم الصائب سيدي.

توقيع

وكيل القائممقام

الوثيقة رقم ٣

متصرفية لواء الموصل

قلم التحريرات

العدد س / ٢١٦

التاريخ ١٨ تموز ١٩٢٨

سري

وكيل قائممقام الشيخان

الموضوع: تشكيل مجلس ملّى لليزيدية

واردة ٢١

٢٨/٧/٢٤

جوابا على كتابكم المؤرخ ٣ تموز ٩٢٨ والمرقم ٢١ سري للطائفة اليزيدية الحق في تشكيل مجلس روحاني كسائر الأقليات الموجودة في العراق لأجل النظر في الأمور الدينية البحتة الى درجة معينة ولكن هذا لا يسوغ للمجلس المذكور وضع ضرائب ورسوم جديدة إنما يجب ترك الوضعية الحاضرة على حالها كما هي الآن وعدم فسح المجال لإحداث أي تغيير جديد في هذا الأمر.

ويجب الملاحظة أن الطائفة المذكورة يطبق بحقها نظام دعاوى العشائر الأخرى فإذا تم تأليف هذا المجلس وتقرر لدى أبناء الطائفة إتباع مقرراته فيما إذا تكون وضعيتهم في الأمور التي يسري عليها نظام العشائر ولها تعلق بالديانة اليزيدية مثل الزواج والخطف وغير ذلك.

انا لا نرغب في فتح هذا الباب في الوقت الحاضر أما إذا يصر سعيد بك وحاول سن طرق جديدة لمعالجة شئون طائفته فعليه أن يراجع اللواء لندرس الوضعية ونفهمه بما يجب. نرجو تبليغه بذلك.

توقيع

متصرف لواء الموصل

م.ن.

الفصل الرابع

تصالح الحزبان الكوردستانيان ولم يتصالح الايزيديون المنتمون اليهما!!

إذا كان العنوان يُعبر عن مضمون المقال تقريباً وعن الفكرة التي ينوي الكاتب طرحها، فاننا توقفنا كثيرا بين عدة عناوين أيهما يكون أكثر ملائمة لمقالنا؛ هل: " سفينة الأمير التائه ترسو على خلافات الايزيديين لدى كلا الحزبين الكوردستانيين الحاكمين!!" أم عنوان " المحسوبين على الجبهة الثقافية الايزيدية يحاولون عبثاً إنقاذ سفية الأمير الغارقة!!" لكننا فضلنا العنوان المثبت أعلاه لأن الاصطفافات السياسية ومصالح الأمير الذاتية والمواقف الشخصية للبعض الأخر قادتنا وتقودنا الى الموضوع الذي نحن بصدد مناقشته اليوم.

يبدو أن قصص وأساطير أجدادنا الايزيديين باتت زادنا الفكري، وأن عِظام وأرواح الأولين مازالت تلاحقنا وتتحكم فينا، ولم نعد نعيش في عصر المتغيرات الكونية ولم يعد لإله العقل دور يذكر! ولم يبق الدين ونصوصه مقدسة وحسب، بل دخلت الكثير من العادات والبدع المتوارثة والمصطنعة حقول التقديس لا فكاك منها. وما هذا الإنصياع والإنقياد الأعمى- الذي يصل حد البلاهة عند البعض إلا موروث آلاف السنين يسري في عروق الغالبية العظمى من الناس بما فيهم الأغلبية المحسوبة على الجبهة الثقافية الايزيدية.

في مقال بعنوان " دعوة مخلصة لسمو الأمير تحسين بـ- مع نهاية عام ٢٠٠٥" المؤرخ في ٢٠٠٥/١٢/١٨ حول الانتخابات في العراق(٢٠٠٥/١٢/١٥) وموقف الايزيديين -كشريحة دينية منها. حاولنا حسب قناعاتنا وفهمنا تشخيص مواطن خلل المجتمع الايزيدي، وقد حصرناهم في اثنتين، الخلل الأول كونه: " ينبع من ميكانيزم الديانة الايزيدية ونظامها الهرمي الذي يحصر ويختزل جميع المسؤوليات في شخص

واحد ويعتبره بمثابة " ظل الله على الأرض!" لا يجوز لكائن من كان مسّه، أو نقده،...أن هذه الظاهرة وتلك النظرة تقيدّ من حركة معتنقي الأيزيدية وتقتل فيهم روح الإبداع، وتزرع في نفوسهم شعور اللامبالاة والانطواء وعدم الثقة بالنفس، الى أن تصل الى أخطر ظاهرة تسمى بـ" التفرقة وعدم الاتفاق". وأضفنا بأن الأمير بإعتباره يحصر السلطتين الدينية والدنيوية بيده " يتحمل المسؤولية المباشرة والأخلاقية أمام معتنقي الديانة؛ يفترض به أن يعيش بينهم ليتعرف على مشاكلهم ويتحسس آلامهم وأفراحهم، يصغي الى آرائهم ومطالبهم، يكون حكيماً وعادلاً في نظرته للجميع، قريباً من جميع الايزيدية بغض النظر عن درجة القربى، أو الانتماء الحزبي، أو المكانة الاجتماعية. وقريباً من جميع الأحزاب الكوردستانية بشكل خاص والعراقية وبقية شرائح المجتمع بشكل عام. يضع مصلحته الشخصية في خدمة المصلحة العامة، ويقود أبناء دينه الى برّ الأمان باستمرار؛ بمعنى آخر أن تكون شخصيته متميزة كشخصية الدالايلاما الصين، وبابا الروم وغيرها من الشخصيات العالمية المضحية والمتفانية التي غيّرت وتغيّر تاريخ بلدانها والمنطقة من أجل دينها ومن أجل القيم الانسانية يذكرهم التاريخ بكل تقدير.

ووضعنا الخلل الثاني على- عاتق وأداء الشريحة الايزيدية المثقفة، مع عدم أهمال وتهميش أفكار ومداخلات بعض الكتاب الايزيديين هنا وهنالك. إلا أن " الغالبية العظمى من مثقفينا- نقولها بمرارة- تنقصهم الجرأة والصراحة؛ الصراحة مع أنفسهم أولاً ومع الآخرين ثانياً، وكذلك الجرأة في إتخاذ المواقف، خاصة أزاء المسائل المصيرية". نحن بحاجة الى مواقف وليس مواقع. الانسان يعرف بمواقفه وليس بقدر وزنه أو طول قامته وماله واتساع كرشه!

إذن دون معالجة هذين الخللين ودون الإقدام على إجراء إصلاحات داخلية، ومن دون »إعادة التوازن الى ميزان مختل« أصلاً لا يمكن للايزيديين أن يخطوا خطوات للأمام ويلتحقوا برُكب الحضارة، أمّا الترقيعات في ثوب مهلهل فلن تجدي نفعاً بل تؤدي الى المزيد من التخلف والتردي الاجتماعي وتقديس من يمثلون عالم الأموات!.

ضمن الأفكار التي طرحناها إعادة النظر في الشكل الهرمي »للقيادة الايزيدية«، ونفخ الروح في الجسد الهامد للمجلس الروحاني كي يلائم المتغيرات الجارية على

الساحة...". وقدمنا دعوة صريحة ومخلصة لسمو الأمير تحسين بك الذي بقى على رأس الإمارة – دون أن تكون هنالك إمارة – أكثر من اثنين وستين سنة (آب ١٩٤٤- لحد اليوم) أن " يدعو بنفسه الى عقد مؤتمر عالمي للايزيدية يعقد بأسرع وقت ممكن في كوردستان العراق، على غرار المؤتمر المؤتمر العالمي الايزيدي الأول، الذي نظمه (مركز الايزيدية خارج الوطن) عام ٢٠٠٠ بمدينة هانوفر/ ألمانيا، ويهيئ له بشكل جيد، يعلن فيه سموه تنحيه عن منصب الامارة، كي يسجل سابقة لا مثيل لها، ويدخل تاريخ الايزيدية بل والشعب الكوردي معززاً مكرماً فيما تبقى له من العمر، ويبقى رمزاً تذكره الأجيال بعد مماته. وأخشى ما أخشاه في حالة عدم الأخذ بالنصيحة اليوم، أن يفقد الخيط والعصفور غداُ!" وفي حالة إستجابة سموه للمقترح/الفكرة، طرحنا البديل وأكدنا (فيما لو تم) عقد المؤتمر " سينتخب من داخل المؤتمر عدداً، يتفق عليه، من مثقفي الايزيدية ووجهائهم وحسب الكفاءات يشكلون هيئة أو مجلس، أو سمها ما شئت، تكون بمثابة سلطة إدارية، الى جانب الابقاء على المجلس الروحاني كمرجعية دينية لا تتدخل بالشؤون السياسية. تختار من بين تلك الهيئة المنتخبة مستشارين من جميع الاختصاصات للأمير الجديد كي يؤدي مهامه أمام الايزيدية وتكون تلك السلطة المنتخبة سلطة شرعية تمثل الايزيديين أمام رئاسة أقليم كوردستان وحكومتها، وتقيم علاقات عامة مع الأديان والطوائف والشرائح الاجتماعية العراقية بما يخدم نشر روح المحبة والتآخي والتسامح الديني والقومي والانساني وتقوية لحمة المجتمع. كما تكون تلك الهيئة مسؤولة أمام أيزيدية بقية البلدان في المهجر.".

لم يعر سمو الأمير الأهمية لصرخات واحتجاجات الايزيديين حينها، وبدل أن يصغي إلى نداءاتهم حاول استغلال ذلك الضغط لمصلحته فاستجاب إلى حضور دعوى مجموعة من الايزيديين في مدينة اولدنبورغ تمخض عن رسالة يتيمة موقعة باسمه فقط دون شركاء له في العملية، موجهة إلى قيادة الأحزاب الكوردستانية والسيد مسعود البارزاني رئيس أقليم كوردستان والسيد مام جلال رئيس جمهورية العراق الفيدرالي، وسافر بعد مكوثه لعدة أشهر في المانيا إلى عمان/ الاردن ليكمل المشوار لشهور أخرى تاركاً أبناء جلدته (الذي يفترض أن يقودهم في السرّاء والضرّاء) في أعرج وأصعب الأوقات الا وهو فترة الانتخابات!. و-كان إعتكافه عن الرجوع الى العراق بشكل عام وكوردستان بشكل خاص محسوب- حسب تحليلنا- بشكل دقيق

لنيل مكاسب مادية وعائلية من قيادة الحكومتين الكورديتين، وتحقق له ما أراد فعلاً، حيث تم لاحقاً تعيين إبنه السيد حازم بدرجة مستشار في رئاسة مجلس وزراء أقليم كوردستان، كما قدمت له الحكومتان الكورديتان- وما زالتا- مبالغ مالية يحسد عليها! أمّا الايزيديون ومصالحهم بالنسبة اليه، فالى جهنم وبئس المصير!!. ما دام الأمير ومن على شاكلته بخير، فجياع وثكالى ومحرومي ومثقفي الايزيدية بألف خير والحمد لله!!

بشرى ساره يحملها شهر نيسان لايزيديي (العالم)، ففي ال ٢٩/ منه زفّ خبر تشكيل "هيئة استشارية" للمجلس الروحاني الأعلى للايزيديين تم فيه إختيار (٢٦) ستة وعشرون شخصاً لمدة أربع سنوات (سحب د. خيري نعمو قائممقام الشيخان نفسه من القائمة حيث لم يأخذ رأيه حسب توضيحه المنشور) تحت قرار يحمل الرقم (١٦) وموقع من قبل أمير الايزيدية تحسين سعيد علي.

بعد جهد جهيد (تمخض الجبل فولد فأراً!) كما تقول أحد الأمثال العربية. قبل مناقشة خلفيات وأسباب وظرف إصدار القرار، نود إبداء بعض الملاحظات العابرة عليه، أول تلك الملاحظات الرقم (١٦) الذي يحمله، فإذا كانت هذه القرارات الستة عشرة صادرة فقط في فترة حكم سمو الأمير تحسين بك (آب ١٩٤٤- نيسان ٢٠٠٦)، معنى ذلك وبعملية حسابية بسيطة أن هنالك قرار واحداً لكل أربع سنوات، هذا إذا علمنا أن ستة من هذه (القرارات) معلومة لدينا على أقل تقدير: قرار بجواز زواج بيرة حسن ممان من بيرة هسنالكان في أواخر الستينات. قرار بتحديد المهر، ونتوقع أن تكون القرارات الثلاث الأخريات بشأن تعيين البابا شيخ الحالي بعد وفاة البابا شيخ الياس، وأخرى بتعيين البابا جاويش الحالي بدل المرحوم البابا جاويش بير كمال، وأخيراً تعيين البيشيمام فاروق بدل المرحوم والده البيشيمام خليل نذير. القرارين الأولين لم يلتزم بهما أحد، أي أن القرارات تولد وهي على سرير الموت وأكفانها معها! وإذا تعرفنا مع القرار الأخير على ستة من مجموع الستة عشرة قراراً الصادرة طيلة أكثر من ستين عاماً، فما بالك بالقرارات العشرة المتبقية؟ وبالحساب الرقمي والمنطقي فأن هذه الأرقام القليلة (١٦ فقط) إن دلّت على شيء، فانما تدلّ على أن وضع المجتمع الايزيدي كان بكل خير ومستقراً، لماذا إذن كل هذا الصراخ والشكاوى؟!

الملاحظة الثانية بشأن كلمة (إختيار) أعضاء الهيئة الاستشارية. ف"الاختيار" في

أحسن الأحوال يخضع للاجتهاد إذا صدر من نية صافية، ربما يكون صائباً أو خاطئاً. أما إذا صدر من شخص يحمل نية مسبقة وهدف ذاتوي، فحينها تخضع عملية "الاختيار" الى الارتياح وعدم الدقة وأن الشخص المختار لا يشكل عنصر ازعاج وقلق وندّ للطرف الذي أختاره، بل يكون أداة لتمرير مشاريعه من خلالهم، وتفتقد عملية الاختيار في كل الحالات الى عدم الشرعية! أما بالنسبة لوظيفة الاستشارية وفي الحالة التي نحن بصددها والشخص الذي يجري التعامل معه، ليس للمستشارين صلاحية إتخاذ القرار، وما هذه المسرحية الهزيلة إلاّ لذر الرماد في العيون!.

القرارات يا سادة يا كرام تصدر من مؤتمرات وكونفرنسات عامة ذات برامج وخطط عمل معدة بشكل جيد. كان من الأجدر بمعد هذه الورقة والذي وقع عليها أن يسميها " فتوى" باعتبارها صادرة من مرجع ديني، وحينها كان يقطع الطريق على الناس "المشاكسين" أن يقفوا في وجهها ويشككوا في نياتها وأهدافها! كيف ننشد الأمن والخير والتقدم من أناس لا يفرقون بين القرارات وبين الفتاوى!!.

نحاول أن نصل الى النقطة والعقدة المركزية من " قنبلة شهر نيسان ٢٠٠٦" حول تشكيل " الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني الأعلى للايزيديين من حيث توقيتها وأسبابها وأهدافها. ونخاطب هنا عقلاء الايزيدية من كل شرائح المجتمع بدون استثناء أن يتابعوا معنا بعيداً عن الاختلاف الفكري والتحزب والارتياحات الشخصية والمواقف المسبقة في مناقشة حيثيات الاعلان عن تشكيل هذه الهيئة ودوافعها. ربما يتهمنا بعض الأخوة والأخوات كوننا نقف ضد هذه الهيئة لأن اسمنا غير وارد ضمن القائمة. نود أن نطمئن جميع اولئك الاخوة والأخوات أن الدكتور ممو خابرنا يوم الجمعة المصادف ٢٠٠٦/٤/٢١ وذكر لنا حول انعقاد جلسات في الشيخان مع سمو الأمير وهنالك نيةٌ بتشخيص بعض الأسماء بعد أيام، أبدينا له موقفنا المشكوك بل والمعارض من تحركات الأمير وتأسفنا على حضوره لتلك الاجتماعات واستغلال اسمه لتمرير مشاريع صاحب الدعوة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان مواقفنا وكتاباتنا السابقة تؤكد ما نقوله، ولا يشرفنا أن نكون أعضاء في هيئة صورية غير منتخبة، وأداة لتعزيز سلطة من لم يقدم خدمة تذكر للايزيديين ومجلس روحاني لا حول ولا قوة له واسم بدون مسمى.

يعرف صاحب "القرار" من أين يؤكل الكتف، كما يقول المثل. وتحرك بذكاء في الوقت المناسب وأعلن عن قائمة تضم ستة وعشرون اسماً، القسم الأعظم من الأسماء مبلغة وتم أخذ موافقتم والذي يقول عكس ذلك أنه غير مبلغ، بإمكانه اتخاذ موقف كما اتخذه الدكتور خيري نعمو الذي طلب حذف اسمه من القائمة بسبب عدم أخذ رأيه بالموضوع. أما بقية الأسماء الموجودة وأخص بالذكر منهم المحسوبين على الجبهة الثقافية، فلكل منهم مقصده وأهدافه والطاغي هو المنطلق السياسي والمنافسة الحزبية، إضافة الى المنافسة غير الشريفة والارتياحات الشخصية والتباهي لدى البعض..الخ، وتكررت قضية "مذكرة التضامن مع مطلب الايزيدية" بداية حزيران ٢٠٠٥ الذي كثر الحديث واللغط عنه وقسّم الشارع الايزيدي الى فرق متصارعة، اليوم تتكرر نفس توجهات تلك المذكرة ولكن بلباس آخر وفي ظرف آخر وضمن موديل آخر " الهيئة الاستشارية للمجلس الروحاني.." بطله إنسان متمرس واللاعبون يتحركون تحت مصطلح "خدمة الايزدياتي"المسكينة!.

نقولها بملء أفواهنا لقد توحدت الادارتان الكورديتان، وتصالح الحزبان الكوردستانيان بعد أن خاضت قواتهم معارك طاحنة مع بعضهما وقدم كلاهما مئات الشهداء، لكنّ في نهاية المطاف من أجل مصلحة الشعب الكوردستاني تعانق السيدان مسعود البارزاني ومام جلال مع بعضهما وجلست قيادة الحزبين على طاولة واحدة ووحدت جهودها وطاقاتها ولولا ذلك لما خرجوا بنتائج الانتخابات المرضية للجميع، ولعبا دوراً بارزاً في رسم سياسة العراق والمنطقة.

لماذا لا يستطع الايزيديون المنتمون للحزبين، أخص المسؤولين وأصحاب القرار منهم، وأخص بالذكر المسؤولين في اللجنتين الاستشاريتين في حكومتي السليمانية وأربيل أن يجلسوا مع بعضهم ويتفقوا على دمج اللجنتين الاستشاريتين بعد اجراء بعض التعديلات عليهما، أو على الأقل في إيجاد شكل من أشكال التنسيق فيما بينهما بعد أن توحدت الإدارتين والوزارات.

لماذا تفسحون المجال أيها الأخوة الكوادر والمثقفون في الحزبين وخارجهم من تمرير مشروع ومخططات مَنْ لا يريد الخير إلاّ لنفسة ويعيش على خلافاتنا وصراعاتنا؟ وكيف ترضون أنتم ومعكم المحسوبين على مثقفي الايزيدية ضمن القائمة أن ترسو

سفينة الأمير الغارقة على خلافاتكم أو بالاحرى خلافاتنا جميعاً؟! هذا هو بيت القصيد يا مهندسو ومحامو ومستشارو الايزيدية! أليس جرثومة التفرقة والكبرياء والوصولية تعشعش في كيان مجتمعنا الايزيدي!!

لماذا نلوم الآخرين ونبكي على حقوقنا الضائعة؟!.ألم تدققوا أسماء قائمة المستشارين، تضم أقصى اليمين الى أقصى اليسار، بعثيين قدماء/ جدد وعملاء نظام البعث المقبور مع شيوعيين وشيوعيين قدامى،أعضاء وكوادر في الاتحاد الوطني الكوردستاني وأعضاء من الحزب الديمقراطي الكوردستاني ومحسوبين عليهم، أربعة من عائلة واحدة،...سبحان الذي جمع ويجمع مستقبلاً بين هذا الخليط العجيب الغريب من الاخوة الأعداء!. تبدو أن المصالحة الوطنية وإلغاء قانون إجتثاث البعث طبقت لأول مرة في العراق وكوردستان على "الهيئة الاستشارية للمجلس الروحاني الأعلى للايزيدية" وهذه من اولى الانجازات التي تسجل لها بامتياز وربما تكافئ من قبل الحكومة المركزية في بغداد!.

بعد معرفة بيت القصيد وتشخيص الهدف الرئيسي من تشكيل "الهئية الاستشارية" حسب قناعتنا، نحاول مناقشة الشكليات والثانويات التي تدور حولها والمرتبطة بها على شكل أسئلة واستفسارات وتعليقات مقتضبة:

* عندما كثرت المطالبات بعقد مؤتمر عام للايزيدية في نوفمبر وكانون الأول من العام المنصرم ٢٠٠٥ لتدارس الوضع وترميم البيت، وافق سمو الأمير–حسب المعلومات المؤكدة– على فكرة التنحي وعُقدت بعض الجلسات كان من المفترض تشخيص لجنة تحضيرية لإعداد المؤتمر، كانت مخاوف سمو الأمير تنحصر في " مَنْ يضمن تدفق السيولة النقدية له من الحكومة الكوردستانية بعد تنحيه!". إذن "المادة الملعونة" كانت العقدة الأهم، أما مصير ما يناهز النصف مليون في كوردستان العراق وما يقارب المليون في العالم ليس ذات أهمية!. أردناها هيئة أو سلطة إدارية شرعية ذات صلاحيات ومنتخبة من مؤتمر عام وشرعي، وليس هيئة استشارية كارتونية مختارة حسب رضى الأمير تدور في فلك نوازعه ورغباته في التملك والتسلط. ألم يكن الأمير واثقاً من نفسه أن يواجه الايزيديين بكل شرائحهم أمام مؤتمر عام ويناقش معهم مشاكل المجتمع المتراكمة والمستعصية، أم أراد أن يضحك على ذقون الايزيديين

ويمرر مخططه من وراء الستائر المظلمة؟!

* لماذا يفكر رؤسائنا الروحانيين بأبنائهم وذويهم أولاً؟ هل يجوز لرجال دين وكهنة أن يقلدوا مناصب حكومية ويجمعوا بين الوظيفتين الدينية والدنيوية؟ أيهما أرفع شأناً: منصب الأمير أم منصب المستشار في أي دائرة حكومية؟ أيعرف سمو الأمير تحسين بعد أن أصبح ابنه الكريم حازم مستشاراً في مجلس الوزراء، اسقط عنه حق المطالبة بمنصب الأمير خلفاً له؟

* اسم " المجلس الروحاني الأعلى للايزيدية" يؤشر الى أنه يمثل جميع الايزيديين وليس العراقيين فقط، فلم يقل "المجلس الروحاني الأعلى لإيزيدية العراق"، والهيئة الاستشارية التي "أُختيرت" لها يفترض أن تمثل جميع الايزيديين في العراق، سوريا، تركيا، روسيا، أرمينيا، جورجيا وكذلك ايزيدية الخارج. أين إذن ممثلي الايزيدية من البلدان المذكورة، أليسوا مثلكم يؤمنون بما تؤمنون به، أم أنهم بقرات حلوبات وحسب؟!

* ألا تعتبر المرأة الايزيدية عنصراً وعضوة فعالة في المجتمع، أين حضورها؟ أم أن مجلسكم الموقر يعتبر ذكورياً لا مكان للمرأة فيه؟!

* بغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع (حركة الاصلاح والتقدم الايزيدية) في بعض توجهاتها ومواقفها، لكن أين ممثلهم داخل " هيئتكم الاستشارية"؟!

* إذا كانت هنالك أربع أسماء من عائلة أميرية واحدة، فما هو السبب من غياب أسماء لفخوذ من عائلة: علي بك، اسماعيل بك، أحفاد ايزدي ميرزا، سواري بك..الخ.؟ أليسوا أولئك أيضا أولاد العمومة؟!

* أين دور وتمثيل المراكز والجمعيات والنشاطات الايزيدية داخل العراق وخارجه؟!

* أين التمثيل المناطقي المنصف ودور وجهاء شنگال (أكثرية الايزيدية) ومناطق دهوك وزاخو؟!

* الأعضاء المختارون لـ"الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني: هل يعقل بمثقف أن يقبل بمهمة دون أن يطلع على برنامجها ويعرف أهدافها ويوقع على ورقة بيضاء؟! أين القدوة التي نتكلم عنها والتي تريد أن تغير المجتمع؟!

* سؤال آخرلأعضاء "الهيئة الاستشارية" المحترمين: هل نستطيع أن ندعوكم أن تثبتوا

في أول اجتماع لكم على جدول عملكم " تأمين خيرات لالش والسناجق وبقية المزارات المقدسة" ووضعها تحت اشراف هيئتكم أو لجنة أخرى لتنفقوها على شؤون الايزيدية من الفقراء والمعوزين والمحتاجين..الخ؟...هل لديكم تلك الجرأة، وهل يقبل الأمير المس بخطوطه الحمراء؟!. كما ندعوكم أن تضيفوا نقطة أخرى الى جدولكم ألا وهو تأمين نسبة من الخيرات التي يحصل عليها البابا شيخ أيضاً. وان تجرأتم من طرح هاتين النقطتين وحققتم تقدماً سوف نبارك عملكم ونزودكم لاحقاً بطلب آخر تدرجونه على جدول عملكم، وفي حال فشلكم:

* نناشد جميع أحرار وشباب الايزيدية في كل مكان، خاصة في شنگال، مقاطعة ومنع زيارة (الطاووس– السنجق) الى مناطقهم. ايمان الانسان هو عمله وضميره وصدقه وليس بما يقدمه من أموال أمام (السنجق) أو على عتبة مزار الشيخ آدي وسجادة الشيخ فخرالدين، بامكان المرء أن يزور أماكنه المقدسة دون تقديم تلك الخيرات لمن لا يستحقها. إن الله والشيخ آدي وأولياء الايزيدية الصالحين ليسوا بحاجة الى أموالكم وهم رحيمين بإمكانهم الغفران لكم بدون تقديم النذور والعطايا لإشباع البطون المتخمة وزيادة رصيدهم المالي وأملاكهم وبالتالي تقوية نفوذهم وسلطتهم. بهذا تضيفون يا أحرار الايزيدية قيوداً إضافية الى قيودكم الموجودة أصلاً وتغلقون نوافذ النور والتقدم عن عقولكم ومستقبلكم.

* ربما يتصور سمو الأمير/ مخطط العملية ومن يؤيده، أنه لزم الخيط، لكن السؤال: هل يبقى العصفور مربوطاً بالخيط الى ما لا نهاية، هذا ما ستبينه لنا الأيام والمستقبل؟!

أتمنى للجميع، المختلفين والمتفقين مع أفكارنا، النجاح والتقدم ونتقبل جميع الآراء مع أو ضد برحابة صدر.

كوتنكن في ٣/آيار/ ٢٠٠٦

الاعتراف بالخطأ فضيلة والتبرير لا يجدي نفعاً

عشرون يوماً تفصل بين ما يسمى بالقرار رقم ١٦ الصادر من المجلس الروحاني الأعلى للايزيدية (٢٠٠٦/٤/٢٢) وبين " موقف مجموعة الخارج من القرار رقم ١٦" (٢٠٠٦/٥/١٢) مجموعة الخمسة أسماء ضمن "اللجنة الاستشارية " المختارة من قبل الأمير. نشر هذا الموقف من المجموعة الخمسة يوم أمس الثالث عشر من شهر مايس/٢٠٠٦ بصفحتين ونصف على شبكة بحزاني الالكترونية.

قرأنا "الموقف" صباحَ يوم ٥/١٤ بذهن صاف . ان لقاء الاخوة الخمسة بحد ذاته– ولو جاء متأخراً كبقية مواقف الايزيديين المتأخرة– لتدراس "القرار" واتخاذ موقف منه بعد أن رفض بشكل قوي من غالبية شرائح الايزيديين في الداخل والخارج: [٧٦,١٪ غير موفق(ضد) حسب استفتاء شبكة بحزاني من مجموع ١١٠٤مصوت، و ٥٠٪ الغاء الهيئة حسب استفتاء جريدة قنديل الالكترونية ل٤٠ مصوتاً، و ٢٦٠ صوت ضد القرار حسب مذكرة الاستنكار]، بقي فقط ٦,٢٪ موافق حسب شبكة بحزاني، و٤٠٪ تعديل للهيئة حسب شبكة قنديل. أما النسبة الباقية ٧,٧٪ يعتبر القرار بدرجة وسط حسب شبكة بحزاني و١٠٪ تعتقد أن الهيئة تبقى كما هي–قنديل]. إذن نسبة الرفض هو حوالي ثلاثة أرباع عدد المصوتين، أما نسبة أقل من ١٠٪ فهم مع هكذا قرار. وإننا متأكدون لو كانت هنالك إمكانية إجراء هذا الاستفتاء في الداخل وخاصة منطقة شنگال لوصل نسبة الرفض للقرار أكثر من ٩٠٪.

هذا هو "موقف" جماعي لخمسة أعضاء من " الهيئة الاستشارية" المختارين من الايزيدية المتواجدين في ألمانيا وليس موقف شخص أو شخصين، وأنهم يقيّمون القرار ايجابياً أكثر من مرة و" يقدمون شكرهم وامتنانهم لسمو الأمير(تحسين سعيد بك) وأعضاء المجلس الروحاني المحترمين ومن حضر معهم" هذا من حقهم، إلاّ أن الذي يستوجب التوقف عنده ومناقشته هو الاحتماء بمصطلحات " من أجل أن نكون عند حسن ظنّ المجتمع الايزيدي" أو أن المقترحات التي يقدمونها تأتي " من أجل منطلق أساسي ووحيد هو المصلحة العامة للايزيدية" وكأن كل ما قاموا ويقومون به هو عين الصواب، وهي الواقعية والموضوعية، وتدخل في مصلحة الايزيدية، أو يفهم منه ضمناً،

أن كل ما قيل ويقال خارج تلك " الواقعية" وأصوات الاستنكار والرفض التي ظهرت ماهي إلاّ مواقف (ثورية إنقلابية) هدامة لا تخدم مسيرة المجتمع!.

من هنا نود الدخول في مناقشة "موقف مجموعة الخارج من القرار ١٦" يريد أن يوحي، بل يوهم الايزيديين من خلال الفقرة الثانية من الصفحة الأولى مباشرة وكأن الصراع الجاري داخل المجتمع الايزيدي ينحصر بين تيارين (نستخدم مصطلح تيار رغم عدم تبلور تيارات في المجتمع الايزيدي بعد) فكريين من أقصى اليمين لأقصى أقصى اليسار". تياران، الأول: هو التيار " العقلاني الواقعي" الذي يبحث عن " الحلول الممكنة والمتدرجة"، والثاني: هو التيار الذي يفتش عن " الحلول (الثورية الانقلابية) والتي ترمي للاتيان بقيادة جديدة فتية تعالج الوضع بطريقة مثلى!" (علامة التعجب من كاتب الموقف نفسه وليست منا). وأن طروحات الايزيديين وآرائهم و " وحلولهم على الساحة متفاوتة بين أقصى اليمين واليسار".

ان هذا الموقف، في هذا الظرف بالذات يذكرنا بكتاب لينين " مرض اليسارية الطفولي" الذي ألفه ضد خصومه السياسيين الذين كانوا يختلفون معه في الكثير من قضايا الثورة. سؤالنا لكُتاب " موقف مجموعة الخارج.." ضمن أي تيار يجري تصنيف الداعين الى إجراء إصلاحات وتغييرات في جسم المجتمع الايزيدي، والى الرافضين لاسلوب ما سمي بالقرار ١٦، والداعين الى إلغائه، ونحن واحد منهم؟! هل هم أصحاب الحلول اليسارية المتطرفة أم اليمينية المتطرفة؟ علماً في وقتنا الراهن وفي عصر العولمة يتداخل المصطلحان ولم يبق لاستعمالهما ذلك الرواج وتلك النكهة السابقة!.

وإذا كنتم في ورقتكم " موقف مجموعة الخارج" تصنفون التيار الاصلاحي الرافض لاسلوب الهيمنة والتحجر والعمل الفردي في خانة الراكضين وراء " أشكال الحلول (الثورية الانقلابية)" نسألكم: هل سمعتم أو قرأتم يوماً لأحد من أصحاب هذا التيارأنه طالب بتحريك الدبابات لاقتحام قصور الامارة في باعذره أو الشيخان؟! أو دعى الى سحل الأمراء مثلما حدثت للعائلة المالكة في العراق بعد نجاح ثورة ١٤/ تموزعام ١٩٥٨؟! رغم قناعتنا باصابة وابتلاء الجسم الايزيدي بالورم السرطاني، لكننا لا نطالب بعملية جراحية قيصرية لذلك الجسم المصاب لعدة أسباب لا مجال لذكرها، بل ندعو الى إجراء عملية تجميل فقط، ولكن ليس بالطريقة " العقلانية والواقعية" التي

تروجون لها وتعملون من أجلها؛ طريقة الزحف وتسليم أوراق الائتمان الى صاحب بورصة غير مقتدر وفي موت سريري!.

قيادتكم، أو قيادتنا – لا فرق لأن كلانا في الظلم والاستهانة سوى– ملامحه كملامح حيوان ألـ" لاما" لا نعرف هل هو بعير أم ارنب: هل نظامنا الديني والدنيوي نظام ملكي ديني وراثي، أم جمهوري برلماني؟ نظام أميري بدون أرض وسلطة وجيش وعلم، أم نظام ديني ثيوقراطي يعتبر الحاكم ظلّ الله على الأرض؟!.

يبدو للقارئ غير المتمعن في مضمون "موقف مجموعة الخارج من القرار رقم ١٦" كأنه موقف حيادي جديد يثبت لصالحهم ويتمكنون من خلاله اقناع بعض بسطاء الناس بطروحاتهم وتحليلاتهم كونهم المدافعين الوحيدين عنهم، إلاّ أن لنا قراءتنا المغايرة بعض الشيء ونرى في موقف هؤلاء السادة المحترمين عدد من التناقضات والثغرات وكم هائل من المواقف التبريرية لقبولهم العمل ضمن "الهيئة الاستشارية". ومن باب الواقعية لا نريد أن نحكم ولا نناقش جميع الاخوة والسادة المحترمين بالقرار رقم ١٦ والقبول بـ(مهمة) العمل ضمن تلك الهيئة، فهم مسؤولون عن موقفهم، لكننا نحاول حسب قراءتنا وفهمنا التوقف عند بعض التناقضات الموجودة في ورقة التقييم " موقف مجموعة الخارج من القرار رقم ١٦" في الفقرة الأولى يصف بحق: " ان (القيادة) والمجلس الروحاني برمته (خامل ومشلول بشكل دائمي) (وهذا ما أطلقت عليه الموت السريري) وكون المجتمع الايزيدي ينظر اليها (القيادة) نظرة سلبية". رغم أن هنالك فرق بين (النظرة السلبية) وبين (قيادة خاملة ومشلولة بشكل دائمي)، لكن مع ذلك يأتي هؤلاء الأخوة المحترمون وباصرار وتحت حجة وتبرير " الحل الواقعي، واستثمار أية فرصة متاحة، وإدخال الحداثة والتطوير الى القيادة الحالية" يضعوا كل بيضاتهم في سلة (القائد أو القيادة الخاملة والمشلولة) بحجة (تحويلها بشكل تدريجي الى قيادة فاعلة، ويكون لأهل الرأي والتدبير والمثقفين الدور الأساسي فيها..). ان سوق هذه " التحليلات الواقعية والموضوعية والممكنة والمتدرجة" التي يبني عليه موقف الاخوة الخمسة، يشبه الى حد كبيرفي زرع قلب كركدن في جسم قطة!.

هل أنتم أيها الاخوة الخمسة من مجموعة الخارج ومعكم ال(٢٦) المختارين للهيئة الاستشارية مع المجلس الروحاني الأعلى تعتبرون أنفسكم المسؤولين فقط عن

الايزيديين كي لا تتركوا (الحبل على القارب) كما جاء في تقييمكم؟ وإذا كنتم تصفون المخالفين لقراركم وتوجهاتكم بأصحاب الحلول (الثورية الانقلابية) والذين يرمون للأتيان بقيادة جديدة فتيّة تعالج الوضع بطريقة مثلى!. إذا كان مشروع الاتيان ب (قيادة جديدة فتية) يدخل عندكم باب عدم الواقعية وكونه ليس علاجاً للوضع، فهل في المقابل من الصحيح الاقرار وبحكم الواقع الذي نعيشه اليوم القبول بقيادة عجوزة هرمة لا أمل من اصلاحها؟!.

لو نراجع سوية " رؤية تقييم القرار" الذي أطلق علية " موقف مجموعة الخارج من القرار ١٦" لنجد تكرار عبارات (العقلانية والواقعية، الواقع والواقعي، الحلول المتدرجة والممكنة، العقلانية، السبيل الممكن، فرصة متاحة، تدريجي ومتدرجة، ابداء المرونة،..) تسع مرات من خلال صفحة واحدة، دون أن نحسب عبارات (الظروف والامكانيات) التي تقود الى نفس المعنى، وتم سوق جميع تلك العبارات كتبريرات مملة لاقناع الناس بصحة تحليلهم لوضع الايزيدية وبالتالي لإضفاء الشرعية على الهيئة الاستشارية المختارة لمدة أربع سنوات داخل غرف مغلقة بين الأمير ونفسه، أو على أقل تقدير بينه وبين ثلة من مؤيديه المؤتمنين. ويأتي " التقييم" في الفقرة الخامسة ليسجل على القرار ١٦: كونه " لم يأت من فراغ ولا بصورة طوعية، انما جاء لأسباب وظروف، وتحت الضغط المتزايد من الشارع الايزيدي (المتململ) والرافض للحالة التي هو عليها، والخشية من حصول المزيد من التدهور في الوضع الايزيدي العام. يضاف الى ذلك، صراع المصالح بين القيادة وفرقاء آخرين، مما يحتم على القيادة ابداء المرونة اللازمة لتأمين استمرار نهجها وحكمها." (انتهى الاقتباس)

مما لا شكّ فيه لم يولد القرار من فراغ، هذا مفهوم، ولا نميل الى تحليل الاخوة كون القرار جاء بسبب ضغط الشارع الايزيدي – مع اقرارنا بوجود تململ ورفض للحالة التي هو فيها– فلو كان الأمر كذلك وكان هنالك اصغاء من قبل "القيادة"/ الأمير لصرخات الايزيديين، لو كان بالفعل متوجساً أو خائفاً من (تململ) الشارع، لأقدم الأمير منذ عام ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ وقبل الأنتخابات الجارية في العراق لإصدار قرار إستثنائي يحمل ما قبل الرقم ١٦ لتدارك الوضع الايزيدي والانسجام مع الوضع العراقي والكوردستاني المتغير، ولكان القرار رقم ١٦ الذي تضفون عليه صفة الشجاع والايجابي وربما التاريخي، يحمل رقماً آخراً بعد رقم الخمسين لكثرة المستجدات على

الساحة العراقية!! لكننا ربما نتفق مع النصف الثاني من تحليلكم كون " صراع المصالح بين القيادة (الأمير) وفرقاء آخرين، حتّم على القيادة ابداء المرونة اللازمة لتأمين استمرار نهجها وحكمها" وهذا ما شخصناه في مقالنا السابق وأخترنا له ذلك العنوان الملائم " تصالح الحزبان الكوردستانيان ولم يتصالح الايزيديون المنتمون اليهما". كان أحد الأهداف الرئيسية للأمير من وراء القرار رقم ١٦ "تبويش"، لا بل، القضاء على دور اللجان الاستشارية لدى كلا الحزبين الكوردستانيين وتحجيم دور المراكز والنشاطات الثقافية بواسطة استمالة بعض المثقفين وكوادر حزبية وحكومية الى خطته بحيث يكون هو مفتاح الحل والعقد، وكما أشرنا سابقاً كان لكل منتمي للمشروع المذكور أهدافه ومصالحه الشخصية والحزبية!.

يجب أن لا يفهم من كلامنا هذا، أو يفسره البعض حسب مزاجه كوننا موافقين على نهج اللجان الاستشارية لدى كلا الحزبين الكوردستانيين وندافع عنهما، أو أنه ليست لدينا ملاحظات جادة على عملهما، ويفترض أن لا يُنظر الى هذا الموضوع الحساس والجوهري الذي يمس مستقبل تطور المجتمع الايزيدي بمنظار المصالح الضيّقة والندّية، بل ينظر اليه بنظرة إستراتيجية بعيدة المدى، والسؤال يوجه الى المثقفين وجميع الليبراليين والعلمانيين: أيهما أفضل لنا وينسجم مع مبادئنا ومستقبل أجيالنا، الحنين الى الماضي والتعلق بالفكر الغيبي المعرقل وعبادة القبور وأرواح الموتى والعاداة البالية، وتأليه البشر والتأسيس على أطلال مندثرة، أم دعم الحداثة والنشاطات الثقافية الديمقراطية الحرة ومنظمات المجتمع المدني ومحاولة تقويم المثقفين الذين يضلون الطريق حسب رؤيتنا، وتكوين جبهة ثقافية ليبرالية واسعة تستوعب الجميع؟..لو أُخترنا بين الاثنين، لأعلنا بدون تردد، وقوفنا مع الجبهة الثانية العصرية ولن نسمح لنفسنا، وتحت مسميات الظروف وحالة المجتمع وإحترام العادات القديمة البالية، أن نكون شريكاً بل مساهماً في خلق جنين مشوه لا نؤمن به ونضحك على ذقون الايزيديين الذين يمنحوننا ثقتهم!

رغم وجود الكثير من الملاحظات الأخرى التي يمكن مناقشتها ضمن النقاط التي طرحها الأخوة الخمسة في موقفهم من القرار ١٦ كشرط (ولو أنهم لم يعلنوها صراحة كشروط لانسحابهم من تلك الهيئة) لتقويم الهيئة الاستشارية وضمان نجاحها واستمراريتها، إلاّ أننا نكتفي بهذا القدر من مناقشة ورقة التقييم الصادر منهم.

كي نكون منصفين للهيئة الأستشارية للمجلس الروحاني الأعلى ونخفف العبئ عنهم، نقول أن الوضع العراقي العام والحزبين الحاكمين في كردستان يتحملان جزءً من تفاقم صراعات الايزيديين الداخلية وذلك من خلال دعمهم لأشخاص هم سبب تأخر وجمود مجتمعنا، ويأتي هذا الدعم من منطلق إذا كسبنا الرأس والمسؤول الأول، فقد كسبنا كل الايزيديين!. إذا كانت هذه النظرة تنطبق على القرن الثامن والتاسع عشر، فإنها لا ينطبق على القرن الحادي والعشرين، بالعكس بسبب تلك النظرة تضعف هيبة وقوة الحزب المعني بين الايزيدية.

تبقى مسألة عمل الأحزاب الكوردستانية بشكل خاص والعراقية الديمقراطية بشكل عام بين صفوف الايزيديين وكسبهم الى جانبهم مسألة طبيعة وحق مشروع، لكن التدخل في الشؤون الداخلية وصراعاتهم بدون أن يكون مقصوداً، فهذه مسألة نتمى من القلب أن ينتبه اليها المسؤولون في كلا الحزبين الكوردستانيين. أليس من حقنا أن نسأل: ماذا يعني ويعكس لنا لقاء رئيس جمهورية العراق الفيدرالي السيد مام جلال مرتين خلال اسبوع مع أمير الايزيدية؟ هل يمتلك الرئيس من الوقت الكافي وعشرات القتلى يسقطون كل يوم بيد الارهابيين، والحكومة لم تتشكل بعد مرور خمسة أشهر من الانتخابات، والفساد الاداري يزكم الانوف، والنفط يهرّب بملايين الدولارات يومياً، كي يلتقي مع أمير الايزيدية لمرتين متاليين خلال اسبوع؟!..نحن كأيزيديين نشكره على مواقفه ومساندته لمطالبنا والغبن الذي ألحق بنا، أما كان بالإمكان ايصال هذه المطالب والاستحقاقات عبر اللجنة الاستشارية في السليمانية، أو من خلال الكوادر الايزيدية في الاتحاد الوطني الكوردستاني، أو من خلال مستشاره الايزيدي.

نتمنى ونناشد من قلوبنا الكوادر الايزيدية في كلا الحزبين الكوردستانيين أن لا ينقلوا صراعاتهم الحزبية لمناطق الأيزيديين، وأن يجعلوا منها ملعباً لتصفية الحسابات وعرض العضلات. يمكن للكادر الايزيدي أن يبدع ويبين اخلاصه لحزبه ليس في شنكال والشيخان وخانكى وختارا فقط، وإنما في كركوك وخانقين وبغداد والسليمانية وأربيل.

كوتنكن ٢٠٠٦/٥/١٥

الفصل الخامس

بين التاريخ والنفاق يتخبط المثقفون الايزيديون

بمناسبة صدور القرار رقم ١٦ من المجلس الروحاني الايزيدي

مدخل:

سوف نتخذ مما يسمى بالقرار رقم ١٦ الصادر يوم ٢٠٠٦/٤/٢٢ من " المجلس الروحاني الايزيدي الأعلى " بتشكيل لجنة استشارية خاصة به، مدخلاً لإلقاء الضوء على بعض الجوانب من تاريخ الإمارات والأمراء الايزيديين خلال القرون المنصرمة، وخاصة بين القرون (١٢-٢١) من حيث حالة وتشكيل الامارات الايزيدية والمجلس الروحاني فيما بعد، بسبب ما يجري الآن من أعمال تخص الشأن الايزيدي. كما سنتوقف أثناء التحليل والشرح عن سبب " ولادة" القرار الحالي بشكل قسري في غير زمانه، وأتى بعد ثلاث سنوات وثلاثة عشر يوماً بالضبط من سقوط نظام الصنم في بغداد (٩/نيسان/٢٠٠٣ - ٢٢/نيسان/٢٠٠٦)؟! وارتباطاً بالولادة غير الطبيعية، سنحاول تحليل القرار من وجهة نظرنا من جوانب عدة. في الختام سنطرح توقعاتنا على آثار ومستقبل القرار الآنف الذكر وعن مدى تأثيره على الحالة الايزيدية، وماهو البديل الملائم الذي يمكن طرحه في الوقت الراهن، كون الأسماء الموجودة ضمن "الهيئة الاستشارية" يعتبرونها الحل والمخرج الأمثل لهذه المرحلة.

قبل الدخول في الجدل، نود القول- ليس من باب التشاؤم وإنما كحقيقة نسبية- أن الوضع الايزيدي قد وصل الى حالة من التكلس لا يفيد معها استخدام أدوات التنظيف

(٢) كنت قد وعدت القراء الكرام بمقال تحت العنوان المذكور أعلاه، إلاّ أنني ألقيت مضمون هذه المقالة باللغة الكوردية على البالكتولك في "غرفة ايزيدخانا كوردستان) ليلة ٢٠٠٦/٥/٢٧ وتحت عنوان آخر هو (ما يسمى بالقرار ١٦ الصادر من المجلس الروحاني الاعلى الايزيدي بتشكيل مجلس استشاري: خلفيات القرار وآثاره المستقبلية؟)

التقليدية المعروفة، وإنما بحاجة الى استعمال أدواة خاصة بكسر الطبقة الكلسية من جسم المجتمع الايزيدي وتجاوز العديد من العادات والقوالب المعرقلة لتطوره. نعرف أن عهد الثورات والانقلابات العسكرية على "ظهور الدبابات" قد ولى الى غير رجعة، وحل محله عهد " الثورات" البيضاء، أو البرتقالية، كما تسمى بلغة اليوم، وفي الحالة التي نحن فيها كأيزيديين: التوعية الفكرية وتحرير العقل من اقفال العبودية والتعلق بالغيبيات وعبادة الأشخاص، استخدام أساليب الضغط الجماهيري، إنشاء وتعزيز المنظمات الثقافية والمدنية، خاصة منظمات المجتمع المدني، تشجيع المنهج الليبرالي وحرية الفكر في الحياة العامة، تحرير الدين والمجتمع من العادات والقوالب المعرقلة للتطور التي لا تتماشى مع روح العصر، تجفيف المصادر التي تجلب الثراء والسلطة لاولئك المتنفذين الذين يستعبدوننا- بكسرالباء- وغير ذلك من الوسائل الممكنة، هي جزء من مكونات " ثورتنا البيضاء". ونعي، أننا لا نستطيع إزالة ماهو موجود من حالة جامدة مريضة ومشلولة بدفعة واحدة، وبشكل كامل في ليلة وضحاها، بل أننا بحاجة الى جهد استثنائي، لكننا لا نقبل بالصيغة القديمة التي يعول عليها أخواننا في "الهيئة الاستشارية"، ولا نؤمن أن "القيادة" سوف تتقبل الاصلاح وتَقْدم عليه، لذا سنكافح ما استطعنا في الوقوف بوجه تلك الظواهر البالية التي تعتبر حجرة عثرة في طريق تقدم المجتمع نحو مرحلة أرقى. إن الدين في كل الحالات ليس عاملاً في بناء الحضارة الانسانية، وإنما هو عامل في بناء الذات المؤمنة به، لكنه خارج هذه الذات لا يستطيع أن يقدم الكثير. (كما يقول الكاتب البحريني عمران سلمان). ولهذا فأن هدفنا اليوم ليس منصباً في بناء (الذوات المؤمنة بالدين)، وليس هدفنا تفقيس المؤمنين الايزيديين وتشجيع التطرف الديني من خلال طرح قضايا غير واقعية تحت رداء الدين وباسمه، وتحت شعار" الحفاظ على التراث والخصوصية المفرطة"! ومن ينادي فقط باسم الايزيدية والدين، يدخل شئنا أم أبينا، باب الكسب المؤقت، ويدخل ضمن خانة الطرح الطائفي، الذي يُنْتَقد من قبل العلمانيين والوطنيين عموماً. دعنا لا نصبح مثل الفلسطينيين ونقع في نفس أخطائهم وشعاراتهم "الثقيلة" منذ الأربعينات! بل نخطو للعمل سوية من أجل بناء مجتمع ايزيدي متحضر اسوة بباقي شرائح المجتمع الكوردستاني والعراقي. بمعنى لا نجعل من الدين (قميص عثمان) كما يقال، يقوم كل شخص بالتمسك به وعرضه في المزاد من أجل مصلحته وأهدافه الخاصة!.

دُفنَت الامارة وسلطة الأمير تباعاً أولها عام ١٨٣٢ وآخرها عام ١٨٩٩!:

نتناول بشكل مختصرمن خلال مصادر موثقة ومعتمدة تاريخ الامارات الايزيدية، نشوئها، تبعيتها، دورها واضمحلالها دون الدخول في التفاصيل. ونحاول قدر الامكان المحافظة على التسلسل الزمني لتلك الامارات قبل مجئ الشيخ آدي بن مسافر، مع الاعتذار في حال عدم ذكر أسماء جميعها:

١- إمارة جارجوم/ يقول الدكتور فيليب حتي في كتابه: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الثاني، ص٥٢-٥٤، ما مختصره، انه في زمن الخلافة الأموية (القرن السابع الميلادي) كان هنالك قوم من ذوي التاريخ الغامض يقيمون في المنطقة الجبلية الوعرة في شمالي سورية، ويتمتعون بقسط وافر من الحكم الذاتي. وكان هؤلاء المردة[٣] يمدون الروم من معاقلهم في جبال اللكام وطورس بالرجال، والجنود غير النظاميين، فكانوا شوكة في جانب العرب. ويأتي د. حتي بعد صفحة يقول: "تقرر في عهد الوليد بن عبدالملك (٧٠٥-٧١٥م) أن يقضي نهائياً على خطر المردة. فهاجم مسلمة (هو مسلمة بن عبدالملك أخ الخليفة- خليل ج.) هؤلاء العابثين بالأمن في عقر دارهم ودمر عاصمتهم الجرجومة، فهلك بعضهم، وهاجر البعض الآخر الى أناطوليا، وانضمت جماعة ممن بقي منهم الى الجيش السوري، وقاتلوا تحت لواء الاسلام. وفي عهد يزيد الثاني، ساهموا في اخضاع الفتن التي نشبت في العراق."[٤] جارجوم،[٥] هي منطقة واسعة تقع الى الشمال والشمال الغربي من حلب وجبل كوردا غ، وهي نفس المناطق التي أسس عليها الايزيديون إمارة حلب أو قصير وكذلك كليس. وما زال الايزيديون يسكنون بكثرة في تلك المناطق.

٢- إمارة داسن (٦٢٠هجرية-١٢٣٦م) كان مركزها دهوك وتمتد من زاخو وشنكال غرباً حتى تصل الى نهر زاب بالقرب من أربيل. للعلم أن كل من البلاذري

(٣) بمعنى الانتقاض والمقاومة، كما فسره (قابل الدينوري)، ص ١٣٠ س٣, لكن اللفظة هي من (مرد= مروف) بمعنى الانسان أو الشجاع أو الكريم عكس البخيل.(خليل ج.)

(٤) د.فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول والثاني، دار الثقافة- بيروت، ترجمة الدكتور جورج حداد و عبدالكريم رافق، ط٣، سنة (١٩٦٠)؟- كذلك راجع مقالي: مجلة روز، ع٦, ، ص ٢١,

(٥) جارجوم: ربما الجداول أو الأنهر الأربعة (خليل ج.)

(متوفي٨٢٩م)، وابن الأثير(١١٦٠م-١٢٣٢م)، يتحدثون عن داسن ولكن ليس كإمارة، حيث يذكرون أنه في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، أرسل قائد الجيش الاسلامي (عتبة بن فرقد السلمي) سنة عشرين للهجرة فقاتله أهل نينوى، فأخذ حصنها الشرقي عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية(...)ثم فتح المرج (أي مه ركه أو ميركه مكان الامارة-الكاتب) وقراه وأرض باهذرى وباعذري وحبتون والحيانة والمعلة (مالطا اليوم-الكاتب) ودامير وداسن وجميع معاقل الاكراد.[٦]

٣- وفي عام (١٤٨هجرية-٧٦٣م) تمكن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصورمن صدّ وإيقاف انتفاضة الايزيديين في جبل داسن في كوردستان، أولئك الذين كانوا يحاولون الخروج من سيطرة العباسيين.[٧]

٤- وفي زمن العباسيين عام (٢٢٤هجرية-٨٣٩م) تمكن الخليفة المعتصم من إخماد انتفاضة أخرى للايزيديين للمرة الثانية في جبل داسن ومنطقة الموصل بقيادة (الأمير جعفر بن الأمير حسن الداسني)[٨] (أغلب الظن أن هذا الأمير يعود الى عائلة الأمير بير حسن ممان وعائلة خانزاد أمراء سهل حرير- الكاتب)

٥- أما الأمير (عيسى ٤٧٩ هجرية) الشهير بصلاح الدين الكوردي وبعد وفاة والده الأمير يحيى أصبح أميراً للقبيلة الدونبلية ونقل نحو مائة ألف أسرة من الأكراد من فرع اليزدانية الى آذربيجان والى (كوهستان) وكان يمضي أغلب أيامه في تبريز. وصار بعد ذلك وزيراً للخليفة هارون الرشيد.[٩]

(٦) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، البلدان: وفتوحها وأحكامها، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر/ بيروت، ط١، ص٢٨٩٠، انظر كذلك ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج٢، دار صادر/بيروت، طبعة ١٩٩٥، ص ٥٢٤

(٧) انظر مجلة لالش، العدد ٥، لسنة ١٩٩٥، ص١١٤، مقال للسيد زرار صديق. انظر كذلك مجلة روز ، العدد ٦ لسنة ١٩٩٨ مقال للكاتب نفسه باللغة الكوردية بعنوان: إمارة الشيخان، شنكال وكليس، ص٧-٢٧

(٨)نفس المصدرين السابقين، ص ١١٥ و ١٠ على التوالي.

(٩) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، ج٢، ترجمة محمد علي عوني، سنة الطبع ١٩٤٥، ص ٣٨٥، وانظر أيضا مجلة روز، مصدر سابق، ص١١)

٦- وعند قدوم الشيخ آدي بن مسافر (القرن الحادي عشر) الى لالش، الواقعة في الشيخان أو ما يسمى اليوم ب(وه لات شيخ) أو (ايزيدخانه)، أصبحت عين سفني مركزاً للإمارة، علماً في زمن الشيخ آدي وأخيه وأولادهم كان كل شئ تقريباً باسمهم. لا نريد هنا التوقف على تاريخ هذا الشيخ الجليل وحفيده الشيخ حسن (ابن أخيه) وغيرهم، لأنه معروف لجميع الايزيديين، وكيف قاوم الأخير بدرالدين لؤلؤ والي الموصل أنذاك، وكيف اعتقل عام (٦٤٤ هجرية - ١٢٤٦م).

٧- يقوم شخص باسم شمس الدين أحمد الجردقلي (١٤١٤م) بشن هجوم على إمارة الشيخان وجبال هكار وإبادة الايزيديين.[١٠]

أما في القرون المظلمة وبعد انهيار الامبراطوية المغولية في القرن الرابع عشر، فأن معلوماتنا قليلة عن الامارات الايزيدية.

يعتبر كتاب (شرفنامه) الذي وضعه الأميرشرفخان البدليسي عام ١٥٩٧م من بين المصادر القديمة التي تتحدث بشكل واضح- رغم سقوط الفصول:(السابع، الثامن، التاسع) المخصص للامارة الداسنية/الايزيدية من الأصل الفارسي- عن الامارات، ويقول بأن القبيلة الرئيسية آنذاك كانت تسمى (داسني) وتسكن شمال وشرق الموصل وصولاً الى معبد لالش حيث مزار الشيخ عدي[١١]. وقال عنهم (ابن فضل الله العمري) في مسحه لكوردستان بأنهم فرع من البوط[١٢].. وداسني كانت تمتد الى آديابين وهي منطقة تقع بين الزاب الأكبر والأصغر، وكانت لهم عداوة مع أعدائهم التقليديين في سوران. وفي حصن كيف حافظ خلفاء صلاح الدين الأيوبي على دينهم الاسلامي، ولكن مناطقهم شمال دجلة قدمت المراعي الصيفية لقبائل البدو الايزيدية ال(خالتي) شرق باطمان وبازيان حول ميافارقين (سليفان الحالية).

وفي تقرير ابن فضل الله يأتي على ذكر قبيلتين ايزيديتين (المحمودي) الذي شغلوا حامية هوساب جنوب شرق بحيرة وان، وقبيلة (دونبلي/ دوملي) التي انتقلت الى غرب

(١٠) عباس العزاوي، اليزيدية، وأصل عقيدتهم، ١٩٣٥

(١١) شرفنامه، شرفخان البدليسي، ترجمة كرومي، مجلد١،ص٣٨، وكذلك جون كيست، الحياة بين الكورد..تاريخ الايزيديين، ترجمة عماد جميل مزوري،مطبعة سبيريز/ دهوك ٢٠٠٥، ص ١٠٦)

(١٢) شهاب الدين ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ترجمة كواتريمير، نقلاً عن جون كيست، مصدر سابق)

بحيرة أورميه. وفي مكان آخر من كتاب (شرفنامه) يأتي على وصف ايزيدية الغرب (شمال سوريا) ويقول بأنهم جماعة تعود الى أفواج الهكارية التي عملت تحت قيادة صلاح الدين الايوبي، وبعد طرد الصليبيين تم منح زعيم هكاري اسمه (مند) في قصيرغرب حلب وإقطاعية أخرى- ربما كليس-فأصبح ذات سلطة على الكورد. ويذكر شرفخان شنكال دون إعطاء تفاصيل عنها.

وبعد موت تيمورلنك ظهرت على الساحة السياسية آنذاك قوتان أخريتان هما قوة (اسماعيل الصفوي) كأول شاه في ايران بمنطقة (أردبيل) أو مدينة آذربيجان، وكان يدين بالمذهب الشيعي ونودي كملك الملوك عام ١٥٠١م. أما القوة الثانية فكانت الدولة العثمانية في الطرف الغربي.

تمكن الشاه اسماعيل الصفوي خلال سنوات قليلة من الاستيلاء على بلاد فارس والعراق وجميع مناطق الأناضول والقسم الشرقي من نهر الفرات، واحتل ديار بكر عام (١٥٠٧م) وبغداد في في السنة التالية.

- في ذلك الوقت كانت قبيلتي (الدنبلي والمحمودي) الايزيديتان هما الأقرب الى بلاد فارس، وأظهرت ولاءها للشاه اسماعيل وكذلك الى أمير العمادية اعتماداً على الشيعة بعد أن استولى على الحامية الايزيدية بدهوك على بعد ١٨ ميلاً غرب لالش.[١٤]

- وفي زمن السلطان العثماني سليم الأول (السنّي) الحق هزيمة بالشاه في معركة جالديران شمال بحيرة وان آب ١٥١٤م، وبذلك أصبحت كل من ديار بكر، اورفه، ماردين، الموصل، شنكال، واقعة تحت الحكم العثماني. وعندما احتل هذا السلطان نفسه (سليم) سوريا ملحقاً الهزيمة بالجيش المصري، أعلن الأمير قاسم بك الكوردي المسلم ولاءَهُ للسلطان، ولكن في طريق عودته من احتلال مصر ١٥١٦م استطاع الشيخ عزالدين بن يوسف الكوردي الايزيدي من الايقاع بالأمير قاسم بك لدى السلطان وعين هو أميراً على الكورد في حلب وجبل سمعان. ودام حكمه من (١٥٢٠-١٥٦٦م)، يقال

(١٣) نفس المصدر السابق، ج٢، القسم الأول، ص١٥٨-١٧٧)

(١٤) شرفخان البدليسي، شرفنامه، الجزء الأول، ترجمة محمد علي عوني، تقديم يحيى الخشاب، دار احياء الكتب العربية/بيروت، ١٩٨٧، ص١٠٤، وانظر كذلك : جون كيست، مصدر سابق، ص١٠٩

أن منطقة شنكال كانت تابعة لحكمه وهو كما يقال، من سلالة الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن. وفي ذلك الوقت كانت إمارة كليس ومرعش بيد الأمير محمد باشا من سلالة الشيخ مند.[١٥]

– وفي عام ١٥٣٤م عندما شنّ السلطان سليمان القانوني حملة ضد الخليفة اسماعيل الصفوي، أتت قبيلة محمودي لتعلن ولائها للسلطان المنتصر فقبلها.

– وحينما احتل السلطان سليمان نفسه بغداد وأثناء رجوعة قام السلطان باعدام أمير سوران (الذي كان موالياً للشيعة الصفويين) وعين ايزيدياً وهو (حسين بك الداسني) ليكون حاكم أربيل وكذلك سوران بعد موت أميرها.[١٦] بتشجيع ودعم من الدولة العثمانية نفسها تم قتل الأمير الايزيدي وقاموا بتسليم ولاية الموصل وأربيل عام (١٥٨٥م) الى أمير بوطان (علي سيدي بك) الذي كان في الأصل ايزيدياً، وقام بحملة كبيرة ضد ايزيدية جبل شنكال فقتل حوالي ٦٠٠ شخص منهم وأسر العديد من النساء والأطفال.[١٧]

– أصبحت قبيلة (الدونبلي)على الجانب الفارسي من الحدود الذي رتب بين الامبراطورتين الصفوية والعثمانية عام ١٥٥٥م فقد تحول الزعماء وأكثر رجالها الى المذهب السني المسلم. ولكن أقلية منهم تشبثت بالعقيدة الايزيدية. وهاجر بعضهم الى الأناضول.[١٨] أما أعداءَهم التقليديون من قبيلة (المحمودي) فقد سكنوا في الطرف العثماني من الحدود جنوب شرق بحيرة وان، وقام السلطان سليمان بعد عدة سنوات باعدام أميرهم، وغالبية هذه القبيلة اعتنقت الاسلام فيما بعد بدعوة من زعيمها.[١٩] وبذلك أفل نجم هاتين الامارتين الايزيديتين الى يومنا هذا.

– حوالي عام ١٦٢٣م الذي كان يعتبر عهداً مضطرباً للدولة العثمانية، انقطعت سلسلة نسب حكم داسني المنحدرين من الشهيد الشيخ حسن وذلك بازاحته من قبل

(١٥) انظر مقال للكاتب نفسه منشور في مجلة روز، العدد ٦ لسنة ١٩٩٨، ص,١٤

(١٦) جون كيست، مصدر سابق، ص١١١–١١٣

(١٧) خليل جندي، مصدر سابق، ص١٦

(١٨) شرفخان البدليسي، مصدر سابق، ج٢، القسم الأول، ص,١٦٣

(١٩) نفس المصدر السابق، ج٢، قسم١، ص,١٦٩ كذلك انظر جين اوتر: رحلة الى تركيا وبلاد فارس، ج١، ص ٢٩٧–,٢٩٨ جون كيست، ص١١٣

زعيم في جبال سوران وراء الزاب الكبير والذي أرجع نسبه الى الشيخ أبي بكر، أحد أبناء عمومة الشيخ آدي. وبعد قتل الأمير داسني وثمانين من أتباعه أسس الشيخ محمد– المعروف بالكردي الأربيلي الباطني– عائلة حاكمة أميرية لا زالت تحكم الايزيديين وتقوم بحماية حرم لالش.[٢٠]

– وفي زمن السلطان مراد الرابع وفي نهاية كانون الأول من عام ١٦٣٨–١٦٣٩م إكتسح مدينة بغداد، وسجل المؤرخون المعاصرون مآثر وبطولات فرقة داسنية تحت قيادة زعيم يدعى ميرزا بك (المعروف بايزدي ميرزا–الكاتب)[٢١] وعين عام ١٦٤٩ والياً على الموصل برتبة باشا.

– شبه إمارة أو حامية في منطقة كويسنجق بقيادة الزعيم الايزيدي (آس) الذي طالما شنّ غارات على المقاطعات الغربية لبلاد فارس. شنّ نادر شاه حملة عليه عام ١٧٤٣م والحق به هزيمة منكرة.[٢٢]

– وفي القرن ١٨ أصبح أمراء الايزيدية في الشيخان من رعايا الإمارة الكردية في العمادية. ففي ذلك الوقت ثارالأمير بداخ بك (١٧٧٠–١٧٧١م) ضد اسماعيل باشا، أمير العمادية، فقام الأخير باخماد حركته وتم تعيين جولو بك ابن بداخ بك (١٧٨٩–١٧٩٠م)، وبعد ذلك أعيد تعيين حسن بك بن جولو بك (١٧٩١–١٧٩٢) من قبل خنجر بك أمير العمادية، وقتل بعد ذلك الأمير حسن بك غيلة من قبل أمير العمادية[٢٣]. وخلف صالح بك أباه حسن بك، لكنه قتل هو الآخر من قبل شخص في مدينة الموصل. وبعد تنافس وصراع داخلي على سلطة الامارة تبوء (علي بك الكبير) الامارة.

– قام علي بك الكبير بقتل (علي آغا البالطي) رئيس عشيرة الالكوشية المزورية في قصر باعذرة. ربما ندم الامير الايزيدي على ما فعل أو خشى عواقبه، لذا دعا اليه أربعين من أشراف ونبلاء الايزيدية، وأمر كل واحد منهم بطعن جثة علي آغا، ويعتقد

(٢٠) جون كيست، مصدر سابق، ص ,١١٤

(٢١) مصطفى نعيمة: تاريخ نعيمة، ج٥، ص٩٢–,٩٣ وانظر كذلك مقال للكاتب باللغة الكوردية :خليل جندي، إمارة الشيخان، شنكال وكليس، مجلة روز، العدد ٦ لسنة ١٩٩٨، ص,١٨

(٢٢) جون كيست، مصدر سابق، ١٣٦

(٢٣) الدملوجي، صديق: إمارة بهدينان، ص١٣٧) . وانظر كذلك : ج. بيرسي بادجر: النساطرة وطقوسهم، ج١، ص, ١١٠

بأنه كان لأمير العمادية الذي كان يمثل السلطلة الأعلى في المنطقة يد في المسألة.[٢٤] وكان لعلي آغا إبن عم يدعى الملا يحيى المزوري طالب العلم في العمادية، سافر الى بغداد والتجأ الى واليها آنذاك (داؤد باشا) ونقل اليه شكوى قتل (علي آغا) من قبل أمير الايزدية، يقال أن الوالي زوده بكتاب الى أمير رواندوز(محمد باشا)، وفي رواية أخرى ذهب الملا يحيى مباشرة الى رواندوز واستنجد بالأمير محمد باشا، فأجابه وأخذ يعد العدة لغزو الايزيدية وحلت الكارثة عليهم حيث زحف بجيشه الجرار أول خريف ١٨٣٢م على مركز الايزيدية في الشيخان، وفي طريقه قام بتصفية ايزيدية أربيل في قرية الكلك، وكانت تسمى حينها "كلك الدواسن" وفي طريقه بدأ يقتل أهالي القرى واحداً تلو الآخر ويعمل فيهم سيف الانتقام ويقضي على كل ذي روح بينهم. ومن نجا من الابادة قصد الموصل للهروب الى شنكال/ سنجار وكان عددهم نحوالعشرة آلاف نسمة (كما يذكر الدملوجي، ص٤٣٦) فأزاح والي الموصل (سعيد باشا) الجسر عن نهر دجلة خوفاً أن يتعقبهم جيش أمير رواندوز ويدخل مدينة الموصل ويعيث بها، فالتجأ الايزيديون الى " تل قوينجق" فأدركهم محمد باشا وذبحهم ذبح النعاج ولم يترك احداً يفلت من يده.[٢٥]

ويضيف نفس هذا المصدر(ص٤٦٣) من أن " منطقة الشيخان كانت تمتد من نهر الزاب الأعلى الى نهر الخابور والذي يمر من زاخو وهي متراصة بالسكان اليزيدية ونفوسهم تزيد على المائة ألف نسمة. فأخذ الجيش الصوراني يهاجمها واحدة إثر واحدة ويبيد سكانها ولم يسلم من يده سوى النساء والفتيات اللاتي كن يجدن لهن شفيعاً من نضارتهن وطراوتهن، فقد كن يرسلن الى بلاد السهران(كذا) وهكذا استمر سيف البغي والعدوان يلعب في رقاب هؤلاء التعساء ويزيلهم من الوجود ولم يسلم منهم إلاّ الذين اختفوا في الأدغال والأحراش وهربوا الى رؤوس الجبال وهم لا يتجاوزون ٥٪ هذه شهادة مسلم سنيّ متعصب لدينه كيف يعطف على الضحايا!). أما الأمير "علي بك" الذي أعطى الذريعة لمثل هذه الابادة، ترك أبناء جلدته ونجى من سيف الانتقام الذي كان أحق به وذهب الى جبال العقر(العقرة) واختفى فيها. إلاّ أن شبح

(٢٤) جون كيست، مصدر سابق، ص,١٥٦

(٢٥) لمزيد من التفاصيل الدقيقة راجع: صديق الدملوجي، اليزيدية، بغداد ١٩٤٩، ص ٤٦١-٤٦٤

النقمة ظلّ ملازماً له الى أن قبض على خناقه وقضى على أنفاسه بعد أن رأي بأم عينه النكبة التي حلت بأهله وقومه جزاء غدره وخيانته.[٢٦]

سقنا هذه الفقرات بشكل مطول لنوجه انتباه الايزيدية الى سؤال جوهري: رغم وحشية الجريمة وهول الابادة من طرف أمير رواندوز، لكن من أعطى الذريعة والحجة لابادة الايزيديين بحيث لم يبق من مجموع مائة ألف في منطقة (ولات شيخ)، من آسكي كلك الى زاخو غير ٥٪ حسبما جاء في كتاب الدملوجي) هذا اضافة الى الأعداد التي أبيدت في منطقة شنكال؟!. ألم يكن الأولى بالأمير الرواندوزي أن ينتقم من الفاعل الأول وكل من شاركه في فعل الجريمة دون اللجوء الى الانتقام من جميع الايزيديين الأبرياء؟! ألم يكن الأولى بوعاظ السلاطين من المثقفين الايزيديين اليوم دراسة تاريخهم ومحاسبة رأس البلاء بدل الدفاع عنهم وإنقاذ سفينتهم؟! ألسيت الامارة الايزيدية قد ماتت ودُفِنَتْ مع ضحايا إبادة أمير رواندوز منذ عام ١٨٣٢؟!. أم أن الايزيدية – وأقصد منهم بالذات المتعلمين والمثقفين وأصحاب المراكز الرفيعة– لا يعيشون إلاّ في جو التخلف والاستعباد وتحت سوط القوة؟!

– تولى جاسم بك الامارة بعد أسر الأمير علي بك وهروب ابنه حسين بك الصغير الى شنكال. وانتهي عهد جاسم بك الى نهاية عنفية إذ قدُمَ حسين بك ابن علي بك (١٨٤٣م) من قبل شنكال الى قرية ايسيان، على بعد اربعة كيلومترات شرق باعذره، وانتخب أميراً تحت وصاية الشيخ ناصر الذي كان بابا شيخاً آنذاك.

– وفي العام (١٨٥٣م) قام والي الموصل حلمي باشا وبصورة فجائية بخلع الأمير حسين بك وعين مكانه (جاسم بك) الشاب. أعيد (حسين بك) الى موقعه، ولكن رغم أنه جاء لتقديم الطاعة والولاء لوالي الموصل الجديد (مدحت باشا) عام ١٨٦٩م، إلاّ أنه أعتقل عام ١٨٧٥ ووضع تحت الاقامة الجبرية في الموصل الى أن توفي عام ١٨٧٩, وأعقبه شقيقه الأصغر (عبدي بك). خلفه ابنه (ميرزا بك) وقصته معروفه كيف غيّر هو وأخوه الصغير وأثنين من العامة عقيدتهم أمام الفريق وهبي باشا في (١٩/آب/١٨٩٢) في مدينة الموصل عندما تلى عليهم قاضي المدينة آية التوحيد، ونتيجة لموقفه صرف له راتب قدره ألف قرش(ما يعادل ١٨ جنيهاً سترلينياً). أما البقية

(٢٦) الدملوجي، صديق: مصدر سابق، ,٤٦٤

من الايزيديين الذين كانوا مع الأمير فلم ينطقوا باللعن ولم يعلنوا اسلامهم، فأمر الباشا الجنود بضربهم، وأخذ الجنود يضربونهم ضرباً مبرحاً حتى مات منهم تحت الضرب ثلاثة، وسقط الكثير منهم جرحى فحملوا الى المستشفيات للمعالجة.(...) وأبرق الباشا الى اسطنبول يقول بأن عشرين ألفاً من الايزيدية اهتدوا بهمته، وطلب أوسمة للأمير ميرزا بك وأخوته، وقد وصلت الأوسمة الى الموصل فسلمت لأصحابها، وأخذ الايزيدية يعودون الى قراهم تدريجياً.[٢٧] رغم تغييره لديانته، بقي ميرزا بك أميراً للايزيدية الى أن وافاه الأجل عام ١٨٩٩م. لكن أخوه (علي بك) الذي رفض تغيير دينه وأن يصبح مسلماً أودع السجن ونفي بعد ذلك الى سيواس مع زوجته ميان خاتون إبنة عبدي بك، ولم يسمح له العودة الى موطنه إلا بعد توسط من دائرة السفارة البريطانية عام ١٨٩٨م. بعد موت ميرزا بك عيّن (علي بك) أميراً في نفس العام ١٨٩٩، لكن العثمانيين حصروا صلاحياته في الأمور الدينية فقط تساعده زوجته ميان خاتون التي كانت قد شاركته منفاه.[٢٨] تم إغتيال هذا الأمير في قصره بباعذرة عام ١٩١٣ بعد حكم شبه صوري دام أربعة عشر عاماً.

– تولى (سعيد بك ابن علي بك) منصب الامارة بعد قتل ابيه سنة ١٩١٣ وهو لم يتجاوز الثانية عشر من العمر في الوقت الذي كان من رجال هذه الاسرة من هو أحق بهذا المنصب وأجدر به منه. إلاّ أنهم آثروه على أنفسهم لما كانوا يحملونه من المحبة لأبيه والعطف على أمه وهي التي عرفت بفطنتها وحب الناس لها بدهائها، وكانت وصية عليه.[٢٩] وبقي على رأس الامارة الى أن وافاه الأجل وانتقل الى رحمة ربه يوم الخميس ٢٩/تموز/ ١٩٤٣ في مدينة الموصل.

– كما نجحت الأميرة ميان خاتون من قبل في تنصيب ابنها (سعيد بك) أميراً على الايزيدية بعد وفاة أبيه، تمكنت هذه المرة أيضاً بحنكتها من استمالة البعض من أفراد الاسرة الى جانبها واسكات آخرين وترشيح حفيدها (تحسين بك) أميراً للامارة وهو

(٢٧) راجع: الدكتور علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، دار كوفان للنشر– لندن،١٩٩٢، ص٥٢–٥٣ . راجع كذلك: صديق الدملوجي: مصدر سابق، ص ٥٠٦– ٥٠٧ وجون كيست، مصدر سابق، ص ٣٠٣

(٢٨) جون كيست، مصدر سابق، ٣٠٣ و ٣١٦ .

(٢٩) الدملوجي، صديق، مصدر سابق، ص١٨ .

في سن الثالثة عشرة، وقد لاقى هذا الترشيح (كما يقول الدملوجي، ص٢٠) قبولاً من السلطات الادارية الحكومية العليا، وتم تعيين (تحسين بك) أميراً ونصبت جدته ميان خاتون وصية عليه كما كانت على أبيه من ذي قبل حتى مماتها عام ١٩٥٧م. وما زال الأمير يحكم منذ عام ١٩٤٤ لحد اليوم.

كما أشرنا اليه في المقدمة، سنحاول التطرق الى الامارات والأمراء الايزيديين بشكل مختصر، فالامارات والأمراء– خاصة بعد عهد الشيخ آدي بن مسافر والشيخ حسن بن الشيخ آدي الثاني– من الكثرة بحيث لا يتسع مقال كهذا على ذكرهم جميعاً.[٣٠]

باستثناء إمارات قليلة مثل: جارجوم (القرن السابع وبداية الثامن الميلادي)، وجعفر بن حسن الداسني، والأمير عيسى بن يحيى في العهد العباسي (القرن الثامن والتاسع الميلادي)، وفترة الشيخ آدي والشيخ حسن ومن كان في عهدهم، إضافة الى إمارة داسن التي لا نملك عنها التفاصيل الكثيرة، فان الامارات الأخرى التي تطرقنا الى تواريخها بشكل مختصر، لم تتمتع بالاستقلال، بل خضعت؛ إما للأمبراطوريه العثمانية أو الصفوية ولاحقاً تحت سيطرة إمارة العمادية.

جاءت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨) وخسارة الامبراطورية العثمانية وحلفائها أمام بريطانيا وفرنسا وتقاسم ممتلكات (الرجل المريض) بموجب معاهدة سيفر١٩٢٠ النهاية الفاصلة لزوال الإمارات الكوردية، بضمنهم إمارات الايزيديين، التابعات للدولة العثمانية المنهارة.

لم تبق من الإمارات الكوردية أية واحدة، ولم يبق لها أثر إلاّ في بطون الكتب وفي ذاكرة بعض الناس، إلاّ أن الملفت للنظر إستمرت الإمارة الايزيدية فقط من بين جميع الإماراة الكوردية بعد تشكيل الدولة العراقية الملكية عام ١٩٢٣م!. ماهو سرّ ذلك؟

(٣٠) لمن لدية رغبة شديدة في الاطلاع على تلك الصفحات من تاريخ الامارات الايزيدية بإمكانه مراجعة المصادر والمراجع التالية: غرائب الآثار لياسين العمري– إمارة العمادية، صديق الدملوجي– زبدة الآثار الجلية– إمارة بهدينان، أنور المائي– محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية، موصل ١٩٦٩ – إمارة سوران، حسين حزني موكرياني– شيخان و شيخان به كى، خدر سليمان و سعدوللا شيخانى باللغة الكوردية)– عبدوللا فارلى: ديروكا دوكه لين كوردان ٦٠٠–١٥٠٠م، سالا ١٩٩٧ _ د. التونجي: اليزيديون، كويت، ١٩٨٨– إضافة الى المصادر المثبتة في حواشي المقال نفسه.

المجلس الروحاني الأعلى للأيزيدية:

باختصار شديد، لا يعتبر "المجلس الروحاني الأيزيدي الأعلى " الذي نلاحظه اليوم، من صلب الديانة الايزيدية، وإنما هو حديث العهد يعود تاريخ تشكيله حسب وثائق رسميه الى ١/تموز/١٩٢٨، بمعنى أن عمره يقل عن (٧٨) عاماً!.[٣١] وكان وراء تشكيل هذا المجلس أسبابه الداخلية والخارجية، من ناحية الأسباب الخارجية كان هدف الحكومة الملكية العراقية الحديثة العهد (خمس سنوات) من وراء تشكيل المجلس حسب الوثائق الصادرة هو التالي:

– وجود صراع دائر آنذاك على الإمارة بين جناحين من بيت الإمارة كانا يسميان حينها جناح " البلشفيك" يمثله (حسين بك)، وجناح " المنشفيك" يمثله (سعيد بك). وتشير تلك الوثائق الى الصراع الدائر بين رؤساء عشائر منطقة شنكال/سنجار وبيت الإمارة، إضافة الى وثائق تبدي فيها الحكومة تخوفها من ايزيدية شنكال وحول امكانية استمالتهم الى جانب الحكومة الفرنسية (المنتدبة لسوريا آنذاك) عن طريق قطع الوعود لهم وإنشاء كيان خاص بهم. ولهذا يدعو مجلس الوزراء العراقي في أحد وثائقه السّرية الى الاهتمام بالايزيديين وقطع الطريق على الدول الأجنبية.

– أن تظهر للملأ بسن القوانين وتشكيل مجلس النواب والبرلمان والسماح للأقليات الدينية بتشكيل مجالسها الروحانية للنظر في أمورها الدينية البحتة وبحدود معينة، مع ابقاء تلك الأقليات ضمن نظام وقوانين (دعاوى العشائر)؛ أي أنه كان من الجانب الحكومي خطوة لإحياء بعض الكيانات القديمة، وتأطير سياسي– إعلامي ومركزة السلطة من جانب النظام.

أما من جانب الأمير آنذاك(الأسباب الداخلية) فكان يهدف من ورائه:

– حسم الصراع المحتدم على السلطة الأميرية بين جناح حسين بك المدعوم بشكل أكبر من عامة الايزيدية –استناداً للوثائق الموجودة– وبين جناح سعيد بك المدعوم من أقلية ايزيدية ومن الحكومة أيضاً. (وقد لعبت الأميرة ميان خاتون جدة الأمير سعيد بك دوراً بارزاً لحسم ذلك الصراع لصالح حفيدها).

(٣١) انظر مقالي المعنون: الايزيدية في الوثائق السّرية للحكومة العراقية، مجلة روز، العدد ٧&٨ لسنة ٢٠٠٠، ص ١٢٨

– كما أراد الأمير أن يشكل هيكلاً فضفاضاً يصبغ عليه صبغة دينية ودنيوية يقف هو على قمة هرمه ويطلق العنان لحكمه المطلق، وهذا ما نجح فيه. أما الأعضاء الآخرين في المجلس فلن يكونوا (وما زالوا) غير واجهات وأرقام وأسماء لا حول لهم ولا قوة!

– أن يستحوذ على جميع الخيرات الواردة من الايزيديين الى أماكنهم ورموزهم المقدسة لصالحه فقط، دون أن يستفيد منها الأيزيديون بأي شكل من الأشكال!.

لن أكون مخطئاً لو قلت أن الكثيرين من الأعضاء الثلاثة عشرة الذين وقعوا على عريضة ١٩٢٨/٧/١ لتشكيل المجلس الروحاني، كانوا ذوي نيّات حسنة ينوون من ورائِهاالحصول على شرعية ودعم حكومي وايزيدي لتمشية وتنظيم بعض أمورهم التشريعية، وهذا ما نستشفه من مضمون العريضة التي تقول: " نطلب من الحكومة المحترمة أن تعيرنا قليل من الأهمية والعناية التي أعارتها الى الكثير من الملل العراقية وذلك للطفها علينا بتشكيل مجلس روحاني... لينظر في القضايا الشرعية التي تحدث بين أفراد الملّة...ونحافظ على حقوق ديانتنا والشريعة التي سنها لنا رؤسائنا وأجدادنا من قديم الزمان". إلاّ أن الأمير كانت له حساباته الخاصة كما نوهنا اليه في الفقرتين (أ–ب–ت) أعلاه. وكان من جملة الفوائد التي يبغيها،حسبما ورد في وثيقة سرية مؤرخة بتاريخ ٣/تموز/١٩٢٨ مرسلة من وكيل قائممقام قضاء الشيخان الى متصرف لواء الموصل، كثيرة لا حاجة لذكرهم لأن الوثيقة منشورة في مجلة روز Roj.[٣٢]

كما تمت الاشارة اليه، فأنه بعد انهيار الامبراطورية العثمانية وتقاسم ممتلكات "الرجل المريض" بين الدول المنتصرة حسب معاهدة سيفر١٩٢٠، لم تبق أية إمارة من الإمارات الكوردية، بل تشكلت دول ضمن حدود وأسماء جديدة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان وظيفة الأمير هي وظيفة إدارية بحتة لتمشية أمور الإمارة وقيادة جيشها وصك النقود–ان وجدت– والتعامل مع الأصدقاء والأعداء في وقت السلم والحرب...الخ. لم تكن وظيفة الأمير وظيفة دينية، رغم أن الكثير من رؤساء الإمارات الايزيدية السابقة كانوا ينتمون لعوائل الشيوخ والبيرة. كانت في كل إمارة كوردية مسلمة الى جانب الأمير رجل دين بدرجة ملا أو مفتي يتم مشاورته في أمور

(٣٢) نفس مقال الكاتب، مجلة روز، مصدر سابق، ص٣٣–٣٦

الشريعة والفتاوى التي تخص عمل الامارة. حتى أن نظام الامارات الباقية في وقتنا الحاضر في شبه الجزيرة العربية، كما هو الحال في الكويت والإمارات العربية وغيرها، فأن الأمير لا يعتبر المرجع الديني. نظام الامارة لدى الايزيدية – رغم أسباب بقائه وشرعيته – يشبه الى حد كبير النظام الثيوقراطي الديني في المملكة السعودية.

لو فرضنا جدلاً أن وظيفة الأمير هي دينية، يفترض به بل يجب عليه أن يرتدي مثل الـ (بيشيمام– بابا شيخ– بابا كافان– القوالين– الكواجك– الفقراء وبقية رجال الدين) الملابس الدينية من العمامة والجبّة وينزل معهم في المناسبات الدينية لأداء مراسيم ال (سه ما) الدينية!. وكما لاحظتم أن الدولة العثمانية قد جردت الأمير (علي بك) عام ١٨٩٩م من جميع صلاحياته الادارية وسمحوا له أن يمارس فقط الأمور الدينية!. ذكرنا في مكان آخر أن الامارة الايزيدية قد دفنت عام ١٨٣٢ بعد حملة إبادة أمير رواندوز على الايزيدية نتيجة لخطيئة أميرهم! وجاء الموقف العثماني الأخير بتجريد الأمير الايزيدي من صلاحياته الادارية(١٨٩٩م) بمثابة قراءة الفاتحة على روح أحد توابعها (إمارة الشيخان) قبل أن تقرأ دول الحلفاء الفاتحة على روح " الرجل المريض" وتوزع ميراثها بعد الحرب العالمية الأولى!!.

كما بيننا فان ما يسمى بـ" المجلس الروحاني الايزيدي الأعلى " يعتبر مجلساً اجتماعياً أكثر من كونه دينيا صرفاً. المجلس الديني الحقيقي يتجلى من خلال مراسيم الـ(سه ما) الفردية وليس الزوجية، وعددهم سبعة– ربما بقدر الكواكب والأيام والملائكة السبعة– ويأتي تسلسلهم بالشكل التالي: (سادن مزار لالش الذي يلبس التاج والجبّة(الحل) والذي يمثل الشيخ آدي في المقدمة– بيشيمام مركه– مير حج– شيخ الوزير– أحد شيوخ الشيخ اسماعيل أو عبدالقادر– بير ايسيبيان– أحد الكواجك)، ولا نجد فيه شيخاً يمثل شيوخ (محمد الباطني) الذي ينتمي اليه بيت الأمراء الحاليين، بل يمثلهم شيوخ من القاتانية (الشيخ اسماعيل العنزلي والشيخ عبدالقادر) وتسلسلهم هو الرابع، ولا نجد حتى الـ(بابا شيخ) في هذا الطقس الديني الفردي. ومن باب (المجاملة) فأن من يمثل الأمير اليوم هو (المير حج)، علماً كان هذا الأخير ينتمي هو الآخر لعائلة الشيخ حسن وفي أوقات لاحقة سادن (عين كانيا سبي= العين البيضاء).

إذن حسب الأصول الدينية الصحيحة لا يعتبر الأمير رئيساً للمجلس الروحاني، ولا

يعتبر البابا شيخ هو الآخر رئيساً للمجلس الروحاني كما يفهم خطأً، ومن يمثل العائلة الشمسانية هو شيخ الوزير في مراسيم ال"سه ما". أما رقصة ال"سه ما" الزوجية التي يقوم بإدائها أربعة عشرَ شخصاً، تدخل في باب المجاملة وترضية كل الأطراف غير المشاركة في المراسيم الفردية!. وإذا كان الأمير لا ينتمي بالأصل الى " المجلس الروحاني" فكيف يكون رئيسهم؟!

حينما كانت هنالك عدد من الإمارات الايزيدية موجودة على أرض الواقع، كانت كل واحدة منها تحكم باسمها وليست لديها سلطة على الإمارات الايزيدية الأخرى، وعندما بقيت إمارة أخرى ضمن الدولة العثمانية، كان يقال لها (إمارة الشيخان) وأميريسمى بـ(أمير الشيخان) ولم يعتبر أميراً لشنكال ومنطقة الدنانية غرب دهوك وجنوب زاخو، وكذلك الجزيرة وحلب وايزيدية تركيا..الخ. مع الأسف هنالك من يحسب نفسه على جبهة المثقفين والكتبة، يبدو أنه لم يقرأ التاريخ، وان قرأ بعض الصفحات، فانه لم يفهمه بشكل جيد، يلجأ الى اسلوب التملق واستخدام عناوين في غير محلها، كأن يقول: أمير الايزيدية في العراق والعالم!. فان لم تكن منطقة الدنانية (زمن نمرآغا) وشنكال تحت نفوذ إمارته، كيف يكون أميراً لإيزيدية العراق؟!...ابحثوا أولاً عن خدماته (هم) الجليلة وما قدمه لأيزيدية العراق، وبعد ذلك حملوه ما تشتهون يا مثقفينا من ألقاب مثل (أمير إيزيدية العالم)!!.

ذكرالكثير من الكتاب الذين توقفوا عند تاريخ الايزيدية، أن الأمير محمد الكوردي الأربلي– الذي يعتقد في كونه من أجداد بيت الإمارة الحالية– عندما خسر إمارتي أربيل وسوران وقدم الى الشيخان، لم تكن لديه أو لإمارته القديمة (أربيل وسوران) علم وراية خاصة (طاؤوس أو سنجق)، وقام بالسيطرة على إمارة الشيخان بعد أن قتل حوالي ٨٠ ثمانون شخصاً من العائلة الآدانية. إن صحت نظرية كون الموما اليه من أجداد بيت الإمارة الحالية، ولم تكن لإمارته القديمة، كيف يحق له ولورثته السيطرة على رايات (سناجق) الإمارات الايزيدية المندثرة ويستغلونها لمنافعهم الذاتية؟

بعد كل هذه التوضيحات نتسائل: إذا كانت الإمارة والمجلس الروحاني لا يملكان تلك الشرعية، فكيف يكون القرار الصادر منهما شرعياً؟! هذا تقودنا المطالبةً بعملية الاصلاحات للبدء من القمة الى بقية مفاصل المجتمع الايزيدي المنهك، وبعدها يطلب من

نفر هنا وهنالك أن يطالبوا بالحديث عن المرجعيات (رغم أن كلمة المرجعية أصبحت غير محبذة)!.

قلنا في مقال آخر، وفي مقابلة معنا من قبل أحدى المجلات التي تهتم بالشأن الايزيدي: "أن مفهوم الأمير هو بنت حقبة من الزمن تخطاه التاريخ، وأن هذا الاسم/الوظيفة يرتبط بوجود إمارة، أي كيان له شبه استقلالية على الأرض، وله قوة عسكرية تدافع عنه، وحتى علم ونقود وصكوك خاصة به. وكم من أسماء إمارات لامعة في تاريخ الشعب الكردي تلاشت واندثرت ولم يبق منها غير الاسم في بطون الكتب وبعض بقايا القلاع والقصور على الأرض! وهذا كان مصير الامارات الايزيدية نفسها التي اندثرت هي الأخرى مع شقيقاتها. أين إمارة حلب، شنكال، زوزان، العمادية، حرير، الشيخان، أربيل ورواندوز، كلس وعزاز، الهكارية، المحمودي، الدنبلي؟!."

وأضفنا: "وإنْ يصرٌ كل من لم يعي التاريخ ولن يستوعب التغييرات، على بقاء منصب الأمير بدون وجود كيان الامارة نفسها، عليهم أن يقبلوا باحياء منصب لنسل الأمراء الذين انقرضت إماراتهم، ويكون لنا من سلالة الأمير شيخ مند، الشيخ شرف الدين، الشيخ سجادين، الشيخ آمادين، الشيخ ناصردين، الأمير حسن ممان، والأمير بير محمد رشان، ومحمد الكردي القاتاني (أمير أربيل ورواندوز) الذي تنتسب اليه، حسب بعض المصادر، عائلة أمراء الايزيديين الحاليين؟! ليكون من هؤلاء جميعاً (مجلساً إدارياً لشؤون الايزيدية).

موقفنا واضح وصريح كون منصب الأمير يرتبط بالإمارة/الأرض، وما دامت الثانية(الإمارة) في خبر كان، فلا معنى لوجود الأولى (الأمير). وفي الجانب الآخر فاننا على يقين أنه من شبه المستحيل إسترجاع وإحياء الإمارات الايزيدية السابقة، لذا استخدمت حرف الشرط والتوكيد (إنْ) الذي يجزم الفعل ويؤكد على الجملة الاسمية. وهذا يعني إذا لم يحيي الإمارات السابقة (وهو أمر مستحيل)، فلا داعي لوجود هيكل الإمارة المفتعل الحالي!.

بالنتيجة لسنا من دعاة العودة الى النظام القديم الذي كان معمولاً به منذ مئات السنين، كما يريد أحد الأخوة أن يفهمه ويقرأه بمنظاره الخاص، ويدّعي أن فكرتنا (دون أن يذكرنا بالاسم لم تنل التأييد من أي طرف أو جهة أو مجموعة. ويعزي عدم

التأييد هذا الى أن هذا "النظام موغل في القدم عفى عليه الزمن. لا يمكن احياؤه(...) إننا لا نتحمل أميراً واحداً، فكيف بالسبعة!". طبعاً هذا الأخ هو من أحد أعضاء "الهيئة الاستشارية" الجديدة والداعين لها والمدافعين عنها بقوة).

أن طبخة " الهيئة الاستشارية للمجلس الروحاني الأعلى، كانت منذ فترة طويلة تطبخ في مطابخ الأمير؛ وقودها وزيتها من بعض المثقفين والمتعلمين، ومهّد أحد الأخوة الطريق قبل فترة طويلة في مقال نشره في صفحة بحزاني وقنديل الالكترونيان تحت عنوان: "المرجعية الدينية، والجيل الثاني من الحركة الثقافية الايزيدية، بداية وآفاق مفتوحة" أراد الأخ الكاتب أن يحمّل رواد الجيل الأول المتشبعين بالأيديولوجية اليسارية سبب إخفاقات الوضع الايزيدي المتردي والموقف المتشنج من الأمير.(للاطلاع على طروحاته وموقفنا من ذلك، راجع متن الكتاب ص١١٦-١١٧ في: ما العمل؟ أوضاع الايزيدية في المرحلة الراهنة" كوردستان العراق نموذجاً")

وبعد أن رمى تبعات تناقضات المجتمع الايزيدي وتأزيمها على رواد الجيل الأول المتأثر "بحركات التحرر اليسارية الموجودة في العالم" (أي الماركسيون والشيوعيون ذو الأفكار المستوردة) أتى الأخ الكاتب بعدها ليعطي تفسيراً لبعض جوانب تطور المجتمع الايزيدي لتكون رسالة ترضية وتعهد الى " المرجعية الدينية/ الأمير" لتصفية الأجواء وإزالة " الفتور وأزمة الثقة ونظرة التوجس والشّك" الذي كان يحملها الأمير نحو المثقفين من الجيل الأول. ولم يقف كاتبنا العزيز عند هذا الحد وحسب، بل أعطى الصلاحية لنفسه أن يتكلم باسم الجيل الأول ويرسل باشارة ثانية للطرف المتوجس من الجيل الأول ويطمئنه أن اولئك تم ترويضهم و "حاولوا بدورهم أيضاً التأقلم وفق أيديولوجية الجيل الثاني."![٣٣]

الكاتب على حق تماماً، في أن قسم من الجيل الأول المتأثر " بحركات التحرر اليسارية الموجودة في العالم تأقلم بدوره وفق أيديولوجية الجيل الثاني"، ليس هذا فحسب، بل أن علمانيين وماركسيين أيزيديين ناضلوا لعقود من الزمن وقسم منهم ما زال ماضياً على نفس الدرب تأقلم هو الآخر وفق أيديولوجية الجيل الثاني، وحصلوا على أعلى نسبة ضمن قائمة " الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني الايزيدي!.

(٣٣) راجع المقال الاسبوعي لرئيس تحرير جريدة قنديل، بقلم د. ميرزا حسن الدنايي.

إذا كانت (العقيدة الثورية/ الايديولوجية اليسارية) أثبت فشلها في ترتيب "البيت الايزيدي" فما هي (ايديولوجية الجيل الثاني) التي تساعد على ترميم ذلك البيت؟ علماً أن الأيديولوجية ينظر اليها في كل الأحوال كعقيدة شبه جامدة ومتطرفة![٣٤] هنالك حقيقة لا تدحض، وهي إذا كثر رجال دين أو الناطقين باسم الدين بين قوم (أو في دولة)، معناه أصابه الضعف والهوان وتراجع القوة والمستوى العلمي لصالح التعصب الأعمى. هذا ما سنحاول قراءته ومناقشته مع ال" قرار رقم ١٦ الصادر من المجلس الروحاني الايزيدي الأعلى بتاريخ ٢٠٠٦/٤/٢٢"

مكونات القرار وأطراف الصراع

كتب الكثير على شكل مقالات وتعليقات ومداخلات ومذكرات وبيانات من مراكز ثقافية إجتماعية، ومناقشات في غرف البالتولك والمجالس الأخرى، وكان لكل واحد (واحدة) نظرته(ها) وتقييمه(ها) للقرار من حيث خلفياته وتوقيته، اسلوب تعيين الأعضاء،..الخ. من جانبنا قمنا بكتابة مقالتين، الأول تحت عنوان: تصالح الحزبان الكوردستانيان ولم يتصالح الايزيديون المنتمين لكلا الحزبين؟ والثاني: الاعتراف بالخطأ فضيلة والتبرير لا يجدي نفعاً!! إضافة الى محاضرة قدمناها في "غرفة ايزيدية كوردستان" ومناقشة (٢٠٠٦/٥/٢٧)، بالإضافة الى إعداد مذكرة استنكار للقرار ١٦ والمطالبة بالغائه وتوزيعه على الصحف الالكترونية لجمع التواقيع.

من الطبيعي أن تعبر المقالات إضافة الى المحاضرة والاجابة على أسئلة المشاركين، عن قراءتنا ورؤيتنا للقرار وقناعتنا بما كتبناه وقلناه.

مما لا شكّ فيه لم يولد القرار من فراغ، هذا مفهوم لكل متابع، ولا نتفق مع التحليلات والتبريرات القائلة كون القرار جاء بسبب ضغط الشارع الايزيدي. الرأي الأيزيدي لن يؤخذ به، ولن يحترم على الأقل ليومنا هذا. ولو كان الأمر كذلك، وكان هنالك اصغاء من قبل (القيادة) وعلى رأسهم الأمير لصرخات الايزيديين، ولو كان بالفعل خائفاً من (تململ) الشارع الايزيدي، لأقدم الأمير منذ عام ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ وقبل الانتخابين الجاريين في العراق التحرك لإصدار قرار إستثنائي يحمل ما قبل الرقم ١٦

(٣٤) للمزيد يمكن مراجعة مناقشتي للأفكار الواردة أعلاه في مقالي: ما العمل؟ نظرة سريعة للمرحلة التي تمر بها الايزيدية " كوردستان العراق انموذجاً"

لتدارك الوضع الايزيدي والانسجام مع الوضع العراقي والكوردستاني المتغير، ولكان القرار رقم ١٦ الذي يضفى عليه صفة الشجاع والايجابي وربما التاريخي من قبل البعض، يحمل رقماً آخراً بعد رقم الخمسين لكثرة المستجدات على الساحة العراقية!. إذن لماذا جاءت ولادة القرار رقم ١٦ بعد ثلاثة سنوات وبضعة أيام من سقوط صنم بغداد؟ وماهي أطراف الصراع والهدف الذي جمعهم؟

يمكن فرز الاتجاهات والمجموعات المكونة للقرار الى ثلاث:

١- الأمير وصراعه مع الكثير من الفرقاء وفي مقدمتهم " اللجنة الاستشارية لشؤون الايزيديين" في أربيل، وشعوره بأن تلك اللجنة هي حجرة عثرة في طريقة لا يستطيع تحقيق مآربه بالشكل المطلق الذي يريده والاستحواذ على جميع المغانم والمكاسب بدون منازع. أما بالنسبة الى "اللجنة الاستشارية لشؤون الايزيديين" في السليمانية، فهي لا تعكر صفوه، لأنها لا تشكل تهديداً لمصالحه لحد اليوم. وإن نجح الأمير في خطته هذه، فانها بالنتيجة تمثل ضربة للمراكز والجمعيات والحركات السياسية الناشئة، وجميع أنواع الفعاليات الثقافية المدنية الديمقراطية الايزيدية، وتمزيق للجبهة الثقافية اليبرالية الايزيدية بواسطة إستمالة وكسب مجموعة من المثقفين، خاصة الماركسيين منهم.

٢- مجموعة من كوادر منتمية الى حزب كوردستاني كان البعض منهم يحتل مراكز قيادية وحكومية (وزير سابق وعضو برلمان ومستشار سابق لرئيس جمهورية العراق) إضافة الى مستشار حالي لرئيس جمهورية العراق وعضو سابق في برلمان كوردستان وكادر قيادي، فإذا لم يتمكن هؤلاء الأخوة من تقديم خدمات للايزيديين وتحقيق مطالبهم، أو على الأقل الدفاع عنها، من خلال مراكزهم المرموقة عبر حزبهم، أو من خلال مركزهم (مستشار رئيس جمهورية العراق لشؤون الايزيدية)، فكيف يستطيعون من تقديم شيء ما من خلال تواجدهم في هيئة استشارية شكلية؟. أليس إنتماء هؤلاء الأخوة للدعاية والمزايدات، ومن أجل أهداف حزبية وشخصية ضيّقة على " جثة" الايزيدية؟!

٣- بعض الأخوة الذين قبلوا بالمشروع ويدافعون عنه أكثر من غيرهم بشكل ملفت، يدخل إما في خانة ردّة فعل من أشخاص وجهات أخرى، أو قناعة متولدة لدى

البعض أنهم يستطيعون التأثيرعلى الأمير وهو في أواخر حياته ويقومون باجراء اصلاحات في القيادة الايزيدية، وبالنسبة لآخرين هو الضياع في زخم المتغيرات، يريدوا أن يقولوا: نحن ها هنا موجودين!

٤- القسم الرابع والأخير، مجموعة من أنصار النظام السابق بدرجات حزبية متفاوتة لم يتمكنوا من تبوء مركز من خلال الأحزاب، فيعتقدون أن العمل ضمن "الهيئة الاستشارية" يدفعهم الى مركز الصدارة ويعوضون عما فاتهم من أيام زمان!.

مخاطر القرار:

رغم قناعتنا من أن ما سمي بالقرار رقم ١٦ حول تشكيل الهيئة الاستشارية للمجلس الروحاني ولد ميتاً في بطن أمه، إلاّ أنه يعتبر أخطر قرار يتخذ في الوقت الحاضر، وجاء اعلانه بنتائج لاتحمد عقباها على الايزيديين بشكل خاص وقضية الشعب الكوردستاني الاستراتيجية وأمنه القومي بشكل عام. فمن الجانب الايزيدي تتمثل المخاطر في:

- أدى الى خلق المزيد من الجبهات والى تباعد وتشرذم الايزيديين وخلق روح الشّك والريبة بين الأخوة والأخوات أبناء البيت الواحد؛

- ضرب جبهة المثقفين واليبراليين والعلمانيين الايزيديين بواسطة المثقفين وذلك بإستمالة مجموعة منهم ووقوعهم في فخّ ربما لم يكن في حسبانهم؛

- ضرب وعرقلة العملية الاصلاحية وإجراء تغييرات في الكيان الايزيدي؛

- قطع الطريق أمام نشاطات المراكز والجمعيات الثقافية والفعاليات السياسية والمدينة الأخرى ومحاولة اختزالها في بودقة " الهيئة الاستشارية" وتحت رقابتها؛

- في حال نجاح القرار رقم ١٦- فأنه يجر الايزيدية الى التشدد والتطرف والتعصب الديني شئنا أم أبينا، وسيخلق " حركة وهابية" ايزيدية وعشرات من " الزرقاويين" الايزيديين (وهذا ما نلاحظ آثاره بادية في العديد من المقالات والتعليقات والطروحات التي تطرح في بعض النشريات الايزيدية هنا وهنالك وخاصة الموقف المتشنج من القومية والأحزاب الكوردية)؛

أما من جانب الشعب الكوردستاني والقضية الكوردية، تكمن الخطورة في:

- إذا استمر التثقيف فقط بالجانب الديني وخصوصيته، واظهار الغبن وتضخيم

النواقص واهمال الجانب القومي، فان ذلك يحدث خللاً في التوازن بين الجانب الديني والقومي لصالح الأولى ضد الثانية، بحيث يزيد من نسبة المتطرفين خاصة منطقة شنكال، وسيشكلون خطراً على مسألة الاستفتاء المزمع اجرائه نهاية عام ٢٠٠٧(أجل الى أواسط ٢٠٠٨) في غير صالح الفيدرالية الكوردستانية؛

- تحت يافطة "الايزيدياتي" والدفاع عن مطالبهم من قبل البعض، وإذا نجحت خطة الأمير" الاستشاروية" ربما تنقسم مناطق الايزيدية الى قسمين، يطالب أغلبية أهل شنكال وبدفع من جهات متعددة، العيش مع أخوانهم العرب والبقاء ضمن الأقليم العربي السنّي المركزي، أما بقية مناطق الايزيدية شرق نهر دجلة سوف تضم الى أقليم كوردستان! وحينذاك تكمن مصيبة ومأساة الايزيديين، وبهذا تكون الهيئة الاستشارية المعينة وأميرهم مسؤولين عن تعريض مصير ما يزيد من(٣٠٠) ثلاثمائة ألف ايزيدي من شنكال للخطر. يفترض، بل يجب على الكوادر والمسؤولين الحزبيين في هذه "الهيئة الاستشارية" أن تنظر نظرة استراتيجية لمستقبل إقليم كوردستان ومستقبل الايزيديين، قبل أن يتحركوا ضمن حسابات حزبية وشخصية ضيقة!

- يبدو لنا ان قيادة المجلس الروحاني وغالبية أعضاء "الهيئة الاستشارية " المعينين من قبله، يحنون ويميلون الى بغداد أكثر من حبهم وميلهم الى أربيل!. مصير الايزيديين ومناطقهم مرتبط بأربيل وليس ببغداد!

- تعتبر منطقة شنكال بالذات منطقة استراتيجية لأقليم كوردستان وتدخل ضمن نطاق أمنه القومي على المدى القريب والبعيد.

من خلال هذه الرؤية الاستراتيجية أنظر لمستقبل "الهيئة الاستشارية" ونتائج عملها، لا أنظر اليها نظرة عاطفية، ودعوات للاستهلاك والكسب المؤقت، لكي يقولوا أنه يدافع عن مصالح الايزيديين!!.

الرابح والخاسر في العملية:

الرابح الأول والأخير من القرار رقم ١٦ هو الأمير قائد المجلس الروحاني وقلة من الهيئة الاستشارية التابعة له، والخاسران الوحيدان من المنظور الاستراتيجي هما عامة الايزيديين، لأنهم لن يحصلوا شيئاً مادياً من وراءه، والشعب الكوردستاني لأنه ربما يخسر جزء من أرضه وقسم من شعبه (منطقة شنكال بأرضها وأهلها).

يرى الأمير حدود وصلاحيات "الهيئة الاستشارية" فقط في: كتابة وتحضير "مشروع قانون الأحوال الشخصية للايزيدية" حيث تقوم لجان وحقوقيين ايزيديين لتهيئة المشروع. أن ذلك لا تؤثر على مصالحه، فهو مسموح به!. أو أن تقوم لجان بجمع التراث الديني وجمعه في كتاب. أن أكثر من ٩٠٪ من ذلك التراث قد جمع وتم نشره في كتب أو في نشريات أخرى. ليس هنالك مانع لدى الأمير!. فليكتبوا ويحرروا له وبإسمه رسائل الى الحكومة وجهات دولية، لا مانع لديه لأنه لا يجيد الكتابة بها!. ولكن تعيين ايزيدي في منصب حكومي أو مكسب مالي، فالأقربون اولى بالمعروف! أما الحديث أو التقرب من تأمين خيرات الايزيدية لصالح الايزيدية، فتلك جريمة لا تغتفر، لا يجوز لأي عضو في الهيئة الاستشارية التطاول وطرح هكذا قضايا حساسة ومحرمة!!.

تبريرات واهية، وحجج لا تقنع:

عدد من أعضاء "الهيئة الاستشارية" ومن خلال مقالاتهم أو أحاديثهم في غرف البالتولك، أو عبر بياناتهم، ومن "منطلق الحرص على مصلحة الايزيديين" ومسميات "العقلانية والحلول المتدرجة والواقعية والسبل الممكنة، وعدم ترك الحبل على القارب...الخ.) يريدون أن يضعوا الايزيديين أمام خيارين لا ثالث لهما: إما القبول بالقرار ١٦ في احياء المؤسسة الأميرية "وادخال الحداثة والتطور الى القيادة الحالية وتحويلها بشكل تدريجي الى قيادة فاعلة، ويكون لأهل الرأي والتدبير والمثقفين الدور الأساسي فيها، وبالتعاون الجاد مع الأمير والمجلس الروحاني...."[٣٥] كونه هو الحل الأفضل، أو أن الذين لا يتفقون مع القرار ويرفضونه، فانهم غير واقعيين وأن "الفرصة غير متاحة الى أي شكل من أشكال الحلول (الثورية الانقلابية) والتي ترمي للاتيان بقيادة جديدة فتية تعالج الوضع بطريقة مثلى". وتشكّك (مجموعة الخارج الخمسة) في رسالتها " بقدرة أية مجاميع أخرى أن تتمكن من أخذ زمام المبادرة...الخ".

ان سوق كل هذه الحجج يذكرنا باحدى العادات الصينية حيث كانوا يجبرون الفتاة أن تضع قدمُها في قالب حديدي، لتخرج بالتالي جميع القياسات واحدة لا بديل لها!

لن يكتف هؤلاء الأخوة في وضع أرجلنا نحن الذكور في قالب حديدي ايزيدي، وليس

(٣٥) من رسالة " موقف مجموعة الخارج من القرار ١٦" في ٢٠٠٦/٥/١٢ ألمانيا.

صيني هذه المرة، بل محاولتهم وضع رؤوسنا في ذلك القالب، ولجم فمنا وعقد لساننا، ونعتنا بجماعة (الثورية الانقلابية)! ليس هذا فحسب، بل وتحت شعار(الواقعية) يأخذون علينا مطالبنا نحن (الثورجية) الداعي لبقاء منصب الأمير رمزياً مثل الكثير من بلدان أوربا، لا يتدخل الأمير في الشؤون السياسية والدينية، يدير أملاكه ويأخذ راتبه من مكان ما ويجلس في داره معززاً مكرماً. لكن – وحسب اعتقادنا– بعض هؤلاء الأخوة من مروجي القرار ١٦، يحلمون أحلاماً وردية عندما يتصورون أن دخولهم هذه اللعبة سيمكنهم من تحويل الأمير عن صلاحياته للمجلس أو الهيئة لاحقاً ويبقى هو كرمز.

ومن أجل تسويق قبولهم عضوية "الهيئة الاستشارية" المشكلة حسب القرار١٦، وإقناعنا ب" واقعيتهم وموضوعيتهم" يطرح أحد الأخوة في مداخلة له على محاضرتنا يوم ٢٠٠٦/٥/٢٧ في غرفة البالتالك مجموعة من الأسئلة والاستفسارات معظمها تبدأ بـ (هل) أذكر البعض منهم:

– تحسين بك يعرف أنه لا يستطيع الاستمرار في حكم الامارة. (يفهم منه أن الأخوة متفائلين كون الأمير يسلمها لهم على طبق من ذهب،وتدخل الحداثة والتطوير الى القيادة الحالية وتتحول بشكل تدريجي الى قيادة فاعلة!)

– الهيئة الاستشارية لمدة سنتين وبعدها يعقد المؤتمر. (يريدون موت القضية تماماً!)

– هل نستطيع عمل إنقلاب سلمي؟

– هل المراكز الايزيدية مؤهلة لتسليم القيادة؟

– هل نستطيع عقد مؤتمر في كوردستان؟

– هل نسلم أمرنا الى اللجان الاستشارية الايزيدية، أم هل نسلمها الى المير...؟

الأخ المداخل سأل وجاوب على سؤاله الأخير قائلاً: أخطر شيء أن نسلم أمرنا (يقصد أمر الايزيديين) الى الأحزاب الكوردية! أتى بحجج حول خطورة أن يقع مصير الايزيديين بيد الأحزاب الكوردية. رأيه يحترم لأنه يعبر عن قناعته، لكن سؤالي لنفس الأخ وكل من يفكر مثله: إذا كان أميرك (م) قد سلّم أمره للأحزاب(إذا كان التسليم من جانب المنظور القومي فلا عيب فيه–الكاتب)، فعن أي تسليم تتحدث أيها العزيز؟!. أليست الأحزاب الوطنية أكثر تطوراً ومدنيةً وديموقراطية من مؤسسة الإمارة؟

وإذا كانت جميع الـ(هل) ضمن الاسئلة المطروحة غيرممكنة التحقيق، سؤالي بهل: هل تسليم أمر الايزيديين الى الأمير هو البديل؟..وهل يعتبرالأميرحمامة سلام يمكن مناقشته والحصول منه على تنازلات وتحقيق مطالب الأيزيديين من خلاله، أهذه هي الواقعية والموضوعية يا أخواننا مثقفي الايزيدية؟. وهل هذه هي الامكانيات التي تتحدثون عنها، وتعتبرون ما يصدر من رأي مخالف لكم، يدخل في باب النظريات؟!. أي من الطرفين يحلم أحلاماً وردية: "الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني المعينة بموجب القرار١٦، أم الرافضين للقرار؟. بمنظور التطور التاريخي، من يكتب له النجاح والاستمرارية: القديم أم الجديد؟. نقولها بألم: متى كان الأمير صديقاً ودوداً للماركسيين وقريباً منهم، أم أن الأشياء والمفاهيم تغيّرت؟!..

ننقل لكم بأمانة موقف الكاتب صديق الدملوجي عام ١٩٤٩،، عن عائلة الأمير، ونعتبر ما ورد في كتابه تنبؤ ينم عن ذكاء حاد، يقول: " أما مكانتهم الآن فليست بالدرجة التي يحسدون عليها. فكلما خطى الشعب (كذا) اليزيدي خطوة نحو التمدن واتسعت مداركه وعرف حقوقه وواجباته، فقد الأمراء ما بقي لهم من مكانة وربما لم يبق لهم إلّا عنوانهم التاريخي أو فقدوا هذا العنوان عندما يتحقق التطور الذي ينتظرهم."(٣٦)

نعم هذا رأي كاتب غير ايزيدي قبل ٥٧ عاماً خلت، لم يكن لديه صراع على السلطة، ولا صراع مصالح مع تلك العائلة، يتأمل في تمدن الايزيديين وتوسع مداركهم ومعرفتهم لحقوقهم وواجباتهم، الخروج من الحالة التي هم فيها بسبب قيادتهم. انها مصادفة غريبة لم يعوّل الدملوجي في تنبُّئِه على (المثقفين والمتعلمين والعلمانيين) الايزيديين، بل عوّل على (الشعب اليزيدي–كذا وارد) في أخذ زمام المبادرة وتغيير (قيادات)ه التقليدية القديمة وتسيير أموره بشكل حضاري.

هل نعيد النظر في بعض المفاهيم الفلسفية كون أن هنالك نوعان من التطور وليس نوع واحد: تطور وطفرات الى الأمام (تطور تقدمي/ ايجابي)، وعودة الى الوراء (رجعي/ سلبي)!. يبدو لنا أن تطور الشريحة المثقفة الايزيدية هي طفرة الى الوراء! لا يمكن الاعتماد عليها في قيادة وتغيير المجتمع، وعليه يجب البحث عن بديل/ أو بدائل

(٣٦) الدملوجي، صديق: مصدر سابق، ص١٧.

أخرى. أما أسباب ذلك فتعزو الى بنية المجتمع الايزيدي وتطوره، وتفاعل قيم عديدة فيه، مثل القيم البطرياركية الأبوية، الدينية، العشائرية، آثار قيم الترحال (البداوة)، بحيث تبقي آثار جميع تلك القيم في العقل الباطن/ اللاوعي حتى بالنسبة للكثير من المثقفين والعلمانيين لا يستطيعون الفكاك منها، بحيث يبقى غالبيتهم غير واثقين من أنفسهم، متملقين، منافقين يحملون أكثر من وجه؛ بمعنى يؤمنون في داخلهم بشيء وفي الظاهر يقولون ويعملون شيء آخر!. وهنا من الصعب أن نعيش بين الحضارة وقيم (البداوة) المتأصلة فينا، ونعيش بشخصيتين، ونكون كالشعراء مداحين ومبالغين لا نقرأ الواقع بشكل صحيح، وننبسط لكلمات الفخر والحماس والتغني بالأمجاد والأصالة،...كل ذلك لا يحل المشكلة. مع الأسف الشديد الكثير من المثقفين الايزيديين يتخبطون بين التاريخ وبين النفاق، فيسيئون الى شرف الكلمة ويساهمون في نهاية المطاف في عرقلة تطور المجتمع. لذا أرى نحتاج نحن الايزيديون بين الحين والآخر الى هزّات وما يشبه الرجّات الكهربائية لتحريك عقولنا!. ونتمنى أن يكون مقالنا رجّة من تلك الرجات الكهربائية!.

قبل صدور القرار رقم١٦ وبالذات في مقالين، أحدهما تحت عنوان: "ماالعمل؟ نظرة سريعة للمرحلة التي تمرُّ بالأيزيدية– كوردستان العراق نموذجاً – بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٦) والأخرى تحت عنوان: دعوة مخلصة لسمو الأمير تحسين بك عند نهاية عام ٢٠٠٥، بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٨) طرحنا فيهما رؤيتنا حول بعض البدائل للخروج من الأزمة التي تعيش فيها الايزيدية، وكان في المقال دعوة الى عقد مؤتمر عام بشرط أن يعلن الأمير فيه تنحيه عن منصب الأمير وانتخاب آخر مكانه مع انتخاب " هيئة أو مجلس إداري" لا علاقة له بالأمور الدينية، كامل الصلاحية يكون شخص الأمير المنتخب أحد أعضائها...الخ. كما بحث غيري عن البدائل وكانت أكثرية الأصوات تدعو الى أهمية عقد مؤتمر ايزيدي عام. إلاّ أن كل الدعوات والمناشدات وأصوات الاستغاثة أهملت ولم يعر لها أي اهتمام، وتحرك الأمير هذه المرة أيضاً بشكل انفرادي مع فارق بسيط في جرّه لمجموعة من المثقفين لتمرير مشروعه، "إصدار "قرار رقم١٦" باسم المجلس الروحاني كي يصبغ عليه الشرعية. بعد هذا القرار، وبهذا الشكل، فلن يبق لدعوة عقد مؤتمر عام أو غيره أية أهمية، ولن يبق في الأفق بصيص أمل ضئيل لقبول الأمير بأي نوع من الاصلاح، وأخذ الصراع بين غالبية الايزيدية و"الهيئة الاستشارية"

للمجلس الروحاني بقيادة الأمير منحى آخر، وبرز الى سطح المواجهة. والبدائل المطرحة في الوقت الحاضر لا يدور عن عقد مؤتمر، فان ذلك لن يجدي نفعاً والحديث عنه صار عقيماً. كما يقول المثل الكردي (ئاسن ب ئاسنێ د هيته ليدان، يان دهيته ژه نين.)، بما معناه: " لا يفل الحديد إلاّ الحديد!". و" حديد" نا نحن المعارضين ليس في استخدام القوة وتحريك الدبابات وإعدام وسحل الذين لا نتفق معهم، بل هو قلمنا ولساننا وحجتنا ودلائلنا التي نضعها أمام الآخرين. لقد بات شبه واضح أن "حديد"نا وقاعدتنا ليس مجموعة من المثقفين واليبراليين والعلمانيين الايزيديين، بل جميع الايزيديين (كما شخصها صديق الدملوجي قبلنا) المتضررين من كل هذه العملية/اللعبة. وبديلنا في الوقت الراهن – حسب رؤيتنا– يجب أن يتركز على النقاط والمحاور التالية:

– رغم أن القرار١٦ هو في عداد القرارات الميتة، لكن علينا العمل بكل الوسائل من أجل إلغاءه بدون لفّ ودوران. أما القول أنهم يريدونها أن تتحول الى " لجنة تحضيرية!" لعقد مؤتمر بعد سنتين!.لا يقنع أحداً. الالغاء أولاً، ومن ثم لكل حادث حديث.

– تكثيف التوعية الفكرية، السياسية، الثقافية والاجتماعية بين الايزيديين بشكل عام والجيل الجديد بشكل خاص، من خلال الكتابة والندوات، وغرف البالتالك (الانترنيت)...الخ.

– العمل بكل الوسائل وبنفس طويل من أجل تنظيم لقاءات بين جميع الكتاب والمراكز والجمعيات والنشاطات الثقافية والسياسية الايزيدية ان وجدت، من أجل تبادل الآراء والوصول الى نقاط عمل مشتركة تهم مصلحة الايزيديين ضمن مصلحة شعبهم الكوردستاني.

– العمل بجد من أجل تنظيم لقاء بين الكوادر والمسؤولين الايزيديين ومؤازريهم ضمن الأحزاب الكوردستانية المناضلة وخاصة الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني، يكون لقاء مصارحة، وأن يصلوا الى قناعة أن عملهم المشترك واتفاقهم على خطوط عمل مشتركة وعلى بعض القضايا الهامة، هي التي تخدم المجتمع الايزيدي أولاً والمجتمع الكوردستاني وتخفف العبء– والانتقادات للقيادة الكوردستانية ثانياً.

– دعوة ومناشدة جميع الأخوة في "الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني أن يعيدوا النظر في هذا القرار، وفي موقفهم إزاءه، وأن ينظروا بشكل أبعد واستراتيجي لمستقبل الايزيديين فيما إذا انقسم العراق الى عدة فيدراليات– وهو المتوقع – وتطورت الأوضاع الدولية بانفصال أقليم كوردستان عن العراق، هنا يجب أن يدرك الجميع أن مصيرنا نحن الايزيديون مرتبط بمصير شعبنا الكوردي، وهم عمقنا الاستراتيجي ضمان تحقيق مطالبنا ورفع الغبن عنّا وليس العرب (مع احترامي للشعب العربي). وأن يصر الأخوة في " الهيئة الاستشارية" على دفاعهم المستميت عن القرار لاسباب خاصة لكل واحد، فأنه ينطبق عليهم المثل الكوردي "ئاكر بەردا مالا خو، دا ئەو طر ب كيسێ كيجا نەمينت!" ما معناه " أشعل النار في داره كي يتخلص من البراغيث!".

– ربما يطرح أخوة وأخوات بدائل عمل أخرى للمستقبل القريب مكان هذا القرار الارتجالي، ويصبح بذلك برنامجاً للمناقشة والعمل.

– ملاحظة أخيرة: يفترض أن لا ينظر الى المرء بقدر طوله ووزنه أو ماله أو انتمائه أو مكانته ووضعه الاجتماعي، وإنما بحجم مواقفه فيما إذا كانت صائبة أم خاطئة، نفعية ذاتية أم تدخل في المصلحة العامة، لإلهام العواطف والكسب الوقتي أم مبدئية ذات بُعد استراتيجي،...ويجب هنا على المرء الذي يكتب ويتحدث باسم الآخرين، أن يقول الذي عليه ويثبت موقفاً متقدماً حتى إذا عرف أن الناس لا يؤيدونه اليوم. الانتماء الى الوطني القومي اليوم يسبق الانتماء الطائفي الديني، لأن الانتماء الأول يحمل بذور الحضارة والتقدم، والثاني يحمل بذور التعصب والتخلف شئنا أم أبينا! كما أن الدين كفكر وعقيدة هو جزء من الكل الوطني القومي. بالفكر الديني يستطيع المرء أن يتعامل مع السماء، أما عن طريق الثانية فيتمكن من العيش والبقاء على الأرض!.

كوتنكن في ٢٠٠٦/٦/٦

" سنّدامي " [٣٧] ايزيدي يشارك في مؤتمر ما يسمى " نصرة الشعب العراقي "

بعد سقوط النظام البعثي الشمولي يوم ٩|نيسان|٢٠٠٣ إستبشرت الغالبية العظمى من الشعوب العراقية بشرائحها القومية والدينية والمذهبية والفكرية بمستقبل أفضل وعراق آمن مسالم خال من الحروب والصراعات العرقية والدينية والمذهبية، في عراق ديمقراطي فيدرالي برلماني تعددي، تمارس فيه القومية الكوردية المكون الرئيسي الثاني بعد القومية العربية حقها في تقرير مصيرها على شكل اتحاد فيدرالي مع القومية العربية، مع الضمان الكامل للحقوق الثقافية والادارية للقوميات التركمانية والكلدو آشورية والأرمنية، الى جانب ضمان حرية كافة الأديان والمذاهب والطوائف من خلال دستور منفتح يتفق عليه الجميع. بمعنى دستور حضاري تكون المواطنة هي الأساس بغض النظر عن أي اختلاف، ويكون الإنسان فيه مركز الإهتمام.

لم ترق هذه المبادئ الجديدة شلّة من أزلام نظام البعث البائد ومريدي صدام والتكفيريين من الوهابيين والمتطرفين الدينيين من المسلمين والمسيحيين والايزيديين، والمتعصبين القوميين من العرب والآشوريين والتركمان، وبعد أن حمتهم قوات التحالف بقيادة أمريكا، التي ينصبون لها اليوم العداء ويدعونها للرحيل من العراق، من أبناء الشعب العراقي الغاضب الذي اكتوى بنارهم وبطشهم وارهابهم لمدة أربعة عقود، وأصدرت القيادة الكوردستانية العفو عن اولئك، بدأ هؤلاء الأشرار الحاقدين بإعادة تنظيم أنفسهم تحت عناوين كثيرة كـ"هيئة علماء المسلمين" و"الجبهة العراقية للحوار الوطني " و" كتلة المصالحة والتحرير" و "الجبهة التركمانية العراقية" و "جبهة التوافق العراقية" الى غير ذلك من الأسماء المخادعة. أغلب هذه العناوين واجهات لحزب البعث المهزوم وإن إختلفت الأسماء. صارت هذه العناوين ملاذاً آمناً لعصابات القاعدة

(٣٧) سنّدامي: كلمة مركبة من سنّي + صدامي؛ ليس الغرض منه لا الإنتماء الفعلي الى المذهب السنّي أو التنظيمي لحزب البعث، بل ممارسة أفعال ونشاطات يدخل صاحبه في تلك الخانة شاء أم أبى.

والأشقياء والمنحرفين الفارين من أنظمة الدول العربية والاسلامية ومن دول اوربية، اجتمعوا جميعهم بدعم من الدول العربية والاسلامية – خاصة دول الجوار– ما عدا الكويت– على تدمير العراق شعباً وأرضاً والبنية التحتية ودماراً للبيئة، وزرعوا الارهاب في كل مكان وبقعة بقتل الأبرياء العزل على الهوية الطائفية، وبدأوا ينفذون مقولة سيدهم الذي أطلقها نهاية أعوام السبعينات حينما كان في أوج تألقه، " من يريد أن يستلم العراق من حزب البعث، يستلمه أرض خربة!". وهذا ما يجري في الواقع اليوم، حيث تعبث عصابات الإجرام والإرهاب تحت مسميات دينية وقومية ووطنية مذيلة باسم العراق، في الأرض خراباً تحرق الأخضر واليابس، تحت تكبيرة " لا إله إلاَ الله" لا تفرق بين رجل أو إمرأة، شيخ أو صبي...الخ.

وبعد أن أفاق هؤلاء المصدومين من عملية تحرير العراق ورأوا أنهم فقدوا سلطتهم ومناصبهم وإمتيازاتهم، تنفسوا الصعداء أعادوا بعض تنظيماتهم تحت يافطات أخرى، وبدأوا يقفون ضد العملية الديمقراطية والتغيير الجاري في العراق، حضنتهم ودعمتهم الدول العربية والاسلامية، خوف ان تنتقل رياح التغيير والديمقراطية الى أوطانهم وتؤدي الى إهتزاز عروشهم، وزادت جبهة الشّر هذه بانضمام حركات وأحزاب ومنظمات جديدة عراقية غير عربية اليها لمعاداة الشعب الكوردي وتجربة كوردستان الفتية الديمقراطية، ولعدم تثبيت مبدأ الفيدرالية في الدستور العراقي الدائم، والاتفاق على حل دستوري (م ١٤٠) لمعضلة كركوك وبقية مناطق كوردستان المستعربة مثل خانقين وديالى وشنكال والشيخان وبعشيقة وبحزاني وتلكيف...الخ.

ويجب أن لا نغفل أن من بين الأسباب التي أدت الى أن تقف هذه الأحزاب والحركات والجبهات التي تأسست بعد سقوط النظام في بغداد هي أخطاء الادارة الأمريكية في العراق من حيث حمايتها وتساهلها مع تلك الزمر والمجموعات سواء من منطلق تطبيق مبادئ الديمقراطية الأمريكية والغربية على الأرضِ وهذا كان من أحد الأخطاء الكبيرة– أو من منطلق ترك هذه المجاميع تقوى، وربما دعمهم سرّاً، لتبقى بعبعاً أمام التيارات الشيعية المتطرفة المدعومة من النظام الايراني وخاصة التيار الصدري. ولا يخفى أيضاً الأخطاء التي وقعت فيها بعض الكوادر والمنظمات الحزبية للأحزاب الكوردستانية الحاكمة بحق بعض شرائح المجتمع في هذه المنطقة أو تلك، مما

ولّد لديهم ردود أفعال سلبية وأحياناً انتقامية ليس ضد الكوادر المخطئين، بل اتخاذ موقف معادي من الشعب الكوردي والاصطفاف مع حثالات نظام البعث والشوفينيين العروبيين والطورانيين، ومع قوى الظلام والتخلف.

بعد أن يأست قوى الارهاب هذه من ارجاع عجلة التاريخ العراقي الى قبل يوم / ٩نيسان/٢٠٠٣ باعادة حزب البعث ونظامه الديكتاتوري للحكم، ونسف كل منجزات الشعب الكوردستاني منذ عام ١٩٩١ ولليوم، والغاء الدستور والنظام الفيدرالي وازاحة الشيعة كونهم أغلبية من مركز القرار، والاستحواذ على ثروات العراق النفطية مرة أخرى، بدأوا يبحثون عن دولة عربية يعقدون فيها مؤتمراً لهم، لكن الدول العربية ورغم مساندتها ودعمها لهم، لم تسمح باقامة مؤتمر هذه المجموعات على أراضيها لاعتبارات خاصة بهم، فلجأوا الى دولة أتاتورك، سليل الطورانية وآل عثمان الذين احتلوا أرض العرب ما يقارب خمسمائة عاماً قرون. الدولة التي لا تخفي عداءَها الشديد للشعب الكوردي وتجربة كوردستان، احتضنت هذه الدولة حركات ومجاميع معادية للتغيير والتقدم في العراق والتي تريد ارجاع العجلة للوراء، ومن بين الذين حضروا مؤتمر اسطنبول وأطلقوا على مؤتمرهم ما يسمى مؤتمر نصرة الشعب العراقي، كل من:

- الائتلاف العراقي الموحد
- جبهة التوافق العراقية
- القائمة العراقية الوطنية
- الجبهة العراقية للحوار الوطني
- كتلة المصالحة والتحرير
- الجبهة التركمانية العراقية
- الحركة الأيزيدية من أجل الأصلاح والتقدم

قبل أن نبين رأينا في "المؤتمر" نريد أن نشير الى المحاور التي ناقشها لمدة أربعة أيام (١٥-٢٠٠٦/١٢/١٨) وحسبما جاء في بيانهم الختامي، وما صرح به السيد عدنان الدليمي رئيس جبهة التوافق العراقية، وأخيراً الفتوى التي أصدرها ٣٨ ثمانية وثلاثون شيخاً من كبار شيوخ المملكة السعودية، لنصل الى مغزى وخلفيات وفوائد حضور (أمين عام الحركة الايزيدية من أجل الاصلاح والتقدم)؟! حيث جاء من نقاط

بحث "المؤتمر" ما يلي:

١- محور طرق تعزيز الثقة بين المكونات الاسمية في محافظات نينوى وكركوك وصلاح الدين وديالى.

٢- محور التعامل مع العنف في المحافظات انفة الذكر.

٣- محور تقريب الرؤى السياسية والتهيئة لأنتخابات مجالس المحافظات.

٤- محور التغيرات الديموغرافية في المحافظات انفة الذكر وكيفية التعامل مع مسببي هذه التغيرات.

٥- محور مناقشة المادة (١٤٠) من الدستور.

لاحظوا، رغم تقسيم النقاط على خمس محاور، إلاّ أن جميعها تلتقي في محور واحد لا غير ألا وهو " الموقف من فيدرالية كوردستان وحقوق الشعب الكوردي" التي لا يجوز من منطلق الفكر العنصري العروبي-الطوراني- الفارسي أن تتحقق، وأن تعود كركوك الى أحضان كوردستان، وأن يتم التطبيع وإزالة آثار التعريب في المحافظات والمناطق المتنازع عليها مثل نينوى وكركوك وصلاح الدين وديالى. وهذا ما تريده تركيا من "المؤتمر" وتلتقي به مع الدول العربية والاسلامية كون العراق " جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والاسلامي". وقد صدر قبلها تقرير "بيكر- هاملتون" متناغماً مع هذا الطرح، أو لنقل بصورة أدق، جاء عقد "مؤتمر اسطنبول لنصرة الشعب العراقي"! إبتهاجاً لتوصيات التقرير التي تخص حقوق الشعب الكوردي والفيدرالية والمادة ١٤٠ وتوزيع الثروات النفطية. وكان تقرير " بيكر-هاملتون" حقاً تقريراً بمضمون وأفكار أمريكية ومطالب تركية طورانية!...ونتسائل هنا: هل هنالك من فرق بين أفكار هذه المحاور المطروحة من قبل الجبهات والكتل والحركات والقوائم السبع في "مؤتمر نصرة الشعب العراق" وبين ما كان يمارسه حزب البعث الحاكم في العراق ورئيسه صدام حسين؟!.الاجابة متروكة للقراء الكرام والقارئات الكريمات. (للاطلاع على البيان الختامي لمؤتمر اسطنبول راجع الرابط:

http://www.ezidi-islah.net/showthread.php?getid=473/ صوت الشعب الايزيدي)

لننقل بعدها بعضاً من تصريحات السيد عدنان الدليمي في كلمة له أمام الـ"مؤتمر" المذكور المشحونة بالحقد والطائفية على أطراف عراقية أخرى، لكشف الصورة

والحقيقة أكثر ولإضفاء الصبغة الطائفية للمذهب السنّي والتحريض على الشيعة ووصفهم بالصفويين الذين احتلوا بغداد، وانتقد بشدة على تسمية المؤتمر (مؤتمر نصرة العراق)، حيث جاء في كلمته ما يلي: " لماذا لم تسموا هذا المؤتمر بمؤتمر نصرة اهل السنّة بالعراق وليقولوا عنا اننا طائفيون , نعم اننا طائفيون.(...) انتم تدعون في هذا المؤتمر لنصرة العراق اي عراق هذا (عراق الشيعة؟) (...) سيتحول العراق الى شيعي وسيمتد الأمر ليشمل البلدان المحيطة بالعراق وتندمون ولات ساعة مندم الى السعودية، الى الكويت، الى الاردن." واخذ ينفخ في عقول الزمر الشوفينية وأعداء الانسانية والتكفيريين " ناموا ان الحريق سيمتد الى المنطقة والله انها خطة منذ اكثر من خمسين سنة لتشييع المنطقة وايجاد امبراطورية فارسية تحت غطاء الشيعة وتحت غطاء الاسلام والاسلام بريء منهم. (...) عليكم ان تنتبهوا وتستيقظوا فان العراق سيذهب وبغداد ستذهب الى الشيعة الصفويين واضاف انها حرب طائفية وانه صراع طائفي يستهدف القضاء على اهل السنّة ومن قال غير ذلك فهو مخطيء وليراجع نفسه.(...) انتبهوا ايها العرب ان اهل السنّة في العراق وفي بغداد بالذات سيداسون باقدام الشيعة وسيصفون "

واخذ يصعد من نبرته ويحرض على ارسال الارهابيين الى العراق حيث قال " شمروا عن سواعدكم للدفاع عن أهل السنّة في العراق فانهم والله إن لم تستيقظوا وتهبوا لنصرتهم فيسحقون." وبدأ يستنجد ويتسائل: " اين انتم ماذا كتبتم مؤتمرات قرارات؟". وقال ان في قلبه لوعة على بغداد التي ستضيع منهم بغداد ابي حنيفة، بغداد المنصور، بغداد هارون الرشيد، بغداد احمد ابن حنبل، وستصبح بغداد الصفويين، بغداد البويهيين، بغداد القرامطة الجدد."

نعم هذا ما قاله الطائفي حتى العظم عدنان الدليمي خلال المؤتمر الذي يستحق أن يسمى بكل جدارة " مؤتمر السنّة المتطرفين الوهابيين وزمر الارهابيين من القوميين العنصريين أعداء الكورد والانسانية" (للمزيد يمكن مراجعة الرابط

http://www.thenewiraq.com/tni/view.asp?ID=1943)

إستكمالاً لصورة الاصطفاف الطائفي المقيت، فقد أصدر ٣٨ ثمانية وثلاثون من مشايخ الدجل والارهاب والتكفير الوهابية في السعودية بياناً يدعو الى قتل الشيعة في

العراق حمل عنوان: (نداء لأهل السنّة في العراق وما يجب على الأمة من نصرتهم، يوم الخميس ١٦،ذو القعدة،١٤٢٧هـ) (للاطلاع على نص البيان والفتوى التكفيرية راجع الرابط (http://www.thenewiraq.com/tni/view.asp?ID=1937

إذا كان بالامكان فهم واستيعاب أهداف ممثلي الجبهات والحركات الدينية التكفيرية من أهل السنّة مع أشقائهم من أيتام صدام وحزب البعث المقبور من الشوفينيين العرب والترك والآشوريين حسب محاورهم المعلنة في بيانهم الختامي وبدعم من الطورانية الكمالية التركية، ماهو هدف حضور (أمين عام الحركة الايزيدية من أجل الاصلاح والتقدم)، وماذا سيكسب لنفسه قبل الايزيدية، الذي يدعي زوراً وبهتاناً أنه يمثلهم؟! علماً أن السنّة الوهابيين التكفيريين، الذي جلس الى جانبهم (أمين عام الحركة) لا يعترفون بأخوانهم في الدين من المذهب الشيعي، فكيف سيعترفون بإيزيدي (كافر) أو مسيحي (كافر)؟!!.

لو لم يكن السيد (الأمين العام) يحمل اسم الايزيدية، لهان علينا الأمر وما كنا نعير لحضوره في اسطنبول أو غيرها من المدن أهمية، وإذا كان ممثلاً أو عضواً في أية جبهة أو تجمع سواء كان مطلكياً أو دليمياً أو حارثياً وحتى اريجياً كمالياً من بذرة الظلام والشوفينية ومعاداة الشعب الكوردي، لما تأسفنا على حضوره، لأن شعبنا الكوردي إجتاز أصعب الإختبارات وقاوم أعداءَهُ المدججين بأقوى صنوف الأسلحة بما فيها الأسلحة الكيمياوية المحرمة دولياً، فهل تخيفه نكرات هنا وهنالك، إلاّ أنه يأتي كائن من كان ويحاول حمل اسم الايزيدية ويحضر اجتماعات مشبوهة تفوح منها رائحة الظلامية والتخلف والتعصب القومي ومعادات مذهب أو قومية أو فكر على حساب جهة أخرى، فهذا ما لا يقبله صاحب ضمير حيَ، وأي انسان مثقف يحب الحياة والحرية والعدالة والمساواة بين البشر.

لقد استبشر العراقيون– ماعدا قلة قليلة تمت الاشارة اليهم– عرباً وكورداً وتركماناً وكلدو آشوريين وسريان وأرمناً، ومن الأديان المسلمون بجميع مذاهبهم (المسيحيون والايزيديون والكاكائيون والصابئة المندائيون والشبك)، ومن التوجهات الفكرية والسياسية المختلفة، بأنه بعد تحرير العراق ستفتح عليهم كوة ضوء يمكن أن ينفذوا منها الى مستقبل أفضل؛ وربما كان الكورد الايزيديون اكثر تفاؤلاً من الآخرين لهذا

الشعاع نظراً لما عانوه من ظلم وحرمان مزدوج، قومي وديني، على مرّ العصور. ويحاول العقلاء، لا المتهورون، أن يعرفوا كيف يستفيدوا من بوادر الديمقراطية الوليدة في العراق، تلك الديمقراطية التي تأتي في بلد شرقي متدين عشائري ومتعدد القوميات والأديان والمذاهب، يأتي على شكل جرعات صغيرة وليس على شكل دفعات كاملة لتنمية الوعي والتفكير والعقلانية لتلعب دورها الايجابي والخلاق بعيداً عن الحقد والكراهية والتعصب القومي والديني والمذهبي وآثار القبلية– العشائرية. ويتمنى العقلاء والكيسون من أبناء الايزيدية من بني جلدتهم أن يصغوا الى قوة المنطق وحكمة العقل، وينظروا الى الأفعال والأقوال التي تطبق على أرض الواقع، لا أن يتأثروا بالشعارات السياسية والدينية الحماسية الفارغة.

لقد كتب أخوين كريمين (نادر دوغاتي وحسو نرمو) مقالين حول الوضع الايزيدي الراهن وإشارات موفقة الى الموضوع الذي نحن بصدده ونشروه في بعض الصحف الألكترونية، وسجلوا بذلك موقفاً شجاعاً ولن أكرر ما تطرق اليه الآخرون، وأعرب عن اتفاقي مع العديد من طروحاتهم. ربما أضيف توضيحات وتساؤلات أخرى للسيد (الأمين العام للحركة) ومن يدعم توجهه من الداخل والخارج:

التوضيح الأول: ألم تقرأ عن تاريخ ديانتك الايزيدية، أو على الأقل تسمع من خلال الأدب الديني الشفاهي، أن الغالبية العظمى من الابادات وحملات التنكيل جاءت على أبناء ديانتك من أسلاف الذين احتضنوا مؤتمركم، وهم لا يعترفون لحد اليوم بدين باسم "الايزيدية" وتسجل في دفاتر نفوسهم في حقل الديانة (دين سز= أي عديم الدين)! فهل كانت مهمتك لتلبية الدعوة وللمرة الثانية والتجوال في القرى الايزيدية – علماً لم يبق أكثر من أربعمائة أيزيدي في كل تركيا– لأخذ موافقة السلطات التركية لإزالة كلمة (سز= بدون) من دفاتر نفوس الايزيدية المتبقين؟!

التوضيح الثاني: هل تعرف أم لا، أن الذين جلست الى جانبهم هم من السنّة التكفيريين الذين لا يعترفون بديانتك ويصنفونها من الديانات الكافرة، ولا يعترفون حتى بالديانات الكتابية مثل اليهودية والمسيحية، وهم الذين قاموا ونفذوا حملات الابادة ضد أبناء جلدتك، فما هو القاسم المشترك يا ترى اليوم بينك وبين عدنان الدليمي لتجلس معه على طاولة واحدة، لينادي سنّة العالم أن يهبوا لنصرة سنّة العراق

ضد المذهب الشيعي؟ هل إعتبرونك إيزيدياً سنياً، نحن ومن تمثلهم من الحركة لا يعرفون ذلك!!

التوضيح الثالث: رغم صغر سنّك، لكنني على يقين أنك رأيت بأم عينيك كيف رَّحل النظام البعثي الأيزيديون من قراهم وأسكنهم في مجمعات قسرية، وجاء ببعض العشائر العربية وأسكنهم على بعد أمتار من تلك المجمعات بعد أن استولوا على أراضيهم وممتلكاتهم من مجمع مهد (باوان) في قضاء الشيخان شرقاً الى مجمع خانك التابع لقضاء سيميل غرباً ومجمعات خانه سور وتل عزير في قضاء شنكال جنوباً... إذن ماذا حصل الايزيديون من نظام البعث، وماهو فضله عليهم حتى تعشق الدكتور صالح المطلك وأمثاله المدافعين الأمناء عن سيدهم صدام وحزبه المجرم؟!

سؤال: هل تعتقد أنت ومن يؤيدك في الحركة، أن بتصرفك تخدم الايزيدية ومستقبلهم، وأن البعثيين والسنّة والتركمان والآشوريين المتعصبين يعترفون بكم وليس بالايزيدية؟!!

سؤال: معاداتكم وحقدكم بهذا الشكل الصارخ للشعب الكوردي كيف تصنفه وتبرره وفي أية خانة تدخله، وأية مشاريع تنفذ وتخدم؟! هل للايزيديين فيما تقدمون عليه من ناقة أو جمل؟!

سؤال: أيها الأيزيديون، أميراً ورجال دين، ومثقفين، وحزبيين ومستقلين، وكل من يحمل اسم هذه الهوية الدينية، ألا راجعتم وسألتم أنفسكم: هل ما يقوم به هذا الشخص وباسم هذه الحركة يخدم مستقبل الايزيدية وأجياله القادمة، أم لا؟.... اذا كان جوابكم بالنفي، أسألكم كل من موقعه: هل تقبلون أن يتصرف إنسان طائش بمصيركم؟ وماهي سبل المواجهة والحل؟

عتاب: مرة أخرى أقدم عتباً أخوياً لبعض المثقفين في الخارج، وخاصة في المانيا، الذين قاموا بدعوة لـ (الأمين العام) وعقدوا له اجتماعات وطبلوا وزمروا له، كما أقدم عتاباً أخوياً آخراً للصحف الالكترونية التي تهتم بالشأن الايزيدي، وتنشر وتبرز مثل هكذا أخبار بدون تدقيق وتمحيص، ودون معرفة آثارها السلبية، فليس كل خبر أو بيان أو نشاط مذيل باسم الايزيدية يبحث على الفرح والمستقبل المشرق!. الانسان عبارة عن مواقف، وليس من الحكمة أن نأكل مع

الذئاب ونرعى مع الغنم كما يقول المثل.

ليس الآن وإنما منذ مئات السنين يشبه الايزيديون قطيعاً لا راعي له، والاسباب كثيرة لا مجال لذكرها هنا وسبق أن أشرنا الى البعض منها في مقالات سابقة، فبين أمير يبحث عن مجد ويختار لنفسه أرفع الألقاب (رئيس الطائفة الايزيدية في العالم!) من بطن غرفة في مدينة ألمانية يُدفع ايجارها من قبل دائرة الضمان الاجتماعي (سوسيال هيلفه) يصدر بياناً من (رئاسة الطائفة اليزيدية في العالم) مؤرخة في٢٠٠٦/١٢/١٢ يشير فيها الى " الهوية العربية لليزيديين" ويدعو الى " تثبيت هوية العراق العربية " في الدستور العراقي، مع " ضم مناطق اليزيدية الممتده من سنجار غربا والى قضاء بعشيقة وبحزاني شرقا والى قضاء الشيخان والمزار الرئيسي (مرقد الشيخ عدي بن مسافر الاموي) للطائفة اليزيدية في العالم والى سميل وقضاء الفائدة والقرى الممتده الى زاخو ودهوك، واعتبارها منطقة عراقية بحتة تابعة الى محافظة نينوى (كما كانت) وليس الى منطقة الحكم الذاتي في شمال العراق وهذا نرجو أن تعتبر هذه الطلب الوثيقة الرسمية لحفظ حقوق طائفتنا التاريخية وأنتمائنا الوطني للعراق العظيم." (الفقرة منقولة بأخطائها وبتقديمه هو لنفسه الأمير أنور بن الأمير معاوية الأموي رئيس الطائفة اليزيدية في العالم) (للمزيد راجع الرابط التالي:

http://www.bahzani.dk/services/forum/showthread.php?t=12508

وكذلك(yeziden@t-online.de وبين (أمير اليزيدية في العالم والساكن في المانيا!) و (أمير الايزيدية في العالم الساكن في الشيخان!) ضيع الايزيديون لحاهم!!

أيها الايزيديون، أيها الكورد الايزيديون الغيارى، أما آن الأوان أن نبحث نحن بين ألـ " سنّداميين" الايزيديين وأمراء الايزيديين في العالم عن سبيل يقربنا مع بعض، وينقلنا الى حالة أفضل ومستقبل أكثر أماناً وإطمئناناً مع من نرتبط بهم بعلاقات الدم والتاريخ والجغرافيا واللغة. هل نحن فاعلون!!

ألمانيا في ٢٠٠٦/١٢/١٩

الفصل السادس

من أفغانستان الى ايزيدخان، تنتقل عدوى طالبان

" المقدس يلغي العقل، وإلغاء العقل خراب الدنيا" د. علي الوردي

في الكونفرانس العلمي المعنون: " الايزيدية في المهجر – المجتمع في الوطن والمهجر" الذي عقد في جامعة فرانكفورت للفترة من ٢١–١٥/ نيسان/٢٠٠٧ تم طرح أوراق عديدة أحاطت بالكثير من حياة الايزيدية الروحية والفلسفية والتراثية والنفسية الى جانب بحث مستقبلهم في المهجر.

لقد كانت هنالك شخصيات فرضت نفسها دون سابق انذار من دون دعوة رسمية على جو الكونفرانس، ألا وهي روح المغدورة "دعاء" من بحزاني وأخواتها المغدورات من الشيخان ومناطق أخرى؛ اللواتي قتلن في أوقات سابقة بطرق وحشية. صارت روحهن تهيمُ في سماء الكونفرانس ضمن العديد من المناقشات هنا وهنالك. وقد كنا (أنا والدكتور بير ممو) في غاية الحرج للاجابة على أسئلة واستفسارات المشاركين، خاصة جميعهم (جميعهن) من أساتذة/ استاذات العلم الاختصاصيين الأفاضل/الفاضلات في الشأن الايزيدي، بماذا نرد عليهم وكيف نقدم لهم الحجج: هل أن عادة الرجم غريبة عن الدين والمجتمع الايزيدي ودخلت إليه من محيطه الخارطي!! أم أنها كانت نزوة لشباب وجمهور طائش في حالة هيجان وغضب! أم أن هذا النفر انتقلت العدوى إليه من القوى الظلامية التكفيرية من جماعة القاعدة ومن لفّ لفّهم!! أم إنها من بقايا تربية أجهزة ومؤسسات نظام صدام الذين كانوا يتلذذون بتعذيب البشر بشتى الوسائل!! أم أن مرتكبي الجريمة البشعة التي سمعنا عن فعلتهم القذرة وشاهدنا صور أفعالهم التي يندى لها الجبين عبرالموبايل، لم تمت بصلة الى كوكبنا وزمننا!!. والأكثر غرابة ومدعاة للتساؤل أن تحدث هكذا جريمة في قصبة برز بين أهلها الكرام أول معلم منذ ثلاثينات القرن العشرين، وكانوا (بعشيقة وبحزاني) في الصفوف الأمامية لمحاربة الخرافات

والأفكار الظلامية وتنوير المجتمع الايزيدي. وتحتضن هاتين القصبتين مجموعة القوالين الأفاضل الذين يعتبرون الواجهة الأمامية الصادقة لتربية أجيال الايزيديين على المحبة والخير والتسامح والأخلاق الطيبة.

للمجتمع قوانينه ونواميسه الخاصة به لا سيطرة للبشر عليه، أو لنقل أن تلك النواميس الاجتماعية تفعل حسب مشيئتها وليس حسب ارادة البشر. كما في المنعطفات والحوادث التاريخية الحاسمة، تبرز تغييرات ذات إتجاهين: إيجابي وسلبي، ونحن هنا في عراق ما بعد التحرير وما أصاب المجتمع الايزيدي من تغييرات – التي هي موضوع مناقشتنا– لا نتوقف عند الايجابيات فهي بالتأكيد في حالة ولادة وصيرورة، بقدر ما نتوقف عند السلبيات المميتة والمتخلفة والمخجلة كالتي حدثت مؤخراً في قصبة بحزاني يوم ١٠/نيسان/٢٠٠٧ حيث يلاحظ – مع الأسف الشديد– بروز تيار ديني متطرف ومتزمت حتى وان كان ظاهرياً، هنالك زيادة كبيرة في جرعات التخلف والجهل في مجتمعنا. يبدو أن هذا التيار الديني الايزيدي المتطرف لو كان يملك كغيره السلطة والدعم والمال الكافيين، لفعل مثل ما يفعله زميله باسم الدين في الأنبار والفلوجة والبصرة الموصل والجزائر ومصر وآفغانستان...! وإلا ماهو الفرق بين إنسان مسلم، أو مجموعة من الناس المسلمين، في آفغانستان ينقلون أمام عدسات الكاميرا التلفزيونية إمرأة كالبهيمة الى احدى الساحات العامة ليفرغوا في رأسها مجموعة من الاطلاقات ويردوها قتيلة، وبين مجموعة ايزيدية من قصبتي بحزاني وبعشيقة يتحركون في "طقس" إحتفالي كرنفالي مهيب لسحب فتاة قاصرة (دون سن الثامنة عشرة) من بيت أحد وجهاء بحزاني،رئيس القوالين، وسحلها ورجمها بالحجارة حتى الموت؟!.يبدو لي أن "(الانسان كان حيواناً قبل أن يصبح إنساناً)، وهو وحشي قبل أن يكون مدنياً"! كما وصفه (د. علي الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١٠٩)

هل إنتقلت عدوى طالبان وممارساتهم المنافية لكل القيم الانسانية والدينية الى ايزيدخان؟! لا أتمنى ذلك، وأدعوا مع كل الناس الخيرين الذين تعزّ في نفوسهم قيم الأنسانية أن يكون ما جرى سحابة صيف، ونطالب حكومة كوردستان ملاحقة الجناة أينما كانوا وتقديمهم للعدالة لنيل جزائهم العادل. كما نطالب جميع شرفاء الايزيدية الذين يحملون قيم الحب والانسانية والتسامح أن يتكاتفوا ويعبروا عن رفضهم وإدانتهم لهذه الجريمة الوحشية. وليعلم الجميع اننا ندافع عن الانسان كقيمة ما بعده

قيمة. وقيمة الانسان عندنا أغلى من كل شيء في الدنيا بما فيه الدين نفسه. ولا معنى للدين بدون وجود الانسان نفسه!

وفي الجانب الآخر نقف ضد جميع أنواع ابتذال الانسان سواء جاء ذلك الابتذال من المرأة أم الرجل. ونقف بقوة ضد الذين يتاجرون بالدين ويضعون أنفسهم وكلاء الله والملائكة على الأرض ويوزعون علينا نحن البشر المساكين حسب أهوائهم صكوك الغفران وشهادات حسن السلوك والأخلاق، في حين هم الأحوج اليها أكثر من غيرهم!

نعلم،ويعلم معنا الجميع، أنه لا وجود لانسان يولد في هذه الدنيا ليختار دينه حسب قناعته وحريته. فالطفل المولود في مجتمع اسلامي يكبر ليتعلم ويتطبع على تعاليم الدين الاسلامي. والطفل المولود بين قبائل هندية معينة يكبر ليتعلم عادات وطقوس قبيلته ويعبد مثلهم البقرة ويتبرك ببولها! وكذا الحال بالنسبة للطفل المولود في عائلة ايزيدية يتعلم ويتطبع على طقوسها وعباداتها. أما الطفل المولود بين أدغال غابات أفريقيا، فلا نتوقع منه مؤمناً بالله مثلنا، بل ربما يدخل ضمن جماعة " آكلي لحوم البشر"! وكذا الحال بالنسبة للمسيحي والبوذي والزرادشتي والصابئي المندائي...الخ.

إذن لا أحد يختار دينه بمحض ارادته وحريته، لذا فلا عجب بعد أن يبلغ الانسان سن النضج يبدأ لأسباب عديدة التفكير بتغيير معتقده، أو عدم الايمان بأي معتقد كان. وفي حالة حدوث مثل هكذا حالات لا يعني ذلك بتاتاً تحويل الشخص من (دين الباطل الى دين الحق). كل قوم بما لديهم فرحون، وتدّعي كل جماعة في هذا الكون أنها على حق، ودينها هو دين الحق وما سواه على باطل. في الواقع لا وجود للحق والحقيقة المطلقة، وأن جميع هؤلاء لا يجارون الحقيقة, وكما كتب الدكتور علي الوردي قائلاً: " لم يبتكر العقل البشري مكيدة أبشع من مكيدة الحق والحقيقة." (مهزلة العقل البشري، ص٣٧). ويضيف باحث اجتماعي آخر اسمه وليم جيمس: " ان الحقيقة ليست إلاّ قضية يفترضها الانسان لكي يستعين بها على حل مشكلات الحياة."

(Thomas, living world of Philosophy, p.58) فالحقيقة المطلقة غير موجودة وان وجدت فالعقل البشري لا يفهمها أو هو لا يريد أن يفهمها لأنها لا تنفعه في الحياة.

كما أدنّا بشدة قتل " دعاء"، ندين في نفس الوقت تلك الأصوات العنصرية الدينية المتطرفة التي ظهرت في الموصل وفي بعض المحطات الفضائية والصحف العربية

ومنها الالكترونية مثل: قناة العربية، بصرة نت، جريدة القدس،...التي صورت الايزيديين كـ" وحوش وكفرة" لأنهم قتلوا فتاة دخلت دين الحق حسب قولهم.

ليس الايزيديون المتطرفون على حق برجم الفتاة حتى الموت، لأن الديانة الايزيدية لا تنقص بتلك الفتاة ولا هي نهاية الكون، علماً أنها لم تبلغ سن النضج. ولا المسلمين العنصريين المتعصبين على حق عندما يحتكرون " الحقيقة المطلقة" يقيمون الدنيا ولا يقعدوها على رؤوس الايزيديين بحجة أن فتاة ايزيدية جاءت الى دين" الحق" قام الايزيديون بقتلها! يعتبر هؤلاء من نظرة عنصرية أن من يترك الدين الاسلامي رجلاً كان أم امراة، مرتداً/مرتدة يجب قتله أو قتلها!.

اننا على قناعة شبه تامة أن الاهتمام الشديد حد الغلو بصيانة المرأة والمحافظة على حسن سلوكها وعفتها، وأخذ الثأء وغسل العار الى غير ذلك من المصطلحات المتداولة، هي من مخلفات البداوة والعصبية القبيلة قبل أن تكون مفاهيم وتشريعات دينية. فالمرأة كانت عند البدوي وعاء النسب، " فاذا تلوث الوعاء تلوث محتواه به" (د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٦٠)

ويضيف د. الوردي: يحرص البدو قبل كل شيء على اختيار الزوجة النسيبة لأبنائهم. فهم يفضلون نسب المرأة على جمالها. وكانوا يشبهون المرأة غير النسيبة بـ" الزهرة الجميلة التي تنبت على مزبلة." ولا يكتفي البدو بذلك بل هم يحرصون على أن تكون المرأة منهم في غاية العفة وحسن السمعة. والظاهر أن ليس هنالك أمة في العالم تحرص على عفة المرأة مثلهم. انهم لا يتوانون أن يقتلوا المرأة عند الاشتباه بسيرتها. ومن يتوانى منهم عن ذلك أصيب بالعار الذي لا يمحي، هو وأولاده من بعده.(ص٦٠)

ومما يجدر ذكره ان المرأة قد تكون من عوامل اثارة النزاع والقتال في البادية. فالمرأة البدوية قد تنهب في الغزوات كما تنهب الأباعر والأمتعة. والقبيلة المغزوة تشعر بالخزي لنهب نسائها أكثر مما تشعر به لنهب أموالها المادية...فالمال غاد ورائح. اما المرأة فشرفها اذا ثلم لا يرتق. وان أهم ما كان يدفع الرجل البدوي الى الاستبسال في القتال هو دافع حماية المرأة وصيانتها من الاهانة أو السبي. وكان هذا من الأسباب التي جعلت بعض القبائل البدوية في الجاهلية تئد بناتها في التراب بعد ولادتهم مباشرة.(نفس المصدر ص٦٠-٦١)

هذه هي الخلفية التاريخية لمفهوم الموقف من المرأة وجعلها وعاءً لجميع مفاهيم العفة والشرف والضحية في نفس الوقت دون الرجل. وهي من مخلفات العصبية القبلية البدوية قبل أن تكون لها علاقة بالدين، رغم قناعتنا أن الدين مؤسس في جوانب عدة على الكثير من العادات والتقاليد القبلية العشائرية. والرجل في مجتمعاتنا " سوبرمان" لا تتلطخ سمعته إذا أقدم على المنكرات والرذائل، ويبقى طاهراً لأن الله خلقه على صورته!!..ما دام مجتمعنا ذكورياً لا يلعب القانون الوضعي دوره، ستبقى المرأة الضحية الأولى. فلنعمل من أجل المساواة التامة بين المرأة والرجل، وأن نصون كرامتها اسوة بكرامة الرجل.ولا ندع "المقدس " الذي يتكأ عليه بعض المفلسين والضعفاء، أن يلغي عقلنا، وبالغاء العقل سوف تنحدر القيم الانسانية الى الهاوية ويحل الخراب!.

هل يدري الايزيديون الى أي مدى أثر رجم الطفلة " دعاء" في بحزاني وقبلها حادثة قتل بشعة مماثلة في الشيخان ومناطق أخرى على سمعة الايزيديين داخليا ودولياً؟. ربّ سائل يسأل: ما العمل إذن؟

يفترض بنا نحن الايزيديين أن نسأل أنفسنا بأداة السؤالين التاليين: (لماذا وكيف). لماذا يحدث كل هذا التردي وأسبابه؟. وكيف يمكننا معالجة ما يحدث؟

من الطبيعي أن تكون أسباب (لماذا) كثيرة ومتشعبة من الصعب الاحاطة بجميعها، إلاّ أنني ألخصها بالتالي:

– أن يدعو المجلس الروحاني الأعلى الى إجتماع طارئ يحضره وجهاء وشرائح الايزيدية المختلفين، يعلن فيه المجلس الروحاني بشجاعة عن استقالته ولا يصلح لقيادة الايزيدية دينياً ودنيوياً، وأنه هو الذي أوصلهم الى حالة من اليأس القنوط. يبحثون في ذلك الاجتماع عن صيغة أو صيغ بديلة يهيأون لها عبر تشكيل لجنة تحضيرية لعقد مؤتمر طارئ خلال هذه السنة في كوردستان أو الخارج.

– تقوم الجالية الايزيدية من خلال مراكزها وشخصياتها وفعالياتها الثقافية في الخارج بناءً على نفس المستجدات بعقد اجتماع طارئ أيضاً لتدارس الوضع لايجاد صيغة عمل مشتركة ومقبولة لإيزيدية المهجر دون انتظار سكرات موت قيادة الايزيدية في الداخل!

– دعوة الكتاب والمثقفين الايزيديين من كلا الجنسين التركيز في مقالاتهم وفعالياتهم الثقافية على التوعية، والقليل من التضحية في التصدي لهكذا قضايا حساسة، وليس فقط التوقف عند المواضيع العاطفية التي تجلب لنا فقط التصفيق أو بعض الألقاب الفارغة. المثقف الحقيقي هو الذي يقود المجتع نحو التطور والتغيير.

– محاربة الأفكار والعادات العشائرية البالية التي تقيد حرية المرأة وتعرقل تقدم المجتمع.

– تشجيع القيم الحضارية خاصة التي تؤكد على حرية الفرد وحرية المعتقد والتعبير عن الرأي وصيانة حقوق الانسان، وقيم المساواة بين الجنسين والأخاء والمحبة...الخ، لأن هذه القيم الحضارية هي في نهاية المطاف كفيلة بسحق العادات السيئة.

– فوق كل ذلك نحن بحاجة الى تقبل بعض الاصلاحات في كيان المجتمع الايزيدي من خلال دراسة شاملة ومسؤولة في مؤتمر خاص يعقد لذلك، حيث سبق أن عبرنا عن أفكارنا في عدة مناسبات منذ أواسط التسعينات، وتتعالى اليوم أصوات أخرى بشكل علني مطالبة باجراء إصلاحات داخل المجتمع الايزيدي، كما دعى الكاتب (بدل فقير حجي) في بعض الصفحات الالكلترونية.

أخيراً نعبر عن تقديرنا العالي للموقف الشجاع لمنظمة كانيا سبى الثقافي عبر بيانها الجرئ حول حادثة رجم فتاة من بحزاني. كما نعبر عن تقديرنا وتضامننا مع مقالات الأخوة والأخوات كل من (داود حمو وخدر دوملي و تازي درويش وأبو جوتيار) وكل من أدانوا تلك العملية البشعة، كما نناشد المثقفين إدانة تلك العملية الوحشية والعمل من أجل أن لا تتكرر مثل هكذا أعمال مستقبلاً.

كوتنكن في ١٨/ ٤/٢٠٠٧

الأرواح البريئة لمجزرة بعشيقة وبحزاني تنادينا لمن نشتكي

نعم لمن نشتكي؟. ومن السبب في ازهاق هذه الأرواح البريئة؟. أرواح العمال والكادحين الذين يبحثون في هذا الزمن الكئيب عن لقمة عيش ممزوجة بالدم لأطفالهم في دولة الرعب بين أنياب الوحوش الكاسرة، بهائم في هيئة بشر!.

ربما نتجاوز هذه المرة حدود المواساة والتعازي التقليدية لذوي ضحايا بعشيقة وبحزاني، مجزرة الأحد الدامي ٢٢/ نيسان/٢٠٠٧ ولن نتوقف فقط عند عبارة (رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته.) لأنه ليس عندنا من الدموع ما يكفي لإطفاء النار الملتهبة في صدور العشرات، بل المئات من الشيوخ والعجائز، الأمهات والآباء، الأخوة والأخوات، الزوجات، بل العشرات من الأيتام من أبناء وأحفاد الضحايا المغدورين، الذين تركوا بدون معيل..لا من يطفئ إحتراقنا الداخلي وألمنا الحزين لأولئك الأبرياء ونحن البعيدين عدة آلاف من الكيلومترات! ليست لدينا كلمات تليق بهول وضخامة هذا الحدث الأليم!

بأي صفة نناديكم؟. لا ندري ؛ هل نناديكم أيها الـ "شهداء"! كلا، البرابرة الارهابيون الذين يفجرون أنفسهم يومياً ويقتلون العشرات بل المئات من الأبرياء على أرض العراق وفي بقية البلدان، يتباهون بنيلهم الـ" شهادة" وتناول وجبة الغداء في السماء!!

الأقرب الى الواقع أنتم الأبرياء ضحايا مغدورين لثالوث مشؤوم لفكر (العصبية القبلية + التعنصر العروبي الأستئصالي + التعصب الديني الأعمى)، هذه الأركان إجتمعت بامتياز في فكر ونهج حزب البعث. ألم يرفع هذا الحزب عندما استلم السلطة في العراق الشعارات: " جئنا لنبقى!" و " من يريد أن يستلم السلطة من البعث، يستلمها أرض بدون بشر!" و " أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"!

أي أن رقعة " الوطن العربي" تمتد من المحيط الى الخليج، وهي أرض عربية خالصة نقية لا وجود ولا اعتراف فيها بالقوميات والاثنيات غير العربية ولا بالأقليات الدينية.

أصبح شعار " جئنا لنبقى" من خبر كان، وتم تحرير العراق من قبل التحالف الأمريكي وتضحيات الشعوب العراقية والقضاء بدون رجعة على نظام البعث الحاكم

صبيحة التاسع من شهر نيسان ٢٠٠٣، إلاّ أن الخطأ الفادح للأمريكيين وبعض ساسة العراق هو حمايتهم للرموز والعناصر البعثية المجرمة – وما زالوا مستمرين على ذلك النهج وتلك السياسة– وعدم إطلاق يد ضحايا ذلك النظام لمدة شهر فقط ليحاسبوا رموز القمع والتعذيب والخراب كي ينالوا جزاءَهم العادل، لكن بدل ذلك وبعد أن رأى هؤلاء المجرمون لا اعتقال ولا محاسبة على جرائمهم السابقة، بدأوا باستعادة تنظيماتهم تحت واجهات دينية كـ" جيش محمد" و " أنصار الاسلام" و "جيش عمر".و " جيش التحرير"..وقاموا بالتنسيق مع الجماعات التكفيرية ومنظمات القاعدة ورعاع العرب ولصوصهم وقطاع طرقهم وبدعم من غالبية أنظمة الدول العربية ودول الجيران بتدمير العراق وشعبه.

إذن مأساتنا بالدرجة الأولى والأساسية، أيتها الأرواح البريئة، جزء من مأساة الشعوب العراقية التي ابتلت ببقايا حزب البعث النازي الحالم بعودته وعودة الديكتاتورية البغيضة، وبغربان العرب من المغرب العربي الى مصر واليمن والسعودية والأردن، وبأبناء الشوارع والمجرمين من خريجي السجون، وفاقدي الضمير الانساني من مرتزقة دول الجوار خاصة سوريا، ايران وتركيا...يتطلع الكورد الايزيديون مع كل شرفاء العراق من جنوبه ووسطه وكوردستانه، رغم ضريبة الدم الباهضة، الى الغد الديمقراطي المشرق، وأن ينعموا بثمار الحرية والمساواة وحرية المعتقد والمواطنة الكاملة.

بدأنا نقف ملياً عند الكثير من المصطلحات والمفاهيم، مثل: " الشهادة – الشهيد" أراجع مع نفسي مفهوم " الجنّة" و " السماء" ونفكر ونبحث بعمق عن مفهوم " الدين" وأشياء أخرى!... لأننا نسمع عبر الفضائيات ووسائل الاعلام، وفي أحاديث المجالس والندوات، ونقرأ في الكثير من الكتب والمقالات أن لا علاقة للدين بما يحدث، وأنه (أي الدين) برئ منه.

هل فعلاً الدين وتعاليمه بعيدان عما يحدث من صراعات دموية، ليس بين الأديان المختلفة وانما حتى بين مذاهب الدين الواحد؛ كما هو الحال بين الكاثوليك والبروتستانت المسيحيين، أو الكاثوليك الايفانغيليشيين، وكذلك عند الاسلام بين الشيعة والسنّة. وبدرجة أقل لدى الايزيدية.

تحمل تعاليم كل دين بين طياتها الكثير من المتناقضات الحادة والصارخة أحياناً، والخفية أحياناً أخرى. فالى جانب الدعوة الى الأخلاق الحميدة والمحبة والتسامح، فان كل دين يحتكر الحقيقة المطلقة ويعتبر ما سواه باطل وربما اعتبار الآخر المخالف كافراً يحلل قتله! أليس " الجهاد" في الدين الاسلامي الساري مفعوله أكثر من ١٤٠٠ عام الغاء للفكر الآخر المخالف؟. اليست القيود التي تفرضها الديانات اليهودية والمسيحية والاسلامية والايزيدية والزرادشتية والصابئة المندائية...الخ على معتنقيهم بعدم جواز الزواج خارج ديانتها بحجة المحافظة على نقاوة الدم، فكرة عنصرية ضد الرغبات الانسانية.؟! لماذا تعتبر المرأة المسلمة مرتدة والرجل مرتداً يقتلان عندما يريدان تغيير دينهما، اللذان لم يختاراه بارادتهما؟! وتنطبق نفس الحالة على معتنقي الايزيدية واليهود والصابئة المندائيين من كلا الجنسين، يقتلون، أو يلفظون ويحتقرون من دياناتهم على أحسن تقدير؟!

أليس الأربعة والعشرون قتيلاً من بعشيقة وبحزاني، ومئات آلالاف ممن سبقهم عبر التاريخ، هم ضحايا تلك الأفكار العنصرية المريضة بحجة أن فتاة ايزيدية (أعلنت اسلامها) وتم قتلها من قبل بعض الايزيديين المجرمين؟.

الخلل الكبير هو احتكار الأديان، بعبارة أدق مفاهيم معتنقي تلك الأديان، الحقيقة المطلقة واليقين الكامل لأنفسهم واعتبار المعتقد والرأي الآخر المخالف باطلاً ومعتنقيه كفاراً!. من كلف هؤلاء أن ينصبوا أنفسهم وكلاء الله على الأرض؟ هل هنالك إله واحد وربّ واحد لكل العالم والديانات؟، أم هنالك إله لكل دين؟ المعروف لدى جميع المتدينين في العالم أن هنالك إلاهاً واحداً أحداً للكون، لكن طريقة عبادته ومعرفته والتقرب اليه تختلف من دين الى آخر. لماذا إذن يصّر المتعصبون الأسلاميون من بين الأديان الأخرى بفرض إلاههم، فلسفتهم ورأيهم ونبيهم على الاخرين، ويعاقبون بشكل فردي أو جماعي على الهوية (كما حدث في مجزرة بعشيقة وبحزاني) معتنقي الأديان الآخرى؟...ما دخل مسلم من المغرب والجزائر والسعودية وسوريا وباكستان في رسم وتحديد طريقة تفكيرهم ورؤيتهم الى الخالق والخليقة ويفرض عليهم أفكار البداوة والتخلف والجاهلية!. إذا كان هؤلاء البشر مطمئين وعلى يقين أن الله والسماء والجنّة والحواري والغلمان لهم، فليفجروا أنفسهم بشكل جماعي في دولهم أثناء مراسيمهم

وطقوسهم الدينية كي يصعدوا الى السماء ويستقروا فيها! اصعدوا الى سمائكم واتركوا للآخرين الأرض ولا تفسدوها عليهم، لكم جنّة السماء، ولهم جنّة الأرض!!.

هذه إشكالية كبيرة في عصرنا، عصر التقدم العلمي الجبار، بشر يعيش بجسده في هذا القرن إلاّ أن عقله وتفكيره مشدود للماضي، للقرن الخامس الميلادي وربما قبله بكثير. لا يدري أن زمن السيف والحصان قد ولى، ولن يتمكن السيف أن يقف بوجه القنبلة الذرية والصواريخ الذكية وسلطان الكومبيوتر والانترنيت! وفي نهاية المطاف لا تحل هذه الاشكالية إلاّ عبر الحوارات وتلاقح الثقافات، ومن خلال تطبيق القانون الوضعي وتأمين حقوق الانسان وحفظ حريته وكرامته في جميع المجالات، وفي اختيار النظام العلماني الانساني كاسلوب لأدارة الدولة والمجتمع وفصل الدين عن الدولة.

إذا كنا نلاحظ في زمننا الردئ هذا انحساراً وتراجعاً للكثير من الأفكار والقيم الانسانية الجميلة بحيث صار الانسان اليساري والقومي الوطني والمثقف متديناً أو متستراً تحت عباءة الدين، وبالتالي أصبح الجميع يسبح مع التيار الديني الجارف دون أن يدري. وفي المقابل نرى تصاعد وتيرة العنف والارهاب على المستوى الأقليمي، إلاّ أن كل ذلك لم ولن يزكي الدين أن يكون في يوم من الأيام بديلاً لحل مشاكل الأنسان المعاصر. ان الدين، والنص الديني- كما يقول الدكتور علي الوردي- متعال على الواقع، أي أنه بالضرورة يقع خارج الشرط البشري، فاذا جاء بشر وجعلوه مرجعاً أوجد لهم في كل شأن من شؤون الدنيا، السياسية، الاجتماع والاقتصاد...الخ، فأنها المصيبة الكبرى.

مشكلة الدين والنص الديني، أنه لا زمني، ولا مكاني، فيما نحن البشر زمنيون ومكانيون ننتمى الى جغرافية معينة، لذلك أفضل لنا أن نغترب عن هذا النص، ولا نغترب عن واقعنا وتاريخنا وجغرافيتنا.

ما سبق كانت رؤية مختصرة لما يحيط بنا، السؤال: أين الايزيديون من هذا البحر الهائج؟ وأين موقعهم على خارطة الشرق القلقة المليئة بالصراعات الدموية المزمنة؟.. وماهي الأسباب والدوافع وراء قتل ٢٤ بريئاً ايزيدياً من بعشيقة وبحزاني بدم بارد من قبل ارهابيين اسلاميين عراقيين ومن دول عربية أخرى حسبما روى أحد الجرحى الناجين من المذبحة؟! وهل حادثة الشيخان ١٥/آذار وقتل الفتاة " دعاء" رجماً

بالحجارة يوم ٧/نيسان/٢٠٠٧ كان ردّ فعل من الجناة الهمج للأقدام على تلك الجريمة الوحشية؟

يمكن أن نلخص ما قيل في ثلاثة نقاط وهي:

١- لماذا وصل الوضع الى ما وصل اليه؟

٢- ماذا يجب أو ماذا يفترض أن ندركه؟

٣- ما العمل؟ السؤال التقليدي الذي يسأل غالباً؟

أشرنا ضمن تحليلنا أعلاه الى أكثر من سبب أدى الى مجزرة أهالي بعشيقة وبحزاني على أيدي الارهابيين الجبناء في مدينة الموصل، كان أولها وأهمها نظام البعث الذي حكم العراق أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، بحيث لم يسلم العراقيون من ارهابه وجرائمه لا عندما كان في السلطة ولا بعد أن تم قبره. فبعد تحرير العراق والغاء جميع مؤسسات الدولة، أصبح العراق ساحة مفتوحة لأعداء أمريكا وأعداء الديمقراطية وأعداء الشعوب العراقية، نظم البعثيون أنفسهم وصار هنالك فلتان أمني، وغياب سلطة القانون، وإزدادت عصابات المافيا والجريمة المنظمة، وتراجع الفكر الوطني الديمقراطي اليساري أمام المد الاصولي التكفيري.الطائفي...وأصبحت الأقليات الدينية كالمسيحيين والصابئة المندائيين والايزيديين ضحية التطرف الديني والارهابيين من أزلام النظام السابق والاسلاميين التكفيريين.

بعد تقدم العملية السياسية في العراق بدءً من تشكيل مجلس الحكم وإنتهاءً بالانتخابات البرلمانية وتشكيل الحكومة في المركز وكوردستان، شعر الايزيديون كأقلية دينية أن حقوقهم مهضومة ولم يرفع عنهم الغبن التاريخي، فتعالت في داخل الوطن وخارجه أصوات عدم الرضا والاحتجاح، وتم انشاء مراكز وتجمعات وفتح مواقع الكترونية وتأسيس حركات سياسية، طبعاً كان يحدث كل ذلك وما زال، في ظل غياب قيادة ايزيدية، وشلل في دور الأمير والمجلس الروحاني، والأنانية المفرطة للمسؤولين الايزيديين في الحزبين الكوردستانيين الحاكمين، خاصة المجموعة التي فرضت نفسها على مركز لالش بافعالهم وتصرفاتهم غير الحكيمة وألحقوا أضراراً بسمعة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وسببوا في ابتعاد جماهير غفيرة عنه وبالتالي خلق جدار عدم الثقة بين تلك الجماهير والحزب الديمقراطي الحاكم الفعلي في منطقة بهدينان.

ومن جانب آخر أدت تصرفاتهم في احكام قبضتهم على جميع شؤون الايزيدية الى شق صفوف الايزيديين أنفسهم.

الى جانب ما تم الاشارة اليه توجد هنالك سلسلة من التراكمات الأخرى، تاريخية، نفسية، قديمة وحديثة ولدت بالمقابل لدى الطرف الايزيدي نوع من التطرف الديني، يمكن أن نلخص أبرزها في النقاط التالية:

– فتح مدارس دينية خاصة في بعض المناطق الايزيدية، وتدريس منهج الايزيدياتي، الذي لم يكن بالمستوى المطلوب، للطلبة والطالبات في مدارس كوردستان قاد الى نتائج عكسية على مستوى تربية الطفل والشبيبة وكذلك المجتمع. وفي الطرف الآخر (المجتمع الاسلامي المتدين) أثارت تلك الخطوة حفيظته نفسياً، وأصبح يحقد في داخله على الايزيديين ومن يقف وراءَهم في حكومة كوردستان التي سمحت بتدريس مادة الدين الايزيدي. (المدارس الدينية للأطفال والشبيبة تصنع منهم، شئنا أم أبينا، قنابل موقوته كما هو الحال في مدارس باكستان وأفغانستان والسعودية).

– ظهور الحركة الايزيدية من أجل الاصلاح والتقدم واثارتها للجانب الديني والتركيز على الابادات وحملات التنكيل ووضع جريرة ذلك فقط على عاتق المسلمين الكورد، ومعاداة كل ماهو كوردي، مما خلق حالة من الانغلاق الديني لدى مجموعة لابأس بها من الايزيديين وولّد لديهم حساسية مفرطة تجاه الشعب الكوردي عموماً؛

– النهج الذي سلكته بعض الصفحات الالكترونية الايزيدية تحت يافطة الديمقراطية وحرية التعبير، وتركيزهم بشكل كبير على الجانب الديني، والهجوم المباشر من خلال المقالات والتعليقات على الأكراد وقيادته وأحزابه. بحيث لا نكاد نفرق بين إحدى هذه الصفحة الالكترونية (الايزيدية) وبين صفحة بصرة نيت التي تدار من قبل فلول البعث المقبور!؛

– تصريحات بعض الايزيديين النارية غير المسؤولة وغير المدروسة، في الداخل والخارج، عبر الفضائيات أو من خلال لقاءات صحفية عربية، أو من خلال مقالات، يعتقد صاحبها أن ما يصرح به ويدعو اليه هو في صالح الايزيدية، لكن تلك التصريحات لا تقل خطورة عما يكتب ويقال من تصريحات لصالح المطلق وعدنان الدليمي في موقفهم من القومية الكوردية وحقوق الأقليات الدينية والتجربة الديمقراطية؛

– التطرف الديني الاسلامي، والعمليات الارهابية والمواقف التكفيرية تولد بالنتيجة تطرف ديني لدى الطرف الآخر ؛

– أخطاء بعض كوادر الحزبين الكوردستانيين الحاكمين بين الايزيديين وعدم معرفتهم لطبيعة المجتمع ونفسية الفرد الايزيدي وكيفية التعامل معه، أدى إلى حالة من التململ وعدم الثقة بين الطرفين؛

– الأسباب المذكورة أعلاه وغيرها أوصلت الايزيدية الى يوم ١٥/شباط/٢٠٠٧ (حادثة الشيخان)، وهنا فقد عبرنا عن موقفنا بشأن أسباب تلك الحادثة في مقابلة اجريت معنا من قبل الصحفي خدر دوملي ونشرت في الكثير من المواقع، فلا داعي لتكرار ما جاء فيها.

الشيء الذي نود اضافته هنا، ما دمنا بصدد الموقف من التطرف الديني وما دام البعض منهم إستغل حادثة خروج الشابين الايزيديين مع فتاة مسلمة، هو أن الجنس من الناحية الطبيعية والفيزيولوجية من أقوى الغرائز بل أخطرها لدى الانسان. ليس للجنس هوية، فهو أممي لا يعرف حدود الطبقات والأديان وحتى المحرمات، ولهذا وضع له المجتمع وكذلك الأديان الكثير من الضوابط والعقوبات لمن لا يلتزم بتلك التعاليم. وعليه كان على الشابين الايزيديين وكذلك الفتاة المسلمة (إذا كانت التهمة الموجهة اليهم صحيحة) أن يسافروا الى دولة أخرى ليفرغوا " شحناتهم الجنسية" في الأماكن المخصصة لها! وهم يعرفون جيداً أن تلك العلاقة محرمة دينياً لدى الايزيدية والاسلام على حد سواء. ألم يعرفوا ذلك من التربية البيتية وتربية المجتمع ومن المنهج الدراسي الديني؟! ودرءً للمخاطر التي حدثت بسببها، كان من المفترض حل تلك المشكلة الاجتماعية بين العائلتين كي لا تتعدى حدودها وتغدو مشكلة دينية بين الايزيديين والمسلمين الذين يتعايشون مع البعض منذ آلاف السنين!!.

– خلفيات حادثة الشيخان وما رافقتها من نتائج وملابسات وتحركات على جميع الأصعدة، صارت تغلي على نار قوية بحيث ظهرت نتائجها بسرعة غير متوقعة وبشكل تراجيدي– مأساوي (قتلت الفتاة دعاء بطريقة وحشية يوم ٧/نيسان) والانتقام المزعوم لدم دعاء التي " أشهرت اسلامها" وإقدام الارهابيين على جريمتهم الوحشية بقتل ٢٤ شخصاً وجرح اثنين من أهالي وبعشيقة وبحزاني يوم الأحد ٢٢/نيسان! مع حجم

وهول هاتين الجريمتين، لكن إذا لم تحل بالحكمة وبالسرعة الممكنة، علينا أن نتوقع ونخاف من القادم الأكبر والأخطر!!.

نوجه صرختنا ودعوتنا للأيزيديين قبل غيرهم والى أصدقائهم الحقيقيين الغيورين، نحن أمام وضع خطير جداً، لا داعي لتقديم المواعظ من هذا وذاك، نحن أمام امتحان للضمير، لا مجال للمجاملات ومسح الأكتاف، نقول للمسئ أسأت، وللمقصر قصرت، وللمجرم أجرمت، والمتطفل على السياسة والتجارة باسم الايزيدية هذا ليس شأنك...، لا نريد إحباط المعنويات بل رفع الهمم والبحث مع الجميع عن أفضل السبل والحلول الآنية لتجاوز هذه المحنة، التي ألخصها بالتالي:

* نقول بدون تحفظ أن البيت الايزيدي خراب في خراب ورائحته تزكم الانوف، والدعوة الى عقد مؤتمر عام وطارئ في كوردستان أو الخارج ذو أهمية كبيرة لمناقشة مسألة القيادة الدينية والدنيوية المشلولة وإيجاد أساليب وطرق بديلة لها في الداخل والخارج، وكذا الحال مع بعض الأشخاص الايزيديين الذين يستغلون مراكزهم داخل الأحزاب الكوردستانية الحاكمة لتمرير مصالحهم الذاتية.

* ايجاد لغة تفاهم مع المسلمين وبقية الأديان بدل المواجهة واللجوء الى التطرف، فالايزيديون الذين لن يصل تعدادهم في العالم الى مليون شخص ليس في إستطاعتهم مواجهة أكثر من مليار مسلم، علماً أن أمريكا بكل جبروتها عاجزة تقريباً عن مواجهة هذا المد الأصولي.

* مخطئ من الايزيدية من يعتبر أمريكا واوربا ظهيراً وسنداً له على حساب الداخل وخاصة الشعب الكوردي وأحزابه قواه الوطنية، هنا لا أقلل من دور التجمعات والفعاليات الايزيدية في الخارج وإذا كان بامكانهم تشكيل لوبي دائم وفعال.

* العمق الحقيقي والفعّال للديانة الايزيدية هو الشعب الكوردي بأحزابه الديمقراطية وقواه الوطنية، إضافة الى القوى الديمقراطية واليسارية العراقية.

* دعوة المراكز والتجمعات والمواقع الالكترونية الايزيدية في الخارج والداخل الى مقاومة العنف والارهاب بجميع أشكاله، والى الاعتدال وعدم نشر أية مادة تسئ الى الأديان والى الشعب الكوردي والأحزاب الكوردستانية، مع المطالبة بحقوقهم ضمن الواقع فهو حق مشروع.

* لا بديل للايزيدية غير النظام العلماني، وهذا يتجسد في النظام الفيدرالي في أقليم كوردستان باعتراف الجميع من عراقيين ودول العالم، كما تتجسد العلمانية في نهج وسياسة الأحزاب الكوردستانية وقادتهم.

* دعوة برلمان كوردستان الى سن قانون يستند على دستور الأقليم يجيز للفرد من أي دين كان أن يغيّر معتقده متى شاء دون أن يقع تحت طائلة العقاب من أي طرف كان.

* وارتباطاً بمجزرة بعشيقة وبحزاني، أن يتم فتح مجالس التعزية في أوربا، وأن يفتح رقم حساب (كونتو) أو صناديق تبرعات لجمع موارد مالية لذوي الضحايا.

بناء على ما تقدم يمكن الوصول الى نتيجة مفادها أن المشكلة الايزيدية ليست مشكلة دينية بحتة، بقدر كونها قضية قومية (كون الايزيديين جزء من الشعب الكوردي) وهي موجهة بشكل أساسي ضد الكورد والتجربة الفيدرالية وتفريغ مناطق الموصل منهم وافشال المادة ١٤٠ من الدستور العراقي. وهي قضية إجتماعية، اقتصادية، حقوقية،سياسية وانسانية في نهاية المطاف، لا تحل إلاّ ضمن السياقات التي تمّت الإشارة اليها، من خلال تطبيق النظام العلماني في الأقليم الكوردي والذي يقابله في الطرف الآخر التطرف الديني والفكر التكفيري وعدم قبول الآخر المختلف دينياً وقومياً ومذهبياً.

كوتنكن في ٢٠٠٧/٤/٢٦

الفصل السابع

الدين..المجتمع..السياسة..القانون.. المرأةً هي الضحية دائما![1]

تقييم لأحداث الشيخان وبعشيقة/ بحزاني

بداية نريد القول، أن يكون جميع الكورد وأصدقائهم على علم، ولا يأخذهم العجب، أنه كلما اقترب موعد الاستفتاء لتطبيق المادة ١٤٠ من الدستور العراقي، كلما إزداد الارهابيون شراسة وصعدوا من وتيرة أعمالهم الارهابية المخزية في المناطق المتنازع عليها بين أقليم كوردستان وبين الطرف العربي/ التركماني داخل الحكومة المركزية وخارجها متمثلاً ببقايا عناصر النظام السابق وفلول القاعدة والعرب العنصريين. السؤال المطروح: أليس بامكاننا ربط إحدى أسباب أحداث الشيخان وبعشيقة/بحزاني بمخطط الارهابيين لترويع الايزيديين، وزعزعة أمن واستقرار كوردستان؟

لم تتوقف القضية عند حادثة قضاء الشيخان (٢٠٠٧/٢/١٥)، بل برزت بعد فترة قصيرة بشكل تراجيدي حادثة بحزاني/بعشيقة المروعة (٧/ نيسان/٢٠٠٧) بقتل الفتاة (دعاء) بطريقة وحشية! لحقتها بعد مرور خمسة عشر يوماً (٢٢/نيسان/٢٠٠٧) حادثة أليمة وأكثر بشاعة وذلك بقتل أربعة وعشرين عاملا ايزيدياً من عمال معمل

(١) هذا المقال ملخص وزبدة ما يلي: مقابلة صحفية معنا من قبل الصحفي خدر دوملي يوم ٩/ آذار في عين سفني، لقاء إذاعي من قبل راديو صوت أمريكا الحرة المتواجدة في براغ يوم ٣/٢١ في قصبة عين سفني أيضاً، وآخر لقاء كان في دهوك يوم ٢٢/ آذار من قبل المؤسسة الاعلامية الجديدة لنوشيروان مصطفى في السليمانية (لا أتذكر اسمها بالضبط)، محاضرتين في غرفة ايزيدخانا كوردستان/لالش يومي السبت ٥/٥ و ٥/١٧ ، ومحاضرة في غرفة " كوردستانا روژئافاي= غرفة كوردستان الغربية " وأخيراً سمينار عام نظمته لجنة محلية هولندا للحزب الديمقراطي في مدينة أليرا يوم ٢٠٠٧,/٥/٢٧ إضافة الى محتوى المقالين المنشورين لنا، أحدهما تحت عنوان " من أفغانستان الى ايزيدخان، تنتقل عدوى طالبان " والآخر " الأرواح البريئة لمجزرة بعشيقة وبحزاني تنادينا لمن نشتكي"؟.

النسيج على أيدي الارهابيين وشرطيان ايزيديان من أهالي الشيخان بعد اسبوع في مدينة الموصل!

هل برزت هذه الحوادث المأساوية من العدم، أم كان لها إرتباطاً بقضايا أخرى؟.هل كانت جذور وأسباب تلك الحوادث حديثة العهد، أم ترجع الى تاريخ أقدم؟

نعتقد أن تلك الحوادث لن تخلق من فراغ، إنما هي مرتبطة بوضع العراق وكوردستان بشكل عام، ووضع المجتمع الايزيدي الداخلي بشكل خاص؛ بمعنى أن لهذه الحوادث أسبابها وعواملها الموضوعية والذاتية. علماً لا نريد الدخول في تفاصيل تلك الأسباب والعوامل، أنها من الكثرة والتشعب والتعقيد بحيث تدفع المتابع الى التيه في دهاليزها. كما أن ذكر بعض الحقائق من وجهة نظر الكاتب تولد ردود فعل ونتائج سلبية أكثر مما هي ايجابية بسبب عدم نضج المجتمع وسيطرة الأفكار الدينية عليه وجمود عقول قطاع واسع منه، ونفاق نصفه الآخر، الى جانب عدم نضوج الرؤى السياسية والقانونية لدى الكثير من المسؤولين السياسيين. رغم ذلك سنطرح الأسباب ونناقش الموضوع بشكل عام وليس بتفاصيله.

يمكن القول إجمالاً أن هذه الحوادث كانت ناقوس خطر الى الجهات التالية:

١- سلطة إقليم كوردستان؛

٢- قانون إقليم كوردستان؛

٣- سلطة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في منطقة بهدينان؛

٤- المجتمع الكوردي والكوردستاني بشكل عام، والايزيدي بشكل خاص؛

لا نقول كان من باب المستحيل، بل كان بعيداً عن التصور أن يفكر إنسان في القرن الحادي والعشرين بوجود مجموعات كوردية ترفع راية (الجهاد) ضد كورد آخرين؛ مجموعات من الكورد المسلمين ضد إخوانهم من الكورد الايزيديين!!

لقد كشفت حادثة الشيخان وما تلتها من حوادث سيطرة الشعور الديني- العشائري على الشعور القومي اليوم في كوردستان. لذا نعتقد، بل يجب، على حكومة كوردستان، وعلى كل كوردي مخلص من وطنيين وكتّاب ورجال سياسة وفنانين..الخ أن يتوقفوا عند هذه النقطة وينطلقوا منها: لماذا الشعور العشائري-الديني أقوى من الشعور القومي والوطني اليوم؟ وكيف السبيل الى معالجة هذه النقطة الجوهرية؟.كيف نتمكن

من جعل ولائنا لوطننا وقوميتنا أقوى بكثير من ولائنا للدين، بمعناه التطرفي، والعشيرة؟.. هذا سؤال موجه الينا جميعاً.

منذ حادثة الشيخان ولحد هذه المحاضرة أصبح الايزيديون وديانتهم، على الأقل في الاعلام الكوردستاني، المادة شبه البارزة التي تتصدر صفحات الجرائد وبرامج التلفزيون والمواقع الالكترونية وغرف البالتوك، وقد كتبت العشرات من المقالات والأخبار الصحفية والمناقشات بشأنها هنا وهنالك.

إذا كان هنالك نوع من الميل والتعاطف تجاه الايزيديين من قبل الغير منذ ١٥/شباط/٢٠٠٧ والدفاع عنهم والمطالبة بحمايتهم، فانه – مع الأسف الشديد– بمقتل الفتاة غير البالغة (دعاء خليل أسود) يوم ٧/نيسان/٢٠٠٧ بطريقة وحشية من قبل مجموعة حاقدة ضالة مجرمة في بحزاني، أفقد الايزيديون – شئنا أم أبينا– ذلك التعاطف وتلك الصورة ولو بصورة مؤقتة، حين استغلتها أطراف معينة ضد الايزيديين عموماً لتحقيق مآربهم وأهدافهم.

لم يتوقف هذا العمل الوحشي الجبان عن حدوده، إنما جلب بعد فترة قصيرة جداً المآسي والتنكيل وفتاوى إبادة الايزيديين!! بحيث قتل الارهابيون (٢٤+٢) من أهالي بعشيقة/بحزاني وعين سفني في مدينة الموصل في طقس دموي همجي تعكس تفكير وأخلاق الارهابين ومن يدعمهم ويمولهم!!.

كيف جرت وتطورت الحوادث بتلك الأشكال التراجيدية؟!

من الطبيعي أن تكون هنالك العديد من الأسباب والعوامل التي أوصلتنا الى تلك الحوادث، سنتوقف عن أهمها، ونشير الى البعض الآخر بشكل لا يخلو من الدبلوماسية، لأن قول الحقائق في بعض الأحيان يجلب نتائج غير مرجوة لأسباب تتعلق بطبيعة النظام السياسي ومستوى تطور المجتمع الذي نعيش فيه.

يمكن تقسيم القضية/ المآساة التي نحن بصددها الى النقاط التالية:

أولاً/ الأسباب

ثانياً/ النتائج

ثالثاً/ المعالجات

فيما تخص النقطة الأولى، وكما سبقت الإشارة إليها أن هنالك العديد من الأسباب والعوامل الذاتية والموضوعية التي قادت الى تلك الحوادث، لا يتحمل مقال ولا تتحمل محاضرة الوقوف عند تفاصيل كل نقطة، إلاّ أن ذلك لا يمنعنا من الإشارة بشكل سريع الى الأسباب الرئيسية؛

١- وضع العراق العام: بعد تحرير العراق يوم ٩/نيسان/٢٠٠٣ وإسقاط النظام الشمولي وإنهيار جميع مؤسسات الدولة، انتشر الفلتان الأمني في كل مكان واستغلت عناصر البعث، بعد أن قام الأمريكيون وجهات أخرى بحمايتهم وعدم الانتقام منهم الى، الفرصة واستعادوا بعض تنظيماتهم، وشكلوا العديد من المجموعات الارهابية تحت أسماء دينية وقومية والتعاون مع عصابات القاعدة، وقام بقايا البعث ومن لفّ لفهم بزرع الارهاب في كل مكان مرة أخرى، ولجأوا الى التفجيرات وقتل المدنيين على أمل إعادة النظام الديكتاتوري. كما شارك مع عصابات البعث غربان العرب من أقصى دول المغرب العربي مروراً بمصر والسودان واليمن ودول الخليج الى أن تصل الأردن وفلسطين وسوريا، وكذلك المجرمين من خريجي سجون ومعتقلات الأنظمة العربية، يضاف الى كل ذلك قوافل من عملاء ومخابرات دول الجوار مثل سوريا وإيران وتركيا.

٢- إنتشار الأفكار الدينية والمذهبية المتطرفة في الشرق الأوسط بشكل عام والعراق بشكل خاص، وانتشار تلك الأفكار الدينية المتطرفة بين الكورد المسلمين أيضاً. مما يؤسف له أن الكثيرين الوطنيين والديمقراطيين وحتى اليساريين قد تأثروا بهذه الدرجة أو تلك بالأفكار الدينية وانجرفوا مع التيار الظلامي وتاهوا في لجته.

أليست ظاهرة تجلب الانتباه أن نلاحظ مجموعات غير قليلة تركت أوطانها في الشرق كانت متحررة من الكثير من القيود الدينية، إلاّ أنها هنا في الغرب تعود للتزمت الديني وفرض الحجاب على نسائهم وبناتهم؟!.أليست ظاهرة تجلب الانتباه وتضع أكثر من سؤال، أن نرى داخل دوائر أقليم كوردستان، ومقرات حزبية لأحزاب كوردستانية علمانية حاكمة وغير حاكمة في كوردستان مساجد صغيرة؟!.هل هذه الدوائر والمقرات والمنظمات هي أماكن لتمشية أمور المواطنين وتقديم الخدمات لهم وتوعيتهم سياسياً وثقافياً، أم هي أماكن لمنافسة الجوامع والمساجد ودور العبادة؟!. عندما سألنا بعض المسؤولين الحزبيين عن سبب هذه الظاهرة، كانت حجتهم أن يقطعوا الطريق على

الأحزاب الدينية كي لا يتهموهم بالعلمانية، ويكسبوا الجماهير المتدينة بدل كسبهم من قبل الأحزاب الدينية!!. نترك للقراء الحكم على هذا المنطق.

المشكلة الأخرى هي إدعاء كل دين انه دين الحق وما عداه باطل! وهنالك من يعيش في القرن الحادي والعشرين ويريد أن يحارب طائرة الشبح بسيف القرن السابع، وينافس الكومبيوتر والانترنيت وجميع التقنيات العلمية الجبارة بالتعاويذ والتكبيرات!!. وتريد مجاميع أخرى تعيش في هذا القرن وعصر غزو الفضاء الكوني أن تطبق قانون العشيرة وشريعة الدين والمفاهيم البالية على الناس!!

٣- أن الأفكار المتطرفة المنتشرة اليوم لدى الكثير من المسلمين، ولدّت بالمقابل التطرف الديني لدى بعض الايزيديين أيضاً حسب قانون " لكل فعل ردّ فعل يساويه في المقدار ويعاكسه في الاتجاه" علماً كان هنالك تعصب ديني لدى مجموعات من الايزيديين لكنه ازداد هو الآخر بشكل ملفت للانتباه لأسباب كثيرة. (ينظر متن الكتاب ص ٢٠٣ و٢٠٤ موضوعة: الأرواح البريئة لمجزرة بعشيقة وبحزاني تنادينا لمن نشتكي!) يضاف الى تلك الأسباب:

- أخطاء الحزبين الكوردستانيين الحاكمين في تعينهما في المؤسسات الحكومية الرسمية والاختصاصية لأشخاص ايزيديين يتصفون بإحدى الأوصاف التالية (أو جميعها معاً):

١- عدم الكفاءة؛

٢- ذو ماضي غير نظيف؛

٣- يعمل لمصلحته اكثر مما يعمل لمصلحة الايزيدياتي وعموم مصلحة كوردستان؛

- أخطاء بعض من الحزبين الكوردستانيين وعدم معرفتهم لطبيعة المجتمع ونفسية الفرد الايزيدي وكيفية التعامل معه، أدى الى حالة من التململ وعدم الثقة بين الطرفين؛

الأسباب المذكورة أعلاه وغيرها من الأسباب السياسية والإقتصادية والإجتماعية وقلة الخدمات، إضافة الى عوامل نفسية وتراكمات الماضي الأليمة، أوصلت الايزيدية الى يوم ١٥/شباط/٢٠٠٧ (حادثة الشيخان)، عندما استقل شابان ايزيديان فتاة كوردية مسلمة في سيارتهم من عين سفني الى دهوك حسب الأخبار المتداولة آنذاك، وقامت قوات حفظ الأمن بإعتقال الثلاثة في احدى نقاط التفتيش بين باعذرة ودهوك.

زرعوا بذرة لو، فلم تنبت!

رغم كل ما ذكر من أسباب وحيثيات، (لو) تعاملت قوى الأمن (الآسايش) وبعض الدوائر الحكومية والحزبية ذات العلاقة إضافة الى أمير الايزيدية مع الحدث ومع أولياء أمرالطرفين (الفتاة والشابين)، لما كانت القضية تتطور وتستفحل الى ما لاحظناه لاحقاً، وما كنا نسمع بـ " حادثة الشيخان" بالشكل الذي رأيناه وسمعنا به، كيف:

- إذا كان القبض على الشابين الايزيديين والفتاة المسلمة من قبل قوات الأمن خطأً كبيراً، فإن إطلاق سراحهم تحت أية حجة وبذلك الشكل كان الخطأ الآخر القاتل، وربما بداية الجريمة من دون أن يقصدوا طبعاً، كون مسؤولي الأمن من أبناء المنطقة ويعرفون حتماً مدى حساسية المسلمين من الناحيتين الدينية والعشائرية تجاه الآخرين، كيف تخرج بناتهم مع شباب ايزيديين! هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان مهمة جهاز الأمن هي مراقبة الارهابيين وأعداء الشعب الكوردي الذين يخططون ويعملون لزعزعة الأمن والاستقرار، مهمتهم هي الحفاظ على أمن كوردستان ومواطنيها، وليس التدخل في هكذا قضايا، فهم ليسوا بشرطة آداب في كل الأحوال!

- كان يفترض على أميرالايزيدية أن يتصرف بشكل حكيم وهو العارف قبل غيره بخطورة هذه المسائل، ويقوم باحضار الشابين بعد أن طلب منه من قبل والد الفتاة وأقاربها الذين جاءوا الى بيته وطلبوا منه تسليمهم اليهم، وكانت حجتهم دون أن يعلنوها أمامه صراحة " أن الأمير نفسه و تحت ذريعة (غسل العار) كان وراء قتل حفيدته مع شابين ايزيديين في منطقة الشيخان بداية شهر آب/٢٠٠٦! فكيف به يرفض تسليم الشابين المتهمين بمصاحبة إبنتهم اليهم؟!

هذا لا يعني إني مع القتل واللجوء الى قانون الغاب وتسليم الشابين الى تلك المجموعة لقتلهما والانتقام منهما، لكن يدرك الجميع حساسية هذه الحالات في مجتمعنا، كان على الأمير أن يبلغ في نفس اللحظة الجهات الحكومية الحزبية وقيادة أقليم كوردستان ويسلم الشابين الى الحكومة في نفس اليوم وبحضورهم ليسد الطريق أمام إحتمال قيام أية حادثة مؤسفة بمستوى الذي سمعنا بها لاحقاً؛

ج - كان يفترض بعائلة الفتاة وعشيرتها وأقاربها الذين تربطهم مع الايزيدية علاقات الجيرة والصداقة منذ زمن طويل، أن يعالجوا تلك القضية الاجتماعية مع عائلة

الشابين بمشورة أمير ووجهاء الايزيدية في الشيخان، دون أن يلجأوا الى توسيع دائرتها وتحويلها الى قضية دينية بين الايزيديين والمسلمين؛

ه- (لو) كان القانون قد أخذ مجراه ولعب دوره في حادثة قتل (حفيدة أمير الايزيدية الحالي) ذي الستة عشر ربيعاً مع شابين ايزيديين يوم ٨/ آب/٢٠٠٦ بشكل بشع بالقرب من الشيخان في محاسبة الجناة، لما كنا نسمع تطاولاً على القانون مرة أخرى في قضاء الشيخان بعد مرور أقل من خمسة أشهر!. جاء قتل هؤلاء المراهقين الثلاثة الذين تقل أعمارهم عن السبعة عشر عاماً في طقس إحتفالي وحشي مقزز تم تصويره بالهواتف النقالة، ووصل الخبر الى منظمات حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة والقوات الأمريكية وطالبوا بالتحقيق، إلاّ أن القانون الكوردستاني وبعض المسؤولين غطوا على الجريمة بحجة علاقتها ببيت الأمير!

«إرتباطاً بالموضوع وللتاريخ أكتب إنني كنت مدعو الى المهرجان الثقافي لمركز لالش/ دهوك يوم ١٣/تموز/٢٠٠٦ لألقاء محاضرة بعنوان: الايزيدية والكوردولوجيا، أكملت سفرتي الى كوردستان بإقامة بعض الندوات ولقاءات مع فضائية كوردستان ونشاطات أخرى لأغادر بعد ذلك من اربيل الى كولن وليس فرانكفورت هذه المرة يوم ٨/آب/٢٠٠٦، وأنا في طريقي من كولن الى كوتنكن إذا بمخابرة تلفونية من الشيخان تنقل لي خبر قتل (فتاة) مع شابين ايزيديين في طقس احتفالي وحشي بالقرب من عين سفني، مع ذكر تفاصيل أخرى لا حاجة لنا بذكرها. تألمت من كل قلبي للحادثة المؤلمة وللضحايا الثلاثة وخاصة البنت لأنه تربطني مع والدها وعائلته ومع أخوال المغدورة علاقات جيدة، ولأن البنت كانت بريئة بشهادة الجميع. وقفت صراحة ضد قتلهم ليس كيداً بأحد، بل انطلاقا من مبدأي الرافض للقتل عموماً ولوقوفي الى جانب حرية المرأة ومساواتها مع الرجل، وأخيراً أن تحل هكذا قضايا من خلال القانون وليس من خلال أحكام شخصية وأعراف عشائرية ودينية بالية. وقد عبرّت في أكثر من مكان؛ لو كنت محل أولياء أمر الفتاة، وأملك إقتدارهم لأعلنت العفو عنهم جميعاً كي أسجل بذلك سابقة في تاريخ الايزيدية والمجتمع الكوردي. سابقة في التسامح والعفو عند المقدرة كما يقال. وعبّرت عن رأي هذا لوالد الفتاة صراحة

في عين سفني بعد لقائنا أواسط شهر أيلول- حيث رجعت الى كوردستان بدعوة رسمية لأشارك في الكونفرانس الدولي حول الدراسات الكوردية في العاصمة أربيل للفترة من ٦-٢٠٠٦/٩/٩- وكان هادئاً جداً ولم ينفعل كأنه كان في قرارة نفسه مقتنعاً برأي!.»

ت- الشرقيون عموماً، ونحن الكورد من ضمنهم، نهتم بظواهر الأسباب ونهمل الأسباب الحقيقية سواء عن عمد أو عن دراية. إن أهم الأسباب التي ذكرناها حسب تحليلنا، (لو) تم التعامل معها بشكل عقلاني ومن خلال تطبيق القانون، لما كنا نصل الى أحداث الشيخان وما تلاها. عدم معالجة تلك الأسباب بالطرق الصحيحة، جعلها تتفاعل وتغلي على نار هادئة بحيث سمعنا ولاحظنا فجأةً خروج الأحداث عن السيطرة والإعتداء العلني من الجماعات الإسلامية المتطرفة على الايزيديين، وإعلان " الجهاد" ورفع تكبيرة "الله أكبر" في سماء الشيخان ضد الكورد "الكفار"!

الكيّ لا يزيل أسباب الأمراض المزمنة!

إذن بذرة " لو" لم تنبت، ويبدو أن أكثرية الأطراف ذات العلاقة بالموضوع لم تعي ما كانت تخفيه الأيام اللاحقة، ولم تتحرك بمستوى المسؤولية وحدث ما حدث في الشيخان يوم ١٥/شباط/٢٠٠٧, ورغم السيطرة على الأوضاع بأمر مباشر من رئيس أقليم كوردستان ومشاركة جهات أمنية وقوى البيشمركه لحفظ الأمن، إلاّ أن التحقيقات لم تأخذ دورها بالشكل المطلوب والحاسم، وبقي العديد من رؤوس إشعال الفتنة- حسب اعتقاد أهالي الشيخان- مطلقي اليدين يتنقلون في الشوارع. لقد ولّد هذا الاعتقاد لدى ايزيديي الداخل والخارج شعوراً بالإحباط، وتوتراً في الأعصاب، وإضطراباً في العامل النفسي يبحثون عن أية فرصة يفرغون فيها مشاعر الغبن والاهانة التي لحقت بهم مجدداً.

كانت الفرصة الأولى للهروب من الواقع هي محاولة التوجه الى الخارج، عندما إدعت إحدى منظمات اللاجئين في دمشق عن نية أمريكا قبول حوالي ١٥ ألف لاجئ، فهرع معظم الايزيديين الذين يملكون جوازات سفر الى سوريا لتسجيل أسمائهم لدى تلك المنظمة على أمل قبولهم لاحقاً في أمريكا أو أية دولة غربية أخرى! على أن لا ننسى

بأن الكثيرين من الكورد المسلمين أيضاً ذهبوا الى سوريا وسجلوا أسماءَهم للحصول على اللجوء في إحدى بلدان الغرب.

وجاء إنفجار البركان الثاني في فترة زمنية قصيرة جداً بعد مرور شهر واثنان وعشرون يوماً فقط من حادثة الشيخان (١٥/شباط7 نيسان/٢٠٠٧) وذلك بقتل (دعاء خليل أسود) ذي السبعة عشر ربيعاً التي ارتبطت كما قيل بعلاقة غرامية مع شاب مسلم (عربي) من نفس منطقتها.

إن الفعل الاجرامي الذي أقدمت عليه مجموعة مجرمة ضالة من شباب بعشيقة وبحزاني بقتل الفتاة المغدورة (دعاء) بطريقة وحشية، أقل ما يوصف كونه " إنتحار أو جلد الذات" الجماعي؛ وهو يشبه الى حد ما تصرفات اولئك الغوغائيين المنتشرين في مناطق الأرض والذين ينتقمون من دمى تشبيهاً برؤساء الدول أو شخصيات بارزة، أو يحرقون الأعلام!! هل كان قتل "دعاء" بهذه الطريقة عملية إسقاط حسب مفهوم علم النفس وإنتقام من ظلم الفكر الديني الاسلامي المتطرف على الايزيديين، أم كان وراءها أسباب أخرى؟

إنه هذا وذاك، وجريمة القتل تلك كانت حلقة من سلسلة طويلة من تراكمات عدة؛ دينية وإجتماعية وسياسية وقانونية ومن مخلفات المجتمع العشائري الذكوري. عليه من السذاجة حصر مثل هذه العمليات والأفعال في سبب واحد، أبدأ من الزاوية السياسية كونه الحاضر غالباً، وأطرح بعض الأسئلة فقط:

١- هل هو من باب الصدفه أن تحدث جريمة القتل يوم ٧/ نيسان (ميلاد حزب البعث)؟!

٢- هل يعقل أن يقوم إنسان، أو مجموعة ناس، بقتل إنسان آخر بهذه الطريقة الوحشية، وهذه القساوة (الرجم) إذا لم يكونوا من أصحاب السوابق في القتل والتعذيب، وإذا لم يكونوا من خريجي الأجهزة القمعية (الأمن والمخابرات) ومن منظمة فدائيي صدام؟!

٣- إذا كانوا فعلاً ايزيديين مؤمنين، لماذا صوروا الضحية عارية بالهاتف النقال، وأوصلوا تلك اللقطات الى قيادة الإرهابيين في الموصل سواء نفس اليوم أو بعد ذلك؟!

أليست هذه أسئلة مشروعة يحق لنا طرحها؟.

أما إذا نظرنا الى هذا الحدث من المنظور الديني والاجتماعي، يمكن القول أنه لا أحد يختار دينه بمحض ارادته وحريته، لذا فلا عجب بعد أن يبلغ الانسان سن النضج يبدأ لأسباب عديدة التفكير بتغيير معتقده، أو عدم الايمان بأي معتقد كان. وفي حالات كهذه لا يعني ذلك بتاتاً تحويل الشخص من دين (الباطل) الى دين (الحق)، كل قوم بما لديهم فرحون، وتدّعي كل جماعة في هذا الكون أنها على حق، ودينها هو دين الحق وما سواه على باطل. في الواقع لا وجود للحق والحقيقة المطلقة، وأن جميع هؤلاء لا يجارون الحقيقة، كما أدنت بشدة قتل " دعاء"، أدين في نفس الوقت تلك الأصوات العنصرية الدينية المتطرفة التي ظهرت في الموصل وفي بعض المحطات الفضائية والصحف العربية ومنها الالكترونية مثل: قناة العربية، بصرة نت، جريدة القدس،...التي صورت الايزيديين كـ" وحوش وكفرة" لأنهم قتلوا فتاة دخلت دين الحق حسب قولهم.

ليس الايزيديون المتطرفون على حق برجم الفتاة وقتلها، لأن الديانة الايزيدية لا تنقص بتلك الفتاة ولا هي نهاية الكون، علماً أنها لم تبلغ سن النضج. ولا المسلمين العنصريين المتعصبين على حق عندما يحتكرون " الحقيقة المطلقة" ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها على رؤوس الايزيديين بحجة أن فتاة ايزيدية جاءت الى دين" الحق" وقام الايزيديون بقتلها! ويعتبر هؤلاء من نظرة عنصرية أن من يترك الدين الاسلامي رجلاً كان أم امراة، مرتداً/مرتدة يجب قتله أو قتلها!.

اني على قناعة أن الاهتمام الشديد الى حد الغلو بصيانة المرأة والمحافظة على حسن سلوكها وعفتها، وأخذ الثأر وغسل العار الى غير ذلك من المصطلحات المتداولة، هي من مخلفات البداوة والعصبية القبيلة قبل أن تكون مفاهيم وتشريعات دينية. فالمرأة كانت عند البدوي وعاء النسب، " فاذا تلوث الوعاء تلوث محتواه به" (د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٦٠)

هذه هي الخلفية التاريخية لمفهوم الموقف من المرأة وجعلها وعاءاً لجميع مفاهيم العفة والشرف والضحية في نفس الوقت دون الرجل. وهي من مخلفات العصبية القبلية البدوية قبل أن تكون لها علاقة بالدين، رغم قناعتي أن الدين مؤسس في جوانب عدة

على الكثير من العادات والتقاليد القبلية العشائرية. والرجل في مجتمعاتنا " سوبرمان" لا تتلطخ سمعته إذا أقدم على المنكرات والرذائل ومارس اللواطة، ويبقى جسمه طاهراً لأن الله خلقه على صورته!!.هل كان نفس قتلة " دعاء" يقومون بقتل أحد أخوتهم أو أبناء عمومتهم فيما لو مارس فعلة اللواطة مع نفس الشاب المسلم الذي كان في علاقة غرامية مع "دعاء"؟...لا أعتقد ذلك. إذن ما دام مجتمعنا ذكورياً ولا يلعب القانون الوضعي دوره، ستبقى المرأة الضحية الأولى. فلنعمل جميعاً في القرن الحادي والعشرين من أجل المساواة التامة بين المرأة والرجل، وأن نصون كرامتها اسوة بكرامة الرجل.ولا ندع "المقدس " الذي يتكأ عليه بعض المفلسين والضعفاء، أن يلغي عقلنا، وبالغاء العقل سوف تنحدر القيم الانسانية الى الهاوية ويحل الخراب في الدنيا!.(مقطتفات من مقال: من آفغانستان الى ايزيدخان، تنتقل عدوى طالبان!!)

بالمناسبة أدانت قطاعات واسعة ومن موقع مسؤوليات متعددة حادثة قتل " دعاء" وغيرها، وفي مقدمة هؤلاء استنكر الوزراء والبرلمانيون والمسؤوليون الايزيديون حادثة بحزاني في بيان بتاريخ ٢٠٠٧/٤/١٩، وبيان استنكار من قبل غالبية الكتاب والباحثين والصحفيين والفنانين الايزديين في ٤/٢١ وكذلك نداء وبيان استنكار آخر بنفس الاتجاه صادر من كتاب ايزيديين ومسلمين. إلاّ أن السؤال الذي يقلقني ويثير لدي الشكوك ؛ لماذا تم تأخير صدور بيان الاستنكار من المجلس الروحاني الى يوم ٤/٢٧؟!...أليس تسليم تلك الفتاة المغدرة الى تلك المجموعة المتوحشة محل تساؤل وبعلم من بعض أعضاء المجلس الروحاني؟! لأنه وحسب التصريحات الرسمية لخسرو كوران، نائب محافظ الموصل، تم تسليم "دعاء" بعد نشر خبر علاقتها مع الشاب المسلم الى أحد وجهاء الايزيدية في بحزاني بتعهد خطي بعدم قتلها والاعتداء عليها، مع أخذ تعهد شفهي بنفس الاتجاه من أمير الايزيدية. وحسب العرف العشائري فأن الشخص الدخيل الى بيت آخر يلقي كل الدعم والمساندة الى حد التضحية بالروح من أجل الشخص الدخيل. وهنا كان يفترض بالمتعهدين ؛ إما أن لا يأخذوا عهداً على أنفسهم ويرفضوا مقدماً تبني حماية إنسان/إنسانة ملاحق، أو أن يكملوا المشوار. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تزداد لدي الشكوك حول تأخير صدور بيان إستنكار الجريمة بإسم المجلس الروحاني لمدة عشروناً يوماً بالضبط، حيث وقعت الجريمة يوم ٧/ نيسان وصدر بيان الاستنكار يوم ٢٧/نيسان!!

فوق كل ما قيل، يبقى القانون سيد الموقف، وعليه يوجه اليه النقد لأنه لم يؤدي دوره، وهنا يقف قانون كوردستان في قفص الاتهام كونه ظلّ صامتاً عن قتل الفتاتين (ل) و (دعاء)، حيث قتل كلاهن أمام أنظار الشرطة وعناصر الأمن ومئات من المتفرجين!!

* (لو) كان القانون قد أدى وظيفته في محاسبة مرتكبي الجريمة الأولى، لما كنا نصل ونسمع – أغلب الظن– بأحداث الشيخان، ولن تحدث جريمة قتل "دعاء" ومن بعدها قتل (٢٤+٢) شخصاً من شغيلة بعشيقة/ بحزاني والشيخان ولربما لم تحدث مأساة كرعزير وسيبا شيخ خدر!!
* إذا كان القانون لا يطبق على الأمراء والبيكات والأغوات ورؤساء العشائر والمسؤولين والكوادر، بل يطبق فقط على الفقراء والغلابة والمعترين، فإن المجموعة الثانية مغضوب عليها منذ الولادة، يولدون ولا تجد أمهاتهم قطعة قماش نظيفة تلف بها وليدها!
* لا ننسى أن هنالك (كوميتا كومه لايه تى–اللجان الاجتماعية) في كل مكان، نرجو أن تكون تلك اللجان مساعدة للقانون لا بديل عنها.

مهمة الأعلام:

النقطة الأخرى الملفتة للإنتباه ولها علاقة بحادثة قتل "دعاء"، هو أن الأعلام المرئي بشكل عام والكوردستاني بشكل خاص، لم يتناول الموضوع بشكل موضوعي من جميع جوانبه، بل ركز على عملية القتل – المدانة بكل القيم والأعراف– بحيث شوهت صورة الايزيديين جميعاً، ولا نقصد هنا أن ذلك الأعلام كان متعمداً، وإنما كان فهم وإستيعاب معدي تلك البرامج ليس بالمستوى المطلوب، ولم يدركوا أبعاد تعاملهم غير الدقيق مع هكذا مواضيع حساسة. وقد استغل هذا من قبل أعداء الشعب الكوردي، وأعداء تجربة كوردستان وقاموا بتضخيمها في فضائياتهم وصحفهم. لماذا إذن لم يبث الأعلام العربي، ولم تبث الفضائيات العربية صور الصحفية المغدورة (أطوار بهجت) التي اغتيلت على أيدي ارهابيين عرب في سامراء بطريقة أكثر بشاعة من طريقة قتل (دعاء)، حيث تم التمثيل بجثتها و...!! لكن كون الفاعلين " مجاهدين عرب" تم التستر عليهم!!

إضافة الى الأداء غير الموفق لبعض الاجهزة الأعلامية الكوردستانية، فان مظاهرة

إتحاد نساء كوردستان، كانت هي الأخرى غير موفقة من ناحية الشعار الرئيسي الذي رفعتهن المتظاهرات والذي اقتصر فقط حول مقتل "دعاء". بحيث يوحي للآخر الغريب أن الايزيديين ماهم إلا مجموعة من المتوحشين يقتلون بناتهم بهذه الأساليب الوحشية! وكان يفترض باتحاد نساء كوردستان وجميع الأخوات المشاركات في المظاهرة أمام برلمان كوردستان أن يدعموا الايزيديين في محنتهم تلك، ويرفعوا شعار " لا لقتل النساء في كوردستان"! وكان يفترض بالمشاركات أن يدافعن عن حقوقهن بالذات؛ كم منهن تزوجن كرهاً دون رغبتهن، وإذا كانت "دعاء" قتلت وماتت لمرة واحدة، فإن هؤلاء الأخوات في حالة موت مكرر بسبب معاملة ازواجهن السيئة لهن!.وكان يفترض باتحاد نساء كوردستان أن يستنكر، مع قتل "دعاء"، قتل ٥٣٣ من أخواتهن الاخريات في كوردستان لعام ٢٠٠٦! ويتذكرن هذه الأرقام التي كشفتها جمعيات ومنظمات حقوقية أجنبية فيما بعد، وكذلك يذكر تقرير اللجنة التي شكلها وزير حقوق الإنسان في حكومة الإقليم هذه الأرقام المذهلة:

«...خلال الخمسة أشهر المنصرمة من هذه السنة تعرض ٥٠٠ امرأة في السليمانية فقط إلى أنواع من القتل والاضطهاد والعنف والحرق والخطف والضرب المتعمد، وتعرضت ١١٠٨ امرأة في سنة ٢٠٠٦ في محافظة السليمانية إلى عمليات قتل أو محاولة قتل وحرق وخطف وحالات أخرى من الاضطهاد وفقا للتقرير. وتؤكد جمعيات حقوقية أن اليأس يدفع عشرات النساء إلى حرق أنفسهن هربا من قسوة التقاليد والأعراف العشائرية.

وكان تقرير وزارة حقوق الانسان أكد في نيسان الماضي أن عدد النساء اللاتي انتحرن أو قتلن عام ٢٠٠٥ كان ٢٨٩ إمرأة لكنه ارتفع إلى ٥٣٣ امرأة عام ٢٠٠٦ وازدادت نسبة الانتحار بين الضحايا من ٢٢٪ سنة ٢٠٠٥ الى ٨٨٪ عام ٢٠٠٦ وارتفعت نسبة القتل من ٤٪ سنة ٢٠٠٥ إلى ٦,٣٤٪ في ٢٠٠٦.

وأشار التقرير إلى أن غالبية النساء اللواتي يتعرضن إلى العنف تتراوح أعمارهن بين ١٣ و١٨ عاما، وحدد أنواع العنف الذي يمارس ضد المرأة، بالضرب والاعتداء الجنسي والتهديد بالقتل والسب والقذف والزواج القسري والخطف والابعاد عن الدراسة بالقوة...»

إنتهاز الفرصة الذهبية:

كما أشرنا في المقدمة، كلما اقترب موعد تطبيق المادة ١٤٠ كلما استشرس أعداء الكورد وصعدوا من أعمالهم الارهابية، والبحث عن أي منفذ لدق اسفين بين الكورد أنفسهم، خاصة والحالة هذه، استغلال الاختلاف الديني للدخول من خلالها الى خلق الاضطرابات وزعزعة الأمن والاستقرار في كوردستان الآمنة. وجاءت حادثة قتل " دعاء" هدية على طبق من ذهب عندما قدم لهم مجرمين مشبوهين صور القتل البشعة، وإدعى الارهابيون كذباً وبهتاناً أن المقتولة كانت قد أشهرت اسلامها. حيث أصدر "شيوخ" الارهابيين في "دولة العراق الاسلامية" في الموصل فتوى إبادة الايزيديين، وبدأوا بتنفيذ فتواهم يوم ٢٢/نيسان/٢٠٠٧ بقتل ٢٤ عاملاً ايزيدياً من عمال معمل النسيج في الموصل بشكل جماعي وحشي مع ذبح شرطيين ايزيديين آخرين من الشيخان بعد عدة أيام من تلك الحادثة الأليمة. ولم يتوقفوا عند عملهم الجبان هذا، بل أصدروا فتاوى أخرى بقتل كل ايزيدي يسكن مدينة الموصل، مما اضطرعشرات العوائل وأكثر من ثمانمائة طالب جامعي ترك بيوتهم ومقاعد دراستهم الى الأماكن الآمنة في كوردستان.

كيف نقرأ ونتعامل مع المشهد السياسي؟

١- الارهاب لا دين ولا إيمان له. الارهاب آفة العصر، سرطان القرن الحادي والعشرين، أنها حرب عالمية ثالثة بين الحضارة والتقدم بكل معانيها وبين التخلف والظلامية والعنصرية بكل معانيها؛

٢- يتطلب من الكورد(الايزيديين،المسلمين، الكاكائيين، المسيحيين، الشبك) وكذلك العرب الديمقراطيين والوطنيين الوقوف صفاً واحداً بوجه الارهاب والارهابيين، لأن الإرهاب لا يفرق بين هؤلاء، ورؤوسهم جميعاً مطلوبة للإرهابيين ومشاريع للقتل في أي وقت كان، إذن جميع الكوردستانيين في مركب واحد؛

١- أيهما أهم: الأرض والوطن، أم المعتقد والدين؟ صحيح لا يمكن تجريد المجتمع من المعتقدات والايمان الديني، إلاّ أن الانسان والشعب الذي لا أرض ولا وطن (بمعنى الكيان) له، لا دين ولا إيمان له! ربما الدين يعطي الانسان الشعور والإطمئنان

النفسي ويربطه بعالم غير منظور، أما الأرض والوطن فتعطيه كل شيء من معيشه وإطمئنان وهوية وتاريخ...الخ، وبهذا المعنى تأتي أولوية وقدسية الأرض والوطن ويجب:

– أن يعيش (أحمد ومحمد وعبدالرحمن مع خدر ولاسو وهفند، وكذلك مع مرقس ويوخنا ومردخاي..)

– ليس باستطاعة أحد من هؤلاء مهما وصل به تعصبه الديني أن يغير بسهولة الجغرافيا؛

– كما ليس بمقدور أحد من هؤلاء مهما كان متعصباً لدينه أن يرفض جاره المخالف له في الدين والمعتقد وما يحمله من أفكار سياسية؛

– وبهذا فإن كوردستان بمثابة مزهرية مزدانة بجميع أنواع الأديان والمعتقدات تعطيها الجمال والغنى الروحي والفكري؛

– فوق كل ذلك تعتبر كوردستان تلك الخيمة الجميلة الرحبة الرحيمة التي تحتضن هذا الطيف الجميل من الأديان والمذاهب والاثنيات ولا تفرق بينهم؛

– لذا فإن هدف العدو الحاقد من بقايا البعث وعناصر القاعدة وغربان العرب ودول الجوار هو زعزعة أمن وإستقرار كوردستان والقضاء على تجربته الفيدرالية؛

– منذ عام ١٩٩١ الى بداية هذا العام لم يتمكن العدو التعرض الى أمن كوردستان، والنيل من تجربة شعب كوردستان في إدارة نفسه وترسيخ كيانه وبناه التحتية، وجميع محاولاته بائت بالفشل؛

– انظر الى الفارق الكبير بين وضع العراق العربي وبين كوردستان حتى بداية عام ٢٠٠٧ من جهة الأمن والاستقرار والبناء والخدمات؛

– ويقوم عدو الكورد من البعثيين والقاعدة ورؤساء الجحوش ومستشاري السرايا بالتآمر على فيدرالية كوردستان وعقد اجتماعاتهم في دول الجوار مثل تركيا والاردن وسوريا ومصر، ويشترك مع هذا المخطط العدواني بعض حثالات الايزيديين ممن كانوا عملاء وخدم للنظام النظام البعثي الصدامي المقبور؛

– كل ذلك من أجل خلق خلاف وصراع بين الكورد الايزيديين والكورد المسلمين كما جرى في حادثة الشيخان وبعشيقة/بحزاني والذي راح ضحيته ٢٦ شخصاً بريئاً،

وترك أكثر من ٨٣٠ طالباً جامعياً دراستهم في جامعة الموصل، كما أدى ذلك الى ترك آلاف العمال الايزيديين خوفاً من الانتقام أعمالهم من زاخو الى السليمانية؛

– ولم يكتف الارهابيون وأعداء الكورد بقتل الأبرياء وتفريغ مدينة الموصل من الايزيديين والمسيحيين، بل فرضوا حصاراً إقتصادياً على منطقة شنكال ولم يسمح إيصال المواد التموينية والمحروقات والخدمات الطبية اللازمة لأهالي المنطقة؛

– وكانت نتيجة جملة هذه الأوضاع الشاذة سفر أكثر من خمسة عشر ألف ايزيدي من العراق الى دمشق للتسجيل في دائرة اللجوء، التي قيل أنها تابعة للأمم المتحدة وتريد سحب عدة آلاف الى أمريكا! أغلب الظن أنها كانت من ضمن خطط التشويه لإثارة بسطاء الايزيديين وخلق نوع من البلبلة قبل الاستفتاء، وكما صدر بعد ذلك من تقرير في أحدى الصحف الكوردية أن تلك المؤامرة كان بطلها أحد شيوخ الشمر الذي لديه مصاهرة مع ملك السعودية، جاء التمويل المالي من النظام السعودي والتنفيذ من الجهات السورية وعلى أراضيها!؛

ما العمل إذن، وماهي سبل المعالجة؟

نستطيع أن نلخص ذلك في نقاط معددة بالشكل التالي:

١– يفترض بالايزيديين أن ينتقدوا أنفسهم قبل توجيه أصابع الاتهام للغير، وأن يلتفتوا الى أنفسهم ويقوموا بترميم وضعهم الداخلي حيث أن بيتهم خراب في خراب ليس بإمكانه مواكبة العصر والمستجدات على هذه الشاكلة؛

٢– إيجاد لغة تفاهم مع المسلمين وبقية الأديان بدل المواجهة. إذا كانت الولات المتحدة الأمريكية بكل جبروتها حائرة في كيفية مواجهة المدّ الاصولي، فكيف بديانة صغيرة مثل الايزيدية لا تصل تعدادها في العالم كله المليون نسمة من مواجهة أكثر من مليار مسلم!؟!

٣– عمق الايزيدية الاستراتيجي هو الشعب الكوردي بقواه الوطنية وأحزابه العلمانية، وليست أوربا وأمريكا والغرب رغم أهمية منظمات حقوق الانسان والرأي العام في تلك الدول؛

٤– لا بديل لتحسين وضع الايزيدية ورفع الغبن عنهم غير النظام العلماني، ويتجسد

ذلك في فيدرالية أقليم كوردستان وكذلك لدى أغلبية الأحزاب الكوردستانية القومية؛

٥- سن قانون من برلمان كوردستان يعترف بجميع الاديان بشكل رسمي ويحترم حريتها جميعها على قدم المساواة ويحرم بموجبه إهانة الأديان؛

٦- سن قانون آخر من البرلمان يجيز للمواطن من أي دين كان بتغيير وإختيار دينه بدون إكراه ودون أن يقع تحت طائلة الملاحقة والتهديد والقتل؛

٧- التأكيد على التعايش بين جميع الأديان والقوميات صغيرها وكبيرها في كوردستان وعموم العراق وتوعية المواطن الكوردستاني بثقافة التعايش والتسامح وقبول الآخر؛

٨- التأكيد على الرسالة السلمية لجميع الأديان، وأن يكون الانسان هو مركز الاهتمام؛

٩- أن لا تأخذ ديانة بأكملها، أو مجاميع من معتنقي ديانة ما بذنب بعض المجرمين؛

١٠-أن يلعب القانون دوره، ويكون السلطان الأول لا يعلو عليه سلطان، ينظر للجميع بميزان الحق والعدالة؛

١١- إدانة كل جريمة ضد الانسان، خاصة المرأة، والتأكيد على حق المواطنة الكاملة والمساواة بين جميع مكونات المجتمع القومية والدينية والمذهبية؛

١٢-المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، وأن المرأة تملك أمر نفسها كما هو حال الرجل، ولا يحق لرجل الدين أن يتدخل ويفرض عليها كيفما يشاء؛

١٣- تفعيل دور الأعلام وخاصة الفضائيات كي تؤدي دورها الانساني في التوعية ونشر قيم العدالة والمجتمع المدني وإعتبار الانسان القيمة الأغلى في الكون وتخصيص برامج خاصة للايزيديين بلهجتهم الكوردية وتطويرها؛

١٤- مراعاة خصوصية الأديان الصغيرة، منها الايزيدية، ومحاولة الحفاظ على ديمغرافية مناطقهم خاصة في منطقتي الشيخان وشنكال؛

١٥-دعوة الحزبين الحاكمين في أقليم كوردستان وضع المصلحة الكوردية العامة فوق المصلحة الحزبية في تعاملهما مع شرائح المجتمع المختلفة؛

١٦-النظر الى هكذا جرائم، كجرائم ضد الانسانية وعدم حصرها ضمن نطاق دين أو مذهب بمفرده؛

١٧-تشكيل لجان دائمة من وجهاء ورجال الدين (المسلمين-الايزيديين-المسيحيين-

الكاكائيين-الشبك- المندائيين) للحوار والتباحث باستمرار حول المسائل والخلافات التي تبرز وايجاد حلول لها قبل أن تتعقد؛

نقدر عالياً موقف كل كوردي/كردية مسلم (مسلمة) وكذلك من الأخوة والأخوات العرب وغيرهم الذين وقفوا الى جانب أخوانهم الايزيديين في محنتهم، وإنتبهوا الى خطة الارهابيين في ما يسمى بدولة العراق الاسلامية في بيان صادر لهم يوم ٢٨/نيسان/ ٢٠٠٧ نشره الصحفي (عبدالواحد طعمة الحياة) يعترفون ويتباهون بقتل الايزيديين الـ ٢٤+٢ شخصاً من أهالي بعشيقة/بحزاني والشيخان ويهددوا ما تبقوا في الموصل بترك المدينة أو إعلان اسلامهم!. حقاً، ورغم الجريمة والمأساة، قدم الارهابيون خدمة كبيرة للكورد ولعملية الاستفتاء، وأعطوا قناعة لأولئك الايزيديين "القلقين" والمشبوهين أن لا حياة ولا مكان لهم مع "دولة العراق الاسلامية" ومع الارهابيين من أنصار القاعدة وبقايا حزب البعث البائد.

إستنتاجات وتوقعات:

ماذا كانت فترة الشهرين وسبعة أيام (٢/١٥- ٢٠٠٧/٤/٢٢)، أو ربما من تاريخ ٥/آب من عام ٢٠٠٦، تخفي للايزيدية من مفاجآة لم تكن في البال، وكان وقع تلك الأحداث من القوة لا تقل عن إعصار تسونامي، لأن تلك الأحداث هزّت كيان المجتمع الايزيدي من جذوره!..إذن ماذا يمكن للمرء أن يستنتجه من سير تلك الأحداث الدراماتيكية المأساوية من خلال العرض البسيط أعلاه؟

إذا تركنا أفعال وجرائم الارهابيين بحق الايزيديين عموماً، وبعد مقتل " دعاء" خصوصاً، كون اسلوبهم التكفيري لكل من يخالفهم الرأي والمعتقد معروف للجميع، كما أن نمط حياتهم ودينهم وحتى الاهم يختلف عن إله الآخرين! نحن لا نناقش ما يتعلق بهم، لكننا نحاول أن نشخص ولو بشكل بسيط الخلل الفكري في نسيجنا الاجتماعي الديني وفي البناء الفوقي الذي تعتبر السياسة والقانون كأحدى إنعكاساته وتجلياته. هل يمكن تبرئة الدين وتعاليمه مما يحدث من صراعات دموية داخل الدين الواحد وبين الأديان المختلفة؟

كلا طبعاً، حيث أن تعاليم كل دين تحمل بين طياتها الكثير من المتناقضات الحادة والصارخة أحياناً، والخفية أحياناً أخرى. فالى جانب الدعوة الى الأخلاق الحميدة

والمحبة والتسامح، فان كل دين يحتكر الحقيقة المطلقة ويعتبر ما سواه باطل وربما اعتبار الآخر المخالف كافراً يحلل قتله! ويفرق بين الجنسين، وتكون المرأة هي الضحية الأولى...الخ. ويجعل المجتمع المرأة وعاءاً لجميع مفاهيم العفة والشرف والضحية في نفس الوقت دون الرجل. وتعتبر تلك القيم والاعراف من مخلفات العصبية القبلية البدوية قبل أن تكون لها علاقة بالدين، رغم قناعتي أن الدين مؤسس في جوانب عدة على الكثير من العادات والتقاليد القبلية العشائرية. والرجل في مجتمعاتنا " سوبرمان" لا تتلطخ سمعته إذا أقدم على المنكرات والرذائل، ولا يقتل إذا مارس اللواط مثلاً، ويبقى جسمه طاهراً لأن الله خلقه على صورته!!. وفوق كل ذلك يأتي القانون المستند على الشريعة الدينية يقنن ويبرر تلك الممارسات الشاذة لصالح الرجل وضد المرأة فقط! كل ذلك لأن المجتمعات الشرقية، ومنها مجتمعنا، مجتمع ذكوري مركب على التفكير الجنسي، لا يقبل بالقوانين الوضعية وحينها ستبقى المرأة الضحية الدائمة بين سلطان الدين والمجتمع والسياسة والقانون. فلنعمل جميعاً في القرن الحادي والعشرون من أجل المساواة التامة بين المرأة والرجل، وأن نصون كرامتها اسوة بكرامة الرجل.ولا ندع "المقدس " الذي يتكأ عليه بعض المفلسين والضعفاء ورجال الدين، أن يلغي عقلنا، وبالغاء العقل سوف تنحدر القيم الانسانية الى الهاوية ويحل الخراب في الدنيا!.

كوتنكن في ١٥/ تموز/٢٠٠٧

أي مؤتمر تنتظره الايزيدية:

مؤتمر مصالحة وتعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وإنقاذ؟

غبطة وحذر:

أولاً: شعرنا بمنتهى الغبطة حينما قرأنا على صفحات الانترنيت إجتماع " فرقاء" الايزيدية في فندق هلال بدهوك واتفاقهم من حيث المبدأ على عقد مؤتمر موسع للايزيدية نهاية هذا العام في كوردستان. وقد عبّرنا في نفس الليلة عن تأييدنا للمؤتمر في رسالة على العنوان الذي أعلنه الأخ خدر دوملي، ونصها الى الأخ الدكتور ممو، جاء في بعض فقراتها: "...هذا ما كنّا ندعو ونؤكد عليه باستمرار في كتاباتنا (أي عقد مؤتمر عام)، لذا نضم صوتنا الى صوتكم وكان يفترض أن يعقد هكذا مؤتمر قبل سنتين أو أكثر، لكن مع ذلك نحن وفي هذا الوقت الحساس بحاجة ماسة الى عقد هذا المؤتمر، والذي نرجوه أن يكون مؤتمراً نوعياً لا شكلياً، وأن يتم تشخيص لجنة تحضيرية قادرة ومتمكنة لا تخضع لتأثير أي شخص بمفرده، بحيث تقوم تلك اللجنة باعداد جدول أعمال ومحاور حيوية ومواضيع نوعية للمؤتمر تأخذ مستقبل الايزيدية ككل بنظر الاعتبار، ويفترض في اللجنة التحضيرية المختارة أن لا يتم تشخيص أو إختيارها على أساس الارتياحات بل الكفاءة والاخلاص والمصلحة العامة، مع مراعاة التنوع وعدم نسيان العنصر النسائي وتمثيل الخارج. ويجب أن نعرف مقدماً أن المؤتمر لا ينجح إذا لم يقف ورائه الحزبان الحاكمان وحكومة كوردستان. ويجب أن نضع في البال أن لا يشغل المؤتمر وقته ومناقشاته فقط عند جمع النصوص الدينية– حيث أن أغلبيتها في متناول اليد، بل مهمة المؤتمر المزمع عقده أن يتناول ويعالج مسائل جوهرية في حياة الايزيدية الادارية والدينية والاجتماعية...الخ، نكرر دعمنا لهذا التوجه ويداً بيد نحو مستقبل أفضل ونحو ترتيب البيت الايزيدي المهدم..."

ثانياً: في الجانب الشخصي ورغم مشاعر الغبطة، ليس مهماً عندنا المشاركة في هذا المؤتمر أم لا، ولن يقتلنا الشوق في عدم الحضورلإحساسي– رغمً عدم صحة الحس في كثير من الأحيان– أن أفكارنا ومشاريعنا الاصلاحية ربما لن تروق جهات من

داخل الهيئة التمهيدية للمؤتمر وخارجه، وربما تفكر تلك الجهات أن تلك الأفكار تهدد مصالحهم، وبهذا لا أريد أن أكون عائقاً أمام المؤتمرمثلما فعل البعض عام ٢٠٠٠, هذا لا يعني تهرباً من ذلك النفر بل شعوراً متواضعاً مني للقاء الايزيديين ونجاح المؤتمر. المهم أن يكون المؤتمر نوعياً يشخص أورام المجتمع الايزيدي ويضع له حلولاً، ويخرج بقرارات تنسجم مع الأوضاع المستجدة داخلياً وخارجياً.

ثالثاً: من الناحية العلمية نعرف أن النظر الى الظواهر الاجتماعية والدينية من قبل الناس ليست ثابتة ومطلقة، بل تتغيران باستمرار. إن هاتين الظاهرتين ذات وجوه مختلفة ومتعددة، كل مجموعة من الناس تنظر اليهما حسب مستوى تفكيرها وفهمها ومصالحها الخاصة، من الصعب جداً، إذا لم نقل من المستحيل، أن يتفق جميع الناس على رأي واحد، فلهم من إختلاف مصالحهم وعواطفهم وعقدهم النفسية، ما يجعلهم مختلفين دوماً.

هواجس بإخراج المؤتمر من سكتَته:

بعد أسبوع تقريباً من نشر خبرَ الاجتماع الأول لعقد المؤتمر الموسع، قرأنا مقالات لكل من الأخوين خدر دوملي و غسان سالم " الطروحات كثيرة والآمال أكثر من مؤتمر الايزيدية ٢٠٠٧/٦/١٢) و "رؤى متناقضة حول المؤتمر الايزيدي ٦/١٩" و " لكي لا نعود بخفي حنين" وكذلك مقال الأخ فائز حراقي " حتى يختلفون على أماكن جلوسهم" وبعد مناقشات مطولة وربما حدّية وإلحاح البعض، جرى "الاتفاق" من حيث المبدأ، أو رغماً عن أنف البعض، على ثلاث محاور وهي:

- الايزيدية والمادة ١٤٠من الدستور العراقي،
- مشروع قانون الأحوال الشخصية،
- مطاليب الايزيدية في دستور إقليم كوردستان،

مع رفض شديد من قبل البعض أن تدخل نقطة الاصلاحات الى أجندة المؤتمر! ولم يتوقف اؤلئك "البعض" من صدّ فكرة مناقشة الأفكار الاصلاحية والإجراء بعض التغييرات داخل كيان المجتمع الايزيدي، لا بل حسبما يشاع ويتداول في الداخل، أن اؤلئك "البعض" لم يتوقفوا عند حدّ رفضهم لمناقشة فكرة الاصلاحات، بل يقومون بشن حملة على الاصلاحيين والايحاء لبسطاء الناس من الايزيديين أن هؤلاء، أي

الاصلاحيين، يحاولون إزالة الطبقات الدينية وبالتالي القضاء على أسس الديانة الايزيدية!!

بطبيعة الحال نترك موضوع الاشاعة وما يتم تداوله في الشارع الايزيدي كوننا لا نملك دليلاً مكتوباً، لنتخطاه ونتوقف عند الدليل الملموس في " محاور" المؤتمر الثلاثة المعلنة ونتف من المنشور هنا وهنالك.

مع إحترامنا الشديد للرأي الجمعي للاخوة والأخوات المتفقين على المحاور الثلاثة من خلال الاجتماعين الأول والثاني، إلاّ أننا نلاحظ وجود عدم فهم واضح لأمراض المجتمع الايزيدي وأولويات مطالبه على ضوء الأزمة الحقيقة التي يمرّ بها، أو بالأحرى تعمد البعض لأهداف خاصة ونفاق سياسي، إهمال تلك الأمراض والأولويات والقفز عليهما وبالتالي إفراغ المؤتمر الذي ينتظره الجميع ويعقد عليه الآمال من محتواه.

إن القرائن التي نؤسس عليها "هواجسنا" نابعة من الحديث المنشور لبعض الأخوة من الهيئة العليا لمركز لالش في دهوك، سواء في مقابلاتهم أو في مقالاتهم، حيث يأتي على لسان أحدهم على سبيل المثال " ان للمركز تحفظات بشان عقد المؤتمر الديني في هذه المرحلة الحساسة الذي قد تستغلها اطراف اخرى لأغراض سياسية تؤثر سلباً على تطبيق المادة (١٤٠) من الدستور العراقي(...) وبعد انجاح تطبيق المادة المذكورة سوف تكون البيئة ملائمة لعقد هكذا مؤتمر يخص باجراء التغيرات الاجتماعية."

ويتهم أخر في مقال منشور له أناساً يريدون: "...جرنا الى متاهات وافكار لا اقول عنها دون كيشوتية وانما في هذه المرحلة تقودنا الى التفرقة و الشرذمة التي منها ما يجب أن تكون عليه مواصفات سمو الامير وفضيلة بابا شيخ واعضاء المجلس الروحاني وأن يكونوا من خريجي كليات اللاهوت ومسألة الطبقات الدينية و الكتاب المقدس ومن هو شرف الدين و ايزي الايزيدية ودور الشيخ ادي....الخ، حيث رؤيتي المتواضعة و رؤية العاملين في مركز لالش أن نركز على المحاور التي تجمعنا ونجد الحل المناسب لها و نؤجل محاور اخرى الى ظرف انسب بل و محاور منها الزمن كفيل بعلاجها ومن ينوي خدمة مجتمعه عليه أن يمشي وراءهم لا أن يركض امامهم.." (من مقال رفقاً بفائز الحراقي...). الله على روح الايزيدياتي النقية المخلصة، وعلى الحرص العالي للمّ شمل الايزيديين! هل تناسى هذا الأخ المثل العربي القائل (احنه ولد الكريّة،

كل من يعرف خيّه) أي (نحن أبناء قرية واحدة وكل منا يعرف الآخر أو أخوه). كفانا مزايدات وخداع ولفّ ودوران وضحك على الذقون!ألا سألتم أنفسكم: من هم سبب تفرقة وشرذمة الايزيديين؟!

ان تطبيق المادة ١٤٠ من الدستور العراقي وارجاع المناطق المتنازع عليها مثل كركوك وخانقين ومناطق الايزيدية في الشيخان وبعشيقة/بحزاني وشنكال هو مطلب وأمنية كل كوردي وطني شريف، إلاّ أن ذلك المطلب وتلك الأمنية لا تتحقق من خلال إصدار قرار من داخل أروقة مؤتمر قبل شهر أو شهرين من موعد إجراء الاستفتاء، بل يفترض أن يجري العمل والأعداد له منذ سقوط النظام وإقرار الدستور بصيغته المؤقتة (م٥٨) وبعد إقرار الدستور الدائم (م١٤٠) حيث أن هنالك وزارة خاصة في أقليم كوردستان بالمناطق المتنازع عليها. وتأتي أيضاً من خلال عملية متواصلة من التوعية وعن طريق تقديم الخدمات لتلك المناطق والاهتمام بها أكثر من غيرها، ولا يأتي من خلال إصدار فتاوى!

يبدو لنا أن تحصين واحتماء " بعض" الاخوة بالمادة ١٤٠ وإصرارهم أن يكون محوراً أساسياً، بل ربما شرطاً، من شروط ومحاور المؤتمر الايزيدي الموسع المزمع عقده ورفضهم إدخال محور الاصلاحات ومناقشته داخل المؤتمر، هو قول حق يراد به باطل وتحرك ذكي، لكن مكشوف وفاضح يراد به ما يلي:

– منافسة الآخرين من الذين طرحوا فكرة عقد المؤتمر، وعدم السماح لهم أن يبرزوا الى الصدارة ويستغلوا نجاح المؤتمر لصالحهم، لأن هؤلاء "البعض" ليسوا الطرف الرئيسي والمقرر والداعي والراعي للمؤتمر، فأنهم بهذه المحاور، رغم أنها خرجت في النهاية بشكل جمعي، يريدون حرف المؤتر عن مساره؛

– أن بحث الاصلاحات وإجراء بعض التغيّرات داخل المجتمع الايزيدي وايجاد مرجعية دينية وإدارية منتخبة، وأي تقارب ايزيدي حقيقي ليس في صالحهم، لأن مراكزهم سوف تتزعزع وإمتيازاتهم تتهدد؛

– أنه نفاق سياسي (خاصة تأكيدهم على محور المادة ١٤٠) هي محاولة كسب ود قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني بشكل خاص، كونهم الحريصون على تطبيق هذه المادة والمخلصون للكورديتي! وربما توريط أو احراج آخرين يرفعون أصواتهم

ليقولوا: ليس المادة ١٤٠ هي المحور المناسب لمناقشته في المكان والزمان المناسبين/ المؤتمر، ليبدأ ذلك "البعض" من جديد بدق الطبول وإعادة "القوانة" المشروخة لأيام زمان: " هؤلاء يريدون مؤتمر تعريب ولا يريدون أن ترجع مناطق الايزيدية الى أحضان إقليم كوردستان!" لكي يعيد التاريخ نفسه من قبل نفس المجموعة مثلما حدث حول مؤتمر الايزيدية العالمي عام ٢٠٠٠ في هانوفر!

– إبعادهم لفكرة مناقشة الأصلاحات– يعرفون بالضبط ماذا يريد الأيزيديون من الأصلاحات– هو محاولة التقرب من الأمير وبيت الإمارة بشكل خاص ومن الايزيدية بشكل عام وتبييض الصفحة، والاظهار أنهم الحريصون على أسس الدين والمدافعين عنه، خاصة بعد النشاطات الأخيرة التي جرت وتجري على الساحة الايزيدية سواء داخل العراق أو خارجه وقد استبعدت عنها تلك المجموعة؛

– يضاف الى كل ذلك الاصرار على هذه المحاور المعلنة ورفض قبول محور الاصلاحات يترك لهم الباب مفتوحاً، إذا طالبت أطراف أخرى ونجحت في تثبيت نقطة الاصلاحات، أن تعلن تلك المجموعة عن انسحابها من الهيئة التحضيرية للمؤتمر وبالتالي إفشاله؛

كي لا يدورحديثنا ضمن العموميات، ولا تنبع هواجسنا من فراغ، نبدأ بمناقشة هذه (الهواجس) من منظور المنطق العلمي الاستقرائي وليس الاستنباطي؛ أي البدء من دراسة الجزيئات وتحليلها للوصول الى حقائق نسبية وليس مطلقة في كل الأحوال، ولن نبدأ، كما يشتهي البعض، من الكليات كي نتوصل الى نتائج جزئية غير دقيقة من ناحية التوجه والنتائج.

أن الأزمة التي تمر وتتخبط بها الايزيدية ليست حديثة العهد، أو أنها ظهرت بعد سقوط النظام الصدامي البعثي في العراق، بل أنها أزمة مستفحلة تعود جذورها الى عقود وربما قرون طويلة. الايزيديون كديانة يعانون من عدة أزمات خطيرة في مقدمتها أزمة القيادة وعدم وجود مرجعية (لا أحبذ استخدام كلمة المرجعية) دينية فاعلة، أزمة النظام والميكانيزم الديني الهلامي وتشابك الموروث العشائري الرجعي مع الموروث الديني القدسي، أزمة الاغتراب والشعور الدائم بالنقص، وجود العديد من بقايا آثار العبودية ضمن النسيج الاجتماعي للمجتمع الايزيدي، الى غير ذلك من العقد

المستعصية التي يفترض أن تعالج وتبحث عن حلول لها.

هذه المحاور/ العقد يفترض، بل يجب، أن تكون لها الأولوية في جدول عمل مؤتمر الايزيدية الموسع المزمع عقده داخل الوطن/ كوردستان، وبدون إيجاد حلول مناسبة تلائم روح العصر لها، سوف لن تقوم للايزيدية قائمة، وسيظلون مشتتين متخلفين عن الركب فيما إذا طبقت المادة ١٤٠ بحذافيرها، أو حتى إن وضعوا الايزيدية في إحدى كونفدراليات سويسرا!

أرى أن المحاور الثلاثة،رغم ضرورتها، ليست بتلك الأهمية،لتكون محاور رئيسية، لمؤتمر طال إنتظاره،وتعقد عليه آمال كبيرة، وسوف نبين رأينا، في هذا، بشيء من التفصيل.

المحور الأول: الايزيدية والمادة ١٤٠ من الدستور العراقي:

لا نرى أهمية مرجوة من طرح هذا المحور في المؤتمر للأسباب التالية:

١-كما أشرت سابقاً أن قضية المادة ١٤٠ لا تحل بقرار فوقي صادر من أروقة المؤتمر قبل شهر أو شهرين من إجراء الاستفتاء؛

٢- يفترض أن تكون مناقشة هكذا محور مع المخالفين والرافضين لإلحاق مناطق الايزيدية بأقليم كوردستان كي يتم اقناعهم بأهمية ذلك من جميع النواحي، فهل يوجد معارض ورافض لذلك التوجه من ضمن الهيئة التمهيدية؟ لا خوف لنا من الايزيديين الآخرين سواء المنتسبين للأحزاب الكوردستانية أو الوطنيين المستقلين حيث أن أصواتهم مضمونة لصالح القرار ١٤٠؛

٣-تكون النتائج أفضل ألف مرة فيما إذا تم عقد مؤتمر أو كونفرانس حول الايزيدية وحول مناطقهم من قبل حكومة كوردستان على غرار كونفرانس خانقين ٣/١٥ من هذا العام لمناقشة سبل تطبيق المادة ١٤٠ تشترك فيه عدة وزارات تتعهد بتقديم خدمات كل حسب مجالاتها؛

٤-أن المبادرة التي قامت بها حكومة كوردستان عبر الجهات ذات العلاقة بحل مشاكل الطلبة الايزيديين الفارين من جامعات الموصل وأداء امتحاناتهم بداية شهر تموز، وكذلك الحال بنقل البطاقة التموينية لأهل شنكال من محافظة الموصل الى دهوك

تقابل عشرين مؤتمراً كالمؤتمر المعلن عن محاوره حالياً؛

٥-ان قضية المادة ١٤٠ قضية سياسية بإمتياز لا تتوقف فقط عند رغبة الكورد المسلمين والايزيديين التصويت بنعم يوم الاستفتاء، إنما تتجاوزها لتلتقي عند مصالح محلية وأقليمية ودولية، وتدخل ضمن نقاط الأجندة الأمريكية وحلفائها ومصالحهم الحيوية في منطقة الشرق الأوسط بمفهومه الجديد. وحسب قراءتنا للوضع، ومتابعتنا للأخبار وتصريحات ومواقف المسؤولين الأمريكيين والبريطانيين والكورد حول تطبيق هذه المادة في موعدها، وموقف أمريكا من حزب العمال الكوردستاني، نشعر بشيء من التفاؤل، وأن مسألة ضم المناطق المتنازع عليها بدءً من كركوك وخانقين وإنتهاءً بشنكال هي مسألة وقت لا غير تنتهي عند نهاية هذا العام، أو لربما تأخيرها لعدة أشهر لإعتبارات فنية لا تغير من الموضوع شيئاً، وسوف تتم إنجاح عملية الاستفتاء كما نجحت أمريكا في أن يصوت أكثر من ثمانية مليون عراقي على الدستور الدائم ويثبوا فيه المادة ١٤٠ بشكل قانوني. نؤسس تفاؤلنا على تحليلنا لمجريات الأحداث أن لا مناص من خروج العراق من دائرة العنف والارهاب إلاً بتشكليل ثلاث فيدراليات أو أكثر، وربما في نهاية المطاف ثلاث كونفيدراليات ضمن خيمة دولة واحدة كما هو حال الدولة السويسرية. وسوف تكون كوردستان بوابة نجاح مشروع الشرق الأوسط الجديد وضمان بقاء القوات الأمريكية بسلام في المنطقة.

٦- إصرار البعض على إتخاذ هذه المادة منطلقاً لإبراز "حرصهم وإخلاصهم ووطنيتهم الزائدة " وتخويف كل من يقلل من أهمية طرحها كمحور أساسي في المؤتمر، ليس في صالح ذلك البعض، حينها يطرح سؤال مشروع من قبل قيادة الحزب الديمقراطي والايزيديين عموماً: ماذا قدم "المسؤولين" الايزيديين الذين كان تحت تصرفهم ميزانية شبه مفتوحة لبني جلدتهم قبل تحرير العراق وبعده؟ ولماذا هم خائفون من وجود مجموعات غير قليلة لا تريد التصويت لصالح انضمام مناطق الايزيدية؟ من المسؤول عن خلق هذه الحالة؟ ومن أوصل سفينة الايزيديين الى حدّ الغرق؟...نحن نعيش عام ٢٠٠٧ وليس عام ٢٠٠٠، ونتمنى من اولئك الأخوة أن لا يلجأوا مرة اخرى إلى نزعة الاسئثار والتشهير والاحتكار، فقد ولى ذلك الزمن بدون رجعة!

المحور الثاني: مشروع قانون الأحوال الشخصية

أن هذا المحور هو من مهام القانونيين ليقوموا بإعداد مشروع قانون حضاري متوازن تكون ركيزته الأساسية المساواة بين المرأة و الرجل، وبدون ذلك يكون المشروع ناقصاً يشبه قانون الأحوال الشخصية المستنبط من الشريعة الاسلامية. تطرح تلك المسودة على صفحات الجرائد والانترنيت للمناقشة، ويؤخذ أيضاً رأي المجلس الروحاني ليطرح بعد ذلك على جميع الايزيديين لإجراء استفتاء عليه ليكون مقبولاً من الجميع، وبعد كل ذلك يرفع لبرلمان كوردستان للمصادقة عليه. إن هكذا مشاريع قوانين حساسة لا يتحملها مؤتمر يعقد ليوم أو يومين.

هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى فان ما صرح به السيد مسعود البارزاني، رئيس أقليم كوردستان في جامعة دهوك – على ما أتذكر– حول فصل الدين عن الدولة، يضع أمامنا آفاقاً جديدة، فبعد تثبيت هذا المطلب في دستور كوردستان، معناه سيكون هنالك قانون وضعي ذات مقاييس حضارية لكل مكونات كوردستان الاثنية والدينية، ولن يجري التعامل مع قانون أحوال شخصية لكل دين أو مذهب. وحينذاك يكون طرح هذا المحور ومناقشته في المؤتمر مضعية للوقت.

المحور الثالث: مطاليب الايزيدية في دستور إقليم كوردستان:

لو كان للايزيديين قيادة فعلية لما انتظروا طول هذه الفترة ليقفوا ويناقشوا مطالبهم المفروض تثبيتها في دستور الإقليم!. مع ذلك لنقل لا بأس بذلك، رغم توقعاتنا أنها ستلاقي بعض الصعوبات والعراقيل.

الحتمية التاريخية:

أي مؤتمر إذن ينتظره الايزيديون: مؤتمر مصالحة وتعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وإنقاذ؟

نعي أنه ليس بإمكان مؤتمر واحد أن يعالج مشاكل الايزيدية المستفحلة والمتراكمة لمئات السنين. كما نتفهم ليس بامكان مؤتمر أن يتحمل الكثير من المحاور، ولن نتعجب من عدم إتفاق جميع الناس على رأي واحد، فلهم من إختلاف مصالحهم وعواطفهم وعقدهم النفسية، ما يجعلهم مختلفين دوماً. إلاّ أنّ الواضح لدينا أن المحاور المطروحة،

رغم الأهمية النسبية والظرفية للبعض منها، ليست هي التي تنقذ سفينة الايزيديين من الغرق وتأخذهم الى برّ الأمان. كما نرى ونشعر بوجود أيادي تريد عمداً تحريف المؤتمر عن مساره، وقد ذكرت مآرب وأهداف أولئك ولا حاجة للتكرار.

لقد دلت تجارب السنين المتراكمة بشكل عام، وأحداث أواخر عام ٢٠٠٦ وبداية عام ٢٠٠٧ (من شيخان الى بعشيقة/بحزاني) اننا كأقلية دينية غير تبشيرية أمام حتمية تاريخية لتقبل بعض الاصلاحات، لا يجوز غض النظر عنها والقفز عليها تحت حجج واهية ومفضوحة حقاً.

أن مسألة الاصلاحات يجب أن تكون لها الأولوية وأن تكون هي النقطة الأساسية أمام المؤتمرين، وتكون النقاط الأخرى فرعية. دون الدخول في التفاصيل (سوف نطرح في المستقبل برنامجاً اصلاحياً متكاملاً)، لكننا الآن سنكتفي ببعض النقاط الاصلاحية الآنية، على الرغم من ملاحظاتي على تشكيلة المجلس الروحاني ومفهوم ومكانة الإمارة المطروحة في مقالاتنا السابقة:

١- فصل الدين عن السياسة. بمعنى تشكيل " مجلس روحاني جديد وبمواصفات جديدة فعلاً بحيث يكون رجل الدين في ذلك المجلس بمرتبة البيشيمام والبابا شيخ وشيخ الوزير ورئيس القوالين وغيرهم على درجة من العلم والمعرفة والنزاهة ومؤهلين لتمثيل الأيزيدية في المحافل، يتم إنتخاب هؤلاء إنتخابهم حسب الكفاءة والسمعة بدون مقابل مادي من نفس السلالات والعوائل؛

٢- يتحول منصب الأمير الى منصب رمزي مثل النظام الملكي في كل من بريطانيا وهولندا والدانيمارك واسبانيا...الخ، لا يجوز له التدخل في الشؤون السياسية وتكون مهمته توقيع البروتوكولات والقرارات المهمة ويعيش من واردات أملاكه، أو ما يدفع له من الحكومة كمورد؛

٣- تشكيل هيئة أو مجلس إداري، أو أي اسم آخر يتفق عليه، عن طريق الانتخاب الديمقراطي الى جانب المجلس الروحاني مهمته متابعة الأمور السياسية والادارية والاقتصادية والاشراف على خيرات الايزيدية، وتمثيلهم في كل مكان. ومن الطبيعي أن تكون هنالك علاقات واستشارات بين هذه الهيئة والمجلس الروحاني الأعلى والأمير/ الرمز؛

٤- لن يكون الأمير عضواً في كلا المجلسين (الروحاني والاداري) بل كما قلنا منصب رمزي حسبما ورد في النقطة ٢؛

٥- تأميم خيرات جميع مقدسات الايزيدية من مزار لالش والسنجق وبقية المزارات مع الاتفاق على أن يدفع البابا شيخ نفسه جزءً من وارداته الى صندوق يكون تحت إشراف لجنة منبثقة من الهيئة الادارية وتصرف تلك الأموال على شؤون الايزيدية، ولا يكون للأمير أية حصة أو دخل في هذه الأموال؛

٦- إزالة بعض آثار العبودية بين الايزيدية مثل ظاهرة الـ(مريد) وجمع الـ (فتو- رسم - فرز) من قبل الشيوخ والأبيار منهم. الكلمات الثلاثة (فتو-رسم- فرز) هي كلمات عربية بمعنى جمع (الزكاة أو الفاتورة - الرسم هو الجباية والضريبة - والفرض) وجميعها تحمل مفهوم الأخذ بالقوة. على كل حال كانت هذه الضرائب والجبايات والرسوم تأخذ في فترة الشيخ آدي وإبن أخيه الشيخ حسن من قبل الأبيار حسب (مشور) أي وثيقة بأسماء العشائر والأفخاد والمناطق يزود بها البير ليقوم بجمع نسبة من المحاصيل الزراعية والحيوانية والنقود ويأتي بها ليودعها في الخزينة الموجودة في لالش. وكان البير ايسيبيان مسؤولاً لتلك الخزينة. بمعنى أنه في سالف الزمان كانت هذه الخيرات كلها تذهب الى الخزينة في لالش وتصرف على كافة الايزيديين. ولكن بمرور الزمن صار الشيوخ والابيار يجمعون هذه الخيرات ويستحوذون عليها لصالحهم، وجاء الأمير فيما بعد ليسيطر على الجميع!

٧- من مظاهر العبودية الثانية هي المتاجرة بالبنات والنساء وبيعهم كأي سلعة من السلع تحت اسم (المهر)، لذا يجب تحريم بيع النساء وإلغاء المهر تماماً؛

٨- مساواة المرأة بالرجل وتحريم قتل النساء تحت أي مسمى كان، خاصة المقولة البائسة والمتخلفة " غسل العار"!؛

٩- رغم ملاحظاتنا الكثيرة على طبقات الزواج، حيث لا مجال لطرحها هنا، ندعو الى إستحداث الطبقة السابعة لتجاوز الكثير من المشاكل مثلما حدث مؤخراً في الشيخان وبعشيقة/ بحزاني. تضم هذه الطبقة كل من يخالف- حسب المفهوم الايزيدي الحالي- شروط الزواج ويتزوج من غير طبقته. كلاهما ايزيديان يجري الاعتراف بهم. ويضم كل ايزيدي من كلا الجنسين إذا تزوج من خارج حدود ديانته

ويقبل أن يبقى ايزيدياً، أي يعترف بهويتهم. وتضم الى هذه الطبقة كل شخص أو مجموعة (من كلا الجنسين) من معتنقي الديانات الأخرى الذين يرغبون ترك معتقداتهم والايمان بالديانة الايزيدية وحمل هويتها.

ربما يستغرب الكثيرون من طرحنا هذا، ويستغفر المؤمنون مجرد سماعهم هذا النبأ، ويستغلها آخرون من باب النفاق والتشهير ضدنا، نبدي لهم ملاحظاتنا التالية بإختصار:

- للمتدينين نقول ليسألوا رجال الدين وفي مقدمتهم البابا شيخ: أليس بيرة هاجيال أخوال لشيوخ الشيح حسن بن الشيخ آدي الثاني؟ بمعنى كان هنالك شخص من عائلة الشيخ آدي متزوج من بيرة هاجيال. أليس شيوخ الشيخ حسن أنفسهم أخوال لشيوخ سجادين؟ ألا يعرف الجميع قصة الشيخ آلـ الشمساني مع بنت الشيخ حسن؟! بمعنى الزواج بين العائلتين الآدانية والشمسانية. إذن لماذا كان الزواج حلالاً زمن الشيخ آدي بين تلك الطبقات ويتم تحريمه اليوم؟!

- أليس أيزيدية جبل كورداغ؛ منطقة عفرين وحلب قد تجاوزا جلهم حدود الطبقات ولا يلتزمون بها، مع ذلك يزورهم باستمرار القوالون بمعية الطاووس (السنجق) ويلتقي معهم الأمير والبابا شيخ والبيشيمام وبقية رجال الدين ويتقبلون خيراتهم، وهم ايزيديون متمسكون بعقيدتهم ربما أكثر من الآخرين رغم الزواج المتبادل بين الطبقات. إذاً لماذا يتم الكيل بمكيالين!

- آلاف مؤلفة من خيرة الشباب والشابات والناس الطيبين من أبناء عشيرة واحدة، ومن جد قريب يعيشون على حدود واحدة، هذا مازال يعتنقد الدين الايزيدي وذلك تحول بسبب ما الى مسلم. لاحظ مثلاً أبناء عشيرة الماموسية يتوزعون بين قضاء الشيخان وآسكي كلك، وعشيرة القائيدية الايزيديون منهم في سينا وشيخ خدرى وشاريا، وأبناء أعمامهم في مناطق نيروى، وكذلك الحال عشائر البيدة والكوركوركية بين شنكال وديار بكر...الخ. إذن أين نظرية الدم النقي!

إذا كان هنالك من ايزيدي حريص يريد استمرار ديانته ويزيل عنه إحتمالات الانحلال والانقراض إضافة الى التفكير بمنطق إنساني أوسع وليس بمنطق عنصري(نقاوة الدم) يفترض به أن يكون مدافعاً عن النقطة التاسعة. وأننا نطرحها كي

تخرج الايزيدية عن كونها ديانة مغلقة الى تقبل نوع من حرية الاختيار.

بالمفهوم الانساني الأشمل، يعتبر الفكر، الفلسفة، العلوم ملكاً لجميع البشرية، ملكاً لكل من يؤمن بها. فإذا كان هنالك بشر يؤمنون بالهوية الايزيدية وفكرة طاؤوس ملك، لماذا يريد البعض إحتكاره لنفسه؟!

المجموعات والجهات تفكر بمصالحها أولاً وتستخدم عقولها ثانية، فهل يستغل الايزيديون هذه المرة مؤتمرهم ليفكروا ويعملوا بمصالحهم ويتركوا العقل بعض الشيء جانباً؟!!

كوتنكن في ٢/ تموز/ ٢٠٠٧

"النحل المتعلم" ومصير الايزيدية

"النحل المتعلم" كناية عن ثلة من الكتاب الايزيديين المتعلمين سواء الذين يكتبون بأسمائهم الصريحة أم المستعارة من جيل ما بعد تحرير العراق وسقوط النظام البعثي–الصدامي. وإختيار النحل من بين الكائنات الحيّة هو كناية عن الحركة الدائمة والكدح الى جانب الجمود وعدم التغيير الى النهاية، إن لم نقل الى أبد الآبدين، وهذا ينطبق الى حد كبير على عدد كبير من كتبتنا الجدد. طبعاً ليس المقصود من استخدام هذه الكناية الإهانة أو التصغير من شأن أحد، بقدر أن القصد منه، حسب إعتقادي، مراوحة هؤلاء في محلهم وعدم قابليتهم على الاستيعاب المطلوب، أو على الأقل معرفة أبسط أساليب المناقشة والحوار مع الرأي المخالف.

أسمح لنفسي أن أتكلم بصيغة الجمع نيابة عن الاصلاحيين الذين كتبوا بأسمائهم الصريحة، وجميع الذين ايدوهم أيضاً سواء بأسمائهم الصريحة أو المستعارة، لأننا نعتقد أن هنالك "خلايا نائمة" أو ما يشبه الجيش السرّي، خاصة من جيل الشبيبة من كلا الجنسين، ينتظر اليوم الذي يقول فيه كلمته.

كنا ننتظر بفارغ الصبر ردود الأفعال الايجابية والسلبية، ومستوى فهم المتلقي الايزيدي خاصة الشريحة المتعلمة (مستثنياً منهم الأسماء المستعارة التي تشتم كل من يخالف تفكيرها) على مقالنا الأخير " أي مؤتمر تنتظره الايزيدية، مؤتمر مصالحة وتعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وإنقاذ؟!" علماً أن الأخوين العزيزين (بدل فقير حجي) و (د. ممو فرمان) كتبا قبلنا موضوعين بشأن الإصلاحات، أحدهما تحت عنوان (الطبقة السابعة: الايزيديون والاصلاح) والثانية (الايزيدية والعصرنة؛ حتمية التغيير للخروج من الأزمة)، إلاّ أن المقالتين لم تتلقيا تلك الردود الجديرة بالانتباه حيث جاءت ردود هامشية في عدة أسطر وتحت أسماء مستعارة. أما مقالنا الأخير فقد أحدث حركة لابأس بها وحرك الأجواء الساكنة واستعاد الى الأذهان المقالتين السابقتين مع كاتبيهما الى الواجهة. نشكر كل من أيدنا بشكل علني من خلال مقالات مكتوبة أو إتصالات هاتفية وأصدقائنا الذين لن يعلنوا عن أنفسهم بعد لهذا السبب أو ذاك.

الشيء الذي يجلب الانتباه ويدعو الى الارتياح هو أن تبني قضية الاصلاحات

خرجت من نطاق بضع أشخاص الى نطاق تبنيها من قبل جمعية ثقافية ايزيدية (جمعية كانيا سبي)، رغم إعتراض أحد أعضائها، في بيان لها تحت عنوان " الايزيديون في ألمانيا ما بين الاندماج والاصلاح الديني" نشرت باللغة الكوردية والألمانية في ٢٠٠٧/٧/٢٤ ناقشوا فيها موضوع النظاع الطبقي والاندماج.

الحقيقة أن المقالات والردود التي ظهرت مع أو ضد فكرة وطروحات الاصلاحيين، أعطتنا شعوراً بالسعادة والاطمئنان لقراءة بوصلة تفكير المتعلم الايزيدي من جانب، علماً أن هذا المتعلم لا يمثل بارومتر المجتمع الايزيدي، وزودنا من الجانب الآخر معرفة الجبهة المؤلفة من الجهات والأفراد التي تلتقي مصالحها مع بعض، مع معرفة منهجهم وأدواتهم التي يريدون استخدامها في معركتهم مع المجموعات الاصلاحية، وبالتالي الأهداف التي يبغون تحقيقها من وراء ذلك. كما فتحت مقالتين،أحدهما بعنوان: (الطبقة السابعة اصلاح أم جرعة فتاكة؟) والثانية بعنوان (رأي مختصر حول المؤتمر المزمع عقدة) قريحتنا وشهيتنا للكتابة لتجاوزهما بشكل مكشوف اسلوب حوار الرأي الآخر المخالف حسب نظرتهم!.

المفرح– المحزن أن جلّ المقالات المعارضة جاءت متشنجة، بل أن قسما منها إجتاز حدود اللباقة والذوق ومناقشة الأفكار ليدخل باب التهجم والتجريح والمزايدة الرخيصة. بالامكان إستثناء مقال الأخ (وعد مطو) من هذا التصنيف لولا نعت أفكارنا بـ (الخطيرة). فقد التزم مقاله، ما عدا ذلك، بحدود الاحترام ومناقشة الأفكار وهو ما أفرحنا، بغض النظر عن أهدافه من وراء نقد الاصلاحات، وهو على كل حال ورغم خلاف توجهاتنا السياسية معذور، ونعتقد أن ردود القراء على هامش مقاله عبرت عن بعض الحقائق.

كما نريد أن نبينّ للقراء الكرام، أننا نترفع عن التوقف عند جميع الردود الشاتمة الحاقدة التي كتبت باسماء مستعارة، حيث ينطبق عليهم توصيف الشاعر الهجائي أبو الشمقمق، مروان بن محمد (٧٣٠–٨١٥م) عندما مرّ عليه إعرابي وشاهده بين حشد من الناس عند أحد معابر نهر دجلة ببغداد زمن هارون الرشيد، يحكي لهم عن الأحاديث والطرائف فيستأنسون به وهم فرحون. مضمون الحكاية هو بالشكل التالي: حين سأله الاعرابي: من هؤلاء يا أبو الشمقمق؟ قال: أنهم مجموعة من(...)! سأله الاعرابي: وكيف ذلك؟ قال أبو الشمقمق: انتظر قليلاً وسوف تقتنع بما أقوله. فقام

الأخر مخاطباً جمهور الناس: أيها الناس، حدثنا فلان بن فلان عن فلان.ووو... نقلا عن أبو هريرة أنه سمع النبي يقول " من يوصّل طرف لسانه الى أرنبة أنفه، له ثواب عظيم ومكان في الجنّة"! فأخرج كل من سمع قول أبو الشمقمق لسانه وأوصله الى أرنبة أنفه! وكان منظراً طريفاً ومضحكاً... التف ابو الشمقمق الى الاعرابي وقال له: ألم أقل لك أنهم (...)!!

سنحاول في هذا المقال أيضاً التوقف عند أكثر من محور:

– الأول: مناقشة نظرية لبعض المسائل الفكرية والاجتماعية عند المجموعات الأخرى وملاحظتها عند الايزيدية،

– المحور الثاني: عرض وذكر بعض مظاهر المجتمع الايزيدي بلغة مبسطة قريبة من فهم الناس كي يبصروا ببعض الحقائق،

– والمحور الأخير: اتجاهات وأهداف المهاجمين على الاصلاحات وأخذ موضوعة "الطبقة السابعة" ستاراً لتحركهم.

نؤمن بوحدة الوجود، وأن هنالك معادلة واحدة تحكم العالم وصيروة الكون والتوازن الطبيعي. ونؤمن بوجوب تعايش قوة الخير والشّر، الموجب والسالب، الظلام والنور معاً. ونعلم أن لا معنى وطعم للخير بدون وجود الشّر، والعكس بالعكس لا نعرف مساوئ الشّر إذا لم نضع أمامه منافع الخير. أن الخير والشّر وجهان لعملة واحدة. السكون في حال الطبيعة البشرية والمجتمع يولد الرتابة والملل ويقف العقل البشري عن العمل والتطور والابداع، إذاً لا بد من قوة دافعة، من حركة. الحركة في الكون هي الأصل والسكون هو الطارئ. وإذا جاز لنا مجازاً ربط قوة "الشّر" بالحركة وقوة "الخير" بالسكون، لكان بامكاننا القول أن قوة " الشّر" هي سرّ حركة الكون واكتشاف القوانين على مستوى الطبيعة والمجتمع. لولا الطوفانات المدمرة لما فكر الانسان من ابتكار أساليب الوقاية منها! ولولا الأمراض الفتاكة لما فكر الانسان قديماً وحديثاً من ابتكار علاج لهم!. أن فلسفة الديانة الايزيدية، كما نفهمه من خلال النصوص الدينية والأدب الشفاهي، تؤمن بالوحدانية الفكرية التي تتماشى مع طبيعة الكون وذلك من خلال تلازم قوة الخير وقوة الشّر في وحدة واحدة. وتخالف الايزيدية فلسفة الأغريق ومنطق (أرسطو) بالذات فيما يخص المبدأ الثالث (مبدأ الماهية) والذي يتضمن بدوره ثلاثة قوانين تعرف عند المناطقة بإسم " قوانين الفكر" وهي:

١–قانون الذاتية.

٢– قانون عدم التناقض.

٣– قانون الوسط المرفوع.

حيث أن القانون الثاني (عدم التناقض) ينص على أن الشيء لا يمكن أن يجتمع فيه النقيضان. فهو مثلاً إما حسن أو قبيح ولا يمكن أن يكون حسناً وقبيحاً في آن واحد.[٢]

إذن من أين أصاب الجمود فلسفة الديانة الايزيدية وبالتالي أثرت على أوضاعه الفكرية والإجتماعية والدينية، وأدى الى حالة من الشلل في جسم المجتمع؟... نعتقد حدث ذلك بعد إنشاء الدولة العربية الاسلامية على أنقاض الامبراطوريات والمعتقدات القديمة، وتأثير الدين الاسلامي وسيطرة أفكاره على المنطقة. صار المسلمون على يقين أن القرآن قديم قدم الله وهو كلامه ولا يحق لأحد أن يناقشه، إضافة الى قدسية الأحاديث التي جاء بها نبيهم، ويبدو أن متكلمي الاسلام تأثروا بالفلسفة الزرادشتية الأغريقية/ فلسفة أرسطوطاليس فيما تخص (قانون عدم التناقض) التي أشرنا اليها أعلاه. ونعتقد هنا لولا قوة " الشر" التي ابتكرته مخيلة العقل الاسلامي، التي وضعتها بالضد من قوة "الخير" لما نمى وتصلب عود الدين الاسلامي وصار له أتباع بالملايين بالشكل الذي نراه اليوم. إضافة الى عوامل أخرى بطبيعة الحال.

بقي موقف المسلمين الأوائل من الدين والقرآن بنفس الجمود الى أن ظهرت حركة المعتزلة على يد (واصل بن عطاء/ ت ١٣١هجرية– ٧٤٨م) الذي اعتزل عن شيخه (حسن البصري أبو سعيد/ ت ١١٠هجرية– ٧٢٨م)[٣] بسبب جواب على السؤال

(٢) للمزيد من المعلومات يمكن مراجعة الدكتور علي الوردي، منطق إبن خلدون، منشورات سعيد بن جبير/ قم المقدسة، ط١، ٢٠٠٥، الفصل الأول وما بعده.

(٣) بالمناسبة هنالك الكثيرمن الايزيدية (من العامة أو من الذين يكتبون مقالات أحياناً) وكذلك من غير الايزيديين، الذين لا يفرقون بين (حسن البصري أبو سعيد / المتوفي عام ٧٢٨ ميلادية) وبين (الشيخ حسن بن أبو البركات آدي الثاني/ ولد عام ٥٩١هجرية– ١١٩٤م) ، أي أن هنالك أكثر من خمسة قرون يفصل الشيخين الزاهدين عن بعضهما. وإذا كان هنالك من علاقة ربط وورود إسم (حسن البصري) بين الايزيدية، فهو تأثرهم بزهده وبفلسفة المعتزلة الذي قادها (واصل بن عطاء) أحد تلامذة حسن البصري.

الذي فرض نفسه آنذاك إثر إختلاف المسلمين في مرتكبي الكبائر. حيث (قالت الخوارج كلهم كفار وقالت المرجئة هم مؤمنون وقال حسن البصري هم منافقون، فاعتزل واصل بن عطاء ومن تبعه وقالوا هم فساق وليسوا بمؤمنين ولا منافقين ولا كافرين وهذه منزلة بين المنزلتين).[٤] ومن الناحية الأخرى فأن المعتزلة فلسفوا التوحيد وقالوا أن ذات الله بسيطة وغير مركبة، لأن المركب يحتاج الى أجزاء يتكون منها، والقول بأن ذات الله مركبة يؤدي الى خلل في وحدانية الله.[٥] ويقول المعتزلة أن كلام الله (يقصد به القرآن) مخلوق وليس بقديم وإنه أنزل على محمد وغيره من الأنبياء كأفكار نطقوا بها من الله. والمعتزلة يشترطون بإختيار الإمام الحاكم، ويشترطون إنتخابه من قبل الناس، وثانياً يلغون حصر الإمامة في قريش.[٦] وعلى يد المعتزلة نشأت الفلسفة الاسلامية.

نعتقد هنالك الكثير من المشتركات الفكرية بين فرقة المعتزلة والديانة الايزيدية لا مجال لذكرها في هذا المقال، ربما يكون لنا عودة اليه في مقال مستقل مستقبلاً. ودعت المعتزلة الى إستخدام العقل والمنطق في شؤونهم الدينية والدنيوية وعدم التسليم والتصديق بكل ما جاء به الآباء من عقائد وعادات. ولهذا فإن المعتزلة إحتقروا نزعة التسليم عند العامة من الناس.

لقد سقنا هذه المقدمة الفكرية/ الفلسفية نوعاً ما، لأننا نلاحظ تشابهاً الى حد كبير بين تفكير المذهب السنّي الاسلامي الساكن المتكلس وبين تفكير السواد الأعظم من عامة الايزيدية ومعهم شريحة كبيرة من المتعلمين، حيث أن رأي هؤلاء كان وما زال قد فسد بتأثير الأساطير والخرافات التي نشرها بينهم بعض رجال الدين والمتنفذين سابقاً. وهنا ليس أمامنا طريق غير توعية الناس وتعويدهم الى إستخدام العلم والمعرفة والعقل في فهم امورهم الدينية والدنيوية.

لأن الكثير من العادات والتقاليد بدأت مقدسة، فإن الباحث والاصلاحي حتى عندما

(٤) إنظر :المقدسي ، البدء والتاريخ ، الجزء ٥/ص ١٤٢, وإنظر كذلك : الغلو والفرق الغالية، دكتور عبدالله سلوم السامرائي، دار واسط للنشر، ص ١١٩,

(٥) دكتور رشيد الخيون، مذهب المعتزلة من الكلام الى الفلسفة، دار النبوغ/ بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص ٥٤,

(٦) د. رشيد الخيون، نفس المصدر السابق، ص ٦٠ و ٦٦,

يسأل عن أسباب هذه العادات لا يتخلص من غضب الناس (على قول الدكتور علي الوردي في كتابه: منطق ابن خلدون، ص٢٠١)، وإذا راجعنا التاريخ بهذا الصدد، نتذكر كيف غضب الناس على غاليلو عندما طرح أراءَهُ في علم الفلك والفيزياء. وعلم الاجتماع (حسب رأي د. الوردي أيضاً ص٢٣٩) يتدخل في تفاصيل وصميم الكيان الاجتماعي الذي يستند عليه كثيرون من الناس في رزقهم وجاههم وطمأنتهم النفسية.

هل نركن الى السكون ونصدق بكل ما نقل الينا من أجدادنا الأوائل تحت هذه الحجة أو تلك، بدون سؤال وبحث؟! أم ننظر في أسباب السكون ونحركه؟..هل نستسلم للعديد من العادات والتقاليد البالية بحجة الاصالة، وكون أجدادنا وآبائنا قد مشوا عليه ويظلون هم يتحكمون في مصيرنا، أم من حقنا أن نسأل: ماهي حقيقة هذه العادات والتقاليد؟ ماهي أسبابها ونتائجها؟ لماذا تتغير وكيف نعالجها؟ عند الاجابة عن هذه الاسئلة وغيرها، يكشف لنا أن المسألة غير فردية، وهي لا تتوقف عند رغبة هذا وذلك، بل مسألة إجتماعية مرتبطة بمصير الجميع. أدوات الإستفهام: (لماذا وكيف) هما مفاتيح الفلسفة وأدوات الشّك عكس اليقين، اللذان يبحثان عن تجريد الكثير من الأشياء عن قدسيتها، ولهذا فإن أغلبية الأديان وعبر رجالات الدين تتخذ موقفاً حذراً من هاتين الاداتين الاستفهاميتين وتحاول أن تغرس في عقول معتنقيها مجرد السؤال عن تلك المقدسات حرامٌ!

هل يعبّر الكاتب عن أفكاره وما يؤمن به، أم يكتب ويقول كما يريد منه الآخرون؟! بمعنى آخر هل على الطبيب أن يقوم بمعالجة مريضه حسب تشخيصه للمرض، أم يتعاطف مع المريض وهو تحت طائلة الألم الشديد يتصرف حسب هواه؟!. وهل يساير المصلح والمفكر الملك في قصة " نهر الجنون" المعروفة التي تقول: " أنه القي في نهر إحدى القرى عقاراً يبعث الجنون في شاربه، وشرب أهل القرية كلهم منه ما عدا الملك. فأصبح أهل القرية يتهامسون بأن الملك صار مجنوناً وأنه يجب خلعه. فاضطر الملك أن يشرب من نهر الجنون لكي يكون " عاقلاً " مثلهم. وبهذا إستطاع أن يحتفظ بعرشه." (عن د. على الوردي ص١٩٢)

كما أن الكون يعتمد في صيرورته واستمراريته على قانون التوازن الطبيعي، فإن المجتمع البشري ربما يحتاج بشكل أكبر الى قانون التوازن الاجتماعي، يعادل بين

دوافع الواقع ودوافع المثال، ويوازن بين الجمود وبين الفوضى. هذا ما يفكر به الاصلاحيون الايزيديون لديانتهم ولمجتمعهم.

مكونات جبهة المعارضين للإصلاح: أهدافهم ونقاط إلتقائهم

كما أشرنا اليه في مكان من الحلقة الأولى أنتابنا شعور الفرح مع ظهور بعض المقالات المناوئة وحتى المعادية لنا (نستثني من ذلك مقال الأخ وعد مطو حيث كان حواراً هادئاً للرأي الآخر في منتهى اللياقة والاحترام دون الدخول في الجوانب الشخصية والمزايدات الرخيصة. الرأي الآخر المخالف يحترم دائماً). وكان منبع ذلك الفرح مبني على المسائل التالية التي تفتح قريحتنا للكتابة ويفتح لنا باب المناقشة مع تلك الآراء السطحية:

الأول: لم نتلقى رداً رصيناً يناقش الأفكار المطروحة بشكل هادئ دون تشنج ومزايدات؛

الثاني: ضعف وقصر مستوى التفكير وتصفيت جمل وعبارات تدغدغ مشاعر الناس أكثر من محاكاة عقولهم؛

الثالث: الهجوم، التشهير، التجريح،...أكثر من كونه حوار مع الرأي المخالف؛

الرابع: الأحكام المسبقة بعيداً عن الحوار العلمي؛

الخامس: الجهل بالحقائق التاريخية، لا بل الدوس عليه ومحاولة لوي قوانين التاريخ والمجتمع بالشعارات البراقة؛

السادس: تبيض صفحات سوداء والصعود على أكتاف الغير؛

السابع: دون معرفة رأي الناس، من الصعب بناء حوارات جدية ومثمرة، وهو كمثل السباح الذي يتمكن من السباحة بحرية وحركة أكبر في المياه العميقة؛

الثامن: لا خير في السكون، ومن الصراع و (الفوضى العقلانية) يولد الجديد ويشق طريقه ولو بصعوبة؛

نود التنويه إننا ندخل في بعض التفاصيل بلغة بسيطة قريبة من فهم الناس دون النزول الى مستوى اسلوب كتبة بعض المقالات، ودون اللجوء الى استخدام كلماتهم وعباراتهم غير اللبقة. كما نحاول أن نتحاشى ذكر الأسماء، بل إقتباس فقرات من

مقالاتهم حتى لا يكون حوارنا معهم نابعاً من فراغ وصيحة في الهواء، ويكون حواراً للآراء والأفكار المطروحة وليس خصوصيات الأفراد ونمط معيشتهم أو غير ذلك من التفاهات. نحن لسنا ضد النقد مهما كان قاسياً، ولكننا ضد الإثارة والتحريض والسباب.

ونريد أن نلفت إنتباه القراء الكرام والقارئات الكريمات أن ردود الأفعال على آراء الاصلاحيين الأخيرة لم تتوقف عند مقال من هذا وذاك، إنما بدأ يأخذ منحى آخر وأخذ يدخل على الخط، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، أكثر من طرف وشخصية متناقضة الرؤى والتوجهات السياسية، يحاولون القفز على المسألة الرئيسية والتمسك بالقشور وتحريف النقاش، ويجمعهم خيط مشترك هو الكسب الرخيص لأهداف معروفة. إذن ماهي أطراف هذا الحلف " المقدس" وماهي أهدافهم من وراء ردودهم ومواقفهم العنيفة؟ يمكن تلخيصها بالشكل التالي:

١- أطراف سياسية(ايزيدية طبعاً) تبغي من ورائها الكسب الجماهيري السياسي والظهور وكأنها هي المدافعة الوحيدة عن الديانة الايزيدية ؛

٢- أطراف عائلوية تخاف من المستقبل المجهول، ونعتقد أن رأسهم بالتنسيق مع "متنفذين" ايزيديين في الظرف الحالي يوجهون دفة المعركة ضد رموز الاصلاحيين ؛

٣- بعض الأفراد المسيطرين على مركز لالش/ دهوك، وهم بإعتقادنا رأس الرمح في إثارة وتحريك هذه المسألة من دون أن يكتبوا شيئاً ضد الاصلاح بشكل علني، إلاّ أن ذلك البعض ماضي في استغلال آراء الاصلاحيين وتشويه صورتهم ومحاولة إقتلاع جذور كل من يقف في طريقهم بشتى الوسائل المخجلة واللاشرعية! هذا إضافة الى تعزيز مصالح ذاتية وأهداف أخرى؛

٤- أفراد لتعزيز مصالحهم الذاتية والفردية ؛

٥- أفراد لبيع المزايدات وتقديم الوعظ والنصائح ؛

٦- أفراد ترقص فقط خارج المجموعة، وكما تقول أحد أمثال أهل شنكال " يريدون أن يضعوا أحذيتهم بين الأحذية! ئەو دخوازت شەکالا خو دناف شەکالا بکەت".

٧- مجموعة الشاتمين وأصحاب الألفاظ غير المهذبة تحت أسماء مستعارة، لم ندخلهم ضمن أية مجموعة وتركناهم ضمن تصنيف " أبو الشمقمق ".

قراءة المقالات المنشورة، خاصة المعنونتين: (الطبقة السابعة إصلاحاً إجتماعياً، أم جرعة فتاكة؟) و (رأي مختصر حول المؤتمر المزمع عقده) وهما المهمان والمؤشران لدينا، والمستحقان التوقف عندهما قليلاً. قراءة سريعة، وليست معمقة، يعكس لنا إتجاهات تفكير وتوجه الكاتبين؛ الأول/ يمثل تفكير وتوجه رقم (٢) في معاداة الآيديولوجية الشيوعية، إضافة الى توجهات رقم(٣) في قضايا أخرى. أما الكاتب الثاني/ فهو يمثل تفكير وتوجهات النقاط (١ و٤ و٥) حيث يلتقون عند نقطة معاداة القومية الكوردية.

لماذا وضعنا النقطة (٢ و٣) رغم الخلافات القوية بينهما، في حلف واحد، وهو الحلف الأقوى الذي يدير الصراع ضد الأفكار الاصلاحية لما يملكه الطرفان من مفاتيح القوة والدعم. لقد تمّ صفقة بين رأس النقطة(٢) و(٣) بصرف رواتب خمسة عشر +خمسة=٢٠ من الحراس الوهميين لصالح (٢) منذ أواخرشهر آذار من هذا العام، وبعد هذه الصفقة أدار الأمير ظهره للجنته " الاستشارية" وبدأ يتصالح مع بعض قياديي مركز لالش!! إذا كان الخبر غير صحيحاً، نريد من أصحاب الشأن تكذيبها، كي نعلن حينها اعتذارنا عن إعلان الخبر.

الأخ صاحب المقال الأول يريد أن يذكر عامة الناس الايزيديين، واولئك اللذين لم يتعرفوا بعد على تاريخنا السياسي، بأن صاحب مشروع " الطبقة السابعة" يحمل الآيديولوجية الشيوعية، والشيوعيين – حسب إعتقاده– هم ضد الدين، وهم بهذا يريدون هدم ديننا!. ومن أجل أن لا نغبن حق صاحب المقال ولا يتهمنا أنه لم يقل ذلك وأن ما ذكرناه مجرد استنتاجنا، ننقل حرفياً ما كتبه ذلك الأخ في الفقرة السادسة من مقاله: (بكل تأكيد فأن الترويج لهذه الأفكار المهلكة لم تخلق من العدم كما أنها لم تكون وليدة صدفة بل نابعة من أفكار وأيديولوجيات رسخت (كذا) في أذهان دعاة هذه الفكرة لمحو النصف الثاني من الوجود الآيزيدي المتبقي بعد محاولتهم وبشتى الوسائل اغفاق (كذا ورد) النصف الأول من خلال بث شعاراتهم البراقة بحيث لم يعدّ لنا صيتاً يذكر في أي محفل دولي وأصبحنا بخفي حنين وجردتمونا من هويتنا الحقيقية.) ويتفق رأي هذا الأخ مع رأي الأخ صاحب المقال الثاني الذي سنأتي اليه فيما بعد، كون مشروعنا معد ومخطط له مسبقاً وهو محو الديانة الايزيدية لصالح القومية الكوردية

(دون أن يذكر طبعاً اسم القومية الكوردية) يأتي ويكتب بالنص: (أن طرحكم لمشروع كهذا ليس بالأمر اليسير والسهل مثلما تتصورون بسهولة إقناء (كذا) جيوبكم وأرصدتكم من الأوراق الخضراء والعقارات التي تنهال بسرعة البرق..)!. لو لم يكن يقصد الكورد كونهم الذين يدفعون لنا الأوراق الخضراء، فمن يقصده إذن، هل نستلم (الأوراق الخضراء والعقارات) من دول اوربية أو من أمريكا؟!

ما زلنا عند المقال الأول، فأن الأخ في المقال الأول يلجأ هو، وغيره في مقالات أخرى، الى الارهاب الفكري وإصدار فتاوى وتخويفنا بأهل شنكال الكرام، يأتي ويكتب في نهاية الفقرة السابعة: (...وإذا أردتم توعية المجتمع الايزيدي وطرح الفكرة بواقعية أكثر فلدي الارشاد السديد لمبشري هذه الفكرة بأن يستغلوا الفرصة في عيد مربعانية الصيف ويحاولون اللقاء ببعض الوجهاء من أهالي سنجار أمام مزار شرف الدين وتطرحون هذه الفكرة ميدانياً فلربما تلقي رواجاً أكثر.). بمعنى أنهم يقومون برجمنا كما رجم (آخرون) فتاتين بالحجارة والاطلاقات في منطقتي الشيخان وبحزاني!!. نسأل القراء الكرام: ماهو الفرق بين حامل هكذا أفكار، وبين ظلامي يقاتل في جبال طورا بورا، أو بين "قاعدي" يقاتل ويذبح الناس على الهوية والأفكار المخالفة له في دولة العراق الإسلامية؟!!.

يعتقد هذا الأخ وغيره اللذين يهددوننا بأهل شنكال، أنهم بتوصيفهم لهم بهذه الطريقة، إنما يمدحونهم، كلا بالعكس يعتبر ذلك ذماً لهم وتصويرهم كأنهم متخلفين ومن آكلي لحوم البشر. ومن ناحية ثانية أن تذكيرهم لنا بأهل شنكال يتصورون أننا غرباء عن هذا البلد، وعن هذا الدين وهذا المجتمع، أو أننا قادمون من مجاهل قارة أفريقيا لا علم لنا بوجود الطبقات الزواجية داخل المجتمع الأيزيدي، ولا ندري مدى حساسية هكذا مواضيع. نتلقى من هؤلاء الاخوة تخويفاً وتهديداً مع كومة من النصائح والوعظ والمزايدات لتطعيم بطون الجياع وفتح المدارس وتقديم الخدمات الطبية...الخ.

إننا لم نقل بإزالة الطبقات الزواجية الستة الموجودة، وإنما قلنا بـ (السابعة)؛ والسابعة تعني الزيادة وليس النقصان والمحو. حقاً هنالك من لا يقرأ، وعندما يقرأ لا يفهم، أو يريد عدم الفهم!!. لم نطرح "الطبقة السابعة" كونها زلة لسان –رغم ملاحظاتنا على بعض أوجهها وتفاصيلها إذا تبلورت مستقبلاً– لقد طرحناها ك (حالة)

موجودة فعلاً منذ عقود طويلة بين ايزيدية جبل كوردا غ وحلب بشكل عام، و(كحالات) متفرقة من بعض مناطق الايزيدية في العراق وتركيا وجورجيا وأرمينيا إضافة الى اوربا.

بهذه المناسبة نذكر حادثة ذات دلالة، حيث أنه قبل خمسين عاماً تقريباً زار أحد رجال الدين الأفاضل من كوردستان العراق الى منطقة عفرين (كوردا غ)، وبينما كان ضيفاً على أحد بيوت الايزيدية سأله صاحب البيت، بإعتباره رجل دين،عن رأيه لمن يعطي بنته حيث يتقدم اليها إثنان لطلب يدها (خطوبتها) ؛ أحدهم شيخ العائلة لإبنه، والثاني شاب مسلم؟!. فكان رجل الدين متفهماً لوضع ايزيدية كوردا غ أولاً، وعلى درجة من العقلانية والمرونه ولم ينفعل من السؤال، وبعد برهة أجابه بكل لباقة وبشكل دبلوماسي: المهم والأفضل أن تبقى بنتك ايزيدية!.

بمعنى إذا لم يوجد إختيار ثالث، يحبذ أن تتزوج من الشيخ وليس من الشاب المسلم!. نعم كانت تلك الحالة التي يمكن أن نسميها "الطبقة السابعة" قبل ذلك الحين، وكان جواب رجل الدين حينها إعتراف بالحالة، لا بل زيارته وزيارة القوالين بمعية الـ" الطاؤوس–السنجق" وزيارة رجال دين الآخرين إعتراف بالحالة الموجودة. إذن لماذا هذا الهيستريا من قبل البعض اليوم على مفهوم " الطبقة السابعة؟!

أما أن يريد هذا البعض وضع غشاوة على عينيه وعيون بسطاء الايزيدية وإستغلالها ضدنا لأهدافه ومصالحة الذاتية، فتلك مشكلته ومصيبته، ولا ندعها تمرّ علينا مرور الكرام.

لنرى ماذا يكتب الأخ الأول والثاني ضدنا بشأن (الطبقة السابعة)، رغم كون ما كتب كلام ترهات وفارغ لكن لابأس من الاستشهاد به، حيث يقول الأخ الأول: (وما يثير اعجابي الأعظم منهم الغاية الأسمى من هذه الطبقة السابعة فهل يبغي منظروا هذه الفكرة بأن يتناسل عدد الايزيدية فنحن بهذه القلة ومشاكلنا تتجاوز مشاكل الصين بمليارها. أم لربما الغاية يكون العرق كما فعل هتلر للحفاظ على الجنس الألماني النقي ذوي الشعر الأصفر الذهبي وعيون زرقاء صافية لا تميل الى الاكحلال الشديد كما نشاهده عند غير الألمان. أو كما تفعله حسناوات الغرب وفاتناته بمصادقة السود والزنوج كي يرزقون بطفل (كذا) برونزي يحمل جينات الأب والأم وهذا شيئ بديع ما

أجمل بأن نصاهر الأفريقيين لا بل الأجمل أن نشاهد أحفادنا وهم سمر في حالة إذا كانت نيتهم جينية...). أسأل الأخ الكريم صاحب هذه القريحة وهذه الاحتمالات: من هم أوائل الناس الايزيديين البادئين بخلق (الطبقة السابعة) وربما (الطبقة الصفر) منذ زمان لتحسين جيناته على حساب عامة الايزيدية الغلابة!!. ربما طرق قانون داروين " الصراع من أجل البقاء، والبقاء للأقوى والأصلح " سمع بسطاء الايزيديين، كونه يسري داخل المجتمع الايزيدي للأجيال القادمة، لذا بدأوا يتهيئون لمواجهة جينات النسل المقدس ومن أجل أن لا ينقرض نسلهم!!

لم يتوقف الأخ الأول عند هذا الحد، بل تجاوزها وذهب أبعد من ذلك ليحملنا أمر" الخيانة العظمى" ومحاولة إبادة الايزيديين مع إظهار نفسه ومن يمثلهم حمامات سلام ليس لديهم همّ غير خدمة الايزيدية، يكتب في الأسطر الأخيرة من مقاله: ((..لكن خوفنا بأن تكون الغاية فنائية ويكون تمهيداً لفنائنا وبذلك أيضاً لهم جزء من الحق فلا مجال لهم بأن ينتظروا الابادة الثالثة والسبعون يبدو أن الأخوان في عجلة من أمرهم..؟)). هل نحن في عجلة من أمرنا يا أخونا في الدين كي نتلذذ بمشاهدة أخواننا وأخواتنا وأحبائنا، أم أولئك اللذين قتلوا "كريفهم" في بيتهم بعيداً عن الأصول العشائرية والأخلاقية وأعطوا الحجة بيد الأمير محمد الرواندوزي أن ينفذ جريمته البشعة عام ١٨٣٢م في قتل أكثر من مائة ألف ايزيدي وسبي عشرات المئات من الفتيات والنساء؟! أليس ما تعانيه الايزيدية من آثار مدمرة، تعود أغلبها لذلك العمل الطائش وتلك الابادة الوحشية؟!!. ألا يحق لما تبقى من الايزيديين الشرفاء أن يحاسبوا المسببين ويقدموهم للعدالة؟! هل تريدون فعلاً الدفاع عن بني جلدتكم، أم أن هدفكم هو إبقاء الغشاوة على عيون الايزيديين البسطاء كي لا يروا مساوئكم، وتعث بدل ذلك أهالي شنكال أن يرجموننا عند مزار شرف الدين؟!.

كنا ننتظر منكم ومن الآخرين مناقشة أفكار وليس إطلاق عبارات التخوين والتهديد وإصدار الفتاوى بالقتل؟.. لماذا لم تتقبلوا الرأي المخالف لكم؟..إذا كنتم صادقين وحريصين فعلاً على الايزيدية والايزيدياتي، لماذا لم تتوقفوا عند جميع النقاط التسعة التي طرحناها لتقفزوا عليهم جميعاً، تأتون وتعلقون بأضافركم وأسنانكم لأهداف مكشوفة ومفضوحة بالنقطة التاسعة (الطبقة السابعة)؟.

أما الأخ كاتب المقال الثاني يذهب أبعد وأخطر من ذلك، ويكشف عن رأيه بكل صراحة كون الدعوة الى (الطبقة السابعة) توجه سياسي معد ومخطط له منذ حادثة الشيخان وبحزاني، وله تمويل من الجهات الكوردية (دون تسميتها). نسمح لأنفسنا نقل فقرات إضافية من مقال الأخ صاحب (رأي مختصر حول المؤتمر المزمع عقده) ليطلع القارئ بنفسه عن مدى التخبط والحقد– مع الأسف– وطغيان روح المؤامرة عليه، يقول: (إننا نرى أن هذه الدعوة – يقصد بها الطبقة السابعة– هي ليست في محلها وقد تقود الى الانشقاق أكثر منه الى التوحد..) لو كان الأخ مكتفي بهذا القدر، لقلنا هذا من باب إبداء الرأي، والرأي يحترم مهما كان مخالفاً للرأي المقابل، لكن يبدو عدم السيطرة على أعصابه وتجاوز حتى الحدود الدبلوماسية في الكتابة، ليأتي و يكمل رأيه ويضيف: (وهي دعوة صريحة لطعن الدين تحت مسميات سياسية وبتوجيه وتمويل مخططين، وهو بداية لمشروع أنس محمد الدوسكي، الذي رسم السيناريو في كتابه " أتباع الشيخ عدي..."). وبعد جملة من المزايدات والوعظ وكم الأفواه وتوزيع شهادات حسن السلوك، وعبارات حماسية تلقى قبل بدء المعارك والهجوم على العدو، وبعد أن يخفف العبء علينا ويحترمنا بعض الشيء باستخدام (وأقل ما أود قوله) – وهو مشكور عليه في كل الحالات، يلخص آراءَهُ التي هي بإعتقادنا بيت القصيد ليكتب: (وأقل ما أود قوله في هذا الرأي" يقصد الطبقة السابعة " هو أن دعاة هذه الفكرة يريدون إنهاء الايزيدية كديانة والابقاء على الجانب القومي الكردي فقط، وهو في نظرهم كاف للإبقاء على الدين الايزيدي مع علمهم بعكس ذلك.)

إنسجاماً مع روح المؤامرة وقناعة بها، يعتقد كاتب المقال الثاني نفسه أن قتل "دعاء" يوم ٧/نيسان وضرب المقرات الحزبية يوم ٢٨/نيسان هو من فعل وتخطيط القيادة الكوردية، يقول: (فلو تتبعنا ما جرت من أحداث خلال الفترة الأخيرة وبالذات منذ شباط ١٥/شباط/٢٠٠٧ ولغاية الدعوة الى عقد هذا المؤتمر نرى بأنه، لا يمكن فصل تلك الأحداث عن مخطط على درجة عالية من التخطيط بحيث يحقق ما مرجو منه وعلى حسب مراحل بدقة مستغلين الوضع السياسي في البلد."..." ولا يمكن القبول بأن الذي جرى في حادث قتل دعاء في بعشيقة بعيد عن السيطرة بحيث يحدث في يوم ٧/نيسان (ميلاد حزب البعث)، أو حرق المقرات الحزبية في سنجار يوم ٢٨/نيسان (ميلاد صدام حسين)، بعد طرد العمال من كوردستان، أو قتل العمال الايزيديين قبل

يوم واحد من اللقاء الموعود في الموصل مع هيئة علماء المسلمين لدحض الأمر وقول الحقيقة وبيانها على الملأ من خلال أئمة الجوامع. كما لا يمكنني تصور هذه الدعوة لعقد هذا المؤتمر من أن يكون من غير توجيه سياسي بهدف تدمير كل ما هو أصيل في هذا الدين تحت مسميات الإصلاح والتطور.)

على من يريد الأخ تمرير تصوره، كون الكورد يقفون وراء قتل "دعاء" أو العمال الايزيديين! ألم يقرأ بيان ارهابيي الموصل (٤/٢٨) بقتل العمال الايزيديين؟ ماهذا التحليل والاستهتار بعقول الناس!

خلفيات معاداة التقدمية/الحضارية والقومية الكوردية:

ماهي خلفيات إجتماع معاداة الآيديولوجية (الشيوعية) والقومية الكوردية في الصراع الدائر؟. نعتقد أن لها أسباب كثيرة، منها مستوى تطور المجتمع وسيطرة الأفكار الدينية والتقاليد العشائرية والأبوية المحافظة، وتعاقب أنظمة رجعية عربية على دست الحكم في العراق وعدم إعترافها بحقوق القومية الكورية. أما السبب الأهم من كل ذلك هو وجود ترسبات وآثار تربية حزب البعث ونظامه لأكثر من ٣٥ عاماً الذي حكم العراق بالحديد والنار، وإنضم اليه أعداد ليست قليلة من الايزيديين ووصلوا الى درجات حزبية عالية. وكان الشيوعيون والقومية الكوردية ممثلاً بأحزابها في خندق واحد ضد جميع الأنظمة وخاصة نظام صدام الى أن تم تحرير العراق وإسقاط ذلك النظام بمساعدة أمريكا ودول الحلفاء، فقد البعثيون والمنتفعون منه نعمة ولي أمرهم. إنضم قسم من هؤلاء الايزيديين الى الأحزاب الكوردستانية سواء بعد إنتفاضة آذار ١٩٩١ أو بعد تحرير العراق في نيسان ٢٠٠٣، ولم يبقى لدى الكثيرين منهم غير التحرك تحت عباءة الدين وباسم الدين، فشكلوا مراكز وتجمعات وروابط ثقافية، وأحزاب وحركات سياسية، ومنظمات مجتمع مدني..الخ، زال البعث لكن آثار تربيته ضد القومية الكوردية والشيوعيين ما زالت باقية.

شعارات إستهلاكية ومواعظ فارغة:

المقال الثاني يحتوي على آراء وطروحات غريبة مبالغ فيها، شعاراتية إستهلاكية تغلب عليها صفة " الحقائق المطلقة" ومزايدات فارغة تصلح إلقائها في بعض التجمعات

الدينية لرفع حماسهم. فيها تحذير ووعيد وإلغاء...الخ، طبعاً لا أريد التوقف عند جميع تلك الآراء، إنما أكتفي بأبرزها.

يعارض الأخ صاحب المقال الثاني بشدة ما قلناه بعدم وجود مجتمع نقي من حيث إختلاط الدم." يحذر من اللعب بالنار.." وإننا طرحنا ذلك ليس لأنه نحن مؤمنين به " ولكن لأجل أن يفجر مثل هذه القنبلة في وسط المجتمع الايزيدي الذي يعمل جاهداً لذلك الفعل، وأن المجتمع الايزيدي نظيف وسيبقى كذلك." ويريد مرة أخرى ربط هذه الفكرة " بالجانب السياسي من العملية.." وكأننا عندما نقول بعدم وجود مجتمع نقي مائة بالمائة، نفتح باب الزواج ونلغي الديانة الايزيدية لصالح القومية الكوردية. غريب هو أمر مثقفينا، حينما تتحدث وتكتب لهم عن الاصلاحات والتغيير يصعد رأساً مفهوم الجنس الى رأسهم! وكأن المجتمع ليست فيه أية مشكلة غير الجنس!! نعم ليس هذا غريباً عن مجتمعاتنا الشرقية حيث قوة الدين والتقاليد العشائرية والأبوية ومفاهيم أخرى من القوة بحيث يجرف معه هؤلاء المتعلمين والذين نالوا شهادات ويعملون في قيادة مراكز ومنظمات المجتمع المدني والدفاع عن حقوق الانسان!!.

ربما يعزو الأخ الكريم سبب طروحاتنا "الخيالية والهدامة " الى الاغتراب عن الواقع وتركنا أرض الوطن منذ الثمانينات، إذا كان هذا القول من ناحية التبدل المكاني والثقافي صحيحاً- إلاّ أن ذلك لا يعني أبداً الانقطاع الاجتماعي والروحي والمعرفي والسياسي. ونعتقد أننا كنا أكثر التصاقاً وإطلاعاً ومتابعة للكثير من جوانب الحياة من الّذين كانوا في الداخل. ودافعنا عن الايزيدية وعن المظلومين وعن شعبنا وأبناء جلدتنا، في حين كان أغلبية "أبطال الايزيدية اليوم" ورافعي الشعارات الزائفة مستسلمين طائعين، بل منفذين لمشاريع أسيادهم في محو الديانة الايزيدية والقومية الكوردية بشكل خاص!!. يوجد في جعتنا الكثير الكثير، لكن مع ذلك ليس في نيتنا الانتقام أو إلغاء الأخر، نحن جميعاً نعيش عهداً جديداً، وبغض النظر عن تاريخ كل منا، فإننا جميعاً في مركب واحد، جلّ ما ندعوكم عدم المزايدة على الآخرين، دعنا نتفق على المسائل الجوهرية ونترك القضايا الجانبية التافه التي لا تخدم أحد.

مع الأسف ان السيد المحترم صاحب المقال الثاني حتى في معلوماته التاريخية لا يقف على أرضية صلدة، وحججه ومعلوماته من ناحية " نقاوة الدم" سواء دينياً أو

إجتماعياً ضعيفة، فقط نعيله الى مراجعة هذه المصادر:

Prof.Dr.Kreyenbroek Philip, YEZIDISM - ITS BACKGROUND, OBSER-

VANCES AND TEXTUAL TRADITION, Lewiston, 1995, pp33-34

بارهيبراوس/ بدج، تاريخ اعداد بيجان، مجلد ١، الصفحات ٤٥٣– ٤٥٤– ٤٥٦، نقلاً عن جون كيست: الحياة بين الكرد...تاريخ الايزيديين، ترجمة عماد جميل، مطبعة سبيريز/دهوك، ص ٦٧–٦٨)

ان الشخص الذي يعتبر نفسه من عائلة دينية ومثقف ورئيس رابطة وناشط في مجال حقوق الانسان، يفترض أن يكون علمه واسعاً، ومعرفته راسخة، وصدره رحب، ونظرته الانسانية شاملة،...ويدافع عن نقاوة الدم، هل نعدد له أسماء عوائل إيزية لها إعتبارات دينية من أصول يهودية؟ وهل نحصى أسماء عوائل تعترف هي بنفسها كونها من أصول مسيحية؟ ألا توجد في نفس المدينة التي يعيش فيها كاتب المقال (بعض) العوائل الايزيدية من أصل عربي كانت قد أقدمت حينها مع الشيخ آدي بن مسافر من الشام وتسكن بعشيقة وبحزاني؟ ونتسائل: لماذا تسمى عائلة في المدينة التي يسكن فيها ببيت (قسونه)؟. أليس شيوخ الآدانية والقاتانية من عائلة واحدة وأولاد عمومة من الدرجة الأولى، تلحقهم العائلة الشمسانية بدرجة أبعد؟. هل يريد الأخ المزيد؟.

نتمى أن يجهد الأخ نفسه قليلاً ويجد الجواب في النصوص الدينية نفسها أو عند علماء الدين الأفاضل. إذن لماذا تزايدون علينا يا أخواننا وأحباءَنا الكرام. إذا كان هدفكم فعلاً خدمة الدين والمحافظة عليه، فإن الدين يقوى ويستمر على مدى تلبيته للراحة والطمأنية النفسية لأتباعه، وعلى مدى إنسجامه مع الواقع الاجتماعي وتكييفه مع الزمن. الدين الحيّ أيها الكرام هو الذي يؤثر في الحياة والمجتمع ويتفاعل معهما. الدين الحيّ هو الذي ينتج علوم وفلسفة. هنالك عشرات المئات، ربما الآلاف من المعتقدات التي ماتت وإندثرت عبر التاريخ لأنها لم تستطع مواكبة المتغيرات. أما إذا يريد البعض الصعود وخلق أمجاد والحصول على مكاسب على حسابنا، ندعوهم صادقين أن يبحثوا عن أكتاف أخرى يصعدون عليها نحو أمجادهم!!. وإذا يعتقدون أننا نعمل من أجل مكاسب ومدفوع لنا مقدماً، لا بحق خالقهم وخالقنا؛ فالإصلاحيون لا ينالون غير غضبهم وغضب الناس البسطاء، وهم معدومين معنوياً، ويتلقون السبّ

والشتم والتشهير والتهديدات بالقتل كما هو وارد في الكثير من المقالات!. لا يدافع الإصلاحيون إلاّ عن الفكر الذي يؤمنون به والذي يجلب لهم المشاكل وحتى القتل!!.

يبدو لنا أن مشكلة هؤلاء إطلاق " القدسية" على كل شيء وعدم جواز السؤال " لماذا" عن هذه العادة أو تلك، لأنه عند معرفة جذورها تفقد تلك العادة " قدسيتها " وهذا هو مسألة الكثير من العادات الاجتماعية التي تحولت الى دينية قدسية. نعتقد أنه من الأفضل تنقية الدين من بعض الشوائب كي لا يستخدمها البلهاء لإستغلال بسطاء الناس في الضحك على عقولهم وإمتصاص دمائهم. ولا يستغلها المتعلمون من أجل أهدافهم الذاتية.

ينطلق الاصلاحيون من الواقع الذي لايعترف به الطرف المقابل لعلّة في نفسه؛ ذلك الواقع المثقل عليهم، حيث يتعلقون بالقشور ويجعلون من عقولهم مقفلة ونوافذ أبصارهم مغلقة لا يدخله النور!. وما نعتقده أن هنالك أطراف وأشخاص عديدون في كوردستان المحررة والمناطق الكوردية التي لم ترتبط بإقليم كوردستان بعد، يريدون إستعادة أمجادهم في زمن " أبو عدي" تحت غطاء الدفاع عن الدين الايزيدي المسكين والمغلوب على أمره بيد تجار الدين!!

الفرق بين الفريقين، فريق (الأصالة والنقاوة) وفريق الإصلاح والتغيير (فريق تنفيذ مشروع أنس محمد الدوسكي حسب تعبير كاتب المقال الثاني) هو أن:

– الفريق الأول يعزف على أوتار العاطفة ودغدغة المشاعر، أما الفريق الثاني فأنه يعزف على أوتار العقل والواقع، لكن قوة العادات والتقاليد تمنع الناس من تقبله بالسهولة المرجوه.

– الفريق الأول يتكلم عن تاريخ عفا الزمن عليه، لكنه مع ذلك تاريخ قد يرتبط به الناس بألف خيط ومربط، أما الفريق الثاني يتحدث عن تاريخ جديد لا يستوعبه أولئك الذين تربوا على أسلوب التفكير القديم.

– الفريق الأول يتغنى بالأمجاد وجلد الذات والعيش في الماضي، أما الفريق الثاني يريد تأليف أغنية جديدة للمستقبل، والتعامل مع الحاضر وعدم الاستهانة بالتاريخ والعادات والتقاليد (الهوية) الجيدة.

– الفريق الأول يعظم ويقدس الأشخاص، أما الفريق الثاني يعظم الأفكار والحقائق

ويحترم الأشخاص؛

– الفريق الأول يشبه الى حد كبير مملكة النحل ومملكة النمل لا يقبل ولا يقوى على تجديد نفسه وإن ظلّ عشرات آلاف السنين، يفنى نفسه من أجل سعادة وسلطان الملكة!.

– يبدو أن الفريق الأول يهوى ظلاماً يكثر فيه خفافيش الليل، ويرتاحون لجو الجهل والتخلف ويخافون من نور العلم والحرية، أما الفريق الثاني يناضل من أجل تبديد ذلك الظلام كي لا يكون مرتعاً لخفافيش الليل، ويرى في نور العلم والحرية والديمقراطية سعادة الانسان والمجتمع وأن يكون الدين في خدمة البشر وليس العكس؛

– يدرك الفريق الثاني أنه الضحية في الوقت الحاضر وربما يكسب الفريق الأول المعركة مؤقتاً، لكن التاريخ والمستقبل يبقى للجديد والمتجدد دائماً!!.

إن الاصلاحيون كأفراد ومراكز، رغم قلتهم الظاهرية، بذروا بذرة في الأرض الايزيدية، وهم يدركون أن البذرة (الأفكار الجديدة) تحتاج الى جملة عوامل وشروط نفسية كي تنمو ولا تموت، من تلك الشروط التربة الصالحة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية المساعدة وكذلك من يرعاها. فهل بذرها الاصلاحيون في التربة الصالحة؟. أنهم بإنتظار السنين القادمة. وهل الايزيديون هم بعض هؤلاء الذين يكتبون مقالات بأسماء صريحة أو مستعارة، يشتمون ويهددون ويزايدون، أم أنه جيش سرّي و " خلايا نائمة" لن تعلن عن نفسها بعد؟!!

ملاحظة: نظراً لردود الأفعال القوية التي ظهرت على المؤتمر الايزيدي المزمع عقده في كوردستان والتي تشير معظمها الى رفض عقده بهذه الصيغة، وخوفاً من إنقسام المجتمع الايزيدي أكثر فأكثر، وتأثير ذلك على عملية الاستفتاء بشكل سلبي والى عودة مناطق سكنى الايزيدية لأقليم كوردستان، تدعو جميع الآراء المخلصة الى تأجيل هذا المؤتمر. وإذا كان البعض يريد المتاجرة والمزايدة على الآخرين بالمادة ١٤٠، فإن القضية على ما يبدو شبه محسومة، وما عزز الأمل بدرجة كبيرة أن الارهابيين خدموا الكورد بشكل عام والايزيدية بشكل خاص ووحدوهم بوجه الخطر، عندما قتلوا الايزيديين والمسيحيين وأصدروا فتاوى بإبادتهم وإخراجهم من الموصل، فهذا أعطى القناعة للايزيديين "القلقين" وحتى المعادين للكورد أن لا حياة لهم مع الارهابيين ومع ما

تسمى" دولة العراق الاسلامية"!.

عوض عقد المؤتمر نرى الاكتفاء فقط بعقد إجتماع موسع لوجهاء الايزيدية من شنكال والشيخان وتلكيف يتفقون جميعاً على هذه النقطة المصيرية ويطالبون جميع الايزيدية التصويت لصالح الاستفتاء. وبعد نجاح عملية الاستفتاء وإستقرار الأوضاع نبحث سوية في السنة القادمة (٢٠٠٨) عن وقت مناسب لعقد مؤتمر يناقش فيه فقط قضية الاصلاحات.

كوتنكن في ١/ آب/٢٠٠٧

الفصل الثامن

المأساة الكبرى/ تسونامي الإيزيدية أو

حلبجه ثانية إسمها كرعزير وسيبا شيخ خدرى!!

يا لهول الكارثة، يا لهول الفاجعة، يا لهول الجريمة الوحشية المخطط لها بدقة متناهية وحقد ما بعده حقد على كل ماهو إنساني وجميل على وجه الأرض. جريمة هي الأقوى والأكثر بشاعة وتدميراً وإزهاقاً لأرواح الأبرياء منذ سقوط نظام البعث حسب تصريح البيت الأبيض الأميريكي في إدانته للجريمة.

ننتظر منذ مساء يوم الرابع عشر من شهر آب لنكتب شيئاً عن هذه الإبادة الجماعية المنظمة وعن أسبابها وخلفياتها، فلم نتمكن من تجميع قوانا وأفكارنا لضخامة الصدمة، فقلنا من الأولى أن نبحث عن الله في يقظتنا وأحلامنا وحتى في خيالنا لنسأله أيها الإله القادر الجبار:

– هل أنت فعلاً خالق هذه البهائم المتوحشة؟

– هل أنت أنزلت عليهم نصوصاً تجيز لهم قتل الآخرين بحجة الجهاد بإسمك؟

– هل أنت أنزلت لهم كتاباً تجعلهم شعباً مختاراً تميزهم عن باقي شعوب وأمم العالم؟

– هل أنت وعدت هذه البهائم بالجنّة والحواري والغلمان وأنهار اللبن والعسل؟

– هل أنت إله جميع خلق العالم، أم إله مميز لشعب دون آخر، وفئة دون أخرى؟

– هل لك علم بما يحدث من قتل وجرائم في العراق وأفغانستان والجزائر ولبنان وو...وباسمك وباسم ما أنزلت عليهم من كتب ونصوص، أم أنت برئ من أفعالهم

– هل كنت على علم بما كانت تخطط له تلك البهائم في إبادة الايزيدية العزل في مجمعات كرعزير وسيبا شيخ خدر، أم كنت في إحدى بقاع العالم غير المضطربة؟

يبدو أن ما نبحث عنه محال!!. لذا إستجمعنا ما تبقى من قوانا المنهارة وأفكارنا

المشتتة، ممزوجةً بمشاعر الحزن والألم العميق على أحبائنا من الأطفال والشباب والشابات والشيوخ، الأمهات والآباء ضحايا كرعزير وسيبا شيخ خدرى وشهيدنا (آياز يونس أيوب) لنترك الله وشأنه ونعزي أنفسنا أولاً وايزيديي العالم جمعاء، ونعزي شعب كوردستان والانسانية بهذا المصاب الأليم ونقدم تعازنا الحارة الى أهالي وذوي الضحايا الأبرياء الذين نجوا من المجزرة الرهيبة داعياً لهم الصبر وللضحايا الخلود وللجرحى الشفاء العاجل. والشكر كل الشكر لكل إنسان شارك بمشاعره وقلمه ودمه وماله ووقته، ووقف مع محنة أخوانه وأخواته في الدين والدم والقومية والأرض والانسانية.

ماذا يؤشر لنا الفعل الإجرامي ليوم الثلاثاء الدامي ١٤/ آب/٢٠٠٧؟

خلال الأربع السنوات الماضية من سقوط النظام البعثي راح العشرات من الايزيديين كضحايا على أيدي الارهابيين المجرمين بشكل متفرق في مدينة الموصل وشنكال وبغداد وكركوك وبعشيقة/ بحزاني، يمكن للمرء أن يضع ذلك ضمن حالة الانفلات الأمني وإزدياد مجاميع المافيا، والصراع الطائفي، والصراع على السلطة من قبل الفصائل العراقية المتنازعة...الخ، إلاّ أن مجزرة الثلاثاء الأسود ١٤/آب، تعتبر نقلة نوعية ومؤشراً خطيراً يدخل ضمن مخطط الإبادة الجماعية المنظمة لأتباع أقلية دينة (ايزيدية) من قبل الإرهاب الاصولي المنفلت. أنه إبادة للجنس البشري. إننا أمام حلبجه ثانية، لكن في زمان ومكان آخر، نحن أمام حلبجه ثانية لكن هذه المرة في غرب كوردستان إسمها (كرعزير وسيبا شيخ خدرى)!. إختلف زمان ومكان الجريمة، إلاّ أن عناصر وأدوات وأهداف الجريمة قد تطورت، ولم ينجو الكورد من شوفينة وفاشية حزب البعث وهو في الحكم في جريمة حلبجه الأولى، كما لم ينجو من فاشيته وحقده على الانسانية وهو مقهور خارج الحكم، الفارق اليوم أنه يتحرك تحت مظلة الدين، والدين منه براء، وينفذ جرائمه تحت واجهات تنظيم القاعدة وخفافيش الظلام وأسراب الجراد القادمة من البلدان العربية والاسلامية وبدعم من مخابرات الدول الأقليمية والعديد من المنظمات الدينية والقومية المتطرفة. إذا كان النظام الجبان قد إستخدم أنواع الغازات السامة ضد الكورد العزل في حلبجه الأولى، فأن أعوانهم اليوم استخدموا أدوات وأساليب قتل لا تقل وحشية وتدميراً عن الأدوات السابقة وذلك عن

طريق (بهائمهم المفخخة)!!

أن هذه الجريمة البشعة مؤشرالإنحطاط والانحدار الخلقي للمدارس التكفيرية. أنه مؤشر الإنحدار الخلقي لكل من يساند ويمول هؤلاء التكفيريين الارهابيين في العراق وخارجه. أن المدارس الدينية الخاصة في باكستان والسعودية وآفغانستان هي التي أفرختْ وتفرخُ خفافيش الظلام والبهائم التي تفجر نفسها وسط الأطفال والنساء وكبار السن الأبرياء المسالمين!. أن النظام السعودي وبعض الدول الخليجية الداعمة لتلك المدارس، إضافة الى ما تسمى بهيئة علماء المسلمين ورئيسهم الضاري و " الشيوخ والعلماء" الذين يصدرون فتاوى تحت الطلب هم المسؤولون المباشرون لإنتشار ظاهرة التكفيريين ومنظمة القاعدة على المستوى الأقليمي والعالمي. فلا سيطرة على التكفيريين والإرهاب المنقلت من عقاله إلاّ بتجفيف منابع الإرهاب والقضاء على الفقر في البلدان العربية والاسلامية. كما أن الشوفينية التي تصل الى حد الفاشية لدى بعض الأنظمة والمجاميع العربية والتركية والفارسية تولد هي الأخرى الإرهاب والارهابيين وتدخل المنطقة في دوامة الأزمات وحالة من عدم الاستقرار. كما أن هذا الفعل الإجرامي البشع يكشف عن الوجه القبيح للفكر العنصري للقوميات السائدة في المنطقة.

يمكن إعتبار ما سبق بعض الجوانب النظرية والتوصيفية للحالة الموجودة وللإرهاب المستشري والأرضية التي يتحرك عليها الإرهابيون لتنفيذ جرائمهم الوحشية كما هو الحال في جريمة الثلاثاء الأسود ١٤/آب في مجمعي كرعزير وسيبا شيخ خدرى. إلاّ أن الأهم هي معرفة خلفيات وخيوط الجريمة.

من السذاجة بمكان حصر هذا الفعل الشنيع بجماعة القاعدة فقط، فهم لا يتعدون كونهم مجموعة خارج نطاق القيم البشرية تم غسل أدمغتهم، وأغلبهم في كل الأحوال بهائم قادمة من خارج الحدود، حيوانات مفخخة وأدواة تنفيذية غرباء عن طبيعة وجغرافية المنطقة، إنما المهم معرفة تلك الدول والجهات والمنظمات التي تدربهم وتزجهم داخل العراق. والأهم معرفة الأطراف التي تقدم لهم المأوى وتحميهم في العراق، وتؤدي لهم المهمات الاستطلاعية وتقودهم الى أهدافهم بعد أن يهيأوا لهم في أماكن آمنه سيارات وشاحنات مفخخة. أن عمليات من هذا الوزن تحتاج في جميع الأحوال الى إمكانيات مالية هائلة وجهاز مخابراتي كبير. وهذه الامكانيات لا تتوفر بالطبع لدى

جهة واحدة أو حزب مهما كان حجمه وقوته، خاصة في جريمة بحجم جريمة الثلاثاء الأسود في شنكال الصامدة.

السؤال المهم إذن:

من هم أطراف الجريمة، ولماذا تم إختيار شنكال وهذين المجمعين بالذات؟

شنكال الهدف، شنكال الصامدة بأهلها، شنكال المعروفة التزامها بعقيدتها العريقة، شنكال التي تختمر في ثناياها معاني القومية والدين، شنكال التي يشرف طرف جبلها الأشم في قسمه الغربي على منطقة الحسكة والقامشلي، ويقف في جزئه الجنوبي سداً منيعاً بوجه قبائل الجزيرة (قسم العراق العربي)،... هي بهذه المعاني مشكلة قومية دينة أمنية إستراتيجية. ويفترض بنا أن ندرس ونحلل خلفيات واسباب (هيروشيما) شنكال من هذا المنظور.

وعليه، أعتقد، أن وضع الخطوط العامة لسيناريو هذه الجريمة إضافة الى جرائم أخرى في عموم العراق، من مندلي الى شنكال، مروراً بكركوك ومخمور والموصل، تم تهيئة الأرضية النفسية له في مؤتمر ما يسمى " مؤتمر نصرة الشعب العراقي " في اسطنبول للفترة من ١٥-١٨/١٢/٢٠٠٦ بمشاركة الأطراف التالية:

- بعض جماعات الائتلاف العراقي الموحد؛
- جبهة التوافق العراقية؛
- القائمة العراقية الوطنية؛
- الجبهة العراقية للحوار الوطني؛
- كتلة المصالحة والتحرير؛
- الجبهة التركمانية العراقية؛
- حركة الايزيدية من أجل الإصلاح والتقدم؛

وأهداف ونقاط "المؤتمر" هي معروفة لكل متابع للحدث، فلا حاجة بنا الى ذكرها.

أما الخطوة الثانية العملية بعد لقاء اسطنبول فقد جاءت بعد أحداث الشيخان في شهر آذار عندما أطلق خبر من قبل لجنة خاصة باللاجئين مقرها دمشق تقوم بتسجيل أسماء أتباع الديانة الايزيدية والقول أن أمريكا تنوي قبول ٧٠٠٠-١٠٠٠٠ لاجئ من

بين اولئك المسجلين! فسافر حينها تقريباً كل من يملك جواز سفر ووصل عدد المسلجين حسب بعض التقديرات أكثر من خمسة عشرألف شخص. وتبين فيما بعد حسب خبر نشر في جريدة هاولاتى، على ما أعتقد، أنها كانت مؤامرة بتمويل من السعودية عبر أحد شيوخ عشائر الشمر الذي يرتبط بعلاقات مصاهرة مع ملك السعودية وتنفيذ جهات سورية، كان الغرض منه خلق حالة من القلق والاضطراب والتشويش بين الايزيديين وتأليبهم على الكورد والحكومة الكوردستانية وتفريغ المنطقة منهم، وبالتالي التأثير على تطبيق المادة ١٤٠ .

أما الفعل الحقيقي فقد جاء بتنفيذ الجريمة البشعة يوم ١٤/ آب بتفجير مجمعي كرعزير وسيبا شيخ خدرى. وهي حلقة من سلسلة طويلة من الجرائم تبدأ من ديالى وتمر بخانقين وكركوك ومخمور وتفجيرات أربيل والموصل ولن تنتهي بمجزرة شنكال. وبهذا فإن جميع الآطراف المذكورة أعلاه إضافة الى مخابرات الدول الأقليمة– خاصة سوريا وتركيا والسعودية والاردن ومصر وبعض الدول الخليجية– مشاركة بشكل مباشر أو غير مباشر بهذه الجريمة. ولا ننسى ضلوع بعض المجموعات العربية المحاذية لحدود شنكال في منطقة ربيعة أو البعاج وخاصة اولئك الذين ما زالوا يسيطرون على أراضي الايزيدية القيرانيين في مجمع سيبا شيخ خدرى، وبعض رؤساء العشائرالعرب في المنطقة الذين يدعمون بشكل علني الحركة الايزيدية من أجل الاصلاح والتقدم ضد الكورد. إن هؤلاء العرب إضافة الى خلفياتهم الآيديولوجية الحزبية والقومية الشوفينية، أنهم يدركون في حال إنضمام شنكال الى إقليم كوردستان سيخسرون نفوذهم وسترجع الأراضي التي تم الاستيلاء عليها زمن نظام البعث الى أصحابها. وسيفقد عرب ربيعة الأيدي العاملة الأيزيدية ويصيب الشلل محاصيلهم الزراعية. كما ينبغي علينا أن لا نستبعد العديد من الجهات الحكومية المسؤولة في محافظة الموصل واولئك الذين قطعوا التموين منذ عدة أشهر من أهالي شنكال من خيوط المؤامرة. ألم يكن قطع التموين هذا، على سبيل المثال لا الحصر، تمهيداً للجريمة؟!

من أجل الدقة يجب علينا أن لا نغفل التقصير الكبير للقوات الأمريكية باعتبارها القوة المسيطرة على العراق وفي يدها جميع المفاتيح الأمنية. تشاركها في هذا

التقصير الحكومة العراقية الفيدرالية المركزية لعدم توفير الأمن والخدمات لهذه المنطقة الفقيرة وعدم شمولها بالحماية اللازمة. كما أن زج منظمات الحزبين الكوردستانيين الحاكمين في منطقة شنكال بعناصر غير كفؤة وذات تاريخ غير نظيف ومن "الرفاق البعثيين" وأمراء السرايا لإعتبارات القيمة العددية للإنتماء الى هذا الحزب أو ذاك، وبالتالي المنافسة الحزبية الضيقة بين الحزبين المذكورين، تراجع مفهوم الكورايتي لدى اولئك (الكوادر) ولم يعيروا إهتماماً بمطالب الناس بقدر إهتمامهم بمصالحهم الذاتية، فإزدادت مظاهر اليأس وردود الفعل والتسيب الأمني، مما سهل الأرضية أن يتحرك الارهابيون بسهولة ويختاروا أهدافهم بدون عناء. يفترض بقيادة الحزبين الكوردستانيين الحاكمين أخذ تلك الظاهرة بنظر الإعتبار مستقبلاً وتنظيف قيادة منظماتهم من تلك العناصر.

وربّ سائل يسأل: ألم تكن وراء الكارثة أسباب دينية؟

بكل تأكيد، وكما أشرنا اليه مسبقاً، أن قضية شنكال وجريمة شنكال هي مشكلة قومية دينية إستراتيجية. دينية بمعنى التطرف الديني الاصولي السلفي ضد الديانات الأخرى ومنها الايزيدية. وأعتقد أن لحادثة قتل "دعاء" وما نجم إثرها من تضخيم أعلامي وجرها الى أهداف أخرى، وضعت الايزيدية في دائرة الضوء، وأعطت الذريعة للإرهابيين أن ينتقموا من الايزيديين أينما وجدوا.

أمام هول الكارثة لا ينفع البكاء والندب والإدانة، إنما ينفع كيف نتمكن من مسح دمعة على عين طفل أو طفلة؟ قضى والديه نحبهما تحت ركام الأبنية المنهارة!. ما ينفع كيف نجفف دمعة من عيون أم أو أب حمل أشلاء فلذات اكبادهم وأحبائهم في احضانهم؟!! كيف نخفف من آثار الحزن والصدمة في نفوس من تبقى من أهالي الضحايا؟!! كيف نزرع بعض الأمل وقليل من الثقة في نفوس أهلنا؟ في شنكال خاصة والايزيدية عامة!!. كيف نبحث عن أسباب الجريمة؟، وعن خيوط وأطراف الجريمة؟، ونبحث عن حلول واقعية وسريعة بحيث نضع حداً لعدم تكرار مثل هكذا عمليات إرهابية من هذا الوزن مستقبلاً!! ما ينفع أن نفرز أصدقاءَنا من أعدائنا، وندرك أين هو موقعنا! من هول الكارثة، ومن أجل أن لا تتكرر المَساة في شنكال أو غيرها من المناطق الايزيدية تواجهنا المهمات الملحة التالية:

في الجانب الإجراءاتي:

– إعتبار مجمعي (كرعزير وسيبا شيخ خدر) في شنكال منطقة منكوبة وشمولها بالمساعدات من الحكومة الفيدرالية والاتحادية ومن دول العالم؛

– تشكيل لجنة مستقلة للتحقيق في الإبادة الجارية بحقهم؛

– تقديم المقصرين والمسؤولين عن تلك الجرائم الى القضاء لينالوا جزاءَهم العادل؛

– العناية بالجرحى وبناء الدور لمن تهدم داره، وإيصال المعونات بسرعة الى جميع المنكوبين؛

– شمول مناطق الايزيدية وخاصة شنكال بالحماية والرعاية؛

– تشكيل غرفة عمليات من عناصر أمينة ونزيهة تقوم بتوزيع المساعدات القادمة من كل مكان على المنكوبين؛

– كما قال زعيم الثورة البلشفية بعد إنتصار ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا، أن كهربة البلاد يعتبر نصف الاشتراكية، فإننا نقول أن بناء الجسر الدائم على نهر دجلة/ خابور عند منطقة ديربون، وكذلك فتح طريق من منطقة زمار الى قرية حردان، حيث تسكنها عشيرتا الميهركان والهسكان الكورديتين، بطول ٢٢ كيلومتراً فقط، يعتبر نصف ضمان إنقاذ شنكال من المآسي والصعوبات الاقتصادية والمعيشية والأمنية وكذلك ضمان إلحاقها بأقليم كوردستان.

على المستوى المحلي والعالمي:

– القيام بالمظاهرات في كل مكان خاصة في الدول الغربية؛

– تنظيم لقاءات مع مراكز القرار في كل مكان خاصة هيئة الأمم المتحدة، الاتحاد الاوربي، الفاتيكان، سفارات بعض الدول، والمراجع الاسلامية خاصة الأزهر...؛

– جمع التبرعات المالية عبر فتح كونتو وتشكيل لجان في المدن وإعلانها في الانترنيت؛

الخطوات الأمنية العملية:

لا مستقبل للأقليات الدينية، ومنها الديانة الايزيدية، إلاّ في ظل نظام ودستور علماني، ولا يوجد هذا النظام كما هو معروف إلاّ في إقليم كوردستان. كما توصل غالبية الايزيديين، بما فيهم البعثيين السابقين والقلقين الذين كانت لهم مواقف متشددة من الكورد المسلمين، أن لا مستقبل لهم إلاّ مع الشعب الكوردي والإنضمام الى الفيدرالية الكوردستانية. وأن إنتعاش وتطور كوردستان هو إنتعاش وتطور الايزيديين، والعكس بالعكس. ونستطيع أن نؤكد بإطمئنان أن الارهابيين بأعمالهم الاجرامية بعد قتل العمال الايزيديين في الموصل والجريمة الأخيرة في شنكال، قدموا خدمات كبيرة للكورد بشكل عام والايزيديين بشكل خاص بحيث وحدوهم بوجه العدو المشترك وتوصل الايزيديون " القلقون" أن عرب أيام زمان، ليسوا بعربان البعث زمن نظام صدام، إنهم عربان دولة "العراق الاسلامية"، أنهم عربان صدر الاسلام وزمن الفتوحات الاسلامية. ومن شبه المستحيل العيش معهم. ونعتقد أن الإرهابيين متمثلين بالجانب القومي العنصري والديني التكفيري المتطرف يعرفون أن تقسيم العراق في ظل ما يحدث في نهاية المطاف لا محال، لذا يحاولون بكل إمكانياتهم عرقلة تطبيق المادة ١٤٠ في وقتها المحدد، والعمل بكل الأساليب لقضم أراضي كوردستان بدءً من مندلي وزرباطية وبدرة وجصان، مروراً بكركوك الى شنكال.

إذن الايزيديون أمام إختبار صعب، وأن سبيل خلاصهم وتأمين مستقبلهم ومستقبل أجيالهم القادمة ينحصر في تحقيق إحدى الاحتمالات التالية:

أولاً : أن يطالب الايزيديون من قوات التحالف (أمريكا) والحكومة المركزية من خلال عريضة موقعة من قبل الأمير والوجهاء والشخصيات المعروفة والمراكز والجمعيات داخل الوطن وخارجه ضم مناطق الايزيدية الى إقليم كوردستان رسمياً قبل الاستفتاء، ليكون هناك مستمسك بيد رئيس إقليم كوردستان السيد مسعود البارزاني يعطي له ولحكومة الأقليم الشرعية الكاملة لحماية منطقة شنكال من الإرهابيين ولعدم تكرار مآساة كرعزير وسيبا شيخ خدرى في مكان آخر؛

ثانياً : في حال عدم تحقيق المطلب الأول ربما بحجة التعكز على مواد قانونية، نقترح إرسال ما بين ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ آلاف من قوات البيشمركه والأمن لحماية إثنا عشرة مجمعاً وتأمين سلامة سكانها الى حين عملية الإستفتاء؛

ثالثاً: وإذا إعتبر المطلب الثاني صعباً لإعتبارات ما، نقترح أن تقوم حكومة كوردستان بتسليح أهالي شنكال وتأسيس عدة ألوية عسكرية منظمة منهم يكونون مرتبطين بقوات أقليم كوردستان، يقومون بحماية منطقة شنكال ومداخلها، إضافة الى الجانب الأمني فأن هذه الخطوة تساعد في تحسين الوضع الإقتصادي لأهالي المنطقة؛

رابعاً : وفي حال عدم تحقيق المطلب الثالث لهذا السبب أو ذاك، فإن حماية منطقة شنكال بالذات هي مهمة قوات التحالف والقوات الأمريكية بإعتبارها قوات مسيطرة على العراق، وهي المتحكمة في القضايا الأمنية؛

خامساً : إذا إفترضنا أن أمريكا سوف تضع العراقيل أمام حكومة كوردستان لعدم تحقيق النقاط الثلاثة الأولى ولا تقوم هي نفسها بحماية المنطقة، فلن يبق أمام ايزيدية شنكال إلاّ اللجوء الى هجرة جماعية الى كوردستان أو سوريا، وهذا ما لا نتمنّاه ولا نحبذه، من أجل التخلص بجلدهم من إبادة محتملة قادمة على أيدي الارهابيين؛

سادساً : أو في أسوأ الأحوال تشكيل " مجلس وجهاء وعشائر شنكال" على غرار ما حدث في محافظات أخرى ملتهبة يطلبون الدعم والتسليح من حكومة كوردستان والحكومة المركزية في بغداد وقوات التحالف كي يتمكنوا من حماية مناطقهم والوقوف بوجه الارهابيين؛

سابعاً : إرتباطاً بالجريمة البشعة التي حلت على شنكال الحبيبة، والموقف اللإنساني الذي عبّرت عنه ما يسمى بالحركة الايزيدية من أجل الاصلاح والتقدم على لسان أمينها العام بعد يومين من الجريمة في رفضه لمجئ قوات البيشمركه الى شنكال لحماية الناس، كما أنهم حسب المعلومات المؤكدة، كانوا ضد حفر سواتر ترابية حول تلك المجمعات قبل حدوث الجريمة بفترة. إن دلّ هذا على شيء فإنما يدل أن بعض عناصر الحركة وفي مقدمتهم "أمينها العام" كشفوا

عن وجههم الحقيقي بمعاداة الايزيدية التي يتكلمون بإسمها، حيث يضعون أيديهم في أيدي أعداء الايزيدية وينفذون من حيث يدركون أم لا يدركون مخططات ذلك العدو. لذا نقترح أن يطلب الأمير ورؤساء العشائر ووجهاء الايزيدية في رسالة خاصة للبرلمان العراقي أن ترفع الحصانة عن ممثل الحركة الايزيدية داخل البرلمان ويتم تشخيص شخص آخر مكانه، ويقدم الأول للمساءلة والتحقيق عن تحركاته المشبوهة. كما يطلب من الايزيدية أولاً والقوات الكوردستانية ثانياً وضع حد لتصرفات هذه المجموعة غير المسؤولة والمعادية لأماني الايزيديين وشعبنا عموماً؛

ومن أجل أن يخرج حديثنا من الجانب النظري والشعاراتي، نقترح على حكومة كوردستان أن تضع من الآن في برنامجها المستقبلي القريب خطة جعل شنكال محافظة وإيلاء إهتمام خاص بها كي تتطور من النواحي الاقتصادية والخدماتية والزراعية والعلمية...الخ.

كما أن جريمة بحجم إبادة كرعزير وسيبا شيخ خدرى والأخطاء القاتلة المدمرة لـ" حركة الاصلاح والتقدم" بحق الايزيديين ومحاولاتهم المكشوفة لخلق شرخ بينهم وبين شعبهم الكوردي، تدفع بالحاح مثقفي ومخلصي الكورد الايزيديين أن يفكروا مستقبلاً لإيجاد كيان سياسي ليبرالي علماني غير ديني، كيان نابع من وطنه كوردستان، كيان يؤمن بإنتمائه القومي الكوردي، كيان يمثل غالبية الشرائح الاجتماعية، يكون داعما للعملية السياسية العلمانية في كوردستان، كياناً يقضي على التشرذم الايزيدي ويوحد صوتهم، ويكون سنداً قوياً للقوى الكوردستانية الوطنية، كياناً ينشر قيم المساواة والتعايش بين الأديان والمذاهب والقوميات ويؤكد على قيم العدالة والانسانية...الخ.

الدرس المهم والعبرة الأهم التي يمكن للإنسان أن يخرج بها من ركام مآساة شنكال والثلاثاء السوداء، هو تقارب الكورد الايزيديين الفرقاء من جهة ووصول من كان منتمياً الى حزب البعث سابقاً، أو من كان له بعض مشاعر الحذر الدينية، الى قناعة أن لا سبيل الى خلاصهم من الوضع الذي هم فيه إلاّ بانضمام مناطقهم الى إقليم كوردستان رسمياً وعيشهم المشترك مع شعبهم الكوردي. أما من جانب الكورد المسلمين فقد حركت تلك الجريمة الشعور القومي الذي أصابه بعض الخدش أثر حادثة

الشيخان في شهر شباط وما تلتها من أحداث. لقد صار الشعور القومي والوطني في جميع أجزاء كوردستان وفي الخارج البوصلة التي يهتدي بها الجميع، وقد فتح أهالي العمادية في أول ليلة من مجزرة كرعزير وسيبا شيخ خدرى تاريخاً مشرفاً يستحق أن يكون تاريخ صحوة الشعور القومي الكوردي وتعايش الأديان حينما وقفوا رجالاً ونساءاً في طوابير ليتبرعوا بالدم لأخوانهم وأخواتهم المنكوبين من أهالي شنكال، وسار هذا الشعور القومي العفوي المتنامي كالتيار الجارف يسري في مدن وقصبات كوردستان الأخرى سواء في كوردستان الجنوبية أم بقية الأجزاء كما هو الحال في دول العالم الأخرى. وإكتمل عرس الدم الكوردي بإستشهاد الشاب (أياز يونس أيوب) في السويد دفاعاً عن أهله في الدم من الكورد الايزيديين، قتل بالسكاكين على أيدي مجرمين من عرب العراق العنصريين.

نعم يستحق أن يكون (أياز يونس أيوب) في رأس قائمة شهداء مجزرة الثلاثاء الأسود في شنكال، كما يستحق أن يحمل رمز أحد الأبطال القوميين الذي طرز بدمه الطاهر ثوب الكورايتي والتعايش بين الأديان والمعتقدات التي تحتضنها أرض كوردستان، ويستحق أن ينصب له تمثالاً في محافظة دهوك. ألف تحية الى روحك وروح جميع شهداء مجزرة كرعزير وسيبا شيخ خدرى وكل الشهداء كوردستان والانسانية.

* كما صارت مآساة قصف مدينة حلبجة بالسلاح الكيماوي منعطفاً تاريخاً جديدا دخلت فيه القضية الكوردية بوابة العالم الواسعة، وصارت بداية نحو إنشاء (الكيان الكوردي) الذي نتلمس آثاره اليوم في فيدرالية كوردستان، بنفس الشعور أتوقع أن يكون مقتل الفتاتين المعروفتين وما لحقت بذلك من إفرازات وتفاعلات، نقطة فاصلة في تاريخ الديانة الايزيدية، ومن دمائهما ودماء مجزرة بعشيقة/بحزاني، ومن دماء الإبادة الجماعية لـ" كرعزير وسيبا شيخ خدر" سوف تتجدد الايزيدية في المستقبل غير البعيد!!

كوتنكن في ٢١/ آب/ ٢٠٠٧

الايزيديون الى الوراء دور

"المصيبة ليست في ظلم الأشرار وإنما في صمت الأخيار"– مارتن لوثر كنغ–

منذ فترة ليست بالقصيرة كنّا عازفين تقريباً عن مراجعة الصحف الالكترونية الايزيدية لرداءة الكثير من العناوين والمضامين المنشورة فيهم، وخطورة التوجه لدى البعض الآخر الذي يريد جرّ الايزيدية، بدراية أو دونها، الى المهالك والتطرف الديني والانعزالية. وحينما كنّا نطّلع على الكثير من المنشور في تلك الصحف كنا نشعر وكأننا أمام بركة ماء عكرة تغطيها الطحالب وتسمع منها أصوات غريبة عجيبة!!. لكن مع ذلك دفعنا الفضول مرة أخرى أن نفتح بعض المواقع وإذا بـ " عرس ايزيدي" جديد، أو بالأصح مهزلة جديدة تحت أسماء " قانون الأحوال الشخصية" ومناقشة قضية "إرث المرأة" و "مهر الفتاة"!! وهذه المرة أيضاً بتباهي يصدر كدعوة "إستفتاء" من رئيس المجلس الروحاني الأعلى، لكن الدعوة لم يحمل أي رقم، لا (١٧) ولا غيره؟!

لماذا تتباكون وتشتكون باستمرار من قيادتكم الدينية والدنيوية، هذه هي قيادتكم و"مجلسكم الروحاني الأعلى" الديمقراطي للقشر يستشيركم في كل شاردة وواردة؟!. قبل عام تقريباً شكلت لكم تلك القيادة "مجلساً إستشارياً" بقرار رقم (١٦) واليوم يأخذ رأيكم حول "إرث المرأة ومهر الفتاة "، والحقيقة أنتم أيها الايزيديون الغيارى أهل لها ولم تقصروا وكشفتم عن معدن " مجتمعكم الذكوري" وعن أصالة " فحولتكم" بحيث جاءت نتائج إجتماعاتكم تلبية لدعوة "مجلسكم الروحاني" الموقر بالضد من حقوق المرأة وإرثها وإبقائها عبدة وسبيّة تباع وتشتري في سوق النخاسة تحت المصطلح القذر " المهر"!.

أصبنا بدوران الرأس وحالة غثيان مجرد قراءة تلك الخزعبلات ونتائج الاستفتاء /الإهانة بحقوق المرأة. هل نصدق ما نقرأهُ من مهزلة الاستفتاء والأسئلة المطروحة فيه، ودعوة المخاتير ورؤساء العشائر و"الوجهاء والمثقفين" ونتائج إجتماعات مجمعات خانك وباعذرة وشاريا وإجتماع رؤساء ووجهاء عشيرة الهسكان وغيرها؟! والغريب من كل تلك التغطية و "الخلاصات الإعلامية" الجيدة لمركز لالش (الثقافي) جداً دون أي

تعليق أو إتخاذ موقف، ربما إعتقاداً منه أنه لا يتخلف عن الركب ويمشي مع رأي " الجمهور" الذي يجيد التصفيق!. نذكر لكم فقط أربعة من تلك التغطيات الاعلامية حتى لا نظلم أحداً: (مركز لالش في باعذرة، ٥٠ طالبة، الاستفتاء على مشروع قانون الأحوال الشخصية للايزيدية في باعذرة. الخبر منشور بتأريخ ٢٠٠٧/١٢/١٠ إجتماع رئيس ووجهاء عشيرة الهسكان في سنوني حول بيان المجلس الروحاني، الخبر منشور من قبل مندوب شبكة لالش في سنوني./ جلسة مركز لالش في شاريا لمناقشة اقتراحات المجلس الروحاني بخصوص المهر وحصة المرأة من الميراث. تقرير الصحفي خدر دوملي ٢٠٠٧/١٢/٨ جلسات مفتوحة في باعذرة وخانك وشاريا حول حصة المرأة الايزيدية من الميراث ومسألة مهر الفتاة، بعنوان: أغلبيتهم رفضوا أن تكون للمرأة حصة في الميراث، تقرير هفال ناصر بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٨) طبعاً لا أعلق على مضامين التقارير.

جمعنا قوانا، وراجعنا خزينة ذاكرتنا فيما قرأناه، وفتشنا بين أوراقنا ودفاترنا التي سجلنا عليهم ملاحظاتنا اليومية، حيث وقع نظرنا على مجموعة من أقوال المفكرين والمصلحين الاجتماعيين العظام، دفعنا أن لا نبقى ساكتين أو متفرجين على قضية بهذا الحجم الكبير والخطير، قضية إسمها المرأة الإلهة منذ بدء التكوين، المرأة الخالقة!. لم نبق ساكتين على مهزلة " المجتمع الذكوري" ومجاميع تائهة في القرن الحادي والعشرين تقودها نفر من المتخلفين دينياً ودنيوياً. هرعنا في تلك الساعة المتأخرة من الليل لنستهل من المكتبة ورقة وقلماً نسجل ما يدور في ذاكرتنا لعدم نسيانهم، فجاء تثبيت قول المصلح الكبير " مارتن لوثر كنغ" الذي يقول: (المصيبة ليست في ظلم الأشرار وإنما في صمت الأخيار!.). أين أخيار الايزيدية في الداخل من هذه المهزلة وأين أصواتهم؟ أين مركز لالش في دهوك وفروعها، الذي يدعي ب "الثقافي" وقدوة الايزيديين في التحرر والانعتاق والدفاع عن حقوق المرأة؟!. أما (فولتير، فرنسوا ماري أرواي ١٦٩٤–١٧٧٨) المولود في باريس والذي كان من نوابغ زمانه، تزعم حركة الفلسفة المادية وقاوم رجال السلطة الدينية والمدنية ونقدهم بقلمه الرشيق اللاذع، وله في الشعر والتاريخ والفلسفة والمسرح كتب عديدة، قال هو الآخر في نفس مضمون مارتن لوثر، وربما بنفس المعنى قوله: (أينما وجد الظلم فالكتاب مسؤولون عنه). نحيي الأخوة والأخوات الكتاب في الخارج الذين وقفوا مع حقوق المرأة وسخروا من مهزلة

الاستفتاء ونتائج إجتماعات بعض الايزيديين المغفلين. وندعو بقية الكتاب والكاتبات أن يرفعوا صوت الإدانة لما يجري من مناقشات مخجلة بشأن إرث المرأة ومهر الفتاة وإيقاف هذه المسرحية الهزيلة.

ويقول الشاعر الايراني سعدي شيرازي (١١٨٩–١٢٩١) " شيئان يقودان الحكيم الى الخطأ: البقاء صامتاً حينما يكون الكلام مستوجباً، والتكلم حينما يلزمه الصمت". أما العالم النفساني الاجتماعي الفرنسي فانون (فرانتس)(١٩٢٥–١٩٦١) يقول هو أيضاً: " كل متفرج خائن أو جبان". كعالم نفساني، ربما يقصد اولئك الذين يرون الجرائم بأعينهم. نعتقد أن ما تجري من مناقشات حول إغتصاب حقوق المرأة في الارث وبيعها كأية سلعة هي جريمة بعينها وينطبق عليه قول فانون فرانتس. عندما يطلع أي متنور على أقوال الكبار أعلاه، ويرى أمامه حوادث بخطورة ما نراه اليوم، حتما يكون له موقف إما في السكوت عنه أو إتخاذ موقف بهذا الشكل أو ذاك. ونرى أيضاً أن صمت الكتاب والمثقفين الايزيديين في هكذا قضية حساسة تخص حياة ومستقبل أكثر من نصف المجتمع (المرأة)، لا بل أساس إستمرار وصيرورة الجنس البشري، هو خيانة وجبن في آن واحد إذا تم الاصرار على تحريم المرأة من الإرث وعدم إلغاء المهر ومساواتها الكاملة مع الرجل.

نعرف ونقدر تماماً مدى قوة ومتانة الكثير من التقاليد والعادات الاجتماعية والدينية التي تقيد الانسان، وتقفل نوافذ عقله، وتشل حركته وبركته، وتعمي عيونه وتحط من إنسانيته دون أن يعي. تلك التقاليد والعادات الاجتماعية/ الدينية التي تلف حول الفرد كشبكة العنكبوت هي من صنع أفكار وتصرفات البشر، وقد أضفى، ويضفي، هو عليها الشرعية لمصلحة الكاهن أو الشيخ أو السلطان أو الأمير أو الآغا أو رئيس العشيرة...الخ.

َمنْ من البشر وأنبيائه ورسله الذين ظهروا على سطح الأرض منذ ملايين السنين، رأوا الله وتكلموا معه، وبأية لغة حدثهم كي يأتون ويجعلون من أنفسهم أولياء الله وظله على الأرض، ويفرضون شريعتهم ورغباتهم على الآخرين؟!. ان الفكر الديني ليس إلاّ مجرد عادات وتقاليد بشرية البسته المخيلة الجماعية المتوارثة من جيل الى آخر طابع القداسة. الكثير من العادات الاجتماعية، إن لم نقل جلّها، تكون في فترة من الفترات

التاريخية ممارسات إجتماعية عادية، إلاّ أنه بمرور الزمن وبالتكرار تصبح ذات طابع قدسي وتغدو جزءاً من الدين. وفي كثير من الأحيان عندما يعجز الانسان عن تفسير ما يجري حوله من حوادث وتغييرات الطبيعة والمجتمع بشكل علمي وعن طريق عقله يلجأ الى الخرافة والى قوى غيبية ويخترع لنفسه آلهة كي يفسر بواسطتهم الوجود وظواهر المجتمع والطبيعة.

ماهي القوة التي فضلت الرجال على النساء، وبماذا يختلف الرجال عن النساء ما عدا الجانب الفيزيولوجي؟ ألم يخرج الاثنان من بطن واحد؟ أم ما زال الايزيديون الذين شاركوا في إجتماعات خانك وشاريا وباعذرة وسنوني عند نفس مقولتهم القديمة عندما كانت تخطب بناتهم (من كره بيلافه ك و د لنكى ته كر!) بمعنى (جعلتها حذاءاً وألبستها في قدميك!) (ألف حاشى للفتاة على هذا التحقير). هل يقبل أحد في الكون أن يتزوج من حذائة وتكون شريكته ويعاشرها طوال حياته؟! هل يقبل أحد منا أن تكون أمه حذاءة، أو أن يكون قد خرج من بطن حذاء؟!!. يجب أن تتبدل نظرة مجتمعنا تماماً للمرأة، كما يجب علينا أن نتحول من مجتمع ذكوري الى مجتمع إنساني. ولا نأخذ من إسطورة (آدم وحواء) التي إخترعها العقل السامي (يظهر أول مرة في كتاب العهد القديم/ التوراة) الذي يهين ولادة المرأة من الإبط الأيسر لآدم، ويضع بعد ذلك كل الذنوب والخطايا عليها!!. وإذا كان الايزيديون يعتبرون أنفسهم أقدم ديانة في الشرق وبقايا ديانات وادي الرافدين (السومريين) أو بقايا الديانات الهندو–ايرانية، لماذا لا يأخذون من إلهة الأم (عشتار وأناهيتا وفارونا) الخالقات نموذجاً لهم؟.

نسمع في الكثير من المجالس، ونقرأ للكثير من الكتاب، عندما تتعلق بوجود عادة سيئة كـ (مهر الفتاة) مثلاً، يقولون أنها عادة دخيلة من الجيران (يقصدون غالباً الاسلام) على الايزيدية. إذا كانت فعلاً عادة دخيلة من الجيران وتدركون أنها سيئة ومتخلفة، لماذا إذن تلتزمون بها وتستمرون عليها؟. هل يوجد (المهر) في الإسلام؟ على حد علمنا لا يوجد ذلك وإنما يسجل في عقد الزواج الذي يكتب في المحكمة أو عند الشيخ، المبلغ المقدم والمبلغ المؤخر، الأول شيء رمزي وتافه، أما المؤخر فيتم تسجيل مبلغ كبير سواء بعملة البلد أو بالذهب. ويعتبر هذا ضمان وحق من حقوق المرأة في حال طلاقها من قبل زوجها. نعتقد في هذا مزايا عديدة الى جانب قليل من السلبيات

طبعاً، من بين المزايا: تشجيع الزواج بين جيل الشباب، ضمان حقوق المرأة عند الطلاق من قبل الرجل، وبالتالي التكاثر وزيادة النسل، التقليل من حالات الطلاق...وهذه كلها تسهيلات أمام معتنقي تلك الديانة وحصر في المشاكل. أما بالنسبة للديانة المسيحية فليس لديهم مهر الفتاة وإنما والد الفتاة هو الذي يصرف من ماله على زواج إبنته. إذا كان الايزيديون لا يقتدون بحسنة الديانة المسيحية في تحريم بيع بناتهم، ولا يتنازلون بسهولة عن كبريائهم الرجولي/ الذكوري، فليس من العيب في قضية المهر تحديداً أن يراعوا ماهو جاري لدى الاسلام بحيث يسجل على عقد الزواج مقدمة عشرة دنانير مثلاً ومبلغ مؤخر كبير ومحترم. علماً اننا مع الغاء المهر تماماً ومن الداعين الى المساواة الكاملة بين المرأة والرجل. (للعلم زوجّت كلا بناتي بدون مهر بتاتاً)

ان مسألة مهر الفتاة وإرث المرأة مسألتان مترابطتان، فعند إلغاء المهر ومنع بيع الفتاة كأية سلعة في سوق الرجال (أهلها وأهل الخطيب) نكون قد خطونا خطوة كبيرة الى الأمام في مساواة الرجل مع المرأة، وتم ضمان حصتها من الإرث. أي أننا بحاجة الى كسر عقدة (الرجولة) في نفسية الفرد الشرقي عامة؛ لأن الإرث مرتبط تاريخياً بسيطرة الرجال على العائلة والعشيرة والدين، وأصبح رب العائلة (الأب البطرياركي) هو الآمر والناهي في كل شيء، وهو مالك كل الثروات والأملاك، ويسجل بإسمه جميع المواليد ذكوراً وإناثاً، حتى الحيوانات والمواشي والأملاك تسجل باسمه، وتدخل المرأة كأية حاجة من حاجيات البيت ضمن أملاك الرجل. وتسقط حق المرأة من الاحتفاظ بلقب عائلتها (إلا في حالات نادرة تكون هي ميسورة ومن عائلة متنفذه وربما زوجها أقل منها شأناً في المرتبة الاجتماعية). نعم يفترض، بل يجب حل هذه الاشكالية عبر سن قوانين وضعية وليست حسب التشريعات الدينية التي تفرق بين الجنسين.

الايزيديون ليسوا بحاجة الى (قانون الأحوال الشخصية) التي في حال تشريعها سوف يستند الى التوجهات الدينية، أو الى العادات والتقاليد الاجتماعية التي ستكون متخلفة في كل الأحوال. وليس من المعقول ولا من الصحيح أن يقر أو يتضمن دستور إقليم كوردستان قوانين أحوال شخصية لكل دين أو مذهب سواء الاسلامي أو المسيحي أو الايزيدي. وستكون (قوانين الأحوال الشخصية) تلك مسامير صدئة في جسم دستور كوردستان الذي نرجو ونطالب أن يكون دستوراً يفصل الدين عن الدولة،

دستوراً علمانيا إنسانياً، يساوي بين المواطنين كافة بغض النظر عن قوميته وجنسه وعقيدته، يراعي المعايير الدولية في حقوق الانسان ويعتمد على القوانين الوضعية وليس الدينية.

نعم يتم فصل الدين عن الدولة، ويترك الدين والآخرة والسماء للرجال من معارضي حقوق المرأة في الميراث، وجميع الملتزمين بقيم الذكورة والغرائز الهائجة. ويتركون الدنيا والأرض والابداع للمرأة ومن يؤمن بإنسانيتها ومساواتها بأخيها الرجل!!.

هل يعرف المجلس الروحاني والايزيديون المتدينون الرافضون لمساواة المرأة بالرجل: ماهو السبب الرئيسي لهجرة آلاف الشبيبة الى الغرب الكافر بنظرهم؟ دعنا نتفق معكم مقدماً أن أسباب الهجرة هو الوضع الأمني والاقتصادي والسياسي...لكنكم تجهلون السبب الرئيسي الذي يكمن في عقلهم الباطن، وأحياناً في عقلهم الظاهر، ألا وهو التمرد الداخلي الخفي على قيود الدين وبعض عاداته وتقاليدة المقيدة لحرية الانسان ورغباته، بمعنى أن هذه الهجرات " مظاهرات سليمة " مفتوحة على مصراعيها ضد القيود الدينية، وهروب الى الفضاء الأوسع بحثاً عن الحرية المفقودة في بلدانهم التي يسيطر الدين فيه على المجتمع والدولة.

تبقى نتائج وتداعيات الهجرة على المجموعات الدينية الصغيرة (كالأيزيدية) هي الأخطر على عدة مستويات؛ مستوى أقليم كوردستان ومستوى المجتمع الايزيدي، على المدى المنظور والبعيد. وما يتعلق بموضوعنا هي التداعيات التي سيترتب عاجلا أم آجلاً على الوضع الداخلي الايزيدي في زيادة المشاكل الاجتماعية، لأن آلاف الشباب الذين يهاجرون للخارج/ الغرب يتركون وراءَهم أعداد مضاعفة من الشابات، وهن في أحسن الأحوال يبحثن في يوم ما عن شريك عمر لهن، فيصطدمن بساحة فارغة من الشباب وبالمهر الغالي وبعض القيود الاجتماعية– الدينية الأخرى، فلن يبق أمامهن غير الاستسلام للقدر والقبول بالعنوسة في أحسن الأحول، أو الزواج من رجل عانس يكبرها سناً أو من رجل متزوج قادم اليها من أوربا لقاء مهر "مغري" يدفع لوالدها!. وإما زيادة في نسبة إقامة المرأة/ الفتاة العلاقات غير الشرعية مع الايزيديين أو غيرهم (لأن الجنس أممي لا يعرف الحدود والانتساب الديني!). فلن يكون مصيرهن أفضل من مصير " دعاء" ورفيقاتها الأخريات اللواتي قتلن ويقتلن باستمرار على يد الرجال

الشرفاء!. ويعرف الجميع تقريباً ماذا كانت نتائج وتداعيات مقتل الفتيات في الشيخان وبحزاني وغيرها من المناطق وماذا حلّت بالايزيدية؟!.

منذ تلك الحوادث المؤلمة، خاصة مقتل "دعاء" والطريقة التي قتلت بها، بدفع وعلم أناس معروفين للجميع، يدرك الجميع كيف تمرغت سمعة الايزيديين على المستوى المحلي والعالمي في الوحل! بدأنا نخجل من إنتمائنا الى نفس جنس تلك المجموعة البشرية القادمة من دهاليز الظلام، كائنات غريبة في هيئة بشر! لكننا قررنا عدم ترك الساحة لطيور الجثث المتعفنة. قررنا أن نبقى في الساحة لتنوير الجيل الجديد، ولهّز عروش الذين يعيشون على الكذب والدجل، يعيشون على ترهيب الناس وإسكات أي صوت معارض لهم بشتى الوسائل.

إذا كان قتل "دعاء" جريمة فردية أرتكبت بحق المرأة الايزيدية خاصة والكوردية عامة، فإن تمرير مشروع حرمان المرأة من الإرث، وبيع الفتاة تحت مسمى " المهر" تعتبر جريمة جماعية بحق المرأة وقتل وإهانة لعموم النساء، وعليه ندعو:

– أن يرفض البرلمان الكوردستاني هذا المشروع الرجعي رفضاً قاطعاً، ويساوي بين الرجل والمرأة في جميع المجالات عبر قوانين وضعية تراعي المقاييس العالمية. كما نطالب رئيس أقليم كوردستان السيد مسعود البارزاني ورئيس الحكومة أن لا يوافقوا على هكذا تشريعات تهين المرأة وتهضم حقوقها، ويجعلوا من دستور أقليم كوردستان دستوراً علمانيا يكون محل إعجاب دول العالم الديمقراطية؛

– أن تقوم المراكز والجمعيات وجميع النشاطات الايزيدية في الداخل والخارج بحملة تضامنية إعلامية قوية مع حقوق المرأة ومساواتها مع أخيها الرجل، وفضح صيغة وعملية الاستفتاء التي أقدم عليها قيادة "المجلس الروحاني" لتشغيل الناس بقضايا جانبية، ورفع رصيدهم المنهار، ولحرمان المرأة من الإرث والإبقاء على مهر الفتاة؛

– جميع الكتاب الايزيديين وأصدقائهم كتابة مقالات تندد بالاسلوب المتخلف الذي تجري عليه نقاشات التجمعات الايزيدية (المعلنة عنها على أقل تقدير) والتي تحرم المرأة من الإرث وتصر على الإبقاء على المهر؛

– أن تقوم المرأة الايزيدية نفسها وكل المتنورين الذين يقفون الى جانبها التنديد بما يجري من تشويه لسمعتها وهضم حقوقها، سواء عبر عقد إجتماعات، أو إقامة

مظاهرات إحتجاجية، أو كتابة مقالات أو تحرير مذكرات وجمع تواقيع وإرسالها الى الجهات المسؤولة ذات الصلة؛

– جميع أخيار وعقلاء ومتنوري الايزيدية إتخاذ موقف شجاع من هذه المهزلة التي إسمها إعداد " قانون الأحوال الشخصية" وتثبيت مواد رجعية فيه بما تخص الزواج والطلاق والميراث والتبني...الخ. ان شعوب العالم تتسابق من أجل الوصول الى قمة الحضارة، وغالبية الأديان تصلح حياتها الداخلية نحو الأفضل وبما يتلائم متطلبات العصر، أما الايزيدية "بقيادتها الحكيمة" يرفع شعار: الايزيدية الى الوراااااء دور!!؛

بإختصار، الايزيدية هي في أزمة حقيقة، ليس الآن وبعد سقوط النظام البعثي في العراق مثلما يصوره البعض، وإنما بدأت عشية الحرب العالمية الأولى (١٩١٣)، وتم تكريس تلك الأزمة تحت غطاء ديني مقنن عام ١٩٢٨ بتشكيل مجلس "ديني" أطلق عليه " المجلس الروحاني الأعلى" يحصد الايزيديون اليوم العاصفة التي خلفها لنا ذلك المجلس المزيّف. إذا كان الايزيديون جادين فعلاً في ترميم بيتهم الديني والحفاظ على هويتهم، وزيادة التقارب فيما بينهم، والمشي قدماً نحو العالم المتحضر وبالتالي الخروج من أزمتهم، يفترض بهم في الوقت الحاضر النضال على الجبهات التالية:

١– معالجة " المجلس الروحاني الأعلى" الأمي جداً بأمور الدين والدنيا، سواء بتغييره أو حله أو إيجاد شكل بديل له يختار أعضائه من رجال دين متنورين، يختارون فيما بعد من بينهم رئيساً لهم،، لأنه مع الأسف الشديد، غدت الايزيدية ماركة مسجلة لشخصين وعائلتين فقط، وهما المستفيدان الوحيدان؛

٢– المطالبة برفع كلمة " الثقافي" والثقافة من مركز لالش الذي لم يتخذ موقف من قضية الاستفتاء حول إرث المرأة ومهر الفتاة، وكذلك من نتائج المناقشات في أربع مجمعات ايزيدية، والأنكى من كل ذلك قام المركز من خلال مراسليها وعبر شبكتها الاعلامية التغطية على اللعية المتخلفة أصلاً؛

٣– تحريم قتل النساء وإلغاء المهر ومنع المتجارة بهن تحت غطاء " مهر الفتاة" والاصرار على حق المرأة في الميراث ومساواتها مع الرجل؛

٤– المطالبة من برلمان كوردستان والجهات ذات العلاقة عدم الأخذ بأي مشروع "قانون الأحوال الشخصية" وعدم تشريع قانون بشأنه لأن هذه التحركات من معتنقي

أية ديانة كانت تقود الى التخندق الديني وضد العلمانية شئنا أم أبينا ؛

٥– التوعية المستمرة من الكتاب والمتنورين الايزيديين عبر كتاباتهم ونشاطاتهم الثقافية بحقوق ومساواة المرأة الكاملة مع الرجل للبرهنة فعلاً أن المرأة هي نصف المجتمع، كما يطلب من أخيار الايزيدية دعم هذا التوجه لسد الطريق أمام المتلاعبين بمصير الايزيدية عامة ونصف المجتمع (المرأة) خاصة.

كوتنكن في ٢٠٠٧/١٢/١٢

القسم الثالث

الفصل التاسع

أجوبة على أسئلة "مجلة الحوار"

حوار صريح مع الدكتور خليل جندي- رئيس مركز الأيزيدية خارج الوطن

س ١: أرحب بكم باسم مجلة " الحوار" واستهل الحوار بسؤالي عن مركز الأيزيدية خارج الوطن، متى تأسس، وماهي أهداف هذا المركز؟

د. خليل/ أشكركم على هذا اللقاء المفيد وأتمنى أن يكون حوارنا فرصة لتبادل الكثير من وجهات النظر بشفافية وروح متحضرة، ومحاولة متواضعة لتسليط الضوء على بعض جوانب العقيدة الأيزيدية التي مازالت غامضة لدى البعض، ومناقشة بعض الشكوك والالتباسات التي تدور في أذهان بعض الأصدقاء وحتى بعض الجهات الكردية ازاء تأسيس بعض المنظمات والمراكز الأيزيدية الثقافية والاجتماعية. كما أتمنى لمجلة "الحوار" والعاملين فيها كل النجاح والتقدم على طريق الدفاع عن الحق الكردي المغتصب الى أن يتحقق حلم شعبنا في التحرر وحق تقرير المصير وبناء دولته القومية. وأناشد مجلتكم ومعها جميع الصحف الكردية أن تدافع وتحافظ على الكلمة الكردية الصادقة وتقف الى جانب طموحات جماهير الشعب الكردي، وتنتقد الظواهر السلبية في الحياة الاجتماعية والسياسية، وتدافع عن حقوق الانسان والعدالة الاجتماعية وتحترم حقوق الأقليات القومية والدينية.

أما بخصوص مركز الأيزيدية خارج الوطن، فانه وبمبادرة نخبة من خيرة مثقفي الأيزيدية ومعهم جمهور من المخلصين ومن إتجاهات فكرية وسياسية مختلفة، وبعد مداولات دامت أكثر من سنة، تم تأسيس هذا المركز يوم ١٩٩٥/١٢/٢٤ في أول مؤتمر تأسيسي له بمدينة (كروسنمور- سلى-ألمانيا) وتم حينها إنتخاب هيئة إدارية من ٢١ عضواً لقيادة المركز آخذاً بنظر الاعتبارالتوزيع الجغرافي لتشكيلة تلك الهيئة

بحيث ضم أعضاء من كردستان (العراق، سوريا، تركيا) إضافة الى أعضاء من أيزيدية جورجيا وأرمينيا. وقررت الهيئة الادارية في إجتماعها اللاحق أن تصدرمجلة ثقافية تراثية دورية باسم " روز" تعنى بالأبحاث حول الشأن الأيزيدي.

وبصدد أهداف المركز وكما جاء في نظامه الداخلي، يمكن تلخيص أهمها كالآتي:

- أن يصبح المركز نقطة التقاء الأيزيدية خارج الوطن وتطوير العلاقات بينهم.
- التنسيق بين الجمعيات والمراكز الأيزيدية في المهجر.
- الحفاظ على الهوية والتراث الأيزيدي بما يحمله من ثقافة وعادات وتقاليد وطقوس باعتباره جزءاً من الحضارة الانسانية.
- إقامة العلاقات مع جميع المنظمات الثقافية والجهات الدينية والاجتماعية غير الأيزيدية ومع المؤسسات الحكومية والمعاهد والجامعات المختلفة.
- جمع النصوص التراثية التي لم تدون بعد وأرشفتها وإجراء البحوث حولها.
- تسهيل مهمة الباحثين والكتاب المعنيين بالتراث الأيزيدي.
- إصدار الكتب، النشرات والمجلات الدورية وبلغات عديدة إن أمكن، مع إقامة نشاطات علمية وفنية تلقى فيها محاضرات من قبل علماء وباحثين في الشأن الأيزيدي كما جرى في المؤتمر العالمي الأول حول الأيزيدية ٢٨- ٢٠٠٠/١/٣٠ .
- إيلاء الأهمية للقضايا الاجتماعية بشكل عام وبين الأيزيدية بشكل خاص وتطويرها نحو الأفضل، والعمل على حل المشاكل الناشئة وحصرتأثيرها السلبي.
- إيلاء إهتمام كبير بتربية أطفال وشبيبة الأيزيدية من كلا الجنسين وتحصينهم من الأمراض الاجتماعية والمساهمة في إعدادهم ليكونوا أعضاء نافعين في مجتمعاتهم.
- إحياء المناسبات والأعياد الأيزيدية بشكل جماعي حيثما أمكن والحفاظ عليها. وكذلك الاهتمام بالعادات والتقاليد الأيزيدية والحفاظ على الايجابية منها بشكل خاص.
- يعلن المركز عن إستعداده لفتح باب الحوار والالتقاء مع ممثلي الأديان المختلفة والتفاهم معهم حول كلمة الحق وحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية.
- بناء الشخصية الأيزيدية المستقلة وتخليص الفرد الأيزيدي من عقدة الشعور بالنقص.

أن هذه الأهداف وغيرها تشكل من جهة حركة إصلاحية كبيرة ومهمة داخل المجتمع الأيزيدي، ومن جهة أخرى تعتبر إسهاماً في تطوير وخدمة الثقافة والفكر والأدب للشعب الكردي.

س٢ بالمناسبة، هل تتفضلون بالحديث لنا عن قدم الديانة الأيزيدية، بداياتها، أين وكيف ظهرت؟

د. خليل: الاجابة على سؤالكم ليس بالأمر الهين، ومازال السؤال يطرح في العديد من المناسبات ويناقش في الكثير من الأبحاث، والاختلاف والخلاف حوله مازال قائماً. ما من دين جهله الناس وإختلفوا في شأنه ومعرفة أصله كالدين الأيزيدي، رغم الأبحاث الكثيرة التي قامت بها مجموعة كبيرة من الكتاب والباحثين الشرقيين والغربيين، ومع ذلك لم يتبلور رأي موحد في تحديد أصل وتاريخ الأيزيدية، وينبع هذا الاختلاف- باعتقادي- من المسائل التالية:

١- العلاقة بين الفرد الأيزيدي ومعبوده في شكلها العام هي علاقة مباشرة دون وسيط (نبي أو رسول). بما أنه ليس للأيزيدية نبي محدد، فمن الصعب تاريخياً تحديد الزمان والمكان الفعلي لظهور هذه الديانة. أما إذا أخذناها بمنظور الميثولوجيا الأيزيدية وعلاقتهم بالله وطاؤوس ملك، فحينها نتخطى حدود المكان والزمان السرمدي.

٢- ممارسة طقوسها الدينية بعيداً عن أنظار الغرباء وعدم تسجيل نصوصها الدينية وطقوسها وأصولها وعدم إطلاع الغالبية العظمى من الكتاب والناس الأجانب على ماهية هذا الدين.

٣- قلة التحريات والتنقيبات الأثرية في مناطق كردستان بشكل عام ومناطق سكنى الأيزيدية بشكل خاص لمعرفة بعض جوانب تاريخهم المغيب.

وبسبب النقاط الواردة أعلاه، والتشويش الكبير الذي تم ممارسته ضد الديانة الأيزيدية، فانه من الصعب الاصرار على رأي واحد بذاته وموقف محدد حول أصل هذه الديانة وكيفية ظهورها، إلاّ أن كل ذلك لن يمنعنا من تسجيل موقفنا من إشكاليتين رئيسيتين يقع فيهما الكتاب المتعصبون قومياً ودينياً:

١- إشكالية الانتماء القومي: فالأيزيديون جزء من الشعب الكردي، لغة وتاريخاً وفكراً وجغرافية وأدباً...الخ.

٢- إشكالية التسمية والانتماء الديني: فأن اسم الأيزيدية- وحسب دلائل وقرائن كثيرة- ليس منسوباً الى (يزيد بن معاوية) أو (يزيد بن أنيسة الخارجي)- مع إحترامنا العميق لكل إنسان صالح وصاحب مبدأ يخدم تطور الفكر والمجتمع- فلم نعثر في كتب التاريخ والتراث الاسلامية وغير الاسلامية على دليل تاريخي يؤكد على أن (يزيد بن معاوية) أسس ديانة جديدة خلال سنوات حكمه الثلاثة عاما والنصف (٦٨٠- ٦٨٣م).

وإذا كان الأيزيديون يذكرون بعض الأحيان إسم (يزيد- أيزيد) في نصوصهم الدينية وأحاديثهم الشفهية، فانه إضافة الى كونه يأتي بمعنى الله، فان الأسباب الأخرى تعود باعتقادي الى:

أ- بعد توسع دائرة الفتوحات الاسلامية شرقاً وشمالاً، لاقت الشعوب والأديان الواسعة النفوذ بشكل عام(كالمسيحية والزرادشتية) والأقليات الدينية والقومية بشكل خاص أنواعاً من الاضطهاد والتنكيل لترك معتقداتهم والقبول بالاسلام. وإذا كان الكثيرون قد قبلوا بذلك، إلا أن مجموعات دينية أخرى رفضت ذلك.وخلال خلافة الدولة الأموية وبخاصة زمن حكم (يزيد بن معاوية) أفسحت في المجال لتلك المجموعات الدينية أن تبقى على معتقداتها شرط أن تحتمي تحت لواء قبيلة عربية قوية أو تحت إسم قائد عربي أو إسلامي قوي، وظهرت حينها ظاهرة(الموالي)؛ أي أولئك الناس غير العرب وغير المسلمين الذين يحافظون على قومياتهم ومعتقداتهم بتبني إسم قبيلة عربية أو إسم قائد عربي مسلم.

ولا يستبعد هنا تقبل الأيزيديين لإسم (يزيد بن معاوية) وأسماء أخرى عربية لإتقاء شرّ المد العربي- الإسلامي، أو رغبة منهم في الانتساب الى شخصية شريفة وممتازة.!

٢- بما أن الأيزيديون يؤمنون بوحدة الوجود والحلول وتناسخ الأرواح، فأنهم ربما إعتقدوا أن جزءاً من الـ"السرّ" إنتقل الى (يزيد)، لأنه وحسب رأي العديد من الكتّاب المسلمين والمصادر الاسلامية لم يتبع ديانة محمد. واعتقدت تلك المجموعات الدينية التي لاقت الاضطهاد والتنكيل على أيدي قواد الفتح الاسلامي الأوائل، بأن (يزيد) هو منقذهم.

الى جانب هذه النظرية، هنالك نظريات أخرى بشأن أصل وتسمية الأيزيدية، إحداها التي تقول بأن الأيزيدية ديانة مستقلة وأن موطنها الأصلي يبدأ بمدينة " يزد" القريبة من خراسان شرق إيران. حسب هذه النظرية فان الأيزيديون كانوا في الأصل زردشتيون. وهناك من يرجعهم الى العقيدة المانوية. إلاّ أن هذه النظرية لا تقف على أرضية قوية.

النظرية الثالثة التي تقول بعراقة الدين الأيزيدي ووجود قرائن وعلاقات متعددة الجوانب بينه وبين ديانات وادي الرافدين القديمة كالسومرية والبابلية والآشورية، ويحصرون جوانب الصلة والتطابق في النقاط التالية:

١- طقوس الاحتفالات والأعياد وخاصة عيد رأس السنة الذي يصادف أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي(سه رصال= جارشه مبوا صور= أكيتو).

٢- تحريم الزواج والكثير من الفعاليات الاجتماعية واليومية خلال شهر نيسان بشكل عام ويوم الأربعاء بشكل خاص.

٣- التقارب الكبير بين دور الإله (آنو) السومري و(نابو) البابلي و (طاؤوس ملك) الأيزيدي في الأفكار الفلسفية والفلكية حيث يعتبر الكوكب (عطارد) رمزهم جميعاً.

٤- التراتبية الدينية والالتزام بمبدأ الوراثة في المراكز الدينية هي مماثلة بين الأيزيديين وأديان وادي الرافدين القديمة، هذا إضافة الى وجود مراسيم وطقوس وأسماء ومفردات مشتركة بين تلك المعتقدات والأيزيدية.

إلاّ أن النظرية الثالثة نفسها، رغم ملائمتها وتطابقها بعض الأحيان مع الموروث الديني الأيزيدي تبقى غير متكاملة دون الالمام بجميع جوانب التراث الديني الأيزيدي وفك رموز العشرات بل المئات من الألغاز والأسئلة التي لم تتم الاجابة عليها لحد الآن. بدون ذلك من الصعب معرفة أصول الديانة الأيزيدية وتاريخها وفلسفتها. كي لا أسهب في الحديث، فقد نشرت موضوعاً باللغة الكردية بهذا الاتجاه تحت عنوان: (برسياريت وندا، يان جلونيا تيكەهشتنا فەلسەفا دينێ ئيزديان = ألغاز وأسئلة مخفية، أو حول كيفية فهم ودراسة فلسفة الديانة الأيزيدية) وهو منشور في العدد ١٠ من مجلة (روز) التابع لمركزنا، مركز الأيزيدية خارج الوطن. لمن يبغي المزيد بامكانه مراجعة ذلك الموضوع الذي أطرح فيها منهجية جديدة لدراسة التراث الأيزيدي، وان اكتمل العمل به، ربما يشكل فرضية أو نظرية جديدة تضاف الى النظريات الأخرى.

س٣: يعني هذا بأنكم ترفضون مزاعم بعض المؤرخين والكتاب، وخاصة المسلمين من أن الأيزيدية هي ملّة أو طائفة منحرفة عن الدين الاسلامي؟

د.خليل: ان نعت أو تسمية الأيزيدية بـ(الملّة) أو (الطائفة) خطأ كبيرأساساً، رغم أن الأيزيديون أنفسهم يستخدمونها أحياناً دون أن يعوا معناها وخلفيتها، حيث أن "الملّة والطائفة " مصطلحان دينيان إسلاميان، ألصقها الكتاب المسلمون بالأيزيدية عمداً على إعتبارهم فرقة إسلامية منشقة وضالة. لذا فان إطلاق مصطلح " الأقلية الدينية" على الأيزيدية يأخذ مكانه الصحيح.

بإمكان الباحث، أو لنقل من له إلمام بسيط بمعتقدات الأيزيدية وإطلاع على طقوسهم وأدبهم الديني، أن يفند مزاعم أولئك الذين يقولون باسلامية أو مسيحية الأيزيديين، أو كونهم من بقايا المانوية أو الزرادشتية. أنا لا أنكر وجود قرائن وعادات متشابهة بين الأيزيديين وتلك الأديان، كما توجد عبادات متشابة بين الديانتين الأيزيدية والمصرية القديمة، أو بين الأولى وديانة الحوريين والحثيين، أو بينهم وبين الديانة الأغريقية والسبئية فيما يخص تقديس الشمس مثلاً، حيث البيئات الجغرافية المتشابهة تخلق عبادات وثقافات متقاربة دون أن يكون هناك إحتكاك بين المجموعات البشرية المختلفة.

بينت بشكل موجز خطل نظرية إنتساب الأيزيدية الى (يزيد بن معاوية) في معرض إجابتي على سؤالك الثاني.

س٤: من هو طاؤوس ملك والشيخ آدي بالنسبة للأيزيديين؟

د. خليل: تقول بعض المقاطع من نص ديني أيزيدي:

طاوسى منى ميرانه / طاوسي هو سيد المؤمنين" الأولياء"

خالقى منى ب عه ردا هه تا عه زمانا / خالقي وخالق الأرض والسماء

ئه و سلتان شيخادييه، / إنه السلطان الشيخ آدي الذي

ميرا ب ساغى زى ددا به يانه /أثنوا على كراماته وهو حيّ

***

طاوسى من سه ردارى جه ندى ملياكه ته / طاووسي هو رئيس الملائكة

خالقه كى منى هه فتى و دوو مله ته / وخالق ٧٢ ملّة(قومية)
هه شتى هه زار خولياقه ته / وثمانين ألفاً من المخلوقات.

***

به رى عه رد، به رى عه زمانا / قبل خلق الأرض وقبل خلق السماوات
خودى هه بوو نوورى نوورانه / كان الله أزلياً
ز قودره تى كه ون كر به يانه / خلق الكون بقدرته
عه ردو عه رش و ئيمانه / وخلق العرش والايمان
ناف ل خو كرى طاوسى ميرانه./ وسمى نفسه طاؤوس الصالحين المؤمنين.

وفي نص آخر يقول:

به دشايى هه زار و يه ك ناف / سمى الإله نفسه بألف
ل خو دانايه / اسم وإسم
نافى مه زن هه ر خودايه / والأكثر تعظيماً وإجلالاً هو الله.

***

أن " طاؤوس ملك" حسب الفكر الديني الأيزيدي هو إسم من أسماء الله تعالى التي تعد بألف اسم واسم. وبما أن الأيزيدية تؤمن بالحلول ووحدة الوجود وتناسخ الأرواح، فان جزءاً من تلك القوة الإلهية " السّر" إنتقل الى الشيخ آدي كما ينعكس في المقطع الأول من النص أعلاه.

وإذا كان طاؤوس ملك معبود الأيزيدية ورمزهم الذي يتميزون به عن باقي المعتقدات، فان الشيخ آدي هو مجدد الديانة الأيزيدية في القرن الثاني عشر.

ومن يريد معرفة المزيد من المعلومات، بامكانه مراجعة كتابي: " نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية" طبعة السويد ١٩٩٧ . كما أعدت دراسة أخرى تحت عنوان " حول موضوعة طاؤوس ملك" ستلقى وتناقش في سمينار خاص خلال شهر آب من العام الجاري.

س٥: بالنسبة للشيخ آدي، في الحقيقة ثمة لغز أو أمر يحيّر الكثير منا، وهي أن مصادر عدة وخاصة الاسلامية تقول: أن الشيخ آدي كان أحد

تلامذة الشيخ عبدالقادر الكيلاني، وفي ذات الوقت يحتل الشيخ آدي مركزاً ومكاناً مرموقاً عند الديانة الأيزيدية. هل لكم أن تحلوا لنا هذا اللغز؟

د. خليل: الحكم على أية ظاهرة وخاصة الانسانية منها، يفترض أن تتم دراستها من عدة أوجه، تاريخية، إجتماعية، فلسفية، ميثولوجية، إقتصادية..الخ، وكذلك أخذ وقائعها على الأرض بنظر الاعتبار.

نحن كشعب كردي، فان تراثنا بمعناه الواسع، وحتى هويتنا القومية أصبحت مثار شكّ لدى البعض، بل وضاعت في لجّة هيجان الصراعات بين الامبراطوريات القديمة والحديثة في منطقة الشرق والغرب، كالامبراطورية الآشورية، البابلية، الفارسية، الأغريقية، العثمانية وأخيراً الامبراطورية العربية–الاسلامية. أن التاريخ يكتبه المنتصرون لا المغلوبين!.أصبح تاريخ ولغة وتراث الكوتيين والعيلاميين والكاشيين،الميتانيين والحثيين والسوباريين أجداد الكورد جزءاً من تاريخ وميراث البارسيين أو " الشعوب الايرانية" وضاعت معتقداتنا بين آشور والأغريقيين، وما تيبقى من اللغة والتاريخ والمعتقد والرموز، فقد ضاعت هي الأخرى تحت هيبة " الإله الأوحد" بعد نشر الدعوة الاسلامية، تلك الدعوة التي استغلت ذلك الاسم لدعم مشروع دولة، بل إمبراطورية مركزية لـ " خير أمة" أخرجت للناس!

أعتقد أن أحد الأسباب الرئيسية لبروز الحركة الصوفية في العهد الاسلامي، خاصة في عهد الدولة العباسية، كان في جوهرها ردّ فعل على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وتغيير مناطق نفوذ الشعوب وإختلال في الميزان الفكري والاعتقادي لشعوب المنطقة بعد الفتوحات الاسلامية. ومن بين إحدى الدلائل التي يمكن للمرء أن يبني عليها إعتقاده هو إنتماء أسماء كبار المتصوفة ورموزهم الى قوميات غير عربية كالفرس والكورد مثلا، ومن تلك الأسماء: " الشيخ جنيد البغدادي، الشيخ منصور الحلاج، الشيخ عبدالقادر الكيلاني،الشيخ عدي بن مسافر، الشيخ إبراهيم بن أدهم الخراساني، الشيخ شمس الدين التبريزي، إبن العطار، الشيخ بايزيد الباسطامي، الشيخ جلال الدين الرومي،...الخ" وعندما يلتقي هؤلاء الكبار حول مفهوم " الحلول ووحدة الوجود والتناسخ" وينادي الحلاج: " الله تحت جبتي" و " أنا الحق"، فأنه حنين الى براءة المعتقدات القديمة عندما كان الانسان ومعبوده يعيشان قريبين من

البعض، وأنه في جانبه الأخر رفض لمفهوم رسول أو نبي يتوسط بينهم وبين خالقهم.! فالدين في أساسه رياضة نفسية بين الانسان ومعبوده. ولهذا السبب لا وجود لرسول أو نبي للأيزيديين، بل يظهر بينهم مصلحين ومجددي الديانة، والشيخ آدي واحد منهم.

لو كان الشيخ آدي – كما يدعي بعض الكتاب– داعية لنشر الدين الاسلامي، فلماذا الأيزيديون الحاليون ليسوا مسلمين، بل يدينون بدين آخر يختلف عن الدين الاسلامي، علماً أنهم يبجلون الشيخ آدي وله عندهم مكانة عظيمة.

ثانياً: أدعو أولئك الأخوة أن يتمعنوا بشكل جلي في الأدب الديني الأيزيدي فيما إذا تلمسوا أو شاهدوا فيه أن الشيخ آدي كان يدعو لنشر الدعوة الاسلامية بين الأيزيديين؟...بالعكس، كان هو وأحفاده يدعون كورد المنطقة وغيرهم أن يتمردوا على الدين الاسلامي ويمنعهم عن زيارة مكّة والحج اليها. لنتمعن في هذين المقطعين من نص ديني يجري بشكل حوار بين الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني وبدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل:

به دره دين وه دبيزيه / هكذا يقول بدرالدين
هه يى شيخ هه سنو بن ئادييه / أيها الشيخ حسن إبن آدي
ته لالشه ك ئافا كريه / لقد بنيت لالشاً
ته ريبا حه جيا بريبه. / وقطعت طريق الحجاج عن مكّة.

***

شيخ هه سن وه دبيزيي: /هكذا يرد عليه الشيخ حسن
ئه ى به دره دينو! / ايه بدرالدين!
ب عزه تى خودى كه م، ئيلاهييه / أقسم بالله العظيم
حه جا مه زمزمه و مغاره و /حجنا هو: زمزم والمغارة
كافه و كانيا سبى يه /والكهف والعين البيضاء
به دشا ب خو شيخادييه. / والشيخ آدي هو السلطان بذاته.

***

س ٦: من الأيزيديين من يقول: بأن الأيزيدية هي إمتداد للزرادشتية، وأن زرادشت هو نبي الأيزيديين، وأنتم من الذين يقولون بأنه ليست هناك من

علاقة بين الأيزيدية والزرادشتية. ماهي الحقيقة، وماهي دلائلكم في هذا الشأن؟

د. خليل: إذا كان بعض الكتاب الكرد المسلمين أمثال الأساتذة (توفيق وهبي، أنور المائي، شاكر فتاح) رحمهم الله، يربطون الأيزيدية بالزرادشتية، فكان ذلك من موقف قومي ووطني مخلص وشريف قبل أن يكون مبنياً على حقائق علمية وتاريخية. أما بالنسبة لبعض الأيزيديين الذين يدعون وبشكل أعمى بأن الأيزيدية هي إمتداد للزرادشتية، فهو موقف سياسي صرف لا يستند على أرضية تاريخية أو فكرية أو دينية، بل أنه ترديد لرغبات شخصية وإسهام من أصحاب القائلين بها– دون أن يدروا– في تحطيم كيان العقيدة الأيزيدية فيما لو نجح مشروعهم. وقد وضحت فكرتي حول هذه المسألة في مقابلة معي نشرت في مجلة " هافيبون " العدد الأول والتي تصدر من قبل مجموعة من الكتاب وبدعم من جامعة برلين الحرّة ولمن يريد المزيد يمكن مراجعة تلك المقابلة.

منذ إقامتي في ألمانيا عام ١٩٩٢، تصدّيت لأصحاب هذا الطرح وحاججتهم في أكثر من مناسبة ومكان. وكانت خطورة طروحاتهم تكمن في هجومهم على رموز الدين الأيزيدي ك (طاؤوس ملك، الشيخ آدي، الشيخ حسن، الشيخ شمس...الخ.) والتقليل من خصوصيات الديانة كالنظام الطبقي التراتبي والتبشير بالزواج المفتوح.

أنت حينما تريد تفكيك عقيدة ما، ابدأ بالهجوم على رموزها وخصوصياتها تمهيداً لإبراز "رمز" آخر يحل محلهم وتحت عناوين آيديواوجية وقومية وفكرية براقة!.

لا أنكر وجود علاقات–أو لنقل أشياء مشتركة– بين الديانتين الأيزيدية والزرادشتية، كما توجد مشتركات بين الايزيدية وغيرها من الأديان، كما جرى الاشارة اليها في مكان آخر، بل لا أتفق مع الرأي القائل أن الأيزيدية إمتداد للديانة الزرادشتية، وأن زرادشت هو نبي الأيزيديين. ان وجود أشياء مشتركة بين ديانتين لايعني التماثل والامتداد، وأن ما يجمع بين الأيزيدية من جهة واليهودية والمسيحية والاسلام من جهة أخرى هي أكثر بكثير ما يجمع الأيزيدية مع الزرادشتية.

وإذا كانت الفرصة لا تسنح لنا مناقشة أوجه التشابه والخلاف بشكل مفصل إستنادا الى مصادر علمية، فانني ألجأ هنا فقط الى المنطق وأشير الى بعض نقاط

الخلاف العقّدية والجوهرية بين الأيزيدية والزردشتية وأترك الحكم للقارئ الكريم إذا كانت الأيزيدية إمتداداً للزرادشتية:

١- لا تلتقي الأيزيدية مع الديانتين (الزرادشتية والمانوية) في العقيدة الثنوية، فلا وجود لإله للخير وآخر للشّر عند الأيزيدية، بل أن قوة الخير والشّر تجتمع في الإله ذو الثنائية في الواحد. ويأتي في أحد أدعيتهم: (يا ره بى خيرا بده، شه را وه ركه رين = بمعنى: يا رب! امنح الخير، وامنع الشّر). هنا في هذا الجانب تلتقي فكرة الأيزيدية مع المذهب الجبري أو القدري في الاسلام كون مفهوم الخير والشّر من عند الله، وأن الانسان مسيّر لا مخيّر.

٢- دفن الموتى: يعتبر القبر عند الأيزيدية البيت الحقيقي والأبدي للجسد أو الروح، بينما يضع الزرادشتيون الجثث على مرتفع عال لتأكله الحيوانات. وأن للروح عندهم بداية ونهاية، أما عند الأيزيديين فليس للروح بداية أو نهاية بل أنها سرمدية، خلقها الله قبل كل شيء ووضعها في القنديل قبل أن تنتقل الى جسم الكائن وتخرج منه بعد مماته.

٣- إذا كان التدخين من المحرمات لدى الزرادشتيين، فان للتبغ مكانة خاصة عند الأيزيديين وإله يرعاه.

٤- الموقف من الحيوانات المقدسة وتقديمها كقرابين.

٥- و إذا كان زرادشت نبياً للأيزيديين، لكانوا على الأقل يذكرونه ولو مرة واحدة في صلواتهم وأدعيتهم وأقوالهم الدينية!..مع العلم يتم ذكر أسماء أنبياء وأولياء آخرين مثل: موسى، عيسى، نوح، إبراهيم الخليل..الخ.

٦- وإذا كانت الأيزيدية إمتداداً للزرادشتية، لماذا لم يعرف الأيزيديون كتباً باسم " زند آفيستا" أو " كاتها"، ولماذا لم يحفظوها في بيوتهم، ولماذا يجهدوا أنفسهم في البحث عن كتابي " الجلوة" و" مصحف رش" المفقودين؟!

أخيراً: هل الزرادشتية ديانة خاصة بالكورد حتى تكون مقياساً للتعصب وكل من لم يبدي ولاء الانتماء اليها يشك في إنتمائه القومي؟. ألا يتواجد بين الشعب الكردي قديماً وحديثاً الكثير من الأديان، كاليهودية، المسيحية، الاسلام، الكاكائية، الأيزيدية، دين عبادة ظواهر الطبيعة والزرادشتية...الخ.

س٧: لنسلم برأيك ونقول لا رابطة بين الأيزيدية والزرادشتية، فكما تعلم يا دكتور أن لكل ديانة رسول بشر بها، فما هو إذاً اسم رسول الديانة الأيزيدية؟

د.خليل: أعتقد أن السؤال يحتاج الى تعديل بسيط أو الى إعادة صياغة على الشطر الأول وتوضيح للشطرالثاني، بدل "لا رابطة" بين الأيزيدية والزرادشتية، نقول: أن الأيزيدية ليست إمتداداً للزرادشتية. كما جاء في معرض إجابتي على السؤال السادس.

أن تعميم (لكل) ديانة رسول بشر بها، ليس دقيقاً. فهناك أديان لا رسول لها ولا نبي. فالمسيحيون مثلاً لم يقولوا نبوة (عيسى) بل يقولون أنه " ابن الله". ولم يكن (بوذا) رسولا، بل مفكراً ومؤسساً للديانة البوذية، وكذلك الحال مع زرادشت وآخرين.إن ديانات الطبيعة والخصب الأولى؛ ديانات " براءة الفكر البشري" إن صح التعبير، لم تكن تعرف نبياً أو رسولاً يتوسط بينهم وبين معبودهم. فعلاقة البشر في الديانات القديمة، كانت علاقة مباشرة بين الانسان ومعبوده. وأن المجموعات البشرية الرعوية (البدو) الذين يتنقلون بقطعانهم في الصحراء الشاسعة لن يكونوا محتاجين الى نبي ولا حتى الى إله ثابت، بل كانت علاقتهم روحية ووثيقة مع " القمر " و " النجوم" التي تحدد لهم الجهات وحركة الزمان والمكان، بحيث جعلوا من القمر إلاهاً سموه (سن). وكذلك الحال مع المجموعات التي كانت تمتهن مهنة الزراعية، فكان" الشمس" و " المطر" من أقرب المواد المحسوسة الى حياتهم اليومية، فجعلوا لكليهما إلهين " إله الشمس "و " حدد" وانتشر عبادة وتقديس الشمس في قارة آسيا، اوربا، أفريقيا وأمريكا اللاتينية. وكان إله الشمس أكبر آله الفراعنة (رع- آتون) وفي الدولة السبئية وعند السومريين والبابليين والآشوريين وفي دولة الحضر، وكذلك عند الحثيين والحوريين وعند الأغريق وعند الديانة الميثرائية..الخ.

فالعقيدة الأيزيدية هي من بين تلك المعتقدات القديمة" ديانات الظواهر الطبيعية" التي لم تحتاج الى رسول أو نبي يدلهم الى معبودهم الذي يحسون ويحتكون به بعقلهم. بالمناسبة نلاحظ لحد اليوم علو مكانة الشمس والقمر عند الأيزيدية إضافة الى ظواهر طبيعية أخرى.

س ٨: أفهم من كلامكم أن الديانة الأيزيدية هي ديانة خاصة بالكرد دون غيرهم؟

د. خليل: الدين عندما يرفض التبشير ولا يقبل في صفوفه غير الذين يولدون من أب وأم أيزيديين، بطبيعة الحال يكون ديناً مغلقاً بمجموعة بشرية اثنية- قومية خاصة. فالأيزيديون تاريخياً وجغرافياً ولغة وأنثروبولوجيا، يعتبرون جزء من الشعب الكردي. صحيح يوجد هنالك قريتان أيزيديتان وهما بعشيقة وبحزاني يتكلمون لهجة خاصة هي مزيج من العربية والكردية، إلاّ أن العشائر التي ينتمون اليها(كالهكارية والدوملية والهراقية والختارية...الخ.) هي عشائر كردية.

س٩: وما رأيك بالذين يدعون بأن الأيزيديين لا علاقة لهم بالكرد؛ فالأيزيديين وعلى حد زعم هذا البعض شعب قائم بذاته، وعلى سبيل المثال في العام الماضي ظهر (الشيخ) أنور معاوية على شاشة القناة التلفزيونية (أسيريا ت. ف)الآثورية، وقال بصريح العبارة: نحن الأيزيديين لا علاقة لنا بالكرد رغم أنهم يدعون (أي الكرد) بأننا منهم. وكرر نفس العبارات في لقائه مع جريدة " الزمان " بعدها بعدة أيام. ولقد صرح الشيخ درويش حسو في أكثر من مناسبة بأن الأيزيديين ليسوا أكراد في الأصل، ولا أنسى بأن هناك من يتهمكم، أو لنقل يتهم البعض منكم (أقصد مركز الأيزيدية خارج الوطن)، بأن هناك تيار في هذا المركز يريد الايقاع والفصل بين الأيزيدية كدين قديم للكرد والكردايتي كقومية، وظهر هذا الأمر جلياً في مؤتمركم الذي عقدتموه أواخر العام الماضي في مدينة " هانوفر" الألمانية، وحدث أن انسحب وفد مركز لالش القادم من دهوك، جنوب كردستان إحتجاجاً على منعكم لكلمتهم. ظهرت أكثر من مرة في الأعداد الأولى من مجلتكم " روز " تعبير (الشعب الأيزيدي). سؤالي هو الآتي: إذا كنتم توافقون على تسمية الأيزيديين بـ" الشعب الأيزيدي"، إذاً ماهو دين هذا الشعب؟ وأين وطن هذا الشعب المستقل كما يزعم البعض؟؟ وماهي لغته؟ وإذا لا توافقون على ذلك فكيف ترد على هؤلاء أو على هذا التيار الخاطئ؟

د. خليل: سؤالكم فيه خلط كبير بين الصالح والطالح، بين المشبوه والنظيف، بين القومي والوطني المزيف والمتستر تحت الغطاء القومي وبين الوطني الغير متملق والذي ينظر لمجتمعه بعين ناقدة،بين من تطوعوا لخدمة الأنظمة المعادية للشعب الكردي وبين أناس خدموا بإخلاص من أجل شعبهم ووطنهم، كما أن الشطر الثاني من سؤالكم مبني على المواقف الخاطئة للغيرأساسا من مركزنا ومؤتمرنا العالمي، وهنا بإعتقادي تكمن خطورة التعصب القومي والنظرة الضيقة وتضيع عندها الموضوعية والاحتكام الى العقل في مناقشة الكثير من القضايا، مع ذلك سأحاول وبشكل مكثف أن أجاوب على سؤالكم.

أريد هنا أن أوضح لكم وللقراء الكرام موقفاً هو أنه لست متعصباً قومياً ولا دينياً، ولا أحب الشوفينية في القومية والسلفية الانغلاق في الدين.وأعتز في إنتمائي الى كليهما كهوية تاريخية إنسانية وأحب كليهيما بقدر ما يساهمان بشكل إيجابي في إغناء الحضارة العالمية الانسانية وفي إحترام الفرد ومقارعة الظلم وترسيخ العدالة والمساواة والصداقة بين الشعوب. ومقابل ذلك أرفض شوفينية وتعالي القوميات السائدة (العربية، التركية والفارسية) على شعبي الكردي وإغتصابهم لحقوقنا القومية والانسانية. كما أرفض الاضطهاد والارهاب الفكري السلفي من قبل الاسلام السياسي على الأقليات الدينية في المنطقة، هذا أولاً، وثانياً: لا أستغرب فيما إذا برزت أصوات تطلق هنا وهنالك صرخة غير مسؤولة، فأنهم في نهاية المطاف لا يمثلون إلا صوتهم ويعبرون عن مصالحهم الشخصية والعائلية، ويخدمون- شئنا أم أبينا- مخططات وتوجهات أنظمة وجهات معادية لأماني الشعب الكردي.

مع انني لا أحبذ الدخول في نقاش مع هؤلاء ولا أذكر أسماء، لكن مع ذلك لابأس أن يذكر المرء (للتذكير فقط) أن والد أحد الذين ذكرتهم(هو الآن في ديار الحق) كان مشاركاً في ثورة أيلول أواسط الستينات وأواخرها وكان على صلة جيدة بالمرحوم مصطفى البارزاني، فلا أدري كيف توصل إبنه الى أصل الأيزيدية؟.أما بالنسبة للأخ الثاني، ففي الحقيقة لم أقرأ أو أسمع له تصريحاً بهذا الشأن، وإن صح ما نسب اليه، فانه لم يقولها عندما كان عضواً في البرلمان الكردستاني في المنفى، بل شعر بها بعد خروجه منه!.

ولكن هناك من يقول: لماذا نركز توجيه سهامنا الى نفر نعرف موقفه وكوامنه مسبقاً، وآخر يريد أن يجتهد، ونغض الطرف عن عشائر كردية بغالبيتها تخدم وعبر تاريخ طويل الأنظمة التي تضطهد الشعب الكردي، أو لا نحس بمخاطر أحزاب وحركات إسلامية كردستانية وهي تحمل بالضد من الأمن القومي الكردي، ولا تؤمن بحق تقرير المصير لشعبهم؟..ولماذا السكوت والتسترعلى ماضي شخصيات كردية كانت أداة بيد الأنظمة القمعية والآن تتبوء مراكز حساسة وتحتمي في ظل أحزاب كردستانية حاكمة في إقليم كردستان العراق؟

وفيما يخص الشطر الثاني من سؤالكم و" إتهام" البعض لنا، أو لقسم من أعضاء مركزنا، كونهم يريدون الفصل بين الأيزيدية كديانة والكورديتي كقومية إتهام باطل وغير واقعي وفيه تحامل قاسي، بل وتشهير من جهة القائلين به. ويأتي هذا الاتهام من جهات أو أشخاص عدة ولكل منهم غرضه وأهدافه. أخطر تلك الاتهامات هو من أناس ذو تاريخ، أقل ما يقال عنه أنه غير نظيف سياسياً وإجتماعياً، ولهم إرتباطات علنية وخفية مع الانظمة التي تحتل كردستان، وأنهم بدعايتهم هذه أرادوا التغطية على تاريخهم غير المشرف عبر إختلاق التهم ضدنا وضد مركزنا.

أما القسم الآخر الذي حشر أنفه في حملة الاتهام هذه، كان محسوباً على أولئك الذين لايعرفون معنى الحوار وتقبل الرأي الآخر ولا يؤمنون بمبدأ الديمقراطية. ويمكن أن ندخل ضمن هذه الخانة العديد من الأحزاب الكردية التي لم تستوعب لحد الآن معنى العمل الديمقراطي الثقافي والذين يحاولون أن يسيسوا كل شئ. ويدخل ضمن هؤلاء بعض المسؤولين الأيزيديين الذين يخافون على مراكزهم ويقفون ضد أي تجمع أيزيدي يساهم في رفع مستوى وعيهم. وآخرون لا يجدون إلّا في الانتهازية والتملق أرضية لتحركاتهم والتغطية على شخصيتهم الضعيفة وفرصتهم لتبّوء بعض المراكز الوهمية لدى هذا الحزب أو ذاك والحصول على بعض الامتيازات المالية. وهناك بعض البسطاء من الناس الذين ينخدعون بالأعلام المضاد، لكنهم سرعان ما يعرفون الحقيقة ويتراجعون...

ولو أننا عبرنا عن مواقف المركز بخصوص تلك الزوبعة الاعلامية المضادة والتشهير الظالم ضد المؤتمر العالمي الأيزيدي الأول عام ٢٠٠٠ في مدينة هانوفر الألمانية،

وكشفنا عن مسبيبها والجهات التي وقفت وراءَها في بياناتنا وتوضيحاتنا وفي الرسالة المفتوحة الى المكاتب السياسية للأحزاب الكردستانية، ورسالة خاصة الى الأخ مسعود البارزاني، رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني. ونشرنا تلك الوثائق، ماعدا الرسالة الأخيرة، في العدد التاسع من مجلتنا (روز).

أردنا من ذلك المؤتمر، أن تكون فعالية علمية تضامنية تعريفية وليس ميداناً للمزايدات السياسية، ألا أن وفد مركز لالش القادم من دهوك أراده منبراً للدعاية السياسية الحزبية، ولتعزيز المواقع وكسب الامتيازات على حساب المصلحة العامة. لقد كان عشرات الألوف من الأيزيديين وأصدقائهم يتلهفون وينتظرون بفارغ الصبر لسماع وقائع المؤتمر من الفضائيات الكردستانية، فإذا بهم يسمعون ويرون قبل المؤتمر وبعده ما لم يكن يتوقعوه ويتمنوه. لقد بثت الفضائية على لسان الوفد القادم من دهوك نفس ما كان يتمناه النظام العراقي، أو لربما المخطط له، حيث كان هنا في ألمانيا أثناء المؤتمر معتمد النظام المعروف بمعاداته للمركز وللمؤتمر، والذي التقى مع وفد مركز لالش يوم ٢٠٠٠/١/٢٧ عند الساعة الثالثة عصراً تقريبا. وما قيل أنه مؤتمر " تعريب" هو ما يلتقي مع نهج النظام العراقي وممارساته بتعريب مناطق الأيزيدية في شنكال والشيخان وقسم من مناطق دهوك.

أما بخصوص الشطر الأخير من سؤالكم حول إستخدام مصطلح " الشعب الأيزيدي" الذي يقابله " مللە تى ئيزدى " باللغة الكردية، فأن إستخدامه لايأتي بمعنى الشعب أو القومية، وهو مصطلح إسلامي، أي " مللە ت " ويأتي بمعنى " المذهب والشيّع " التي ظهرت في الاسلام بعد وفاة نبيهم. وبما أن غالبية الكتاب المسلمين عدوا الأيزيدية" اليزيدية" على حد تعبيرهم فرقة إسلامية، لأنهم أطلقوا على الأيزيدية تعبير " ملّة " أو " طائفة " ويستخدمه الأيزيديون كخطأ شائع دون أن يدروا. وقد شرحت في أحد أعداد مجلة " روز " وفي معرض الاجابة عن سؤال أحد القراء عن خطأ وخطورة إستخدام هذين المصطلحين. فالأيزيدية ديانة قائمة بذاتها وليست بـ " ملّة " أو " طائفة".

س ١٠: إذاً، لماذا لا يحتفل مركز الأيزيدية خارج الوطن بالعيد القومي الكردي " نوروز" ولماذا يرفض الأيزيديون من تزويج أولادهم من الكرد

المسلمين(مع وجود إستثناءات تخرق القانون) بدعوى الحفاظ على الأيزيدياتي؟

د. خليل: ألا تتفق معي أن لكل جمعية، إتحاد، رابطة، مركز، نقابة،...الخ إختصاص ومهمات معددة يتحرك ضمن حدودها وإلا يتعدى خطوطه. فهل بإمكان إتحاد نساء كردستان مثلاً أن يقوم بتنظيم دورات للتوعية الزراعية؟ أو القيام بمهام نقابة الأطباء والصيادلة؟..فمركز الأيزيدية خارج الوطن، مركز ثقافي، إجتماعي، علمي يقوم بالبحث والتدوين والتوثيق والحفاظ على الهوية التراثية الأيزيدية. ولا يستطيع أن يقوم بدور إتحاد أدباء الأكراد، أو نقابة معلمي كردستان. ونعتقد أنه باختصاصه هذا يخدم أحد الجوانب المهمة من جوانب الحياة الثقافية والأدبية الكردية. وهنا أوجه بسؤالي اليكم: لماذا لاتقوم المنظمات الكردية الاحتفال بالأعياد والمناسبات الأيزيدية؟

أن تنظيم عيد " نوروز" هو بالدرجة الأولى من مهام المنظمات السياسية الكردية. وإذا كان قصدكم المشاركة من قبلنا في هذا العيد، فأنه واجب على كل كردي الاسهام فيه، وحسب معرفتي فأن أعضاء مركزنا لا يقصرون بذلك وأن قسم منهم يقومون بدور متميز في إحيائه.

وبصدد الشطر الثاني من سؤالكم، فأعتقد أن الالحاح في طرحه بهذا الشكل يثير مشاعر المتدينين الأيزيديين، كما أعتقد أن عدم التزاوج لايعرقل تطور المجتمع الكردي ولا يهدد أمنه القومي. إنني أعطيت بعض الاشارات ضمن جوابي على السؤال السادس، ولابأس أن اعطي توضيحات أكثر وأوكد بأن لكل دين وأقلية أثنية وقومية خصوصياتها وعاداتها وطقوسها، وإلا لم تبقى كمجموعة دينية أو أثنية خاصة. فقضية التراتبية الطبقية الدينية، والزواج المغلق، وعدم التبشير بالدين ومعتقدات أخرى هو من بين خصوصيات الدين الأيزيدي؛ فإذا كان الزواج فيما بين الأيزيديين أنفسهم منقسماً على خمس طبقات أو(مجموعات) دينية وهي: (الآدانية، الشمسانية، القاتانية، البيرانية، والمريدية) وكل من هؤلاء يسمح له فقط التزاوج ضمن طبقته، فكيف يطلب من الأيزيديين الزواج المفتوح من غير الأيزيديين.تصور أخي الكريم أن الاسلام الذي يربو تعداده على المليار نسمة يمنع من زواج مسلمة من غير مسلم. فكيف تطلب ذلك من أقلية دينية عدد نفوسها أقل من مليون في كل العالم!..

من المؤكد أن مثل هذه القضايا الحساسة لا تعالج بقرارات أو تمنيات، وتكمن خطورة ذلك في ذوبان الأيزيدية في بحر الاسلام والمسيحية.

س١١: عزيزي الدكتور خليل: كما تعلم ويعلم الكثير منا، أن أعداء الأمة الكردية يحاولون دائماً شق صف نضال الشعب الكردي وبأساليب متباينة، وما يلبث أن يهترئ اسلوب فيبحث العدو عن اسلوب جديد. كيف يرى الدكتور خليل جندي ذلك؟...أليس هذا أيضاً اسلوب جديد وخطير تفبركه الجهات المعادية لشعبنا؟

د. خليل: أخي الكريم، سؤالكم فيه نوع من الضبابيه وغير مفهوم، وأية جهة تقصد وعن أي اسلوب خطير تتكلم يلجأ اليه العدو لتخريب نضال الشعب الكردي؟! إلا أنه، وبغض النظر عن عدم توقف العدو للنيل من نضال شعبنا كما تقول، بإمكاني القول، بأننا نبالغ حول مفهوم المؤامرة والدسائس التي يلجأ لها العدو، ونضع جميع إنكساراتنا ومآسينا وأخطائنا وتخلفنا على عاتق الغير، ونبرئ ساحتنا منها. لنفترض جدلاً أن العدو دفع وأراد للأحزاب الكردستانية أن تتقاتل فيما بينها، فلماذا لجأت تلك الأحزاب فعلاً الى الاقتتال الداخلي!

نحن جميعاً، وفي المقدمة منها الأحزاب والمنظمات السياسية الكردية والكردستانية بحاجة الى مراجعة نقدية شاملة وترتيب البيت الكردستاني أولاً، وأخيراً تشخيص مواطن الخلل في عملنا والعوامل المعرقلة لتقدم المجتمع وإطلاق الحريات والمصالحة الوطنية وتحريم الاقتتال الكردي– الكردي. وإذا استطعنا جميعاً محاربة الجهل والتخلف وتقليم أظافر الانتهازية والتملق والوصولية داخل الجسم الكردي، وفي حياتنا السياسية والاجتماعية، وبادرنا ببناء البنية التحتية لمجتمعنا وقمنا بايلاء إهتمام أكبر بأمننا القومي أكثر ما نوليه للبلدان التي تحتل كردستان، حينها يمكن أن نقول بأن العدو يلاقي صعوبة في شق صفوف شعبنا.

س١٢: لنأتي الى العلاقة بين فصائل حركة التحرر الوطني الكردية والأخوة الأيزيديين خارج الوطن، أرى بأنها دون المستوى المطلوب، هل تشاطرني هذا الرأي؟

د. خليل: يفترض أن يكون مسؤولو الأحزاب والمنظمات السياسية الكردية أكثر تواضعاً ودبلوماسية وتحملاً وخبرة في التعامل مع الجماهير الكردية في المهجر، تتفهم مشاكلها، وتبادر المشاركة في نشاطاتها، وتستوعب النسيج الفكري والمذهبي للكرد، وتقبل الرأي المخالف، ولا تحاول أن تستغل بسطاء الأيزيدية من أجل مصالحها الحزبية الضيقة. بهذه الروحية يمكن بناء علاقات صحيحة وسليمة.

س ١٣: وماهو السبيل الى إيجاد علاقات صحيحة؟

د. خليل: العلاقات الصحيحة تبنى على جملة عوامل وأسس من أهمها، بإعتقادي خلق الثقة، وأقولها لكم صراحة أن هذه الثقة مهزوزة لدى الانسان الأيزيدي ومزروعة في وعيه اللاشعوري تجاه الذين تسببوا عبر التاريخ لبني جلدته وسبيهم وإهانتهم من المسلمين العرب والكرد والترك والفرس. فهل تعتقد أنه من السهولة بمكان نسيان إبادة(٧٠٠ ٠٠٠) ماءة ألف أيزيدي وسبي مئات النساء والأطفال في حملات أمير كردي بمفرده(الأمير محمد الرواندوزي- ميرى كوره) وأعداد أقل منها في حملات أمراء بابان والعمادية وبوتان.أنا لا أذكر إبادات الأتراك والعرب والفرس للأيزيديين كونهم من عنصر آخر غير كردي. فهل يتجرأ الكرد المسلمون من خلال الأحزاب الكردية (القومية والإسلامية) ومن خلال أئمتهم ورجال دينهم، مجرد تقديم اعتذار بسيط للأيزيديين عما لحق بهم من غبن؟!.وهل الحركات الاسلامية الأصولية ومعهم شريحة متدينة، مستعدة للتخلي عن كبريائهم الديني ونفي الغير وفتح صفحة جديدة من التسامح الديني والتكافؤ والحوار بين الأديان؟

بالطبع، أبناء الأيزيدية ليس لديهم خوف من الشريحة الوطنية المثقفة في الوقت الحالي، وهم نسبة قليلة جداً لا تتعدى ١٠٪ في كل الأحوال، وهم يقومون بدورهم الوطني والقومي وموقفهم هو محل تقدير، لكن الحذر هو من الشريحة السلفية المتعصبة.

نعم هذا جانب واحد من المسألة، لكنه الأكثر حساسية، فهل يمكن مناقشته وإيجاد حل له؟!

س ١٤: من خلال إطلاعي على بعض الكتب والأدبيات الخاصة بالديانة

الأيزيدية، وكذلك حضوري لبعض المآتم والمناسبات الخاصة بالأخوة الأيزيديين، تبين لي بأن الأيزيدية لا علاقة لها " بالشيطان" بتاتاً. الأيزيدية مثلها مثل غيرها تؤمن بالله الواحد. فلماذا تثور ثائرة الأيزيديين عندما يلفظ شخص ما أمامهم لفظ " الشيطان"؟ ألا ترى بأنه عندما يثور الأيزيدي وكأنه يثبت عليه هذه التهمة(تهمة عبادة الشيطان)؟

د.خليل: بعيداً عن الميثولوجيا ودون الرجوع الى تطور الفكر الديني، دعني أقص عليك قصة من واقعنا الكردي، يقال: أن رجلاً كان يقود حماره المحمل بالأثقال وعلى مسافة قليلة يتبعه رجل غريب، فعندما وصل الرجل الأول بداية سفح مرتفع، بدأ حماره يتباطأ ولم يقوى على المشي، فكان صاحبه يضربه ويدير وجهه شطر الرجل الغريب بحيث يفهم من تصرفه وكأنه يضرب حماره نكاية به. وتكرر الحال أكثر من مرّة، مما حدى بالرجل الثاني أن يدخل في عراك مع صاحب الحمار، وقال له: ما شأني بك وبحمارك، ولماذا تضربه وتسمعني كلمات وكأن لي ضلع في الموضوع؟!...

إن الذين بدأوا بالفتوحات والتوسع وأرادوا الاستيلاء على قرى وممتلكات الأيزيدية، كانوا يتسترون وراء مبررات فكرية- دينية لتبرير ممارساتهم اللاإنسانية، وألصقوا تهمة عبادة إله الشّر كما يعتقدون بالأيزيدية. وكما ذكرت في مكان آخر فأنه ليس في الديانة الأيزيدية إلاهان؛ أحدهما للخير والآخر للشّر، بل أن كلا القوتين تصدران من مصدر واحد.!

س١٥: مادام الأمر كذلك، إذاً لماذا لا يصنع المثقفون الأيزيديون هذا الأمر البالغ الحساسية لأتباع الأيزيدية؟

د. خليل: مع أن هذه التهمة تم إلصاقها زوراً وبهتاناً بالأيزيدية من قبل أعداء الأيزيدية كما أشرت اليه في السؤال١٤، ألا أنه في الفترة الأخيرة تم عقد لقائين للكتاب الأيزيديين، إحداهما في شهر ديسمبر/٢٠٠٠، والآخر في شهر نيسان/ ٢٠٠١ بحثوا فيهما جملة قضايا ومسائل فكرية، وكان الموضوع المنوه أعلاه ضمن جدول العمل. وأعتقد أنه يخصص له سمينار خاص في شهر آب من هذا العام،يلقى فيها ثلاثة مداخلات معدة بهذا الشأن ويتم مناقشتها من قبل الحاضرين.

س١٦: هناك بعض الطقوس والأمور عند الديانة الأيزيدية لا تتماشى وروح العصر، مما تسئ أولاً وأخيراً الى الديانة الأيزيدية وتعرقل تطورها وتقدمها. على سبيل المثال يكاد ينعدم الاجتهاد عند الديانة الأيزيدية. موضوع الوظائف الدينية التي تنتقل بالوراثة من الآباء الى الأبناء، بغض النظر عن الكفاءة واستحواذ الشخص على قدر كاف من علوم الدين، مما يؤدي في النهاية الى إستغلال هذا الشخص أو ذاك الى سلطته الدينية والاثراء على حساب أبناء جلدته، وأخص هنا مرتبة المير والشيخ. لابل هناك البعض ممن يستغل جهارة مركزه هذا في جمع المال. ألا ترى معي بأن الأصح هو الاحتكام الى الكفاءة والمستوى الثقافي والعلمي والإلمام باصول الديانة الأيزيدية هو الأصح؟

د. خليل: يجب أن نفرق بين الطقس " الطقوس" باعتباره نشاط جماعي يدور حول معتقد ديني ويرتبط بزمان موغل في القدم، ينبغي أن يحترم. أما إذا تقصد بعض " الممارسات" التي بحاجة الى مراجعة وإصلاح، فهذا ما أتفق معكم من الوجه العامة، أما التفاصيل فتحتاج الى مناقشة. وأود أن أقول أن جميع الأديان مهما كانت بريئة، فان القائمين عليها وبمرور الزمن يستغلون مشاعر بسطاء الناس ويجيرون الدين لمصلحتهم، لا بل يستخدمونه في نهاية المطاف أداة بيد السلطات الحاكمة، والويل إذا إجتمع الدين والدولة معاً، فحينها يصبح عاملاً معرقلاً لتطور المجتمع.

نقول أن الدين الأيزيدي مقارنة مع أديان أخرى، في ممارسة العديد من الطقوس وأداء الفرائض والواجبات الدينية يحمل قدراً من المرونه ويتلائم مع البيئة بشكل إعتيادي وبدون ردة فعل كبيرة، وإصرار للسلفية. على سبيل المثال لا الحصر، الشخص الذي لا يصوم أو يصلي يومياً ولا يحج الى لالش، وحتى إذا رفض أن يدفع الخيرات الى شيخه أو بيره، فانه لن يحارب من قبل المجتمع الأيزيدي ولن يطرد منه.

أما بخصوص الاجتهاد، فان إنعدامه عند أي دين أو في أية مسألة أخرى، فان ذلك الدين يبقى جامداً ولا يتطور. لأن الدين كأي كائن إجتماعي بحاجة الى تجديد كي يلائم نفسه مع تطور العصر ولا يصبح معرقلاً له. أما الوظائف الدينية والتراتبية، فيمكن النظر اليها من زاويتين؛ الأولى: كونها من إحدى خصوصيات الدين فعلينا

إحترامها حتى إذا كان البعض لايؤمن بها. الثانية: نحن في مركز الأيزيدية خارج الوطن،ومعنا جمهرة كبيرة، ندعو الى إجراء إصلاحات في المجتمع وإقامة مؤسسات لتمشية أمور الأيزيديين، والوقوف بوجه الاستغلال باسم الدين، وفتح مدارس دينية ليتبوأ الخريجون الأكفاء المراكز الدينية والدنيوية، حتى أن هنالك أصوات ترتفع هنا وهنالك لإنتخاب المير بشكل ديمقراطي وبحيث يتوفر فيه مواصفات الكفاءة. ونحن كمركز أصدرنا بيانات (١٩٩٧/٧/٢) بهذا الشأن وشرحنا موقفنا في إفتتاحيات مجلة (روز) وفي مناسبات عدة، وهذا ما يجعل مركزنا محط آمال غالبية الأيزيديين ويبنون عليه آمالاً كبيرة.

س ١٧: سؤال شخصي: كانت لكم سابقاً إهتمامات بالقضايا القومية، الى جانب الاهتمام بأمور الأيزيدية، لكنكم في الفترة الأخيرة انصرفتم كلياً الى الجانب الديني، كما تتجنبون الحضور والمشاركة في الأمسيات والمناسبات المتعلقة بالشأن الكردي. هل لكم أن توضحوا لنا سبب ذلك؟

د. خليل: ألا تعتقد معي أن الشأن الأيزيدي هو أيضاً جانب من جوانب القضية الكردية؟.أما إذا كنتم تتصورون إبتعادي عن القضايا السياسية بمعناها الحزبي، وإنصرافي كلياً- كما تقولون- الى الجانب الديني، فهذا ما يحتاج الى وقفة تأمل وتوضيح.

أحبذ إستخدام مصطلح" التراث بدل الدين. وأنا أتعامل مع " الدين " كتراث وخزان لفكر الانسان في مرحلة تاريخية، وكذلك أنظر اليه كمجموعة من الضوابط الأخلاقية ورادع نفسي ضد بعض الأعمال المنكرة. أنظر اليه كجانب من هوية إنسانية، وكذلك كميدان للبحث العلمي، ولا أتعامل معه (الدين) كظاهرة تدعو للتعصب والتعالي والتفرقة بين الأجناس البشرية ككل، وبين أبناء القومية الواحدة.

ومن هذا المنظور أحسست بالواجب الملقاة على عاتقي كي أكرس إمكانياتي مع أخوة آخرين، لبناء حالة من المناعة لدى الأيزيدية تمكنها من الحفاظ على هويتها أمام موجة الأصولية المنفلتة في العالم بشكل عام وفي الشرق بشكل خاص. وأن تحافظ الأيزيدية على نفسها من الذوبان في ثقافة الغرب. إنصرفنا الى هذا الجانب كي نحاول بناء الشخصية الأيزيدية وتخليصها من عقدة الشعور بالنقص والإستسلام للغير، لكي تبني

علاقاتها بشكل متكافئ مع من تتعامل معها. إن العمل في هذا المجال يستنزف من جهودي ووقتي الكثير، ويقلل بالطبع حركتي في المجالات الأخرى وقلة حضوري في العديد من المناسبات القومية وغير القومية.

وأعتقد أن المناخ السياسي الكردي العام، وعلاقات الأحزاب والجهات السياسية الكردستانية فيما بينها، سواء من عبادة الشخصية وعدم تقبل الرأي المخالف أو الاقتتال الكردي- الكردي، أو تفشي الظواهر السلبية في كيان الأحزاب الكردستانية من وصولية ومحسوبية والاعتماد على الأغنياء و رؤساء العشائر وأولئك المعروفين بولاءاتهم للأنظمة المعادية للشعب الكردي، والتعامل الخاطئ من قبل معظم الأحزاب تجاه المنظمات المهنية والثقافية ومحاولات هذه الأحزاب السيطرة عليها وجعلها واجهات لها..الخ. هذه الأسباب وعشرات غيرها تدفع جمهرة واسعة أن تأخذ موقفاً " سلبيا " من السياسة بمعناه الضيق أي الحزبي والنفعي. وهنا يحضرنا المثل الكردي القائل: " شوونا شيرا، روفێ لێ دکەن گیرا. "!

س١٨: هل لكم من كلمة أخيرة تقولونها لأبناء شعبنا الكردي من الأيزيديين والمسلمين معاً؟

د. خليل: عندما يفتقد المرء قوة الفعل، ولا يملك مركز قرار، فانه في أحسن الأحوال يلجأ الى التمنيات وإبداء النصح والارشادات، أمنيتي لأبناء شعبي بكافة أطيافه الدينية أن يحاول الحد من جماح قوة الشّر في نفسه ويعزز مكانة الخير لدية. ليعلم أن الدين قد ظهر لإشباع حاجات روحية وإيمان بما هو أسمى وليس للتفرقة والأحقاد. إذا كان الخالق واحداً والكل يؤمن به، لماذا التعالي والاصتفاء ونفي الآخر؟. كما يقال:أن العقل هو وكيل الله على الأرض. فلنفكر بعقولنا قبل أن نركض وراء مشاعرنا وعواطفنا، وبما أن الانسان أسمى وأغلى مادة خلقه الله، لنجعل منه محط إهتمامنا وندافع عن حريته وكرامته ونحترم رأيه ومعتقده.

أتمنى من أبناء شعبي أن يقضوا على ظاهرة ما يسمى بـ" الجحوش- جه ته " أي حمل السلاح لصالح الأنظمة التي تحارب الشعب الكردي. أن هذه الظاهرة لا توجد إّلا بين الكرد. مهما كانت الخلافات الكردية- الكردية فأنها ستحل، أما إذا إرتمت مجاميع كردية عبر رؤساء قبائلها أو شيوخها في أحضان العدو فأنها تخلق شرخاً خطيراً في

جسم المجتمع الكردي وتهدد أمن حركة التحرر الوطني الكردية.

أتمنى أن يكون كل كردي حلاّجاً لحمل رسالة الدفا ع عن الحق، حيث قطع جسمه أوصالاً وما تراجع عن معتقده!

أكرر شكري العميق لكم، وللشعب الكردي تضميد جراحه والتغلب على خلافاته الداخلية والسير قدماً لبناء كيانه المستقل.

* *أجرى الحوار الأستاذ علي جعفر*

* *نشر هذا الحوار في مجلة (الحوار)، العدد٣٢ لسنة ٢٠٠١ والتي تصدر في سوريا وتهتم بالشؤون الكردية. وتم إعادة نشره في مجلة(روز) مجلة البحوث والدراسات في الأيزيديولوجيا وقضايا الأيزيدية، الصادرة من مركز الأيزيدية خارج الوطن، في عددها ١١&١٢ لسنة ٢٠٠٢*

أجوبة على أسئلة منتديات "ولاتى مه"

* نرحب بك الأستاذ العزيز خليل جندي في منتديات Welatê Me

- أهلاً ومرحباً بكم وبموقعكم وجميع قراءكم الكرام.

* هل الديانة الايزيدية " ديانة كوردية بحته" وحبذا لو تعطينا لمحة عن البدايات؟

- إذا كان أكثر من ٩٨٪ من نصوص ديانة باللغة الكوردية، وجميع طقوسها ومراسيمها وعباداتها تقام وتقال وتلقن باللغة الكوردية، ولغة معتنقيها لغة كوردية (ماعدا قصبتين هما بعشيقة وبحزاني يتحدثون بلغة هي خليطة من العربية والكوردية وكلمات فارسية، علماً أن العشائر التي تسكن فيها مثل الدوملي، الختاري، الهكاري، الماموسي..الخ. هي عشائر كوردية معروفة). إضافة الى ذلك يعيش الايزيديون في كل من العراق، سوريا وتركيا، على أرض كوردية/ كوردستانية. وأن جميع عشائرهم هي عشائر كوردية، وهذه أسماء البعض منها: [الهكارية- الدوملية-الختارية- القائدية- الدنانية- السموقية- القيرانية- الرشانية- الهراقية- الشرقية- الداسكي- الخوركان- الجوانان- آلدخي- الخالتي- الجلكية- الهويرية- الروزكية- الجهسانية- الماموسي- الكاشاخي...]

إذن ماذا نقول عن ديانة معتنقوها ينتمون الى أعماق تاريخ وجغرافية آباء الكورد، ويتحدثون لغتهم، ويحملون نفس مشاعرهم وربما أكثر وأعمق، بل يحفظون بأمانة فلسفة وعقائد أجدادهم الأوائل. فوق كل ذلك أنه دين مغلق لا تبشيري، بما ينتمون الى مجموعة الزواج الداخلي المغلق ولا يتزاوجون مع أتباع الديانات الأخرى وتدور عقائدهم وعباداتهم فقط ضمن هذه المجموعة. أليست هذه الدلائل كافية لإعتبار الدين الايزيدي دين كوردي بإمتياز؟.

أما عن الشق الثاني من سؤالكم، أنه سؤال مفتوح والحديث فيه يطول، إلاّ أني أحاول تلخيصها والتوقف عند بعض المفاصل والدلالات المهمة.

إذا كانت الكثير من الأديان تعرف تاريخ ولادتها وفلسفتها عن طريق أنبيائها ورسلها وكتبها الدينية مثل الصابئة المندائية، اليهودية، المسيحية، الزرادشتية، الاسلام،..الخ فإن ديانات ومعتقدات قديمة أخرى سبقتهم، لم تكن لهم لا رسل، ولا كتب تم تعرف العلماء والباحثين على معتقداتها وعباداتها وأفكارها الفلسفية من خلال ما تركه تلك المجاميع من صور وكتابات على دور العبادة وعلى الرقى الطينية والدمى مع شكل ومخلفات القبور، كما هو الحال لدى الديانة الفرعونية في مصر، والديانة السومرية والبابلية والآشورية والحضرية (نسبة الى مدينة الحضر جنوب مدينة الموصل) في بلا د ما بين النهرين وميسوبوتاميا، وكذلك معتقدات الهتيت والحثيين في بلا د الأناضول وشمال سوريا..الخ، الى جانب هذه العبادات كانت هنالك معتقدات تسمى بديانات الخصب (حقيقة الكثير من المعتقدات التي أشرت اليها تعتبر أيضاً من ديانات الخصب)، وهي معتقدات/ ديانات عبادة الظواهر الطبيعية، ونقصد بها تقديس الشمس والقمر،الهواء، المطر، البرق، الليل والنهار...الخ، ولم تكن لتلك الديانات رسل ولا كتب "سماوية" و " أرضية" بل كان علاقة الأتباع مباشرة مع المقدس الكامن في الظواهر الطبيعية والتي كانت في اتصال مباشر مع حياة الناس اليومية. ولا عجب أن نرى هذا المقدس يعيش تارة بينهم على الأرض، وتارة أخرى له /لها قوة سماوية! إنها كانت ديانات بواكير الفكر البشري البسيط غير المعقد. وترجع ديانات الخصب الأولى، باعتقادي، الى بدايات إكتشاف الزراعة وتحول المجموعات البشرية من مرحلة الرعي والبداوة (كوجه ر= القبائل الرحل) الى مرحلة إكتشاف الحنطة واستخدامها للزراعة وبالتالي عملية الاستقرار (التحضر) في القرى.

لمن يبغي معرفة جذور الديانة الأيزيدية بشكل واقعي، عليه التوقف عند معرفة وتحليل الظواهر الرئيسية التالية:

أولاَ: ظاهرة طاووس ملك. ماهو الوجه السّراني لتلك الظاهرة وماهو إمتدادها في التاريخ؟

ثانياَ: الأعياد الأيزيدية. مفهومها،دلالاتها،أسسها الفكرية والروحية.(والنقطتان مترابطتان من الناحية الاعتقادية والفلسفية وكلاهما يدور حول مفهوم دورة الحياة وعملية زراعية القمح)

فاذا نظرنا الى اساطير التكوين والخلق وأصول الأشياء عند الشعوب القديمة وخاصة السومريين والبابليين، نجد أن ساعة الخلق هي صراع كوني شامل بين قوى إلهية خالقة، نشطة، فعالة ومنظمة مع قوى العماء والسكون والفوضى وليس ظهور الكون والحياة والانسان الا تجلياً لتلك الطاقة الحركية الخلاقة. ولن يتأتى ظهور العالم الا باراقة الدماء، وانتصار آلهة ودمار أخرى، ولن تتوطد أسس الكون إلاّ على أشلاء الضحايا المغلوبة. وفي كل سنة يخلق العالم من جديد ويجري تجديده ليعود نضراً كما كان بمعونة البشر ومشاركتهم فيه عن طريق الطقوس التي من شأنها شد أزر الآلهة ومعاضدتها ضد قوى العدمية التي تتصدى لحركة الكون بغية استعادته الى حالته السكونية. وهنا تتكشف لنا المعاني السّرانية والعميقة الدلالة للاحتفالات الدينية في رأس السنة والتي بدأت في بابل ومازالت قائمة الى يومنا هذا.[1]

لم يكن الموت عند الانسان القديم مرحلة نهائية من شأنها وضع حد لوجوده بجميع صوره، بل أعتبر دوماً بمثابة عملية تؤمن عبور الانسان لحالة أخرى من الوجود تختلف في كليتها عن الحالة التي ألفها في حياته على الارض. وعلى هذا الاساس فان فكرة الخوف من الموت لم تكن أبداً خوفاً من العدم عند الانسان القديم بل كان خوفاً من المجهول، من مغادرة وضع يعرفه ويدركه (أي الحياة على الارض) الى وضع آخر يجهله تماماً (العالم الاسفل).

في الديانات القديمة وخاصة ديانات الخصب كان ينظر الى الموت على مستويين: الموت على المستوى الكوني وفكرته الاساسية تقوم على موت الطبيعة وبعثها المتكرر الذي هو انعكاس لموت الاله وانبعاثه من جديد. أما الموت على المستوى الثاني: فيتعلق بموت الانسان الفرد، فهو ليس كالطبيعة المتجددة التي تكرر حياتها وبعثها كل عام. والانسان ليس كآلهة الخصب يموت ويحيا في دورة أزلية، بل تنتظره حياتان: قبل الموت وبعد الموت.

فالموت على المستوى الكوني وبشكله المكتوب الذي وصل الينا، يبدأ من أساطير السومريين وخاصة أسطورة العالم الاسفل وهبوط (انانا)[2] سيدة السماء والهة النور

(١) فراس السواح، لغز عشتار، مصدر سابق ص٢٥ .

(٢) انانا في الاسطورة البابلية هي ابنة ,,سن،،.

والحب من كرسيها السماوي لتنزل الى عالم الاموات "كورGOR" التي تسيطر عليها أختها الكبرى (اريشكيجال) الهة الظلام والموت في زيارة مؤقتة لتعود بعدها للحياة ثانية. أما لماذا تنزل انانا عن كرسيها وتترك مهامها وتهبط الى العالم الاسفل، عالم الاموات؟!..

ان التحولات الاقتصادية في حياة الفرد والمجتمع كانت تقود حتماً لديهم الى تحولات فكرية واجتماعية، فمثلاً اعتماد الانسان الكلي على ثمار الأرض وخيراتها الى حياة الرعي ومنها الى حياة الاستقرار والزراعة ولدت لديه أفكاراً متباينة.كما أن التغييرات الدورية في الطبيعة من خصب وقحط، أمطار وجفاف، خضرة ويابس، أي تعاقب فصول السنة أثارت هي الاخرى تفكير الانسان واعتبرها انعكاساً لأفعال الآلهة وترجمة لأحداث وتغيرات تقع في الطبيعة وما ورائها.

وموت الطبيعة استعداد لانبعاثها، وتجددها لن يحصل الا بموت اله وتضحيته بنفسه من أجل استمرار حياة الانسان. ولهذا السبب ضحت (انانا) حسب الاسطورة، بنفسها وهبطت من عليائها وذاقت طعم الموت. وحسب الأساطير القديمة نفسها، بالأخص السومرية والبابلية منها، أن الانسان لم يخلق ويأتي الى هذه الحياة الا عن طريق التضحية ببعض الآلهة وإستخدام دمها ومزجه بالتراب (لصنعه التي تتطلبها عملية الخلق) (مثلاً اسطورة قتل –كنغو–زوج نعامة وفصد دمه ثم مزجه بالتراب لصنع الانسان).

ومع إكتشاف القمح طور الانسان فكرته من خلال الاسطورة مصوراً بأن ,,انانا–عشتار،، وابنيهما ,,دوموزي،تموز،، هم روح القمح والسنبلة جسدهم، وما عملية هبوط (انانا) الى العالم الاسفل وعودتها فيما بعد الا تمثيلاً لدورة الطبيعة:

ان اكتشاف الانسان للقمح وأكلة الخبز كما يقول فراس السواح كان القفزة الحضارية الكبرى التي حققها الانسان.وكان رغيف الخبز برزخ العبور من مرحلة الهمجية الى مرحلة الحضارة.وفي ملحمة كلكامش كان أول عمل قامت به المرأة التي قادت به أنكيدو من حياة البرية الى حياة المدنية أن جعلته يتذوق الخبز الذي غدا بعد أكله بشراً سوياً.[3] وما زال القمح من بين أهم المقدسات عند الأيزيدية وبه يقسمون

(٣) لغز عشتار، مصدر سابق ص ٧٩.

ويعتبرونه زاد الدين والايمان والذي لا يأكله لا دين له ولا ايمان، أي أن سر طاووس ملك يكمن فيه:Bi vî qutê îmanê, yê ne xot ne dîne ne,, -îmaneأي قسماً بهذا الزاد الذي لا يأكله لا دين له ولا ايمان". لقدسية القمح فانه يدخل في تركيبة الكثير من الأكلات الخاصة في الأعياد والطقوس الدينية كـ(السماط–Simat) في غالبية الأعياد و ال(بيخونPêxun، قه لاتكQelatik، جه رخوساerxus) في عيد خدر الياس، و الـ(كه شك Keshik) في عيد بيلندا، و الـ(صه وكSewik) في غالبية الأعياد...الخ.

لقد عبر الانسان القديم عن أفكاره ومعتقداته بشأن مظاهر الكون والخليقة ودورة الطبيعة واكتشاف الزراعة وتدجين الحيوانات،عن الحياة والموت... عن طريق اقامة الطقوس والأعياد.

ان التمعن في طقوس وأعياد الأيزيدية بدءً من تواريخها وما يجري فيها من ممارسات ويتم فيها من تحضير المأكولات ومحرماتها يعطي ذلك الانطباع القوي أن تلك الأعياد والطقوس هي منسجمة ومترابطة بشكل كبير مع دورة الطبيعة وحركة فصول السنة، منسجمة مع حبة القمح– أي دورة الزراعة التي تعلمها الانسان أول الأمر– ومنسجمة مع مفهوم الحياة والموت بمعناها الكوني، منسجمة مع مفهوم " تموز– تاوز– طاؤوس ملك" الحي أبداً حسب المعتقد الأيزيدي.

بناءً على هذه الرؤية فأنه يمكن اعتبار الديانة الأيزيدية من ديانات الطبيعة، ديانات الخصب، ديانة التوحيد الأولى بمعنى قدرة الاله أو الالهة على الخلق بامكانياته الذاتية (خودايى، خودى Xodayî ü Xudê) من دون تدخل، مثل الآلهة (نمو، انانا، عشتار، تعامة، تموز..)، فهم يحملون في جسدهم بذرة العذرية، قوة ,,اليانج،،الموجبة و,,ين،، السالبة، بذرة الأنوثة والذكورة في آن واحد كما هو الحال عند بذرة القمح مثلاً حيث تراها بشكلها اليابس ألا أنها في الحقيقة تحمل جميع المواصفات الواردة أعلاه.تحمل صفات الجنس وتحمل سر الحياة والديمومة، ومن أجل أن تخلق حبة القمح الحياة الجديدة يجب أن تموت(تدفن في الأرض) وتوفر لها الشروط اللازمة من رطوبة، تراب، أشعة ونور..

ان فلسفة الديانة الأيزيدية وتصوراتها عن الخالق، وعن الحياة والخلق والآخرة..مبنية على الرؤية الموضحة أعلاه، وأعياد الأيزيدية وان كانت بأسماء متعددة فأنها وكما تبدو مرتبطة بالاله تموز ابن وحبيب الاهة الكون. وعند تحليل مغزى الأعياد

يتبين بشكل جلي أنها ترتبط مع عملية زراعة القمح اعتباراً من (الحرث، الانبات، النضوج والحصاد...).

نرى تجليات الظواهر التي ذكرناها ضمن أعياد وطقوس الأيزيدية التي تحمل بصمات العصر الزراعي، ,,بطله،، القمح، أما السر الذي يكمن ورائه هو موت وانبعاث الاله، وهي دورة الحياة الأزلية المتجددة بذاتها.

سوف أعدد فقط أعياد الأيزيدية وأذكر تواريخها دون الدخول في التفاصيل لأنها سوف تطول.[٤]

أعياد الايزيدية حسب فصول السنة:

* أعياد فصل الربيع ومهرجاناتها:

١– عيد رأس السنة ويسمى بعيد طاؤوس ملك وعيد ملك الزين (جارشه مبا صور= الأربعاء الحمراء) يحتفل به في أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي (هنالك ١٣ يوم يفرق تفرق بين السنة الميلادية والتقويم الايزيدي الشرقي؛ يتأخر التقويم الشرقي بـ ١٣ يوم عن التقويم الميلادي)

٢– الطوافات مهرجانات فصل الربيع: تبدأ بعد يومين من عيد رأس السنة (سه رسال)، أي يوم الجمعة، وتنتهي عند نهاية شهرحزيران. كل مهرجان خاص بقرية من قرى الايزيدية.

* عيد فصل الصيف:

ويسمى بعيد أربعانية الصيف يصوم فيه رجال الدين الايزيديون اعتباراً من ١٣ حزيران الى ٢٠ تموزالشرقي (٦/٢٥ – ٨/٣ ميلادي)

* أعياد فصل الخريف:

عيد الجماعية لمدة سبعة أيام اعتباراً من ٩/٢٣ – ١٠/١ (١٠/٦ – ١٤ منه الميلادي)

(٤) للمزيد يمكن مراجعة كتابي المعنون: نحو معرفة حقيقة الديانة الايزيدية، طبعة السويد ١٩٩٨، الفصل الرابع| لمحات من الاسطورة والتكوين وسرّ اعياد الايزيدية، ص ٧٩ –١١٥)

* أعياد فصل الشتاء:

١- عيد أربعانية الشتاء، يصوم فيه رجال الدين اعتباراً من ١٣/كانون الاول- ٢٠/كانون الثاني الشرقي (٢٦/كانون الاول-٤ شباط الميلادي)

٢- عيد صوم ايزيد، يصادف اول ثلاثاء واربعاء وخميس من شهر كانون الاول الشرقي. صوم الشيخ شمس وكذلك الأرباب لمدة ثلاثة ايام عند ايزيدية تركيا، سوريا، وجمهوريات أرمينيا وجورجيا.

٣- عيد بيلندا والباتزمية: الجمعة الثانية من أربعانية الشتاء، أي أواخرشهر كانون ١ الميلادي.

٤- عيد خدر الياس وخدر النبي: يصادف أول خميس من شهر شباط الشرقي.

من الصعب التطرق الى جميع المراسيم والطقوس التي تقام في هذه الأعياد ومغزاها- كما ذكرت سابقاً لمن يريد معرفة المزيد مراجعة كتابي المؤشر اليه- إلاّ أني أكتفي بالاشارة الى أن فصول الدراما هي بقدر فصول السنة، تحكي لنا اسطورة القمح المتكاملة ارتباطاً مع فلسفة الانسان حول الموت والانبعاث، الموت الرمزي للاله أو الالهة وعودتهما للحياة مع دورة الطبيعة. أي أن الاسطورة تكشف لنا في أحد جوانبها فكرة الانسان القديم عن الموت والخلود، وعن الخصب والخلق الذاتي وعن دورة الحياة الأزلية، بمعنى أن نسيج أسطورة عصر الزراعة هذه يرتبط بعشرات الخيوط بأفكار العصر الحجري القديم.

ومن خلال أسرار أعياد الأيزيدية، تبرز سرّ الألوان ومكانتها لدى الأيزيدية. ويخص كل لون من الألوان الأربعة (الأخضر- الأحمر-الأصفر- والأسود أو الأزرق) فصلاً من فصول السنة ووجهاً من وجوه إله الكون تموز- تاوس. ويأتي اللون الأخضر في مقدمة الألوان كرمز للخلود والحياة الأزلية الدائمة، ولون تلك الدرة التي خلق منها الكون وماعليها.

تاريخ الشعوب وتاريخ الأديان ليس فقط ماهو مدون في بطون الكتب، وإنما يعرف عن طريق تراثها وأدبها الشفاهي وعاداتها وطقوسها...الخ. وأنا من جانبي لم أجد الكثير من المسائل المتعلقة بالدين الايزيدي في الكتب والمصادر، وإنما اعتمدت على دراسة مقارنة بين ما تحتفظ به الايزيدية مع عبادات أخرى قديمة وحديثة. وفي كل

الأحوال، وفي حال العلوم الانسانية، يبقى دائماً باب الاحتمالات والاجتهادات مفتوحاً لا أحد يستطيع القول أن ما يكتبه أو يقوله هو الحقيقة الكاملة.

ربما يسأل بعض القراء الكرام، أو يكون مهماً لهم، وهل كانت الايزيدية تعرف بهذا الاسم أو عرفت بغيرها من الأسماء؟

قبل ظهور الديانة الزرادشتية، كانت ديانات عبادة ظواهر الطبيعة من بين احدى ديانات أجداد الكورد (الآريين) الأوائل، وبمجئ زرادشت ودعوته الاصلاحية والتخلص من الآلهة والأفكار وطرحه فلسفته الجديدة المؤسسة على الثنائية بوجود قوتين متصارعتين في الكون هما قوة الخيريجسدها (آهورامزدا) وقوة الشرّ يمثله يجسدها (أهريمن) تكون الغلبة في الأخير لقوة الخير. الكثير من الشعوب الايرانية وفي الشرق القديم آمنت بدعوته وديانته الجديدة وأصبح دين الدولة الساسانية والأخمينية، إلاّ أنه بقيت مجموعات كبيرة من عبدة ظواهر الطبيعة (ديانات الخصب) لم تدخل الدين الجديد، مما دفع زرادشت أن يطلق عليهم (ديئفه يه سنا) اي (عبدة الشرَ أو عبدة أهريمن)!. وحسب رأي بعض علماء اللغة تطورت بمرور الزم كلمة (ديئفه يه سنا) الى (داسن). (يمكن بهذا الصدد مراجعة العلامة توفيق وهبي في أبحاثه القيّمة: الآثار الكاملة، الجزء الأول، إعداد رفيق صالح، مطبعة زين السليمانية ٢٠٠٦، دين الكورد القديم، المقال الثامن، ص ٣٦- ١٢٣) ويؤكد هذا العلامة رغم الصاق كلمة (الداسن والداسنية) بالايزيديين الحاليينأ إلاّ أنهم ليسوا بعبدة (أهريمن و الشيطان).

إذن كانت (داسن والداسنية) تطلق على الايزيديين بعد ظهور زرادشت والمسيحية والفترات الاسلامية المتأخرة. علماً أن المسيحيين من السريان والكلدان والآشوريين يطلقون لحد اليوم في كلمة (دسنايى) بدل (الايزيدية). كما أن بعض الكورد المسلمين، خاصة منطقة بهدينان، يطلقون على الايزيدية (داسني). وتعرف دهوك لحد اليوم ب (دهوكا داسنيا- أي دهوك الداسنية) وهنالك جبال في منطقة بهدينان تسمى (جبل الداسنية)!

سمعت من والدي ورجال دين ايزيديين كثيرين، كانت تطلق على الايزيدية في زمن ما (متهيير، متهه يير أو متحير)، ربما في ذلك الوقت لم تكن لنا إهتمامات اليوم ولا المعارف الكافية، فكنا نعتقد أن الكلمة أصلها عربي من (متحير، حيران) بمعنى تائه لا

يدري ماذا يعمل. إلاّ أنه تبين خطأ ما كنا نعتقده، وذهب أحد الكتاب أن كلمة (متهه يير) ماهي إلاّ كلمة (ميترايار Mithrayar) ولها علاقة بالميثرائية. وتم تحويرها بالشكل التالي:

ميترايار Mithrayar – ميتهه رهيار – متهه ريار – متهه يار – متهه يه ر– متهه يير.(راجع للمعلومات الاضافية:د. فاضل عمر، ميثرا وعبادة الميثرائية/ دراسة أولية، مطبعة هاوار ٢٠٠٦، منشورات متين، الحلقة ٦– باللغة الكوردية).

طبعاً هنالك العديد من الطقوس المشتركة بين الميثرائية والايزيدية الحالية التي تعطي مؤشرات قوية كون الايزيدية من بقايا تلك الديانة.

أخيراً من الضروري الرجوع وبشكل مختصر الى آراء بعض العلماء والمستشرقين بشأن أحد الأسماء التي كانت تطلق على الايزيدية قديماً، ونبدأ بآراء البروفيسور مار حول تحليل كلمة (جلب– جلبي) – أعتقد يقصد كلمة (جلكو Chalko) التي يطلقها المسيحيون في تركيا على الايزيدية لحد اليوم – التي يأخذها منطلقاً لنظريته الجديدة ويؤكد على عراقة الدين الايزيدي وكونه جزء من الشعب الكوردي الأكثر عراقة، عندما يقول: " ظهر استخدام كلمة (جلبى) بداية القرن ١٤ عند الاتراك السلجوقيين , وهم أخذوا بدورهم من الكورد. وأخذ الكورد من جانبهم من اللغة الآرامية (تسليم – تسلما) الذي يأتي بمفهوم (الصورة أو التمثال).

جلب جلبى – جه لكو = الله، أصل وجذر الكلمة من اللغة الجافيتية (يافثي) الجنوبية. ومن بعض معاني ومفاهيم كلمة (الجلبى) الإله – الرب – صاحب الجاه – الكريم – صاحب العائلة – النبيل السيد – قوال – شاعر – مثقف – مربي – شريف – مؤدب – أنيق – السيد الصغير.

ويقول مار: دون أن نلجأ الى أي دليل، يظهر لنا من خلال كلمة (جلبي) آثار وبقايا قسم خطير من تاريخ شعب أنتج مثل هذه الكلمة.

بعد دراسة وبحث (مار) على أصل (جلبي) كشعب كوردي يأتي ويقول: " إن التراث الديني الكوردي من الناحية التاريخية أقدم من الإسلام. ويضيف " بعد الانتصارات التي حققها المسيحية والاسلام، رغم إنها لم تكن انتصارات مطلقة وكاملة على المعتقدات القديمة في آسيا يبدو أن مقابل تلك الانتصارات لم تتنازل وتركع الديانة

الخاصة بالشعب الكوردي، ولم تعترف بالهزيمة، وبدأ دين الكورد بضرب الأديان الجديدة المسيطرة عليهم (المسيحية والاسلام) من الداخل وذلك من خلال إثارة الحركات الاجتماعية والالحادية، مثلاً (حركة أبناء الشمس) والحركة الصوفية التي لا تتبع السنة كحسين الحلاج وشيخ عبد القادر الكيلاني وشمس الدين التبريزي..الخ."

حسب أبحاث (مار) فإن الايزيدية كان دين الكورد الخاص قبل الاسلام حيث كانوا يؤمنون بها حيث يقول: "مما لا شكّ فيه أن ايزيدية اليوم هم احدى المعتقدات الشعبية لبعض الناس ذات خصوصية، فهم قريبون من المانوية والصابئة المندائيين من ناحية ويقتربون من المعتقدات المتنوعة التي ظهرت في أرمينيا وجورجيا فيما بعد من ناحية اخرى."[٥] ويجمل مار نظريته في عدة أسطر حيث يقول (تحتضن كلمة جلبى = ايزيدي بين طياته تاريخ الشعب الكوردي، إلا أنه بسبب عدم وجود مصادر مكتوبة في متناول أيدينا، نضطر أن نلجأ لتحليل هذا التأريخ الى اعادة اكتشاف أحجار منقوشة، أو الى اسلوب التحري والتنقيب عن الآثار القديمة كون تلك الاشياء تعكس بقايا العصور القابرة على الظواهر الشعبية المرتبطة باللغة والدين القديم وهو انعكاس للظواهر التي نراها خالدة اليوم.[٦]

أتمنى أن تكون هذه التوضيحات كافية لإعطاء تصور للقراء الكرام عن خلفية الديانة الايزيدية وبعض أسسها الفلسفية.

Welate Me: في كتاب " اليزيدية في ما بين النهرين" من تأليف السيد آشور نصيبيو ومؤلفين آخرين، يحكي عن أتباع الديانة اليزيدية ونشأتها وجذورهم التاريخية. يذكر الناشر إن مادفعه لتخصيص هذا الكتاب وأحد الأسباب هو تعريف القارئ بأن الأمة الكلدانية، الآشورية، اليزيدية، المحلمية، المندائية، المارونية والسريانية هي أمة واحدة على الرغم من تعدد تسمياتها. كيف ترى ذلك؟

* مع الأسف لم أطلع على هذا الكتاب ولم اقرأه، لذا ليس من المنطقي وليس من

(٥) باسيلي نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم لويس ماسينيون ، ترجمة الدكتور نوري طالباني، دار الساقي، 2_، ٢٠٠١، و٣٦٢–٣٦٣

(٦) نفس المصدر السابق، ص ٣١٨

الصحيح أن أبين رأي في كتاب لم أعرف مضمونه والمصادر التي اعتمد عليها والمنهجية التي اتبعها الكاتب. أما بالنسبة للشق الثاني من سؤالكم والذي دفع الكاتب المذكور لتأليف كتابه كون كل تلك "الأمم" التي ذكرها، هي أمة واحدة، فإن إجابتي على سؤالكم الأول – وفيما تخص الايزيدية طبعاً– كاف فيما إذا كانت " الأمة" الايزيدية تنتمي الى " أمتهم"أم لا!

Welate Me: بأي لغة كتب كتابا " مصحف رش" و " الجلوة" وما الفرق بين الكتابين، ولماذا سميت (مصحف العربية) كون كلمة (مصحف) كلمة عربية؟

* من المؤكد كان هنالك كتابان أحدهما بإسم " مصحف رش" والأخرى بإسم " الجلوة" لأن العديد من الكتاب، قديماً وحديثاً، والايزيديون في تراثهم الشفهي يذكرون ويؤكدون على وجودهما. ومن المؤكد أن كتاب " الجلوة لأهل الخلوة" هو من تأليف الشيخ حسن بن الشيخ أبو البركات آدي الثاني، أي من تأليف إبن أخ الشيخ آدي بن مسافر الهكاري. وفي كتابها المعنون (طاؤوس ملك ١٩٤١) المطبوع في لندن تقول ئى.س. دراور E.S.Drower أن الكتابان المذكوران هما من كتب الايزيدية، وقد تم تأليف كتاب (الجلوة) من قبل أحد أولياء الايزيدية عام ١١٦١م، أما (مصحف رش) فيعود تأليفه الى عام ١٣٤٢م دون أن يذكر من هم أولياء الايزيدية. أما الكتاب الثاني " مصحف رش" فلا أستطيع أنا ولا غيري القول أنه من تأليف الشيخ آدي بن مسافر أو من تأليف إبن أخيه الشيخ حسن، لأنه لا أحد قد رأى الكتاب.

أشكّ في مضمون وترجمة الكتابين اللذين ظهرا لأول مرة باللغة الانكليزية من قبل (القس اوزوالدهـ. باري البريطاني Ozwald H.Pary) عام ١٨٩٢ . وقام جوزيف الأمريكي بعد ذلك بترجمة تلك الكتب من العربية الى اللغة الانكليزية. أما الأب أنستانس الكرملي فقد قام بترجمة الكتابين من اللغة الكوردية الى اللغة الفرنسية وقام بنشرهما. أما الدكتور بيتنر النمساوي فقام هو الآخر بترجمتهما من اللغة الكوردية الى العربية. وهكذا قامت جهات علمية وجامعات وكتاب أجانب وكورد وعرب وغيرهم بالإعتماد على ما تم نشره واستندوا عليهما وكأنهما حقيقة.

الكتابان المنشوران من قبل الجميع كانا بالأصل وكما تم نشرهما باللغة الكوردية وبحروف خاصة تشبه الحروف الآرامية الى حد ما. إلاَ أني أشكّ في مسألتين

أساسيتين وهما:

أولاً : مضمون الكتابين من الناحية البلاغية والصياغة والحجم...؛

ثانياً : عدم وقوع الكتابين الحقيقيين أصلاً في متناول اليد؛

ليس من المعقول أن يقوم متصوف كبير بدرجة الشيخ آدي والذي قال عنه المتصوف الكبير الشيخ عبدالقادر الكيلاني " لو كانت النبوة بالمجاهدة لنالها الشيخ آدي بن مسافر" ولا شخصية بمقام الشيخ حسن بن أبي البركات آدي الثاني بتأليف كتاب أو كتابين عدد صفحات الأولى (الجلوة) سبعة فقط موزعة على خمسة فصول، وعدد صفحات الثانية (مصحف رش) أربعة عشرفقط!

يقول ابن خلكان وابن المظفر وغيرها من الأعلام المشهورين أن الشيخ حسن كان شاعراً وأديباً وفيلسوفاً وداهية عصره...ويقول عنه ابن طولون " لقد اختلى الشيخ حسن ستة سنوات، فألف كتاب سماها الجلوة لأهل الخلوة". كيف بإنسان بهذا المقام والمنزلة العلمية والذكاء يخرج بعد ست سنوات من خلوته بكتاب من سبعة صفحات فقط؟!

الى جانب ذلك، الذي يقرأ الكتابين المنشورين يجدهما بلغة كوردية ركيكة، ويعكس للمتطلعين على لغات ولهجات أقوام المنطقة أن (واضع–مؤلف) الكتابين ليس إلاّ مسيحي المعتقد، كلداني أو آشوري أو سرياني القومية، يعيش بين الايزيدية ويعرف معتقدهم بشكل لابأس به، ومطلع بهذا الشكل أو ذاك على أدبهم الديني الشفاهي، وقام بالتالي (بوضع) مثل هذين الكتابين.

القصة، على ما أعتقد، هي بالشكل التالي: في القرن الثامن عشر والتاسع عشر كثرت الارساليات التبشيرية والآثاريين والرحالة الى الدولة العثمانية آنذاك، ومن ضمنها اراضي كوردستان، وكان من بين اهتماماتهم جمع المخطوطات والمعلومات من المجموعات الكوردية وخاصة الدينية. وكان من بين هؤلاء، الذين لهم علاقة بالكتب الايزيدية المقدسة، في النصف الأول من القرن التاسع عشر كل من الأب أنستانس الكرملي و جرميا شامير من مواليد كرمليس (١٣/تموز/١٨٢١) جمعوا معلومات كثيرة عن المعتقد الايزيدي من شخص يدعى (حبيب)من قرية بوزان التابعة لناحية ألقوش، وكان هذا ايزيدياً اعتنق المسيحية وأصبح يسكن ذلك الوقت في بغداد ومناطق

أخرى. ولما سئل أحد هؤلاء الثلاثة من قبل أحد الآثاريين أو المستشرقين(لا أتذكر اسمه بالضبط) هل للايزيديين كتب مقدسة، وفيما إذا كان بالامكان الحصول عليهم؟ فذكر أحدهم: نعم توجد مثل هذه الكتب في (مكتبة سنجار) وأنه بحاجة الى بعض الوقت للحصول عليهما؟!. يقال أنه غاب لفترة تطول أو تقصر وجاء بـ(مخطوطتين) مكتوبتين بحروف خاصة، وقيل أنهما من كتب الايزيدية المقدسة تمكن من (سرقتهما) من " مكتبة" بجبل سنجار!!. قبض ذلك الشخص جهود أتعابه، وأوصل ذلك المستشرق تلك المخطوطات الى أوربا، وكتب عنهما وإدعى أنهما من كتب الايزيدية المقدسة!.

كما أشرت الى مضمون المخطوطتين المنشورتين واللغة التي كتب بهما، يولد ليس فقط الشّك وإنما عدم الاعتقاد بصحة "الكتابين" علماً الكثير من المعلومات الواردة فيهما تعبر عن المعتقد الايزيدي، ويروي من قبل رجال الدين في المناسبات. الحقيقة الثانية التي يمكن تسجيلها هنا، هو أنه كان للايزيدية في القرن الثاني عشر الميلادي كتابان بهذا الاسم، إلاّ أنهما فقدا وأحرقا في لجة حملات الملاحقة والابادات التي تعرضت لها الايزيدية على مرّ التاريخ المنصرم. ربما بسبب حرق الكتاب في زمن ما، سميّ بـ (مصحف رش = الكتاب الأسود) لأنه أصبح رماداً!!.

Welate Me: هل يعتبر الإعلام الكوردي مقصر تجاه الديانة الايزيدية؟ ثمة أطراف إيزيدية تقول: ليس هنالك من برنامج تلفزيوني يختص ويحكي عن الديانة الايزيدية والايزيديين كي لا تعرف " الديانة الايزيدية" للكورد بصورتها الصحيحة الحقيقية، خاصة جراء ما تعرضت لها هذه الديانة من تحريف وتشويه وتهجم من قبل متعصبين وأناس مصلحتهم الشخصية هي تفرقة الكورد قبل كل شيء.

* من الناحية العلمية والمنطقية، تعتبر مسألة التعميم خاطئة وقول في غير محله، ولا نستطيع أن ننظر الى الأشياء بمنظار عدمي أو بمنظار واحد، إما أبيض وإما أسود. حتماً تبرز ألوان أخرى بين اللونين الأسود والأبيض، كما أن نفسيات ومواقف الناس مختلفة أزاء قضية محددة. هذا من جانب، ومن جانب آخر فأن لكل مسألة/ قضية على الأقل طرفين أو أكثر وليس من الصحيح أن نضع اللوم وأسباب التقصير والاخفاقات على طرف دون غيره، كل طرف يتحمل جزء من المسؤولية.

بالنسبة لسؤالكم، سوف أناقش باختصار شديد طرفي المعادلة، الطرف الايزيدي الذي يلوم الاعلام الكوردي ويصفه بالتقصير وطرف الاعلام الكوردي. فإذا كانت هنالك ثمة من الطرف الأول تعتبر نفسها فعلاً جزءاً من الجسم الكوردي العام وجزء من الأعلام الكوردي بشكل خاص، ليسأل اولئك أولاً أنفسهم ماذا قدّموا ويقدمون من خدمات ومساهمات لهذا الجسم؟! ماهي المقالات والأبحاث التي كتبوها عن الايزيدية وقدموها للصحف الكوردية ولم ينشروها؟ ماهي البرامج الجادة والمفيدة التي قاموا بتهيئتها أو اقتراحها للفضائيات والاذاعات الكوردستانية، لم تبث ولم تذاع؟ كان هنالك برنامج بإسم " جرا" يبث من فضائية كوردستان وتوقف بعد ذلك. هل الفضائية الكوردستانية أوقف البرنامج، أم المشرفين عليه ومعديه ومقدميه لم يتمكنوا من الاستمرارية؟ ماهو دور ونشاطات الاعلاميين الايزيديين والاعلاميات الايزيديات في الاعلام الكوردستاني؟إذن بإعتقادي يفترض بأولئك الناس توجيه السؤال الى أنفسهم قبل رمي الآخرين باللوم والتقصير.

أما من الطرف الثاني، نحن لا نبرأهم من التقصير والاهمال، بل والأهم هنا أن نعرف طبيعة وخلفية المسؤول الأول بشكل خاص، والكادر الذي يليه بشكل عام؛ هل هم علمانيون أم متدينون وذو خلفيات عشائرية؟ هل هم إعلاميون محترفون ووطنيون كفوئين، أم هم معينون بقرار حزبي وحسب الارتياح الشخصي ليحصلوا من ورائها على رزقهم ولا يهمهم ما يقال هنا وهنالك؟ وأخيراً يجب أن نعرف هل أن المسؤول الاعلامي يتعمد في عدم نشر وبث وإذاعة ما يتعلق بالايزيدية وديانتهم، أم بسبب جهله لمهمة الأعلام النبيلة والانسانية والمتنوعة؟...

من هذا المنظور أنظر الى السؤال المطروح من قبلكم، وفيما إذا كان الإعلام الكوردي مقصر تجاه الديانة الايزيدية أم لا.

Welate Me: كيف تقيّم الأحداث الأخيرة المؤسفة التي وقعت في منطقة الشيخان ذات الأغلبية الايزيدية؟ البعض من الاصوليين الكورد يتهمون "الايزيديين" بأنهم يبحثون عن أية ذريعة وسبب كي يرفضوا العيش في كورستان ويطالبوا بعدم ضم مناطقهم لأقليم كوردستان. والبعض الآخر من الأخوة "الايزيدية" يتهمون الاصوليين الكورد بأنهم وراء تلك الفتنة كي يجروا "الايزيديين" الى

ميدان " الفتنة"، والبعض الآخر من المعتدلين يقولون أنها كانت حادثة عابرة، ماهو رأيك؟

* بشأن هذه الأحداث جرى معي لقائين صحفيين أحدهما من قبل الصحفي خدر دوملي الذي يعمل في العديد من الصحف الكوردستانية والعربية المحلية والأقليمية، ومراسل جريدة بيامنير، إضافة الى مؤسسة إعلامية من السليمانية،..أحاول أن أنقل لكم مضمون تلك الاجابات بشكل مختصر:

إن الذي حدث في الشيخان ليس بشيء جديد من حيث عدم وجود ثقة او افتعال مشكلة او ازعاج او اختلاف بين الايزيدية والمسلمين، لأن في طبيعة المجتمع الايزيدي شيء من الخوف وعدم الثقة مع نفسه ومع غيره موجودة وراسخة، وهذه التغيرات التي حصلت في طبيعته تعود لفترة طويلة، لكن منذ تحرير المناطق الايزيدية بعد حرب تحرير العراق في ربيع ٢٠٠٣ حصل واقع جديد بتسلم شخص ايزدي مهام قائممقام في قضاء الشيخان، وصار هناك مسؤولين ايزيديين في مؤسسات تلك المناطق، وحسب طاقاتهم لم يفسحوا المجال لحدوث تجاوزات على ابناء جلدتهم، كما انهم كانوا حريصين على تطبيق القانون، في الطرف الآخر او الآخرين لم تروق لهم ذلك، لأن جيران الايزيدية والمحيطين بهم كانوا يريدون ويتمنون السيطرة على عين سفنى وحسب فكرتهم لم يحصل ذلك رغم ان تجاوزات عديدة حصلت في مجال الاراضي الزراعية والبلدية وحصلت العديد من التجاوزات في كل مايريد هؤلاء. هنا لابد من القول أن قائممقام الشيخان وقف ضد التجاوزات التي كانت احد عوامل ما حدث فيها من احداث، وكان القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال، ونفس الشيء بالنسبة للاسباب المدفونة، الاقتصادية، الاجتماعية وتجاوزات الاراضي والتجاوز على القانون من قبل البعض في الشيخان مما ولد النفور لدى الايزيدية، من جانب اخر لايجوز بالنسبة للمسلمين المتحفظين او الذين يتأثرون بالافكار البالية ان يكون ولي امرهم ايزيدي حسب منظور ديني (بالنسبة للقائممقام) هذه الاسباب الدينية والاقتصادية كان من الصعب تجاوزها وحدث الذي حدث.

إضافة الى وجود أسباب أخرى تتعلق بوضع العراق عموما وعدم استقرار المؤسسات الدستورية وعدم سيادة سلطة القانون بشكل فعلي وشامل في تلك المنطقة

أدى الى حدوث ما حدث في يومي ١٤- ١٥/شباط/٢٠٠٧، بالنسبة للذين قاموا بتلك الاعمال كانت مفاجئة بالنسبة للحكومة والايزيدين انفسهم ويمكن تفسيرها من جوانب عدة، فهي من جانب كانت ايجابية ومن جانب اخر كانت سلبية ايضا، السلبية تكمن في اننا في القرن الـ ٢١ ويحصل الذي حصل بهجوم اتباع ديانة على ديانة اخرى، وهذا ناقوس خطر لحكومة الاقليم لتعرف ان الانتماء لدى البعض للعشائرية والقبلية الدينية اكبر واقوى من الولاء للوطن والقومية، وبالنسبة للايزيدية احس الناس بالمسؤولية بوجود هذا الخطر وكان التحرك الايجابي في اوربا والعالم ويجب ان تكون هذه نقطة بداية لأمور كثيرة يقف عندها الايزيدية ويعملون من اجل استغلال للتقارب وترميم بيتهم.

هذا لا يعني نحن نضع اللوم فقط على الطرف الآخر ونبرئ الايزيديين من النواقص، لذا أنه حسب رؤيتي يجب على الايزيدية ان لا يلوموا على الدوام الطرف الاخر، لنبدأ من انفسنا، لماذا الناس يهاجمون الايزيدية؟ هل الايزيدية ضعفاء؟ السبب بتصوري هو انكسار وتقوقع الايزيدية التي هي لفترة طويلة تعود لـ ١٠٠- ١٥٠ سنة مضت، القيادة الدينية والروحية ليست بالمستوى المطلوب وليست بمستوى التغيرات التي طرأت على المجتمع الايزيدي، حسب التطور الزمني يعود انهزام الايزيدية بالدرجة الاساس الى ذلك.

هنا أريد الإشارة لفكرة ان المجتمع الانساني والحيواني متاشبهين في العديد من الجوانب فالاسد الضعيف لأنه لايقوي على السيطرة يتولى اخر مكانه، ونفس الشيء للانسان القوي السليم الصالح، قيادة الايزيدية يجب ان تكون بمستوى تطور الانسان ان تكون لها افكار جيدة وقوية وأن لم تكن الفكرة قوية متماسكة فان الفرد الايزيدي سيكون ضعيفا، للاسف نفتقد الى هذا الجانب رغم ان ما موجود لدينا من افكار دينية تلائم الواقع الى حد ما، ولو استطعنا ان نوحد هذه الافكار ونقومها لكان بالامكان تقوية المجتمع الايزيدي.

ليست هنالك ثقة بالقيادة الدينية والدنيوية، القائد يجب ان يكون امام الجميع ويراعي مصالح رعيته قبل مصالحه، وهنا الجميع مطالب بدراسة كيفية معالجة هذه القيادة، قيادة تثق بها الايزيدية تكون متهيئة لكل ما يحدث فلو كان لدينا قيادة متماسكة

وحريصة لما حدث الذي حدث.

وهنا اريد الاشارة لبعض الامور المرتبطة بالموضوع، فالمجتمع الايزيدي بشكل عام ضعيف والمثقفين الايزيدية (اكثرهم) يدورون في حلقة مفرغة ليس لديهم الاستعداد لتقبل بعضهم البعض. الشجاعة غير موجودة اكثرهم يتكأ على مقولة (ما دخلي بالموضوع- أنا ش عليّ! باللهجة العامية العراقية) وهذه مقولة قاتلة. هنالك ضعف في إداء المسؤولين الايزيدية مع الحزبين الكوردستانيين الحاكمين في كوردستان، لأنهم يراعون مصالحهم اكثر من ايصال واقع الايزيدية بالشكل الصحيح الى القيادة. أعتقد ان الكثيرين من المسؤولين في الحزبين كانوا على علم مسبق ببعض الأشياء التي حدثت. القيادة لاتستطيع ان تكون في الساحة باستمرار وأن تكون على علم بكل شيء، لذا من مهمة المسؤولين ايصال الحقائق لها.

يجب القول إذا لم تتم معالجة الاسباب معالجة جذرية من قبل الايزدية اولا، ومن طرف حكومة كوردستان بتطبيق القانون على الجميع والحفاظ على أمن وسلامة الايزيديين من الطرف الذي يعتبر نفسه القوي.

أتصور أن اتهام اولئك الناس من الكورد المسلمين ليس في محله، فأن ظهور أصوات أو مجاميع هنا وهنالك تغرد خارج السرب، لا يمكن تعميمه على أكثر من خمسائة ألف ايزيدي يتواجدون في كوردستان العراق. هل يعلم اولئك الكورد المتعصون، كما تسميهم، أن أكثر من (٨٥) خمسة وثمانون ألف كوردي ايزيدي صوتوا الى القائمة الكوردستانية في الانتخابات الأخيرة مقابل (٢١) إحدى وعشرون ألف صوت لحركة الايزيدية من أجل الاصلاح والتقدم. هل من دليل أقوى على هذا؟

فعلاً أنها كانت " فتنة" وفتنة من الوزن الثقيل لولا تداركها وتحويطها بسرعة. وأعتقد انه في معرض تقييمي أشرت الى أهم الأسباب وليس جميعها، فلا حاجة بنا الى تكرارها.

أما قول الطرف الثالث المعتدل، أنها كانت حادثة اجتماعية عابرة، كانت كذلك لو تعاملت كل الأطراف معها بعقلانية، وأقصد بالأطراف الثلاثة: الطرف الحكومي الأمني والاداري والحزبي، وأهل البنت المسلمة، والطرف الايزيدي متمثلاً بأميرهم ووجهاء القضاء. خطأ الجانب الأمني كان في القبض على البنت والشابين وإطلاق صراحهما

بعد ذلك لعدم تثبيت الأدلة ضدهم كما قيل. كان يفترض بأهل البنت المسلمة إما أن يحتكموا الى قانون الأقليم وسلطاتها، أو في أحسن الأحوال يقومون بـ" تصفية حسابهم " مع أهل الشابين الايزيديين وليس تحريض ومهاجمة مجاميع المسلمين ضد كل الايزيديين، وكأنها ديانة ضد ديانة. والحال هذه كان يفترض بأمير الأيزيدية بالاتفاق مع وجهاء القضاء معرفة مكان اختفاء الشابين الايزيديين بعد اطلاق سراحها من قبل الأمن وتسليمهما رأساً للجهات المعنية لملافاة تطور الأحداث.

Welate Me: ألا توافق بعض الذين يقولون: ان الايزيديين أيضاً أساؤوا لأنفسهم، فثمة أطراف ايزيدية تدعي إن أصلهم ليس كورداً وينكرون أصلهم، وعندما يسألون عن أصلهم يقولون: " نحن ايزيديين" أو يقولون " نحن الشعب الايزيدي" لا سيما في أوربا. كلنا نعلم إن الايزيدية ليست قومية بل هي ديانة. ماذا تردّ على هؤلاء الذين يشوهون سمعتهم ويجعلون الأمر أشد تعقيداً ويضعون براهين في أيدي من يشوهون ويسيئون للديانة الايزيدية؟

* أريد أن أطمئن كل وطني كوردي، وكل من تعزّ عليه قضية وطنه كوردستان، أن هذا البعض من الايزيديين الذين ينكرون أصلهم، هم قلة قليلة وغير معتبرة، وغير فاعلة داخل المجتمع الايزيدي. أما عن خلفيات ذلك "البعض" والأسباب التي تدفعهم الى التشويه، أنه يتأتى إما من جهل شبه تام بالتاريخ ومفهوم القومية والشعب والجهل بالدين نفسه، أو أنه بسبب الأفكار الشوفينية العربية التي كانت وما زالت تمارس في ظل من أنظمة الحكم العربية في كل من سوريا والعراق قبل التحرير (٩/نيسان/٢٠٠٣)، وكذلك في ظل الشوفينية الأرمنية في جمهورية أرمينيا. هذا إضافة الى ترسبات التربية والتوعية البعثية لأعضائها المنتمين اليه من أبناء القوميات غير العربية. ولا أخفي عليكم (وهذا يدخل من باب العوامل النفسية ومكامن اللاوعي) وجود بعض بسطاء الناس، خاصة من بين المتدينين، الذين يربطون ويعممون آثار الابادات وحملات التنكيل وإضطهاد الايزيديين على أيدي الجيوش والقوات الاسلامية عبر التاريخ ب(الدين الاسلامي)، وما دام أغلبية الكورد مسلمون وقسم منهم شاركوا بإسم الدين في تلك الابادات، و- بنظرة خاطئة طبعاً- يظنون أن (الكورد والاسلام) مفهومان مترادفان، دون أن يعرفوا أنهم من الشعب الكوردي أيضاً!

أن هؤلاء البعض، لن يسيئوا الى الشعب الكوردي بقدر إساءَتهم لأنفسهم وللايزيديين وديانتهم. ولا تخرج تصرفاتهم من نطاق التشوية وتزوير الحقائق، قصر النظر والحماقة السياسية– إذا كان البعض منهم يعتبر نفسه سياسياً–إضافة الى إبراز الذات ومحاولة جلب الانظار، وأن يخلقوا من أنفسهم شخصيات معتبرة تحاط بهالة وكأنها المدافعة عن الايزيديين وحقوقهم. وفي نهاية المطاف أن تصرفات هؤلاء "البعض" لن تخدم إلاّ مصالح أعداء الايزيدية وأعداء الشعب الكوردي.

يجب على الايزيديين كديانة كوردية قديمة، أن يدافعوا قبل غيرهم عن الشعب الكوردي لأنهم الجزء الأصيل منه. ويحبوا وطنهم كوردستان حيث على هذه الأرض الطيبة يوجد قبلتهم المقدسة لالش! والدفاع عن راية كوردستان وتقديسها لأنها تحمل رمزهم المقدس الشمس!

الايزيديون من أكثر الأديان وأكثر المجموعات المستفيدة من تحرير كوردستان ونجاح وتثبيت فيدراليتها، ومن نيل الشعب الكوردستاني لكامل حقوقه وقيام دولته في المستقبل على أسس علمانية ديمقراطية. خلاص الايزيدية في خلاص كوردستان نحو الانعتاق والبناء والتطور، ولا يأتي خلاص الايزيدية من دول الجوار ولا عبر أوربا وأمريكا لأنهم في كل الأحوال يقفون مع القوي ويتعاملون مع الأنظمة على أساس مصالحهم الاقتصادية.

في هذا الوقت بالذات، يجب على الايزيديين أن يغيّروا خطابهم استراتيجيتهم مع أنفسهم ومع الآخرين. على جميع الايزيديين، والمتشددين منهم بشكل أخص، أن يدركوا أنهم لا يتمكنون من تغيير الجغرافيا ولا بإزالة الحدود بينهم وبين جيرانهم من الكورد المسلمين، فلا بدّ لهم أن يعيشوا مع (أحمد ومحمد وعبد الستار وعبدالرحمن) من الكورد المتدينين المتعصبين، حيث لا مشاكل لهم مع أخوانهم من الكورد الوطنيين والعلمانيين والديمقراطيين، إذاً لا بدّ من ايجاد لغة مشتركة بين (أحمد ومحمد ولاسو وخديدا ودنخا...) بالدرجة الأساسية لكي يتعايشوا بسلام ووئام وجو من التسامح والحوار وقبول الرأي الآخر.

Welate Me: نعلم جميعاً أن لا علاقة للديانة الايزيدية بالشيطان (أي كما يطلق بعض المتعصبين على الايزيديين إنهم عبدة الشيطان) يطلقها البعض الذين

يسيئون لهذه الديانة، إذاً لماذا تستاؤون عندما يذكر لفظ "الشيطان" امامكم؟ يسأل البعض: هل لك أن تشرح لنا الأسباب المقنعة لهذا الاستياء؟

* قبل كل شيء أود التأكيد للقراء الكرام والقارئات الكريمات وكل من يعترف– ولا نقول يؤمن – بعلم المنطق، إذا لم يكن هنالك من وجود ل" مفهوم العصيان " في فلسفة الديانة الايزيدية، فكيف يكون هنالك من وجود قوة أو إله يمثل الشّر وذلك العصيان؟!!. في معرض إجابتي على سؤالكم الأول عن بدايات الدين الايزيدي، شرحت كونه ديانة المظاهر الطبيعية، وديانة مرحلة إكتشاف الزراعة، تلك العملية (أي الزراعة) التي تعتمد على الأرض والطقس والشمس والمطر وبقية العناصر المناخية....الخ. ربما يكون الطوفان والجفاف والجراد وبقية الآفات الزراعية تحمل في طياتها للفلاح والمزارع عناصر " الشّر"، فما هي علاقة " الشيطان" بهذه المسائل؟!

بعيداً عن الميثولوجيا ودون الرجوع الى تطور الفكر الديني، دعني أقص عليك قصة من واقعنا الكردي؛ يقال: أن رجلاً كان يقود حماره المحمل بالأثقال وعلى مسافة قليلة يتبعه رجل غريب، فعندما وصل الرجل الأول بداية سفح مرتفع، بدأ حماره يتباطئ ولم يقوى على المشي، فكان صاحبه يضربه ويدير وجهه شطر الرجل الغريب بحيث يفهم من تصرفه وكأنه يضرب حماره نكاية به. وتكرر الحال أكثر من مرّة، مما حدى بالرجل الثاني أن يدخل في عراك مع صاحب الحمار، وقال له: ما شأني بك وبحمارك، ولماذا تضربه وتسمعني كلمات وكأن لي ضلع في الموضوع؟!...

إن الذين بدأوا بالفتوحات والتوسع وأرادوا الاستيلاء على قرى وممتلكات الأيزيدية، كانوا يتسترون وراء مبررات فكرية– دينية لتبرير مماراساتهم اللاإنسانية، وألصقوا تهمة عبادة إله الشّر كما يعتقدون بالأيزيدية. ليس في الديانة الأيزيدية إلاهان؛ أحدهما للخير والآخر للشّر، بل أن كلا القوتين تصدران من مصدر واحد.!

Welate Me: بداعي حرية الرأي والتعبيرتنشر بعض المواقع الايزيدية على صفحاتها كلمات جداً بذيئة بحق الكورد جميعاً (ردود على المقالات). لماذا لا تحذف هكذا ردود ومداخلات عنصرية وتشويه لسمعة الايزيديين؟. ومن منّا يعلم قد يكون كاتبها ليس بكوردي ويريد التفرقة وزرع الفتنة بيننا!

* تقول أحد الأمثال العربية " الإناء ينضح بما فيه" فالردود على المقالات التي تظهر بأسماء مستعارة من سطر أو سطرين أكثرها كلمات جارحة وبذيئة فعلاً، وهي في كل الحالات تعّبر عن شخصية الانسان الذي قام بتسطيرها. والذي يكتب باسم مستعار لا يملك الجرأة وهو انسان أقل ما يقال عنه خائف، لذا لا لوم عليه، وإنما اللوم على الصفحة أو الموقع الذي يسمح بنشر تلك القاذورات بحجة حرية التعبير. وبهذا الصدد فقد إتصلت بالمشرفين على المواقع الايزيدية في الخارج وطلبت منهم غلق باب التعليقات، وأنا مشكور لهم فقد لبّت الأغلبية تقريباً الطلب وقلما نجد هذه التعليقات ما عدا موقع الكتروني ذكر لي المشرف عليه أن الكاتب يريد فتح باب التعليقات على مقاله (أو مقالتها). على العموم هؤلاء الناس يُسيئون الى أنفسهم ويعكسون تربيتهم ومستواهم الثقافي الضحل وحقدهم على كل شئ إنساني ووطني وعمل يدعو الى التأخي والمحبة والتطور. لا يستطيع هؤلاء الناس العيش في أجواء طبيعية، ولا يتمكنون من الحديث أو المواجهة في محافل وإجتماعات عامة، فيعبرون عن شخصياتهم غير السوية من خلال تعليقات مليئة بالدس والشتم ضد أخوانهم في الدين والقومية والانسانية. مثلهم كمثل تلك الحشرات التي لا تستطيع العيش إلاّ بين الأوساخ!. وهذا ينطبق على الجميع فيما إذا كان كاتب سطور تلك التعليقات والمداخلات غير المسؤولة ايزيدياً أو مسلماً أو مسيحياً ومن أية قومية كان.

Welate Me: كلمة أخيرة يوجهها الاستاذ الدكتور " خليل جندي" للكورد بشكل عام

* ألـ" كورديتي " هي الخيمة الأكبر والأنسب والأوفى والأرحم التي تجمع الجميع. تجمع الكورد المسلمين والكورد الايزيديين والمسيحيين والكاكائيين والشبك والسارليين والعلويين الزازاكيين. خيمة تجمع جميع الكوردستانيين حتى من بقية القوميات المتعايشة مع الكورد مثل التركمان والآثوريين والكلدانيين والسريان...الخ. ال " كورديتي" هي التي توحدنا وتقربنا من البعض، وهي بمثابة " كلمة السّر" بين جميع مكونات المجتمع الكوردستاني الدينية والمذهبية والقومية. أما الدين فهو حالة خاصة بين البشر وخالقه. والدين رغم كونه في أحد جوانبه يدعو الى التآخي والمحبة والتسامح وغيره من الصفات الجيدة، إلاّ أنه في جانبه الآخر، شئنا أم أبينا، يفرق بين البشر، ويفرق بين أبناء القومية الواحدة، لأن كل دين يحتكر " الحقيقة المطلقة" ويقول

أنه دين "الحق" وما عداه من أديان على باطل.! وكل دين يحمل بذور العنصرية، حيث يحرم، مثلاً، زواج أتباعه من أتباع الديانات الأخرى. وإذا كان الدين وتعاليمه تهيء للبشر الراحة النفسية وتربطه بالسماء وتوعده بتحقيق ما لم يستطع الانسان تحقيقه على الأرض، فإن ال" كورديتي" كحالة إجتماعية، اقتصادية، سياسية، حياتية، ثقافية وروحية أيضاً، تربط الانسان الكوردي بالأرض والتاريخ والجغرافيا وانجاز عملية التحرر القومي والوطني، وبناء كيان كوردي وتحقيق الرفاهية للجميع..الخ

أتمنى من جميع الوطنيين والمخلصين والمثقفين الكورد والكوردستانيين أن يعملوا بمفهوم الـ " كورديتي" ونقول مع الذين قالوا قبلنا:(الدين لله والدولة للجميع!). الدين هو بين الفرد وخالقه، أما الوطن و (الوطن القومي) فهو للجميع. كما أتمنى أن لا يكون تعدد الأديان بين أبناء الشعب الكوردي سبباً لتفرقته وداعياً لتعميق خلافاته ومدخلاً من قبل أعداء الكورد لتهديد أمنه القومي.

أدعو جميع الوطنيين وبشكل خاص المثقفين والكتاب والشعراء والفنانين أن يركّزوا في نتاجاتهم على القيم الانسانية والوطنية والدفاع عن حرية الرأي والمعتقد وحرية المرأة ومساواتها الكاملة مع الرجل، وروح التعايش والمحبة والتسامح بين الأديان والمذاهب، وبناء دولة القانون....الخ.

أدعو وأناشد كورد العالم جمعاء بكافة قواه وأحزابه ومنظماته أن يقفوا الى جانب تجربة كوردستان الفيدراليه، بغض النظر عن النواقص، وأن يدافعوا عنها ويحافظوا عليها كما يحافظوا على بؤبؤة عينهم! ان نجاح تجربة كوردستان الفيدرالية وعودة الأراضي المستعربة في كركوك وخانقين وشنكال والشيخان وبعشيقة وبحزاني وتلكيف وزمار الى جسم الوطن الأم، هو انتصار لجميع أجزاء كوردستان وكورد العالم وتقريب يوم خلاصهم.

أتمنى للجميع الصحة والموفقية والنجاح في يوم التاسع من مايس، يوم الانتصار على الفاشية في الحرب العالمية الثانية.

كوتنكن / المانيا ٩/ مايس/ ٢٠٠٧

سلسلة لقاءات مع المثقفين الايزيديين وتصوراتهم
حول واقع الايزيدية في اقليم كوردستان

الدكتور خليل جندي باحث واستاذ في جامعة كوتنكن في المانيا مهتم بالشأن الكوردي والايزيدي وله مؤلفات عديدة تخص تاريخ الايزيدية من نواحي دينية وخاصة كتابه القيّم (نحو معرفة حقيقة الديانة الايزيدية) يكتب كثيرا في شؤون الكوردولوجيا وله اراء عديدة بإصلاح المجتمع الايزيدي في هذا اللقاء كان له أراء عدة ألتقينا به ضمن سلسلة لقاءات.

* بتصورك كيف أو الى اين يسير الواقع الايزيدي في إقليم كوردستان بعد أحداث شيخان؟

ج- ليس بشيء جديد الذي حدث من عدم ثقة او افتعال مشكلة او ازعاج او اختلاف بين الايزيدية والمسلمين، لأن في طبيعة المجتمع الايزيدي شيء من الخوف وعدم الثقة مع نفسه ومع غيره موجودة وراسخة، وهذه التغيرات التي حصلت في طبيعته تعود لفترة طويلة، لكن منذ تحرير المناطق الايزيدية بعد حرب تحرير العراق في ربيع ٢٠٠٣ حصل واقع جديد بتسلم شخصين ايزديين مهام قائممقام في شيخان وشنكال واصبح هناك مسؤولين في مؤسسات تلك المناطق، وحسب طاقاتهم لم يفسحوا المجال لحدوث تجاوزات لأنهم كأيزيدية لابد ان يراعوا ابناء جلدتهم، كما انهم كانوا حريصين على تطبيق القانون. في الطرف الاخر او الاخرين لم تروق لهم ذلك، لأن جيران الايزيدية والمحيطين بهم كانوا يريدون ويتمنون السيطرة على عين سفنى وحسب فكرتهم لم يحصل ذلك رغم ان تجاوزات عديدة حصلت في مجال الاراضي الزراعية وحصلت العديد من التجاوزات في كل مايريد هؤلاء، هنا لابد الوقوف انه بعد ان اصبح الدكتور خيري نعمو قائممقاما في شيخان وقف ضد التجاوزات التي كانت احد عوامل ما حدث في شيخان من احداث، وكان القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال، ونفس الشيء بالنسبة للاسباب المدفونة، الاقتصادية، الاجتماعية وتجاوزات الاراضي والتجاوز على القانون من قبل البعض في شيخان مما ولد النفور لدى الايزيدية، من

جانب اخر لايجوز بالنسبة للمسلمين المتحفظين او الذين يتأثرون بالافكار البالية ان يكون ولي امرهم ايزيدي حسب منظور ديني (بالنسبة للقائممقام) هذه الاسباب الدينية والاقتصادية كان من الصعب تجاوزها وحدث الذي حدث.

* اذا بأيجاز يبدو ان هناك اسباب اخرى ايضا؟

ج- نعم الوضع مرتبط بالعراق عموما وعدم استقرار المؤسسات الدستورية وعدم سيادة سلطة القانون بشكل فعلي وشامل في تلك المنطقة أدى الى حدوث ما حدث في يومي ١٤-15 شباط، بالنسبة للذين قاموا بتلك الاعمال كانت مفاجئة بالنسبة للحكومة والايزيدين انفسهم ويمكن تفسيرها من جوانب عدة، فهي من جانب كانت ايجابية ومن جانب اخر كانت سلبية ايضا. السلبية تكمن في اننا في القرن الـ ٢١ ويحصل الذي حصل بهجوم اتباع ديانة على ديانة اخرى، وهذا ناقوس خطر لحكومة الاقليم لتعرف ان الانتماء لدى البعض للعشائرية والقبلية الدينية أكبر وأقوى من الولاء للوطن والقومية، وبالنسبة للايزيدية أحس الناس بالمسؤولية بوجود هذا الخطر وكان التحرك الايجابي في اوربا والعالم ويجب أن تكون هذه نقطة بداية لأمور كثيرة يقف عندها الايزيدية ويعملون من أجل استغلال هذه البداية بشكل إيجابي.

* ماهي الامور التي تراها على الايزيدية القيام بها في هذا المنظار؟

ج- حسب رؤيتي يجب على الايزيدية ان لايلوموا على الدوام الطرف الاخر، لنبدأ من انفسنا، لماذا الناس يهاجمون الايزيدية؟ هل الايزيدية ضعفاء؟ السبب بتصوري هو إنكسار وتقوقع الايزيدية التي هي لفترة طويلة تعود ل١٠٠-١٥٠سنة مضت، القيادة الدينية والروحية ليست بالمستوى المطلوب وليست بمستوى التغيرات التي طرأت على المجتمع الايزيدي، وحسب التطور الزمني يعود انهزام الايزيدية بالدرجة الاساس الى ذلك. هنا اريد الاشارة لفكرة ان المجتمع الانساني والحيواني متاشبهين في العديد من الجوانب فالاسد الضعيف لأنه لا يقوى على السيطرة يتولى اخر مكانه، ونفس الشيء للانسان القوي السليم الصالح، قيادة الايزيدية يجب ان تكون بمستوى تطور الانسان ان تكون لها افكار جيدة وقوية وأن لم تكن الفكرة قوية متماسكة فان الفرد الايزيدي سيكون ضعيفا، للأسف نفتقد الى هذا الجانب رغم ان ما موجود لدينا من افكار دينية

تلائم الواقع ولو استطعنا ان نوحد هذه الافكار ونقومها لكان بالامكان تقوية المجتمع الايزيدي. هل من المعقول انه لم يكن هناك مثلا مئة شخصية يساهموا لمساعدة ونجدة بيت الامير ونجدة اهل شيخان حتى بدون سلاح؟. الامر لايعود للجبن لان الايزيدية ليسوا جبناء بل لعدة اسباب تلك التي ذكرتها بعضا منها.

* ماهي تلك الاسباب بنظرك؟

ج–عدم الثقة بالقيادة الدينية والدنيوية. القائد يجب ان يكون أمام الجميع ويراعي مصالح رعيته قبل مصالحه. هنا الجميع مطالب بدراسة كيفية معالجة هذه القيادة، والخلل موجود ولايمكن معالجته لاسمح الله بوضع المشانق، بل قيادة يثق بها الايزيدية تكون متهيئة لكل ما يحدث فلو كان لدينا قيادة متماسكة وحريصة لما حدث الذي حدث. وهنا أريد الاشارة لبعض الامور المرتبطة بالموضوع، فالمجتمع الايزيدي بشكل عام ضعيف والمثقفين الايزيدية (اكثرهم) للاسف يدورون في حلقة مفرغة ليس لديهم الاستعداد لتقبل بعضهم البعض. الشجاعة غير موجودة اكثرهم يتكأ على مقولة (انا ش عليّ) وهذه مقولة قاتلة، هنا أريد معاتبة الحزبيين الرئيسيين في كوردستان الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني والمسؤولين الايزيدية معهم لأن هؤلاء يراعون مصالحهم اكثر من ايصال واقع الايزيدية بالشكل الصحيح الى القيادة، هناك دائما مبالغة وأعتقد وأتصور ان الكثيرين من المسؤولين في الحزبين كانوا على علم ان الذي حدث كانت هناك أمور مسبقة له، وهنا القيادة لاتستطيع ان تكون في الساحة باستمرار وتكون على علم بكل شيء. على هكذا مسؤولين ايصال الحقائق لها، للاسف بنوا جدار بين القيادة والجماهير بنوا حاجزا لذلك حدث ما حدث والذي كان جزءا من تلك الاخطاء.

* هل برأيك ان احداث كهذه قابلة للحدوث اكثر في مناطق الايزيدية؟

ج– اذا لم تتم معالجة الاسباب معالجة جذرية او من قبل الايزدية اولا، وهنا اطالب بناء هيكلية ايزيدية مسؤولة توصل رأيها الى الجهات المسؤولة، والافضل عقد مؤتمر عام للايزيدية او طريقة اخرى للقيام بالاصلاحات في المجتمع الايزيدي وعدم اهمال أي طرف للمشاركة فيه. من جانب ثاني ضرورة الحفاظ على خصوصة مناطق الايزيدية

وخاصة من الناحية الديموغرافية في بعشيقة وبحزانى وشيخان وشنكال وبن كه ندي في القوش وتلكيف ايضا مثلما يتم الحفاظ على خصوصة عينكاوة في اربيل مثلا.

* كيف يمكن القيام بتلك الاصلاحات؟

ج– من الممكن القيام بالاصلاحات بقرار جماعي تشارك فيه مجاميع هامة من الايزيدية وليس قرارا فرديا.

* كيف او ما هي ألية القيام بهذه الاصلاحات؟

ج– قلت من خلال مؤتمر عام للايزيدية تشارك فيه جميع الشرائح من نخب سياسية وممثلين من مراكز ثقافية وممثلين من جميع المناطق وان يعرف كل واحد ما عليه عمله، هنا من الضروري فصل الدين عن السياسية او عن ادارة المجتمع الايزيدي، من خلال تحديد صلاحيات المجلس الروحاني بالشؤون الدينية واختيار مجلس او هيئة تحت أي مسمى كأن تكون (المجلس الاعلى لأدارة شؤون الايزيدية) طبعا يعمل وفق توجهات المجلس الروحاني بعد ان يتم تطعيمه بالوجوه الفاعلة التي لها حضور وألمام بواقع الايزيدية التاريخي والديني والثقافي. تبقى هناك نقطة مهمة اخرى وهي مرتبطة بواقع اقليم كوردستان فبعد تشكيل الحكومة الموحدة في اقليم كوردستان من قبل الـ KDP وPUK يجب ان توحد الايزيدية جهودها، اما حل اللجنتين الاستشاريتين الخاصتين بشؤون الايزيدية المرتبطتين بالحزبين او صيغة توافقية ليكون صوت الايزيدية صوتا واحدا معبرا وليس قرارات وتوصيات بيد فئة قليلة وينبغى ان تنظر القيادة الكوردستانية بعين واسعة الى الايزيدية تراعي خصوصياتهم وما يتعرضون لهم من اهمال بسبب هذه الالية في التعامل معهم، واذا كان الايزيدية يريدون الخروج من هذا الواقع هناك طريقان: اولا العمل بشكل صحيح مع كوردستان ككورد، خاصة ان الحركة الكوردية بالنسبة للايزيدي جزء من حياته ونضاله من ضمنها، ويجب ان يكون هذا الجانب واضحا من جانب اخر الايزيدية كأقلية دينية اصحاب الدار وهذا الامر يخصهم قبل غيرهم، وهنا أي ثانيا على القيادة الكوردستانية ان لايتصوروا الايزيدية انهم ليسوا اهل ثقة يجب معالجة هذه النظرة ايضا.

* كيف سيتم معالجة هذه النقطة؟

ج- سنوجه سؤالا هنا هل ستساعد الاحزاب الكوردية عملية التغيير هذه لدى الايزيدية كي تسير بالشكل الصحيح؟ بالتأكيد لأن طريق الكورديتي يجمعنا مثلا لو تصرفت حركة الاصلاح الايزيدية بالقول اننا كورد لما حدثت أية مشكلة مع القيادة الكوردية وكان من الممكن التعامل معها، لكن أن كان هناك شكّ في مسألة الانتماء فأن الكثير من الذي حصل هو نتاجه، لأن الحركة لو قامت بعملها وفق مفاهيم تخص الايزيدية من الجانب القومي ككورد أصلاء لتغير مسار التعامل تدريجيا.

أضف الى ذلك هو التصرف والتصريحات التي توجهها جهات او شخصيات عبر المواقع الالكترونية التي يديريها الايزيدية من الذين يسمون انفسهم بالمستقلين، للاسف اقول لايوجد لديهم نظرة بعيدة وغير ملمين بالواقع، يجب ان نعرف كيف نستغل هذه النعمة في تحقيق مصالح الايزيدية المشتركة لأننا لسنا بحاجة الى من يصفق لنا بل الى من يقف معنا لأن أغلب من يكتب في هذه المواقع يستغلونها لمصالح ضيقة.

* برأيك كيف سيتم أزالة عنصر الشكّ هذا؟

ج- كثيرا ما قلت اشياء عن هذه العملية وتلقيت التهديدات عليها، من أن عمق الايزيدية الاستراتيجي هي في كوردستان وهي ضمانة لتحقيق جميع حقوق الايزيدية، أقول دائما ذلك وعندما نعمل وفق هذه الضمانة ان نتصرف في ظلّ الحركة الكوردية الحالية في عملية البناء وتطور المجتمع وتحقيق الديمقراطية في الاقليم، طبعا بعد معالجة الواقع الايزيدي من خلال توحيد خطابه، من خلال قيادة جديدة موحدة، أنذاك لا توجد مشكلة كبرى مع القيادة الكوردية رغم وجود الصراعات لأننا يجب ان نعلم ان اكثر من ٩٠٪ من المجتمع الكوردي مسلمين، لذلك هناك اشياء يجب مراعاتها بأن تكون مطاليب الايزيدية واقعية قريبة من التحقيق، ويجب القول انه الان ايضا لا توجد مشاكل بمعناه الصريح بين القيادة الكوردية والايزيدية.

يبقى هناك جانب اخر فبعد احداث شيخان أرى حال الايزيدية كجيش مهزوم بدأ يتخلى عن واقعه لأنه داخليا ونفسيا منهار رغم وجود اسباب واشخاص وجهات يدفعونه نحو هذا الاتجاه. هناك هروب وهجرة وهي ليست حلاً أبداً بل زيادة وترسيخ لمشاكل المجتمع الايزيدي المتفتت. وهنا يجب ان نتوخى الحذر لما تخطط له المخابرات الإقليمية وخاصة سوريا الذين يودون إستغلال هذا الانهيار في المجتمع الايزيدي من

خلال تشجيعهم على الهجرة وفصلهم عن أرضهم وتعميق الهوة بالنسبة لمسألة انتمائهم الى الكورديتي، خاصة أن أغلبية مناطق الايزيدية مقبلة على المشاركة في الاستفتاء وفقا للمادة ١٤٠ من الدستور العراقي، وسيشتد هذا التدخل مع اقتراب موعد عملية التطبيع لأن اطراف اقليمية تدفع حركات وأطراف في شنكال وبتحريض من عدد الشخصيات من الذين يكتبون في المواقع الالكترونية التي يديرها الايزيدية لأحداث هذه الفوضى في المجتمع الايزيدي، هذا سيؤثر سلباً على عملية الاستفتاء. هنا أطالب القيادة الكوردية والكورد عموما بحملة تثقيف ورفع الوعي القومي للمواطنين في الاقليم بالتعريف بهذه الخطة المدبرة والعمل بالضد منها. ومن الجانب الايزيدي ستحدث هذه الهجرة الجماعية التي أصبحت حديث الشارع الايزيدي تأثيراً كبيراً على واقعه، فأذا ما هاجر الاف الشباب ماذا سيكون مصير آلاف مثلهم من الشابات؟ هذا يعني إنهيار المجتمع تدريجيا والسبب لما أشرت اليه ولما يقوم به البعض من تصرفات وينشر من كتابات.

* أين تكمن اسباب هذا الحادث او الذي وصلت اليه الامور؟

ج- يجب ان لاننسى صراعات الأحزاب الاسلامية الكوردستانية في دهوك ودعم الحركات الاسلامية الذين كانوا يريدون إنتهاز أية فرصة للتلاعب بالاحداث وإحداث الفتنة والفرقة والانتقام بأية شكل كان من الحزب الديمقراطي الكوردستاني وخاصة في منطقة مثل شيخان كانت مهيئة بسبب صراعات وبسبب وجود قائممقام ايزيدي مارس صلاحياته وكان حريصا على تطبيق القانون وليس فسح المجال للتجاوز عليها وهذا ما أدى الى انتهاز الفرصة للنيل منه والذي كان تجاوزا على سلطات الاقليم. وهنا أريد الاشارة ثانية بأنه يجب ان تكون الحلول جذرية ويساهم الجميع في هذه العملية بروح من المسؤولية التاريخية في سبيل استقرار كوردستان لأن أي خلل في هذا الجانب او في منطقة كهذه يعد خللا في مسيرة تطور تجربة إقليم كوردستان وحكومة الاقليم مطالبة بدراسة الموضوع بجدية والقضاء على اسباب الحادث واجراءات حازمة نحو تطبيق القانون بشكل كامل وعلى الجميع دون تفرقة.

اجرى اللقاء خضر دوملي

ثبت المصادر والمراجع

الكتب:

– ر. ه. و. إمبسن، عبادة طاؤوس ملك، R.H.W. Empson, The Cult of the Peacock Angel, London 1928

-2بادجر،معتقدات النسطوريين، ١٨٤٢،

٣– جى. جى. فريزر، الغصن الذهبي، ١٩١١

٤– آى. جوزيف، معتقدات الشيطان، ١٩١٩

٥– اج. لايارد، نينوى وآثارها ١٨٤٩ وكتابه: نينوى وبابل، ١٨٥٣

6- Theodor Menzel; Yazidi, Encylopedia of Islam, London IV, p- 1164 a, Leiden 1913-1938.

7-Mithra and Ahreman, Binyamin and Malak Tawus /Traces of an Ancient Myth in the Cosmogonies of two Modern Sects / Prof. Dr. Philip Kreinbruek.

8- Prof. Dr. Philip G. Kreyenbroek, YEZIDISM- IST BACKGROUND, OBSERVANCES AND TEXTUAL TRADITION, The Edwin Mellen Press Lewiston/-Queenston/ Lampeter 1995.

9- Philip G. Kreyenbroek- Khalil Jindy Rashow, God and Sheikh Adi are Perfect Sacred Poems and Religious Narratives from the Yezidi Tradition, Harraussowitz Verlag 2005.

10- R. H. Empson, The Cult of Peacock Angel, London 1928.

11- August Niender: ueber die Elemente aus denen die Lehren die Yeziden hervorgangen zu sein scheinen.

١٢– السير پول رايكوت، تاريخ الامبراطورية العثمانية التركية من العام ١٦٣٣ال– ١٦٧٧ ,١٣– ميشيل فيفر Specchio o verod descriyione delle Turchia: Teatro della Turchia،

١٤– ن. سيوفي/ ملاحطات عن الطائفة اليزدية، المجلة الاسيوية (باريس)، العدد ٧، مجلد ٢٠(١٨٨٢).

١٥–كورنيلليو ماكن–، Quanto di curioso e vago Ha potuto raccorre Nel secondo biennio de esso consumato in viaggi e dimore per la Turchia، ج٢، (مقتبس من كتاب جون گيست).

١٦– رفائيلو: م. كوسپ– كامبانيل:Storia della regione del Kurdistan e della sette de religioni ivi esistenti.

١٧– –وراتيو ساوثكيت/ حكاية رحلة عبر ارمينيا و كردستان وبلاد فارس وميسوبوتاميا، ج٢، (مقتبس من كتاب جون گيست) و فريدريك فوربس، زيارة ال– تلال سنجار في ١٨٣٨ .

١٨– البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، البلدان: وفتوحها وأحكامها، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر/ بيروت، ط١ .

١٩–ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج٢، دار صادر/بيروت، طبعة ١٩٩٥ .

٢٠– زكي، أمين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من قدم العصور التاريخية حتى الآن–ج١، ١٩٦١ بغداد.

٢١ – محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، ج٢، ترجمة محمد علي عوني، سنة الطبع ١٩٤٥ .

٢٢– شرفنامه، شرفخان البدليسي، ترجمة كرومي، مجلد١ .

٢٣– شرفخان البدليسي، شرفنامه، الجزء الأول، ترجمة محمد علي عوني، تقديم يحيى الخشاب، دار احياء الكتب العربية / بيروت، ١٩٨٧ .

٢٤– باسيل– نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم لويس ماسينيون، ترجمة الدكتور نوري طالباني، دار الساقي، –2، ٢٠٠١ .

٢٥– ڤ.ف. مينورسكي: كورد، نقله د. معروف خزندار ال– اللغة العربية، وقام حمه سعيد بترجمته ال– اللغة الكرد–ة، ١٩٨٤ .

٢٦– جون س. گيست، الحياة بين الكرد..تاريخ الايزديين، ترجمة عماد جميل مزوري، مطبعة سپيريز، ٢٠٠٥ .

٢٧– روجيه ليسكوت، اليزيدية في سورية وجبل سنجار، ترجمة أحمد حسن ٢٠٠٧، دار المدى.

٢٨– د.فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول والثاني، دار الثقافة– بيروت، ترجمة الدكتور جورج حداد و عبدالكريم رافق، ط٣، سنة (١٩٦٠) .

٢٩– الدكتورعلي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، كوفان للنشر– لندن،١٩٩٢ .

٣٠– الدكتور علي الوردي، منطق إبن خلدون، منشورات سعيد بن جبير/ قم المقدسة، ط١، ٢٠٠٥ .

٣١– الدكتور علي الوردي، مهزلة العقل البشري، قم ٢٠٠٦ .

٣٢– الدكتور علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، جامعة بغداد.

٣٣– حبيب، جورج: اليزيدية بقايا دين قديم،بغداد ١٩٧٨.

٣٤– توفيق وهبي: أثران تأريخيان عن الكرد، قام بتحقيق الأول وتعريب الثاني محمد جميل الروزبياني، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ١٩٩٥ .

٣٥– توفيق وهبي بك: الآثار الكاملة، إعداد: رفيق صالح، الجزء الأول، مطبعة شفان/ السليمانية ٢٠٠٦ .

٣٦– العزاوي، عباس؛ تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ١٩٣٥ بغداد.

٣٧–الدكتور سامي سعيد الأحمد، اليزيدية/ أحوالهم ومعتقداتهم،بغداد ١٩٧١ .

٣٨– تيمور باشا، أحمد؛ اليزيدية ومنشأ نحلتهم، القاهرة ١٩٣٣ .

٣٩- الحسني، عبدالرزاق، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ط١١، مكتبة اليقظة العربية/ بغداد ١٩٨٧.

٤٠- الدملوجي، صديق: اليزيدية، بغداد ١٩٤٩ .

٤١-الديوه جي، سعيد: منشأ اليزيدية وتطورها- مجلة الرسالة، المجلد ١٢(١٩٤٤) + اليزيدية، الوصل ١٩٧٣ .

٤٢- مطر، سليم: الذات الجريحة؛ إشكالات الهوية في العراق والعالم العربي" الشرقاني" .

٤٣- الصائغ، سليمان: تاريخ الموصل، القاهرة ١٩٢٣ .

٤٤- نوري باشا، عبدة أبليس.

٤٥- إبن العبري في تاريخه السرياني: كرونيكون سرياكوم) .

٤٦- أنور مائي: الأكراد في بهدينان، الطبعة الثانية دهوك ١٩٩٩.

٤٧- الهاشمي، طه/ مفصل جغرافية العراق .

٤٨- محمد عبدالحميد الحمد، الديانة اليزيدية بين الاسلام والمانوية، الرقة ٢٠٠١.

٤٩- آزاد سعيد سمو، اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة، المكتبة الاسلامية، بيروت ٢٠٠١ .

٥٠ - حمدي عبدالمجيد السلفي وتحسين ابراهيم الدوسكي، إعتقاد أهل السنّة والجماعة، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٨ السعودية. (كراس)

٥١- مصطفى نعيمة: تاريخ نعيمة، ج٥ .

٥٢- الدملوجي، صديق: إمارة بهدينان، الموصل ١٩٥٢ .

٥٣- ياسين العمري، غرائب الأثر، الموصل ١٩٤٠م.

٥٤- محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية، موصل ١٩٦٩.

٥٥- حسين حزني موكرياني، إمارة سوران، ت. محمد الملا عبدالكريم .

٥٦- د.التونجي: اليزيديون، كويت . ١٩٨٨

٥٧ - فراس السواح، لغز عشتار، دار علاء- دمشق ١٩٩٣ .

٥٨- المقدسي، البدء والتاريخ، الجزء ٥ .

٥٩- دكتور عبدالله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية، دار واسط للنشر ,١٩٨٨.

٦٠- دكتور رشيد الخيون، مذهب المعتزلة من الكلام الى الفلسفة، دار النبوغ/ بيروت، ط١، ١٩٩٤ .

٦١- د. محمد التونجي، اليزيديون/ واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم، بيروت ١٩٩٩.

٦٢- د. خليل جندي: نحو معرفة حقيقة الديانة الايزيدية، مطبعة رابوون، السويد ١٩٩٨ .

٦٣- ئيزدياتێ/ لبه ر روشنايا هندەک تيکستيت ئاينێ ئيزديان، خدرێ سليمان و خەليلێ جندێ، جابخانا کورێ زانيارێ کورد، بەغدا /١٩٧٩ .

٦٤- خدر- سليمان و سەعدوللا شيخان-، شيخان و شيخان بەگ-، بەغدا ١٩٨٨ .

٦٥- د.خەليل جندى، پەرن ژ ئەديبێ دينێ ئيزديان، بەرگێ ئيکێ، سپيريز/ د--ک ٢٠٠٤،- صفحات من الأدب الديني الايزيدي، مجلدين، مطبعة سبيريز ٢٠٠٤ دهوك.

٦٦- بدل فقير حجي، باورى و ميثولوجيا ئيزديان- اعتقاد وميثولوجيا الايزيدية، مطبعة هاوار- دهوك، ٢٠٠٢ .

٦٧- عزالدين سليم كتاب بإسم (مه ركه) باللغة العربية، مطبعة خبات-كوردستان/٢٠٠٣ .

٦٨- عبدوللا فارلى: ديروكا دوكەلين كوردان ٦٠٠-١٥٠٠م، سالا ١٩٩٧ - تاريخ الإمارات الكوردية ٦٠٠-١٥٠٠م.

مجلات - مقالات- تقارير:

١ - د. درويش شرو: أزمة الهوية الشخصية للجيل الناشئ للايزيديين القاطنين في المانيا الغربية، مجلة لالش، العدد ٢-٣ لسنة ١٩٩٤ دهوك.

٢- زرار صديق، مجلة لالش، العدد ٥، لسنة ١٩٩٥ .

٣- كوردولوجى- دناڤبەرا ڕۆژهەلاتناسى و سياسەتيدا له ئەوروپا، سالێ جاسم، گوڤارا - اڤيبوون، -ژمارا ١، سالا ١٩٩٧، زانكويا ازاد بەرلين.

٤- د. خليل جندي: مجلة روز، ع ٦ لسنة ١٩٩٨، إمارة الشيخان، شنكال وكليس.

٥- د. حبيب، كاظم: رؤية أولية حول الأقلية الدينية الأيزيدية الكردية، مجلة روز، العدد ٦، كانون الأول ١٩٩٨ .

٦- د. خليل جندي: الايزيدية في الوثائق السّرية للحكومة العراقية، مجلة روز، العدد ٧&٨ لسنة ٢٠٠٠ .

٧- تقريرالسيدة كيزلا بريس والسيدان فيرنر بريس وأليكساندر شتاينبيرك بتأريخ أيلول ١٩٨٩ باللغة الألمانية الى المحاكم الألمانية.

٨- كنجي، صباح: مجلة روز العددين ٣ و ١٠ لسنة ١٩٩٧ و ٢٠٠١ .

٩- د. خليل ج. رشو: مجلة روز، العدد ١٠لسنة ٢٠٠١ .

١٠- من رسالة " موقف مجموعة الخارج من القرار ١٦" في ٢٠٠٦/٥/١٢ ألمانيا.

١١- خدر الدوملي في لقاء مع الباحث التركي (أحمد تاشقين)، جريدة أصداء الألكترونية ليوم ٢٨/ ١١|٢٠٠٦ .

محتويات الكتاب

مقدمة الكتاب 5
مقدمة بقلم صباح كنجي 14
مقدمة بقلم زهير كاظم عبود 19

القسم الأول

الفصل الأول
مدخل لمعرفة تأريخ الديانة الإيزيدية 25
المعتقد الإيزيدية كدين شرقي قديم، والصراع الثقافي في المهجر 38

الفصل الثاني
الكوردولوجيا والإيزيدية 46
مفاتيح لفهم أوسع حول الديانة الإيزيدية 65
الإيزيديون في المهجر، صراع ثقافيات ومسقبل مجهول 74

القسم الثاني

الفصل الثالث
قراءة أولية لواقع الكورد والإيزيديين في العراق هل نحن بحاجة... 87
ما العمل؟ أوضاع الإيزيدية في المرحلة الراهنة كوردستان العراق نموذجاً 108
دعوة مخلصة لسمو الأمير تحسين بك مع نهاية عام ٢٠٠٥ 121
الإيزيدية في الوثائق السرية للحكومة العراقية ١٩٢٨–١٩٣٠ 128

الفصل الرابع
تصالح الحزبان الكوردستانيان ولم يتصالح الأيزيدوية المنتمون إليهما 140
الأعتراف بالخطأ فضيلة والتبرير لا يجدي نفعاً 149

الفصل الخامس
بين التأريخ والنفاق يتخبط المتقفون الإيزيديون 155

«سندامي» الإيزيدي يشارك في مؤتمر مايسمى نضرة الشعب العراقي 183

الفصل السادس
من أفغانستان إلى آيزيدخان تنتقل عدوى الطالبان 192
الأرواح البريئة المجزرة بعشيقة وبحزأين تنادينا لمن نشتكي 198

الفصل السابع
الدين.. المجتمع.. السياسة.. القانون.. إلمرأة هي الضحية دائماً 207
أي مؤتمر تنتظره الإيزيدية مؤتمر مصالحة تعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وإنقاذ؟ 226
"النحل المتعلم" ومصير الإيزيدية 238

الفصل الثامن
المأساة الكبرى تسونامي الإيزيدية أو حلبجة ثانية 257
إسمها كرعزيز وسيبا شيخ خدري الإيزيدية إلى الوراء دور 268

القسم الثالث

الفصل التاسع
أجوبة على أسئلة «مجلة الحوار» 279
أجوبة على أسئلة منتديات (ولاتى مه) 303
سلسلة القاءات مع المثقفين الإيزيديين وتصوراتهم حول واقع الإيزيدية في أقليم كوردستان 325
ثبتً المصادر والمراجع 331